وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جـامـعـة الـجـزائـر2
كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية
قـسـم الـتـاريـخ

العلوم الدّينية والإنسانية في عهد الموحدين بالـمـغـرب الأقـصـى والأنـدلـس

(524 هـ – 668 هـ/ 1130م – 1269م)

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط

إعداد الطـــــالب: عبد العزيز قبايلي

تحت إشراف : الأستاذ الدّكتور: أحمـــــد شريفي

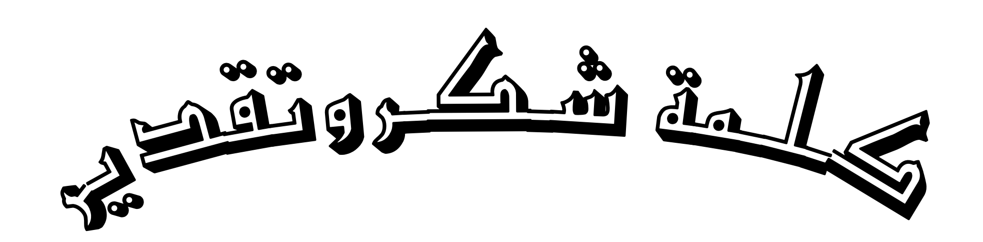
أعضاء لجنة المناقشة

الإسم واللقب	الصــفــة	الجـــامعة
أ.د/ محمد الأمين بلغيث	رئـيسا	جامعة الجزائر 1
أ.د/ أحمد شريـفي	مقرراً	جامعة الجزائر 2
د/ نبيلة عبد الشكور	عضواً	جامعة الجزائر 2
د/ بوعلام صاحي	عضواً	جامعة الجزائر 2

السنة الجامعية

1436هـ- 1437 هـ/ 2014م- 2015 م

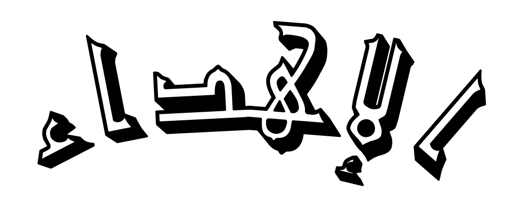

بسم الله الرحمن الرحيم



إنّه لمن الواجب الإعتراف بفضل الله سبحانه وتعالى أولا ،
ثمّ فضل الأستاذ الأخ المشرف الدّكتور: أحمد شريفي الّذي
كان عونًا كبيرا لي لإنجازي هذه المُذكرة ووقوفه
بجانبي بنصائحه السّديدة وتوجيهاته الرّشيدة ، فله منّي
كلّ التّقدير والإحترام .

كما أتقدم بجزيل الشّكر لأخي الأستاذ الدّكتورمحمدالأمين
بلغيث والدّكتورة نبيلة عبد الشّكور والدّكتور بوعلام صاحي
على التّوجيهات السّديدة والمساعدة الكريمة لي منهما .

كما أشكر كلّ من قدّم لي يد المساعدة من قريب أو بعيد
لإنجاز هذا المشروع المتواضع .



أهدي ثمرة جهدي هذا

إلى الوالدين الكريمين .

إلى زوجتي الّتي قدّمت لي يد المساعدة لإنجاز عملي هذا.

إلى أبنائي و أسرتي الكريمة.

إلى كلّ من أحبّ لي الخّير وأرشدني إليه.

الى كل طالب علم وباحث أهدي عملي هذا المتواضع .

قائمة الرموز المستعملة

1) ت : توفي
2) ج : جزء
3) د . ت : دون تاريخ الطبع
4) س : السفر
5) ص : الصفحة
6) ط : الطبعة
7) ق : القسم
8) م : الميلادي
9) هـ : الهجري



مقدمة :

عرف المغرب والأندلس عدّة محطّات تاريخيّة ، غيّرت من مجرى التّاريخ ، كان منها ظهور دول قويّة، مثل الدّولة المرابطيّة والدّولة الموحديّة ، ولكلّ منها أثره في بناء الحضارة العربيّة الإسلاميّة ، و للدّولة الموحديّة خصوصيّة فيما يتعلّق بالجانب الفكري ؛ إذ أثّرت الوحدة السّياسيّة للمغرب و الأندلس على كافة الأصعدة بصورة عامّة وعلى الحركة الفكريّة بصورة خاصّة.

-أسباب إختياري للموضوع:

إنّ أوّل الأسباب الّتي دعتني للقيّام بدراسة الجانب الفكري عند الموحدين ؛ أوّلها، أنّهم أطلقوا الحريّة الفكريّة في عموم دولتهم ، ممّا أدّى إلى ظهور نشاط فكري وعلمي بارز، بقيّت آثاره إلى يومنا هذا ، وثانيها هو الإستقرار السّياسي الّذي عرفته الدّولة الموحديّة خاصّة في فترة حكّامها الأوائل، ما انعكس على تطور الحركة الفكريّة والعلميّة بالمنطقة، وثالثها هو إطّلاعي على سيرة حكّام الدّولة الأربعة الأوائل، الّذين تعاقبوا على السّلطة وكانوا أهل ثقافة وعلم ، شجّعوا على طلب العلم ور اعوا العلماء و أحاطوا مجالسهم بهم، ورابعها، أنّ معظم الدّراسات الّتي تناولت الدّولة الموحديّة، تحدّثت عن الجانب السّياسي وتوسّعت فيه أكثر وأطنبت، أمّا الجوانب الأخرى، فالدراسة فيها قليلة، وإن وُجدت، فهي تتناول جانبا فقط، وخامسها، وجود عدد من الدّراسات في الحركة الفكريّة في دولة الموحدين ، لكنّها اقتصرت على جزء من الدّولة، أو مدينة تقع ضمن حدود هذه الدّولة، ومن بين هذه الدّراسات رسالة الماجستير (الحركة الفكريّة والعلميّة بمدينة مراكش منذ تأسيسها حتّى سقوط الدّولة الموحديّة (454-668هـ/1062-1269م) وأثرها على المراكز الثّقافيّة الإسلاميّة جنوب الصحراء)، و أطروحة الدّكتوراه (الحركة الفكريّة في مدينة فاس في عهد الدّولة الموحديّة (540ه-668هـ/1145م-1269م) وهما للباحث: عبد العبّاس حمّادي إبراهيم الجبوري، وكذلك رسالة بعنوان (الحركة الفكريّة في مدينة سبته في عهد الموحدين)

للباحث: سالم حسين عبد الخضر المرشدي، وكتاب بعنوان (الحياة العلميّة في الأندلس في عهد الموحدين) ليوسف بن علي بن إبراهيم العرّيني.

-إشكالية البّحث :

بنيت فكرة البحث على أساس دراسة العلوم الدّينيّة والإنسانيّة عند الموحدين بالمغرب الأقصى والأندلس، مركّزا على الفترة الّتي كانت فيها هذه العلوم في أوّج قمّتها في عهد الموحدين؛ لأ نّ قمّة التّطور الفكري كانت خلال هذه السّنوات حيث عهد التّأسيس والإزدهار، ثمّ تراجعت الدّولة بعد ذلك كثيرا ، لاسيّما فيما يخصّ الاستقرار السّياسي وتقلّص حدود الدّولة، لكثرة الخلافات والحركات الانفصاليّة.

وسعيت من خلالها للإجابة على عدّة تساؤلات منها: ماهي الإضافة الجديدة الّتي قدّمتها الدّولة الموحديّة للمسلمين خاصّة والإنسانيّة عامّة ؟ وهل بالفعل هذه الدّولة لاتعرف إلاّ القتل والسّبي والنّهب، أم أنّ لها جانبا آخر مشرقا حاول أعداؤها والمعرضون لها طمسه وتشويهه؟ هل حكّامها كانوا من العامّة، تقودهم مجموعة من العلماء والفقهاء، أم أنّهم ذوي علم وفكر وطرْحٍ جديد؟ هل حكام الدولة كانوا مُحاطين ومُسترْشدين ومُستأنَسين بخيرة القوم، أم من رعاعها وسَفلتها؟.

كل هذا وغيره من التّساؤلات الّتي شغلت فكري، حاولت أن أجيب عنها في طيّات هذا البحث.

-خطّة البحث:

قسّمت البحث إلى أربعة فصول، سبقها المقدمة وتلاها الخاتمة وملاحق .

الفصل الأوّل، نبذة تاريخيّة عن الدّولة الموحديّة وإبراز دور محمد بن تومرت في تأسيس هذه الدّولة وإرساء قواعدها الفكريّة والسّياسيّة، ثمّ دور خلفائه بعده، بداية بعبد المؤمن بن علي في إكمال مشروع إبن

تومرت ومنه القيّام بالتّوسعات وضمّ المناطق في المغرب الأوسط والأدنى، ثمّ الأندلس، وأخيرا تراجع هذه الدّولة وانحصارها فسقوطها.

الفصل الثّاني، تناولت فيه العوامل الّتي كان لها دور في تحفيز وازدهار الحركة الفكريّة والعلميّة في بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين ، و قسّم ت الفصل بدوره إلى أربعة مباحث، تناولت في أوّلها دور خلفاء الدّولة الموحديّة في تشجيع العلم والعلماء بمختلف الصوّر، ممّا كان له دور في إرساء النّهضة العلميّة والفكريّة ، وفي ثانيها، تحدّثت عن عقد المجالس العلميّة والمناظرات، الّتي كان يقيمها الحكّام والأمراء وكان لها دور بارز في نشر العلم والإبداع الفكري والعلمي، أمّا في ثالثها، فأفردته للرّحلات العلميّة، الّتي كان يقوم بها العلماء وطلبة العلم لنّقل العلم ونشره شرقا وغربا، وختمت الفصل بالحديث عن الكتب والمكتبات الّتي إنتشرت بشكل واسع في أرجاء الدّولة ودورها في نشر ونقل العلم.

الفصل الثّالث، خصّصت الدّراسة فيه للعلوم الدّينيّة في عموم بلاد المغرب وا لأندلس وكيف أثّر مسار الدّولة الموحديّة الفكري في تلك العلوم، وقسّم ت الفصل إلى خمسة مباحث أساسيّة، في الأوّل منها ذكرت علوم القرآن، إذ تطّرقت إلى علمين أسّاسين هما: علم القراءات وعلم التّفسير و أبرز من ذاع صيتهم من العلماء في عموم المغرب والأندلس في العِلمين المذكورين وأهّم المؤلفات الّتي دُوّنت خلال هذه الفترة ، أمّا في الثّاني فقد ركّزت فيه على علم الحديث وأهّم العلماء الّذين برزوا فيه، وبيّنت سبب إهتمام الموحدين بهذا العلم وأهله والمؤلفات الّتي كتبت في عهدهم، بينما درست في الثالث الفقه وأصوله، فتطرّقت إلى أبرز المذاهب الفقهيّة أنذاك بالمنطقة والصراع الّذي كان بين أهلها، مع ذكر أبرز الفقهاء في تلك الحقبة ومؤلفاتهم وآثار ذلك على تأصيل الأحكام الفقهيّة، وأنهيت الفصل بالحديث عن علم الكلام الّذي يعدّ من العلوم الّتي لايتقنها إلاّ العلماء البّارزين .

الفصل الرّابع، عرّجت فيه بالحديث عن العلوم الإنسانيّة، فقسّمته إلى أهمّ العلوم الإنسانية، الّتي عرفت إنتعاشا وانتشارا في تلك الفترة، مثل التّاريخ والجغرافيا والفلسفة والتّصوف، موّضحا تطور هذ ه العلوم وأشهر العلماء الّذين برزوا ومؤلفاتهم، خاصّة في علمي الفلسفة و التّصوف، وتناولت في هذه النقطة أهمّ العوامل المؤثرة في مسار الفلسفة والتّصوف إبّان هذه الحقبة، مع ذكر أهمّ أسماء الفلاسفة والمتصوفة في بلاد المغرب والاندلس، وتطّرقت إلى الإشكاليات الّتي أُثيرت حول هذين العلمين من قِبل المغاربة والأندلسيّين، ومن ثمّ ظهور آثاره في موقف الحكّام، إذ تناولت إبراز تلك العلوم وأثرها في حياة الإنسان وقتها وبعدها. ألحقت الدّراسة **بخاتمة**، بيّنت فيها أ برز النّتائج الّتي توّصل ت إليها في البّحث، و أتبعت البّحث مجموعة ملاحق، رأيت أنّها مفيدة لتّوضيح بعض الغموض في مضامين دراستي هذه.

-منهج البّحث:

منهج البّحث هو التاريخي بما فيه من سرد تاريخي للأحداث ونقدها وتحليلها ومقارنتها، وقد كانت عملية السّرد طبقا لما جاء من معلومات، إعتمادا على المصادر وهو منهج لايمكن الإستغناء عنه في الكتابات التّاريخيّة وإذا وجد تباين في الرّوايات، أُرَجح الرّواية الأقرب للحدث زمانا ومكانا ، والّتي خضعت للمناقشة والتّحليل من قبل المحققيّين المعاصرين، أو أرى أنّها الأقرب إلى الصّواب عن غيرها بمقارنة النّصوص.

كما تخلّل عملية سرد الأحداث منهج التّحليل والنّقد لهذه الأحداث؛ قصد تبيان ما أمكن تبيانه من الحقائق والجوانب الخفيّة ، وقد حاولت قدر الإمكان تفادي الأحكام المسبقة على خلفاء الدّولة الموحديّة وخاصّة مؤسسّها إبن تومرت، الّذي اتّهمه العديد من الكُتّاب بالتّشيع والزّندقة وغيرها، ممّا يبيّن التّعصب وعدم التّجرد العلمي في هذه الأحكام، متناسين دور هذه الدّولة في توحيد شمال إفريقيّة والأندلس تحت

راية واحدة وتأخير سيطرة الصليبيين على الأندلس وسواحل إفريقية لأكثر من قرن، وفتح المجال للعلم والعلماء للبحّث والإنتاج العلمي، الّذي مازالت آثاره إلى يومنا هذا.

– صعوبات البّحث:

إنّ البّحث في موضوع الحياة الفكريّة في عهد الموحدين ليس سهلا بمكان، حيث أنّ مثل هذه الدّراسات تتطّلب إطّلاعا واسعا في جوانب عدّة، منها الفقهيّة والأصوليّة والعقيدة وعلم الكلام وعلم الحديث والفلسفة والتّصوف وغيرها، ممّا يتطّلب وقتا كبيرا للقراءة والبّحث وجمع المعلومات ومحاولة المقارنة بين الآراء المختلفة للبّاحثين والمؤرخين القدامى منهم أو المعاصرين ، كما قد نجد صعوبة في فرز المعلومات المتداخلة بين صفحات الكتب، والّتي تعبّر عن رأي الكاتب، الّذي قد يكون متحيّزا لفرقة دون أخرى، أو متحاملا على الدّولة الموحديّة، أو متحيّزا لها، مما يُفقد مصداقية الخبر .

وبحكم أن ّالدّولة الموحديّة قد فسحت المجال للعلماء وطلبة العلم للبّحث والإنتاج في مجالات عدّة دون حصرها، فقد أدّى ذلك إلى إنتشار الكتب والمؤلفات في مختلف أصناف العلوم وخاصّة منها الدّينيّة وظهور علماء كُثر، طرحوا ما بجعبتهم من أفكار ومعلومات، أفادت البّاحثين، كما أنّ الكثير من المعلومات لانجدها إلاّ في كتب التّراجم الّتي مُلئت بها رفوف المكتبات ، وقد استوجب منّي ذلك التّدقيق والفرز وتتّبع المعلومات من مصدرها الأسّاسي والمقارنة بينها وبين غيرها ولذلك أخذ منّي هذا البّحث وقتا؛ لكي أخرج به إلى برّ الأمّان.

–المصادر والمراجع:

إعتمدت في بحثي هذا على عدد من المصادر والمراجع أهمّها:

- كتاب (**نظم الجُمان لترتيب ما سلف من أخبار الزّمان**) [1] لأبي محمد حسن بن علي بن القطّان المراكشي، توفيّ في منتصف القرن السّابع الهجري ، ويعتبر من المصادر الأسّاسيّة في كتابة تاريخ المرحلة الموحدّة، حيث كان من المقرّبين للدّولة وخاصّة في عهد المرتضى عمر بن إسحاق،كما كان والده علي بن محمد بن عبد الملك شاهد عيان، و لم يُعرف صاحب هذا الكتاب إلاّ بعد نشر السّفر الثّامن من الذّيل والتّكملة لابن عبد الملك ، وينقل لنا ابن القطان الأحداث بدقّة متناهية، إذ يمكن أن نعتبره من مؤرخي الدّولة الموحديّة .

-كتاب (**الصّلة**) لمؤلفه، خلف بن عبد الملك بن بشكوال (ت:578هـ/1182م): وهذا المصنّف وضعه ليكون ذيلا على كتاب إبن الفرضي (بُغية الملتمس)، ويعدّ كتاب (الصّلة) أحد أهمّ كتب التّراجم وأعظمها فائدة، إذ كان مؤلفه فيه يتقصّى سير تراجمه من العلماء وهو مازاد من رصانتها ودقّتها، كذلك إيراده لمعلومات تفصيليّة لبعض العلماء و لم يكن هذا الكتاب كتابا للتّراجم فحسب ، إنّما أعطانا معلومات تاريخيّة مهمّة، إذ أنّ مؤلفه كان شاهد عيان على الأحداث والمتمثلة بنهاية المرابطين وسيطرة الموحدين على بلاد الأندلس وجاءت رواياته دقيقه وموضوعية.

-كتاب (**المّن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين**) لمؤلفه، عبد الملك بن محمد بن صاحب الصّلاة (ت: 594هـ/1197م)، يعدّ من المصادر الرئيسيّة الّتي لاغنى للدّارسين عنها في تاريخ الدّولة الموحديّة ، إذ أنّ صاحبه كان قريبا من أصحاب القرار والحدث في الدّولة وخصوصا الحقبة الأولى من عمرها ، وإعتداله في نقل الأخبار، ونقله لمعلومات ، إفتقرت المصادر الأخرى

(1) لقد إنتشر بين البّاحثين المُحدثين أنّ مؤلف كتاب نظم الجُمان هو" علي بن محمد بن عبد الملك الكتّامي الفّاسي بن القطّان ت 628ه/1231م "، لكن إشارة وردت في النظم، أوضحت أنّ مؤلف هذا الكتاب، أدرك خلافة أبو حفص عمر المرتضى الموّحدي (646ه-665ه/1248م- 1266م ، ولذلك فقد رجّح محقّق هذه القطعة، محمود مكّي أنّ مؤلف هذا الكتاب هو إبن علي حسن وليس والده . أنظر . إبن القطّان : مقدمة المحقّق، **نظم الجُمان لترتيب ما سلف من أخبار الزّمان** ، تحقيق، محمود علي المكّي، ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت 1410ه/ 1990م ، ص10وما بعدها

لذكرها، ومن أبرزها إعطاء تفصيلات لمجالس الحكّام والأمراء والولاّة وكيفية دعمهم للمسيرة الفكريّة والعلميّة لعلماء المغرب والأندلس.

-كتاب (**التّشوف إلى رجال التّصوف**) لمؤلفه ، أبي يعقوب يوسف بن يحي التّادلي (ت:627هـ/1229م): وواضع هذا الكتاب من المغاربة ومعاصر لأحداث عصره، إختصّ بتراجم المتصوفة المغاربة منهم والأندلسيّيّن الّتي لاغنى للبحث عنها.

-كتاب (**المُعجب في تلخيص أخبار المغرب**): لمؤلفه ، عبد الواحد بن علي المراكشي (ت:647هـ/1249م)، وهو من المصادر الأساسيّة ، إذ أفاد البّحث بما يتعلّق بسيرة الحكّام الموحدين بما ذكره عن بعض الشّخصيات العلميّة.

-كتاب (**التّكملة لكتاب الصّلة**) لمؤلفه ، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القُضاعي بن الآبار (ت:658هـ/1260م): وهذا الكتاب أكمل ما بدأه إبن بشكوال في كتاب (الصّلة) وتأتي أهمّيّة هذا الكتاب في دقّة المؤلف في نقله للتّراجم والأحداث بحكم معاصرته لها، وأنّه قضى نحو عشرين سنة في وضع هذا الكتاب، فأورد نصوصا مهمّة عن العلماء ، يكاد ينفرد عن غيره من المصنّفات ؛ لذلك شكّل أحد الأركان الأساسيّة في البّحث، إذ لازم البّحث طيلة فصوله الأربعة.

-كتاب (**الذّيل والتّكملة لكتابي الموصل والصّلة**) لمؤلفه، أبي عبد الله بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي (ت: 703هـ/1303م): وقد وُضع هذا المصنّف ؛ ليكون ذيلا على كتب التّراجم سالفة الذّكر، و إمتاز بسعة وغزارة المعلومات الّتي ذكرها، وقد مثّل هذا الكتاب بأسفاره المتعدّدة أحد موارد البّحث المهمّة والأساسيّة، من خلال إعطاء المؤلف لمعلومات تفصيليّة لمن ترجم لهم.

-كتاب (**الأنيس المُطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**) لمؤلفه، أبي الحسن علي بن عبد الله الفاسي إبن أبي زرع (ت: 726هـ/1326م)، وهو من المصادر المغربيّة

المهمّة، إذ تناول تاريخ مدينة فاس ومن توالى عليها من الحكّام ، وإمتاز أسلوبه بالسّلاسة ، حيث أفرد لكلّ حاكم موّحدي ترجمة ، أفادت البّحث في إعطاء صورة عن الإطار الثّقافي للحكّام الموحدين وذلك عن طريق إحاطتهم بنخبة من العلماء و الأدباء والأطباء.

-كتاب (**الإحاطة في أخبار غرناطة**) لمؤلفه، لسان الدّين بن الخطيب (ت: 776هـ/1334م)، ويعدّ من المصادر المهمّة ، إذ أنّ مؤلفه أندلسي، فيه تراجم لأبرز علماء غرناطة والوافدين عليها ، واتّسم بالتّفصيل في تراجم العلماء.

-كتاب (**نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب وذكر لسان الدّين بن الخطيب**) لمؤلفه، أحمد بن محمد التّلمساني المقرّي (ت: 1041هـ/1632م): ويعدّ هذا الكتاب موسوعة سياسيّة وثقافيّة وإجتماعيّة فقد إحتوى على معلومات مهمّة عن تاريخ المغرب والأندلس، وممّا زاد في الأهميّة أنّه إعتمد على مصادر مهمّة مفقودة، وإيراده لتراجم العديد من العلماء ضمن حقبة البّحث.

-كتاب (**جذوة الإقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام في مدينة فاس**) لمؤلفه، أحمد بن محمد المكناسي، المعروف بابن القاضي (ت: 1025هـ/1615م)، وهو يعطي معلومات عن العلماء ، الّذين دخلوا فاس، ممّا يجعل منه أحد المصادر الأساسيّة في البّحث.

-كتاب (**العلوم والآداب والفنون في عهد الموحدين**) لمؤلفه محمد المنوني: وهو أحد المراجع المختصّة في تاريخ الموحدين ، إذ أنّ مؤلفه تناول العلوم والمعارف خلال مدّة حكم الموحدين لبلاد المغرب والأندلس، فأفاد البّحث في عدّة جوانب.

-كتاب (**الحياة العلميّة في الأندلس في عصر الموحدين**) لمؤلفه، يوسف بن علي بن إبراهيم العريني، وهو من الدّراسات الّتي أفادت البّحث وخصوصا في المعلومات عن الأندلس ، إلاّ أن ما يُؤخذ عليها

إقتصارها على بلاد الأندلس دون المغرب، مضافا لذلك أنّ الكاتب كتب حسب وجهة نظره ومع ما يتّفق وميوله الفكريّة والعقائديّة، فجاءت الدّراسة غير منصفة للموحدين.

-رسالة الماجستير(**الحركة الفكريّة والعلميّة بمدينة مراكش منذ ت أسيسها حتّى سقوط الدّولة الموحديّة(454ه-668هـ/ 1062م-1269م) و أثرها على المراكز الثّقافيّة الإسلاميّة جنوب الصحراء**)، و أطروحة الدّكتوراه (**الحركة الفكريّة في مدينة فاس في عهد الدّولة الموحديّة (540 ه-668هـ/1145 م-1269م)** للبّاحث: عبد العبّاس حمّادي إبراهيم الجبوري، وكلتا الدّراستين أفادت البّحث على الرّغم من إقتصارها على مدينة مراكش وفاس فقط، إلا أنّها فتحت آفاقا أمام البّاحث، سيّما في رسم الخطوط الأولى للدّراسة.

والحقيقة أنّ هناك الكثير من المصادر والمراجع الّتي إعتمدت عليها في البّحث، يضيق المقام عن ذكرها وقد ذكرتها في آخر البّحث بعنوان قائمة المصادر والمراجع.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

الطالب: عبد العزيز قبايلي

الفصل الأول

نبذة تاريخية عن الدولة الموحدية

I – مرحلة الدعوة:

ابن تومرت (مولده ونشأته) – الرحلة العلمية لابن تومرت – رحلة العودة إلى المغرب الأقصى – لقاؤه بعبد المؤمن – العودة إلى المغرب الأقصى – ابن تومرت في مراكش

II– المرحلة الإنتقالية:

عودة ابن تومرت إلى مسقط رأسه ومحضن دعوته – الإعلان عن المهدية وتنظيم الأتباع –كسب الأنصار والقبائل المجاورة – غزو مراكش حاضرة المرابطين – وفاة ابن تومرت.

III– مرحلة التأسيس والتوسعات:

عبد المؤمن وتوطيد الحكم – التوسعات في المغربين الأوسط والأدنى – إخضاع الأندلس – خلفاء عبد المؤمن.

IV– مرحلة التراجع والإنهيار:

الفصل الأول : نبذة تاريخية عن الدولة الموحدية:

I) مرحلة الدعوة :

عرفت منطقة المغرب الإسلامي والأندلس تطورات في مختلف المجالات خاصة منها السياسية والفقهية والفكرية ... في عهد الدولة الموحدية، التي أسسّها محمد بن تومرت، وبفضل تنظيم هذه الدولة القوية، فقد طبعت المنطقة بطابعها الخاص لعدّة قرون، تركت فيه آثارها الباقية إلى يومنا هذا .

بعد سنة 537هـ/1142م، أي في أعقاب وفاة علي بن تاشفين [1]الخليفة المرابطي(500هـ/1106م ــ 537هـ/1142م) إنتشرت في الأندلس وعظُمت بها الفتن والتمردات والثورات المحلية، كثورة ابن قيسي[2]في غرب الأندلس التي قام بها المريدون[3]أو ثورة قرطبة [4]

---

(1) هو علي بن يوسف بن تاشفين اللّمتوني ، أمير المسلمين بمراكش، ثاني ملوك دولة المرابطين ، ولد سنة477ه/1084م ، بويع بعد وفاة أبيه سنة 500ه/1106م، ملك من البلاد ما لم يملكه أبوه ، كان حليما، وقورا، صالحا، عادلا، توفي سنة 537ه/1143م. انظر، صلاح الدّين خليل بن أيبك الصّفدي : **الوافي بالوفيات** ، تحقيق، أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى ، ط1 ، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان 1420ه /2000م، ج22 ، ص 212 ؛ لسان الدّين بن الخطيب : **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق، محمد عبد الله عنّان، ط1، مكتبة الخانجي القاهرة 1397ه/1977م ، ج4 ، ص58 .

(2) أحمد بن حسين أبو القاسم بن قيسي، أوّل ثائر في الأندلس عند إختلال أوضاع دولة المرابطين، سميّ بالإمام، قتله أهل شلب نظرا لخلافه معهم، توفيّ سنة 546ه / 1151م. انظر، ابن الأبار: **الحلّة السّيراء**، تحقيق، حسين مؤنس، دار المعارف القاهرة 1405ه/1985م،ج 2، ص197؛ لسان الدّين ابن الخطيب : **أعمال الأعلام في من بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام** ، تحقيق، أ.ليفي بروفنسال، نشره تحت عنوان : **تاريخ إسبانيا الإسلاميّة**، ط2 ، دار المكشوف بيروت 1375ه/ 1956م، ص 248 .

(3) المريدون، جماعة من الزهّاد، تلقّت تعاليمها عن الزّاهد أبي العبّاس أحمد بن محمد الصُنهاجي، المعروف بابن العريف (481ه/ 1088م - 536ه / 1141 م)، غلب على هذه الجماعة في البداية الزّهد والورع، إلّا أنّها تحولت على يدي ابن قسي إلى جماعة تسعى إلى الحكم والسلطة.

انظر. يوسف أشباخ : **تاريخ الأندلس**, ترجمة، محمد عبد الله عنان، ط 2، القاهرة 1417ه/1996م ،ج 1، ص211؛ عصمت عبد اللطيف دندش: **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1408ه/1988م، ص 49 .

(4) قرطبة، مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها، كانت سريرا لملكها، بينها وبين البحر خمسة أيام ، ليس لها في المغرب شبيه في كثرة الأهل وسعة الرقعة، تعدّ قاعدة الأندلس وأمّ مدائنها، كان بها أعلام العلماء وسادتها الفضلاء... انظر، ياقوت الحموي : **معجم البلدان** ، دار صادر بيروت 1379ه/1977م، ج 4 ، ص 324 ؛ الحميري محمد بن عبد المنعم : **الرّوض المعطار في خبر الأقطار**، ط 2 ، مكتبة لبنان بيروت 1405ه / 1984م ، ص456.

بقيادة أبي جعفر حمدين بن محمدبن حمدين[1] سنة539هـ/1144م[2] إلاّ أن أقوى هذه الثورات هي ثورة علي بن عمران الهمداني[3]492هـ/1098م ــ 539هـ/1144 م) في غرناطة [4] وخاصة الثورة التي قامت في شرقي الأندلس بقيادة محمد بن ساعد بن عبد الله بن مردنيش[5] والتي بقيت قوية مؤثرة إلى سنة 567هـ/1171 م[6] ، وبالرجوع إلى المصادر التاريخية مثل الحلّة السيراء أو أعمال الأعلام وغيرهما، أو في بعض المراجع يمكن تصور الوضع السياسي في أواخر عصر المرابطين وما كان عليه من إضطرابات وتمزق وفوضى[7]، ويكفي أن نعرف تقلب الأحوال على قرطبة لوحدها في غضون ثلاثة أعوام فقط (539ه ــ 542 م/1119م ــ1122م)، وتوالي الحكومات والدول عليها، لنتصور مدى تردّي

---

(1) هو القاضي أبو جعفر حمدين بن محمد بن علي بن حمدين، قاضي الجماعة بقرطبة، ثار بها سنة 539ه/ 1144م، إستبدّ بحكمها وتلّقب باسم المنصور بالله، توفيّ بمالقة سنة 546ه/1151م. انظر، الذّهبي شمس الدّين : **سيّر أعلام النّبلاء** ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي، ط1 ، مؤسّسة الرّسالة بيروت 1405ه/1984م، ج20، ص243؛ ابن الخطيب: **أعمال الأعلام** ، ص 252، 253.

(2) ابن الخطيب : **أعمال الاعلام** ، ص252.

(3) أبو الحسن علي بن عمر بن أضحى الهمداني: ولد في المرية سنة492 ه/ 1098م، من أشرف همذان وقادتها ، أبيّ النّفس، فقيه متقدم ، مناظر، أديب له شعر، تولىّ القضاء في المرية مرتين، ثمّ سكن غرناطة وثار بها على الملثمين فكانت له معارك معهم، إنتهت بوفاته سنة539ه / 1144م. انظر. ابن الآبار : **الحلّة السّيراء**، ج 2 ، ص 211 . ابن عبد الملك المراكشي : **الذّيل والتّكملة لكتابي الموصول والصلة**، تحقيق إحسان عبّاس، دار الثّقافة بيروت لبنان 1384ه/1965م ، السّفر 5 ، القسم الأول ، ص 270 ؛ ابن الخطيب : **الإحاطة** ،ج4 ، ص 83.

(4) غرناطة، يقال غرناطة، أو أغرناطة بفتح أوّله وسكون ثانيه ومعناها رمانة بلسان عجم الأندلس ، سميّ البلد بذلك لحُسنه ، وهي أقدم كورة ألبيرة من أعمال الأندلس وأعظمها وأحسنها وأحصنها، ولايأتي على حصر أوصاف جمالها وعدّ أصناف جلالها قلم البيان ،كثيرة الثمار، ملتفة الأشجار. انظر، العمري شهاب الدّين بن فضل الله :**مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق، كامل سلمان جبوري، ط1، دار الكتب العلمية بيروت لبنان1431ه/ 2010م، ج4، ص116؛ ياقوت الحموي : **مصدر سابق**، ج 4، ص 195؛ ابن الخطيب : **الإحاطة**، ج 1، ص91.

(5) محمد بن ساعد بن محمد بن أحمد بن مردنيش الجذامي، ولد سنة 518ه/1124م، ملك شرق الأندلس، وليّ مرسية وضمّ إليها بلنسية وشاطبة ودانية، قاتله الموحدون بمرسية ومات أثناء الحصار سنة 567ه /1171م . انظر- المراكشي عبد الواحد : **المُعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق ، محمد سعيد العريان ، القاهرة 1382ه/ 1963م ، ص 278 ؛ الصّفدي : **مصدر سابق** ، ج 3 ، ص 75.

(6) ــ ابن الخطيب : **أعمال الأعلام** ، ص 259 - 263 .

(7) ــ ابن الأبار : **الحلّة السّيراء** ، ج 2، ص 218 وما بعدها؛ ابن الخطيب: **أعمال الأعلام** ، ص 259 - 264 ؛ المراكشي : **مصدر سابق**، ص277 ومابعدها ؛ يوسف إشباخ : **مرجع سابق** ، ص 215 - 231.

الأوضاع أنذاك، إذ ملكها المرابطون مرتين وابن حمدين مرتين وسيف الدولة بن هود[1]مرة ومحمد بن عمر[2]مرتين، ثمّ ملكها الموحدون[3] آخر مرة..[4] .

بينما الأندلس يعيش الفتن والثورات المحلية[5]،كانت الهزائم المتلاحقة تتوالى على جيوش دولة المرابطين في العدوة المغربية ورقعة ملكهم تنحصر يوما بعد يوم أمام قوّات الدولة الجديدة الّتي دخلت التّاريخ باسم الموحّدين[6]، تلك القوة التي إمتدت زمنيا إلى سنة 514ه/1094م، حينما أعلن زعيمها الروحي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت الثورة على دولة المرابطين من قرية تينملل [7].

1) ابن تومرت (مولده ونشأته):

ولد محمد بن عبد الله بن تومرت سنة473ه/1080م[8] في منطقة بلاد السّوس، تسمّى

---

(1) ـــ هو أحمدبن عبد الملك بن أحمد بن هود الجذامي، يُلقب بـــسيف الدولة المستنصر بالله آخر ملوك بني هود، توفيّ سنة 540ه/ 1145م ، انظر ، ابن الأبار : **الحلّة السّيراء**، ج 2 ، ص249 ـــــ 251 ؛ ابن سعيد المغربي: **المُغرب في حلّي المغرب**، تحقيق، شوقي ضيف، ط 4، دار المعارف القاهرة 1384ه/ 1964م ، ج 2 ، ص 438 .

(2) محمد بن عمر بن المنذر أبو الوليد، أحد أعيان شلب ، أخذ العلم في إشبيلية حتى أصبح فقيها ، كما تولّى خطّة الشورى بشلب ، ثمّ تزهد وانزوى ورابط على ساحل البحر في رباط الريحانة ، وتصدّق بماله، وصحب ابن قسي في ثورته ضدّ المرابطين، توفيّ سنة558ه/1163م.

انظر ، ابن الأبار: **الحلة السيراء** ،ج 2 ، ص 202 .

(3)سميّ ابن تومرت أتباعه بالموحدين؛ لأنّهم أوّل من تحدّث في التّوحيد وعلم الكلام بالمغرب، وكان ذلك محرّما على المغاربة في عهد المرابطين.

انظر ، المراكشي : **مصدر سابق** ، ص 269 ؛ عبد الحميد العبّادي : **المجمل في تاريخ الأندلس**، ط 2، دار القلم 1964م، ص 167؛ محمد عبد الله عنان : **عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس**، ط 1، القاهرة 1383ه/1964م، ج 1، ص 402 .

(4) يوسف إشباخ : **مرجع سابق** ، ج 1، ص 238 ؛ عبد اللطيف دندش: **الأندلس في نهاية المرابطين** ، ص 76 ـــــ 82 .

(5) حول الفتن والثورات المحلية في الأندلس. انظر، المراكشي: **مصدر سابق** ، ص277 وما بعدها.

(6) المراكشي : **نفس المصدر** ، ص 271 .

(7) أوردها صاحب معجم البلدان على الشكل التالي:" تين ملل" وهي جبال بالمغرب، بها قرى ومزارع، يسكنها البربر ..بها كان أول خروج محمد بن تومرت. انظر، ياقوت الحموي : **مصدر سابق** ، ج2، ص69 .

(8) إختلف المؤرخون في تحديد تاريخ ولادة ابن تومرت، حيث يذكر بعضهم سنة 468 ه/1075م وآخرون 473 ه/1080م وآخرون 483 ه/1090م وهو الراجح عند رشيد بورويبة ، بينما الراجح عند عبد المجيد النّجار هو473 ه/1080م ، حيث توفيّ وعمره51 عاما سنة 524 ه /1130م والله أعلم. انظر، رشيد بورويبة : **ابن تومرت**، ترجمة، عبد الحميد حاجيات، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر =

"إجْلِي أنْ وَارْغَن"[1] جنوب المغرب، بينما يذكر مؤرخ آخر معاصر له وهو ابن القطّان أنّه ولد بموضع يسمّى" نُومَكْرَان " موضع لاماء فيه، بل يشرب أهله ماء المطر[2] وينتسب إلى قبيلة "هَرْغَة" [3]وهي بطن من بطون القبيلة البربرية الكبرى "مصمودة"[4]، من قوم يعرفون "بإيسَرَغِينَنْ" ومعناها الشرفاء بلغة المصامدة[5]، و إختلف بعض المؤرخين في نسبه الذي أعاده بعضهم إلى بيت الرسول صلّى الله عليه وسلّم، حيث وردت عدّة روايات تؤكد ذلك خاصة من المؤرخين المنتصرين للموحدين، مثل ابن القطّان والبيذق، بينما يقف آخرون موقف القبول مثل ابن خلدون وابن خلّكان[6]، إلّا أنّنا نجد بعض المؤرخين والباحثين يطعنون في نسبه ويعتقدون أنّه منتحل بهدف تبرير المهدوية التي إدّعاها ابن تومرت[7] .

= 1402هـ/ 1982 ، ص9 ـــ 15 ؛ عبد المجيد النّجار :**المهدي ابن تومرت**، ط1 ، دار الغرب الإسلامي بيروت 1403ه/ 1983م، ص31 ـــ 33.

(1) المراكشي : **مصدر سابق**، ص 245.

(2) ابن القطّان : **مصدر سابق** ، ص90 .

(3)هي إحدى قبائل المصامدة ، قليلة العدد مقارنة بغيرها من القبائل ، وهم قبيلة المهدي المناصرون له، ذكرهم البيذق وأحصى بطونهم. انظر:=

=ابن خلدون عبد الرحمن :**كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر**، دار الكتاب اللبناني بيروت 1401ه/ 1981م، ج6، ص561؛ البيذق أبو بكر الصُنهاجي : **المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب**، تحقيق، عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور الرباط المغرب1391ه / 1971م ، ص37 ؛ المراكشي : **مصدر سابق** ، ص245.

(4) هم أكثر قبائل البربر عددا، من ولد مصمود بن يونس بن بربر، إستوطنوا المغرب الأقصى منذ زمن طويل . انظر ، ابن خلدون :**العبر**، ج 6 ص 427 ، ص 461 .

(5) المراكشي: **مصدر سابق**، ص245.

(6) ذكرت المصادر ثلاث روايات منها، محمد بن عبد الله بن وجليد بن يامصل بن حمزة بن عيسى بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. انظر، ابن القطّان : **مصدر سابق**، ص 88 ؛ البيذق : **المقتبس** ، ص12 ؛ ابن خلّكان شمس الدين أحمد بن محمد: **وفيات الاعيان وأنباء ابناء الزمان** ،تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر بيروت 1414ه/ 1994م، ج5 ، ص46؛ ابن خلدون : **العبر**، ج6، ص465 .

(7) من المشككين والطاعنين في نسبه الذّهبي شمس الدّين محمدبن أحمد : **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق، بشار عوّاد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت 1424ه/2003م، مج 11، ص408؛ ابن أبي زرع علي بن عبد الله الفاسي: **الانيس المطرب في روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس** ، الرباط 1392ه/1972 م ، ص172؛ ليفي بروفنسال :**الإسلام في المغرب والأندلس**، ترجمة السّيد محمود عبد العزيز سالم و محمد صلاح الدّين حلمي، مطبعة النّهضة القاهرة (د.ت) ص265 ؛ عبد الله عنان: **مرجع سابق**، ج1، ص160 .

تعلّم القرآن حفظا ورسما وقراءة في كتاتيب القرية التي كان يتردّد عليها منذ صغره[1]، وهذا مذهب أهل المغرب كما يقول ابن خلدون "فأمّا أهل المغرب، فمذهبهم في الولدان الإقتصار على تعليم القرآن فقط وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله وإختلاف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم ... وهذا مذهب أهل الأمصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر أمّم المغرب في ولدانهم إلى أن يجاوزوا حدّ البلوغ إلى الشبيبة" [2].

2) الرحلة العلمية لابن تومرت :

لّما أصبح شابا إنتقل إلى الأندلس ودخل قرطبة سنة501ه/1081م [3]وهي إذ ذاك دار العلم بقصد الاستزادة في علمه منها، فأخذ بعض العلم هناك، ثمّ اتّجه إلى المشرق الإسلامي إنطلاقا من ألمرية[4] للدراسة والتّحصيل[5]،وهذه عادة طلبة العلم المغاربة الشّغوفين بالعلم بعد ما لم يجد ما يروي عطشه ويشفي غليله من العلم [6]، وهناك تذكر بعض المصادر أنّه إلتقى بأبي حامد الغزالي[7] ،

(1) تذكر بعض المصادر أنّ ابن تومرت كان يتردّد في صباه على بعض الكتاتيب والمساجد لحفظ القرآن وهذه عادة أهل المغرب في تعليم أولادهم فكان يسمّى "أسافو"، ومعناه الضياء لكثرة ما كان يسرج من القناديل بالمساجد لملازمتها . انظر، ابن القطّان : **مصدر سابق،** ص90 ؛ ابن خلدون : **العبر** ، ج 6 ، ص465.

(2)ابن خلدون : **المقدمة،** دار الكتاب بيروت لبنان1402ه/ 1982م ، ص 1038، 1039 .

(3) ابن القطّان : **مصدر سابق،** ص62؛ ابن عذاري المراكشي : **البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب،** تحقيق، إحسان عبّاس، ط3 ، دار الثقافة بيروت 1403ه/1983م، ج4، ص59 .

(4) المَرِيَّةُ، مدينة كبيرة، من كورة البيرة في أعمال الأندلس، تقع بين جبلين، فيها مرفأ ومرسى للسّفن، منها يركب التُجّار وفيها تحلّ مراكبهم،. انظر: ياقوت الحموي: **معجم البلدان،** ج5، ص 119؛ الإدريسي: **القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس " مقتبس من كتاب نزهة المشتاق "** ، تحقيق، إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية 1403ه/1983م، ص164.

(5) ابن القطّان: **مصدر سابق،** ص62؛ ابن عذاري: **مصدر سابق،** ج4، ص59؛ الزّركشي محمد بن إبراهيم بن عبد الله :**تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية** ، تحقيق، محمد ماضور، ط2، تونس1386ه/ 1966م، ص 4؛ ابن خلدون: **العبر،** ج6، ص 465 .

(6) رشيد بورويبة : **مرجع سابق** ، ص19 .

(7) محمد بن محمد بن محمد الغزّالي الطّوسي أبو حامد حجّة الإسلام، ولد سنة 450ه/1088م، عالم، متصوف وفيلسوف، درّس العلم في المدرسة النّظامية ببغداد في عهد نظام المُلك ، ثمّ إعتزل النّاس وعكف على التّأليف والعبادة له ، فألّف نحو مئتي مصنف، توفيّ سنة 505ه / 1111م. انظر، ابن خلّكان: **مصدر سابق** ، ج 4 ، ص257؛ السّبكي تاج الدّين: **طبقات الشّافعية الكبرى،** تحقيق، عبد الفتاح محمد=

في الشّام[1]، وكان الغزالي قد أُحيط علما بإحراق كتبه في المغرب على يد المرابطين[2]،بينما ابن تومرت جالس في إحدى جلساته العلمية عند الغزالي ، فقال أبو حامد" ليذهبن عن قليل ملكه - ملك علي ابن يوسف بن تاشفين ـــ وليقتلن ولده وما أحسب المتولي لذلك الاّحاضرًا مجلسنا "[3] فأحس ابن تومرت أنه يعنيه ويوميء إليه بهذه العبارة . فأكب على العلم يدرس وينهل منه ويحفظ يأخذ على أشهر العلماء أمثال أبي بكر الطرطوشي[4] السياسة الشرعية والكيا الهراسي[5] الفقه والأصول والجدل والخلافيات. وعن

=الحلو، محمود محمد الطناحي، ط1، دار إحياء الكتب العربية سوريا 1383ه/1964م، ج 6، ص 191؛ الذّهبي: **سيّر أعلام النبلاء**، ج 19، ص322 وما بعدها .

(1) لقد إختلف المؤرخون حول حقيقة لقاء ابن تومرت بأبي حامد الغزّالي، فمنهم من يقرّ بهذا اللّقاء، مثل ابن القطّان : **مصدر سابق** ، ص72 . ابن صاحب الصلاة عبد الملك محمد بن أحمد: **تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم أئمة وجعلهم الوارثين** ، تحقيق : عبد الهادي التازي ، دار الاندلس بيروت 1383ه/1964م، ص85 ؛ ابن خلّكان: **مصدر سابق**، ج5، ص46 ؛ مجهول: **الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية**، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، ط1 دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء المغرب 1399هـ/ 1979م ، ص 104؛ ابن أبي دينار محمد بن ابي القاسم: **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس** ،ط1 ، تونس 1286 ه/1870م ، ص107. وأيّدهم في ذلك المؤرخون المعاصرون. انظر: رشيد بورويبة : **مرجع سابق**، ص28 – 32؛ عبد المجيد النّجار : **المهدي بن تومرت**، ص73 - 83 ؛ عبد الله كانوني: **النبوغ المغربي في الادب العربي** ،ط2، دار الكتاب اللبناني بيروت1380ه/1961م، ج1، ص99؛ محمد االمنوني: **حضارة الموحدين**،ط1، دار توبقال للنشر الدار البيضاء المغرب ،1409ه/1989م ، ص11. ومنهم من يشكك في اللّقاء بقوله" وقيل: أنّه لقيّ أبا حامد الغزالي" المراكشي: **مصدر سابق** ، ص245 ؛ ابن خلدون: **العبر**، مج6، ص466؛ النّويري: **نهاية الأرب في فنون الأدب** ، تحقيق ، عبد المجيد ترحيني، ط1، دار الكتب العلمية بيروت1323ه/2004م، ج24، ص153.وتبعهم في ذلك من المعاصرين. انظر، محمدعبد الله عنان: **مرجع سابق**، ج1، ص161-164. عبد الله علي علام : **الدعوة الموحدية بالمغرب**، ط1 ، دار المعرفة القاهرة1384ه/1964م ص 77. وهناك من أنكر ذلك بقوله:"وقيل أنّه جرى له حديث مع الغزّالي فيما فعله بالمغرب ... والصحيح أنّه لم يجتمع به". انظر، ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد :**الكامل في التاريخ** ، ط4 ، دار الكتاب العربي بيروت 1403ه/1983م، ج8، ص294.

(2) حول قضية حرق المرابطين كتاب إحياء علوم الدّين. انظر: مجهول : **الحلل الموشية** ، ص 104؛ محمد الأمين بلغيث :" **الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين** "، رسالة دكتوراه ، غير منشورة، كليّة العلوم الاجتماعيّة ، قسم التّاريخ ،جامعة الجزائر 2 ،1427ه/2007 م ، ص 244 وما بعدها ؛ حسن أحمد محمود: **قيام دولة المرابطين** ، دار الفكر العربي القاهرة 1375ه/1956م ، ص 446 .

(3) المراكشي : **مصدر سابق** ، ص246 .كما أورد ابن القطّان رواية مشابهة لذلك وبدعاء أطول . انظر ، ابن القطّان : **مصدر سابق**، ص73، ابن عذارى: **مصدر سابق** ، ج4، ص59 ؛ الزّركشي : **مصدر سابق** ، ص4.

(4) أبو بكر الطرطوشي :محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشي الأندلسي، ولد سنة451ه/1059م، من فقهاء المالكيّة الحفّاظ ، رحل إلى المشرق بعدما أصبح علما في الفقه ، من مؤلفاته "سراج الملوك" و"الحوادث والبدع " و "التعليقة " في الخلافيات ، توفيّ سنة 520ه/1126م. انظر، ابن خلّكان : **مصدر سابق** ،ج4 ، ص262 ؛ الذّهبي : **سيّر أعلام النبلاء** ،ج19 ، ص 490 ؛ الضّبي أحمد بن يحي : **بُغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس** ، دار الكتاب العربي 1386ه/1967م ، ص 135 .

(5)الكيا الهراسي ، أبو الحسن علي بن محمد بن علي، الملّقب بعماد الدّين ، ولد سنة450ه/1058م ، فقيه شافعي ومفسر ، سكن بغداد ودرس بالنّظامية ، إتّهم بالباطنية ، من كتبه " أحكام القرآن " ، توفيّ سنة504ه/1110م . انظر ، ابن خلّكان : **مصدر سابق**، ج3، =

المبارك عبد الجبار[1] الحديث ، وعن أبو بكر الشاشي[2] أصول الفقه والدين، وعن أبي حامد الغزالي الاصول والمنطق والفلسفة وغيرهم ممن لم تذكرهم لنا المصادر.

3) رحلة العودة إلى المغرب :

في سنة 510ه /1116م بعدما قضى ابن تومرت مدّة من الزّمن، يتنقل بين مجالس العلم، يحفظ ويدرس، عزم العودة إلى المغرب بحرا في العلم ،كما يقول ابن خلدون "..وإنطلق هذا الإمام، راجعا إلى المغرب بحرا متفجرا من العلم، وشهابا واريًا من الدّين" [3]، و إختلف المؤرخون في تاريخ عودته من المشرق، إذ نجد ابن الأثير يذكر أنّه كان سنة505ه/1111م، وفيها حلّ بالمهدية [4] في طريق عودته [5]، بينما يحدده الزّركشي بسنة 514ه/1120م[6]، أمّا ابن أبي زرع فيقول "...وكانت رحلته عن بلاد المشرق في أوّل يوم من ربيع الأوّل المبارك من عام عشرة وخمسمائة"[7] ،وقد وافقه في ذلك

= ص286. السّبكي : **مصدر سابق** ، ج4 ، ص281 ؛ الزّركلي خير الدّين: **الأعلام** قاموس تراجم لأشهر الرّجال والنّساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، ط15 ، دار العلم للملايين بيروت 1422ه/2002 م،ج4 ، ص329.

(1) المبارك بن عبد الجبّار ، أبو الحسن بن أحمد بن القاسم البغدادي ، ولد سنة411ه/1020م ، محدث عالم ، كثير الأصول، يحبّ العلم، له سعة بالرّواية، صالح أمين.. توفيّ سنة500ه/1106 م. انظر، العسقلاني أحمد بن علي بن حجر: **لسان الميزان**، بعناية، عبد الفتّاح أبو غدة ، ط1، دار البشائر بيروت 1423ه/2002م ، ج6 ، ص451؛ ابن الجوزي عبد الرحمن بن الفرج :**المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** ، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا ، ط1 ، دار الكتب العلمية بيروت 1412ه/1992م ، ج17، ص105.

(2) أبو بكر الشّاشي، محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر، ولد سنة 429ه/ 1038م ، إماما جليلا، حافظا لمعاقد المذهب الشّافعي وشوارده ، ورعا، زاهد ، إنتهت إليه رياسة الشّافعية بعد إنقراض مشايخه، من مؤلفاته "حلية العلماء"، توفيّ سنة 507ه/1113م. انظر، السّبكي: **مصدر سابق** ، ج6 ، ص 70 ؛ ابن كثير عماد الدّين : **البداية والنّهاية** ، تحقيق، عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ط1 ، دار هاجر للطباعة مصر 1419ه/1998م ،ج16 ، ص 223 ؛ ابن الجوزي: **مصدر سابق** ، ج17 ، ص138 .

(3) ابن خلدون : **العبر** ،ج6 ، ص 466. ويقول عنه ابن الاثير:" وكان فقيها، عالما بالشّريعة، حافظا للحديث، عارفا بأصول الدّين والفقه متحققا بعلم العربية". انظر، ابن الاثير: **الكامل** ، ط4، ج8 ، ص294.

(4) المهدية : مدينة بإفريقية "تونس" منسوبة إلى المهدي عبيد الله الشيعي الّذي إختطّها سنة 300ه/ 912م ، وهي جزيرة متصلة بالبرّ كهيئة كفّ، متّصلة بزندة . انظر، ياقوت الحموي : **معجم البلدان** ، ج5 ، ص229 .

(5) ابن الأثير : **الكامل** ، ج8 ، ص 294 .

(6) الزّركشي : **مصدر سابق** ، ص 4 .

(7)ابن أبي زرع :**الأنيس المطرب** ، ص173 .

المؤرخون القدامى و المعاصرين، منهم ابن أبي دينار والسّلاوي ورشيد بورويبة وعبد المجيد النّجار [1]، وهذا التّاريخ هو المرجح وذلك أنّ ابن تومرت من عادته أن يمكث في المدن التي يمرّ عليها بعض الوقت حتى يتعرّف إلى علمائها ويأمر بالمعروف فيها وينهى عن المنكر .. وبذلك تكون الرحلة قد استغرقت بعض الوقت ، يرجحها بعض المؤرخين بأربع سنوات [2]، و لم تذكر لنا المصادر المكان الذي إنطلق منه عند عودته، والمرجح هو مكّة المكّرمة وهذا بعد أدائه لبعض المناسك كالحج أوالعمرة، تكون له زادا روحيا أثناء عودته، حيث بدأ في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر في مكّة التي أصابه بها الأذى، فانطلق إلى مصر وهذا ما أشار إليه كل من ابن عماد وابن خلّكان [3]، وهناك تنقل كعادته بين العلماء، يأخذ عنهم العلم وكان منهم أبو بكر الطرطوشي، وفي مدينة الإسكندرية استأنس إليه عدد من النّاس وتجمّعوا حوله، قدّر عددهم بواحد وخمسون رجلا، ذكرهم البيذق في كتابه "المقتبس من كتاب الأنساب"،بقوله" آخوْه في الله تعالى وعظّموه في سائر البلاد المصرية ، وكانو له مثل أعضائه وجسده، سامعين لقوله، مجيبين لأمره، مؤمنين به، مختارين صحبته، مؤثرين لحقّه، معظمين لحرمته .." [4].

لكنّه لم يصحبهم معه أثناء عودته؛ بل إختار لهم البقاء في مصر[5]،ثمّ إنطلق من مدينة الإسكندرية [6] بحرا وذلك سنة 511ه/1117م وهذا بعد أن قامت عليه العامّة والغوغاء، وطرده حكّامها بسبب طريقته

---

(1)ابن أبي دينار محمد بن أبي القاسم : **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس** ، ط1، تونس 1286 ه/1870م ، ص107 . السّلاوي أحمد بن خالد النّاصري : **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى** ، تحقيق ، جعفر الناصر ومحمد النّاصري ، دار الكتاب الدّار البيضاء المغرب 1374ه/1954م، ج2 ، ص72 ؛ رشيد بورويبة : **مرجع سابق**، ص36 ؛ عبد المجيد النّجار : **مرجع سابق** ، ص85 .

(2) رشيد بورويبة :**مرجع سابق** ، ص36 ؛ عبد المجيد النّجار : **مرجع سابق**، ص 85 ــ 86 .

(3) ابن العماد شهاب الدّين عبد الحي: **شذرات الذّهب في أخبار من ذهب** ،تحقيق : محمد الأرناؤوط ، ط 1 ، دار ابن كثير بيروت 1406ه/1986م، ج6 ، ص117 ؛ ابن خلّكان : **مصدر سابق** ، ج5 ، ص46 .

(4) البيذق : **المقتبس** ، ص28 .

(5) **نفسه.**

(6) الإسكندرية ، مدينة عظيمة في ديّار مصر، بناها الإسكندر بن فيلبش ، فنسبت إليه ، وهي على ساحل البحر المالح . انظر ، الحميري : **مصدر سابق** ، ص 54؛ الحموي : **معجم البلدان** ، ج 1، ص184 .

الفَضّة في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، حيث كان يتدّخل للأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر كّلما لاحظ أمرا يخالف الشريعة من عادات القوم[1]، لكنّ ابن تومرت رغم ماتعرض له من مضايقات، إلاّ أنّه إستمر في أسلوبه في الدّعوة في السفينة التي أقلّها ، حيث أخذ يدعو النّاس إلى الإلتزام بالصلاة وتلاوة القرآن كما نهى عن شرب الخمر؛ بل أراق ما وجد منها ، ممّا عرّضه إلى محاولة لإلقائه في البحر ممّن وجدوا فيه غلضة من الركاب[2] لولا تدّخل أحد الركاب من الحجّاج، حيث يقول ابن القطّان:" فقام اليهم رجل حاج، فقال لهم: تداركوا أنفسكم بإرضاء هذا الرجل، لعلّ الله يفرّج عنكم ! .." [3].

لقد كان لهذه الحادثة أثرا بارزا في دعوة ابن تومرت الّذي استغلّها بلجوء الركاب إليه وطلب الدّعاء منه كلّ مرّة لإنقاذهم من هول البحر الذي كاد أن يغرقهم، وقد حلّ بهم هذا بعدما كانوا غضبوا عليه، فيستجيب لهم ويطلب منهم أن يتوضأوا ويصلوا ويظهروا التوبة لله، فيجيب الله دعاءه ويكشف ما بهم[4]، وهكذا نجح ابن تومرت في إقناع القوم والعدول عن أفعالهم المنكرة وإستمالتهم إليه حتى وصلوا طرابلس.

نزل ابن تومرت بطرابلس الغرب التي يجعلها ابن خلدون نقطة بداية دعوته بقوله :"وإحتلّ بطرابلس أوّل بلاد المغرب مفتيا بمذهبه ذلك، مظهرا النّكير على علماء المغرب في عدولهم عنه"[5]، إلاّ أنّه لم يطل المكوث بها، ثمّ إنتقل إلى المهدية التي حلّ بأحد مساجدها، وأخذ يدرس به العلم ويأمر النّاس بالمعروف

---

(1) ابن القطّان : **مصدر سابق** ،ص91 ؛ المراكشي : **مصدر سابق** ، ص 246 ؛ السّلاوي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص72 .

(2)ابن القطّان : **مصدر سابق** ، ص 92 ؛ المراكشي : **مصدر سابق** ، ص 245 ؛ ابن عماد: **مصدر سابق**، ج6 ، ص117؛ ابن خلّكان : **مصدر سابق** ، ج5 ، ص46 .

(3) ابن القطّان : **نفس المصدر** ، ص 92 .كما أورد المؤرخون قصّة تختلف عمّا أورده ابن القطّان. انظر، ابن خلّكان : **مصدر سابق** ، ج5، ص46 . ابن الأثير : **مصدر سابق** ، ج8 ، ص 294 ؛ المراكشي : **مصدر سابق** ، ص246 .

(4) ابن القطّان : **نفس المصدر** ، ص92.

(5) ابن خلدون : **العبر** ،ج6 ، ص366.

وينهاهم عن المنكر كعادته [1]؛ بل قام يكسر آلة اللّهو ، وأراق الخمر التي وجدها تباع في الأسواق [2]، فأحدث ذلك إضطرابا بالمدينة، لم تعهده سابقا، فاستدعاه الأمير علي بن يحي بن تميم [3] بحضرة جمع من الفقهاء.

ولمـّا رأى سمته ولمس منه الصدق في كلامه، أكرمه وسأله الدّعاء [4]، ويبدو أنّ بعض الصالحين نصحوه بمغادرة البلد خوفا عليه من أعدائه[5]، فانتقل بعد ذلك إلى المونستير [6]،حيث مكث فيها بعض الأيّام مع جماعة من الصالحين المرابطين، يتعبد[7]بعيدا عن الدّنيا وملّذاتها وغوغائها، ويعتبر ذلك بمثابة محطّة روحية للتّزود بالتّقوى والعلم وقهرا لشهوات النّفس، فالطريق ما زالت طويلة وشاقّة .

ومنها اتّجه إلى تونس[8]التي أقام بها خمسة عشر يوما[9] يدرّس الطلبة العلم الأصول خاصّة، وعلّم

(1) ابن الأثير : **نفس المصدر** ،ج8 ، ص294 ؛ ابن القطّان : **نفس المصدر** ، ص92 .

(2) ابن القطّان : **نفس المصدر** ، ص92 ؛ ابن خلّكان : **نفس المصدر** ، ج5، ص 47 ؛ السّبكي : **مصدر سابق** ، ج6 ، ص110.

(3) علي بن يحي بن تميم بن المعزّ بن باديس الصُنهاجي صاحب إفريقيّة، وليّها بعد وفاة أبيه سنة 509ه/1115م وعمره ثلاثون سنة، توفيّ سنة 515ه/1121م . انظر ، محمد البّاجي المسعودي : **الخلاصة النّقيّة في أمراء إفريقيّة** ، ط 2 ، تونس، 1323ه/1905م ، ص50 .
ابن الخطيب: **تاريخ المغرب العربي (القسم الثّالث من كتاب أعمال الأعلام)**، تحقيق ، أحمد مختار العبّادي ،محمد إبراهيم الكتّاني ،دار الكتاب الدّار البيضاء 1383ه/1964م ، ص81 ؛ ابن عذارى المراكشي:**مصدر سابق** ، ج1 ، ص306 .

(4) ابن الأثير : **الكامل** ، ج8 ، ص294 ؛ السّبكي : **مصدر سابق** ،ج6 ، ص110 ؛ ابن خلّكان : **مصدر سابق** ، ج5 ، ص47 ؛ ابن عماد : **مصدر سابق** ، ج6 ، ص117.

(5) يذكر ابن القطّان، أنّ والي المهدية أُغيظ بتصرفات ابن تومرت، فأرسل إليه الفقيه محمد بن علي المازري ، بقوله "..فتوجّه إليه وعاتبه ، ورفق به وقال له :" أخاف عليك عاديته وعادية جنده" . انظر، ابن القطّان : **مصدر سابق** ، ص 93 .

(6)المِنسْتِير، موضع بين المهدية وسوسة بإفريقيّة، بها بيوت الحجر والطّواحن ومواجل الماء ، وهوحصن كبير عال، وفي طابقه الثّاني مسجد لا يخلو من شيخ فاضل، وفيه جماعة من الصالحين المرابطين ، وفي قبلته حصن فسيح مزار للنّساء المرابطات، بناه هرثمة بن أعين أيّام الخليفة هارون الرّشيد سنة 180ه/796م. انظر، البكري أبو عبيد عبد الله: **المُغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب** (وهو جزء من كتاب المسالك والممالك)، دار الكتاب الإسلامي القاهرة ص36 ؛ الحموي : **معجم البلدان** ، ج5، ص209، ص210 ؛ ابن عذارى : **نفس المصدر** ، ج1 ، ص89 .

(7) ابن القطّان : **مصدر سابق** ، ص93 ؛ ابن الأثير : **الكامل** ، ج8 ، ص294 ؛ عبد المجيد النّجار : **مرجع سابق** ، ص89 .

(8)البيذق : **كتاب أخبار المهدي بن تومرت** ، تحقيق، عبد الحميد حاجيّات ، الرّغاية الجزائر 1432ه/ 2011م ، ص29 ؛ الزّركشي : **مصدر سابق** ، ص4.

(9) البيذق : **أخبار المهدي** ، ص29 . ذكر رشيد بورويبة، أنّ ابن تومرت مكث في تونس حوالي عشرة أيّام والصّحيح هو ما ذكره البيذق خمسة عشر يوما . انظر ، رشيد بورويبة : **مرجع سابق،** ص 39 .

حتى الفقهاء كيف يتعاملون مع الموتى من اليهود الّذين أسلموا بالدّليل من الكتاب والسّنّة، قال البيذق:" فلمّا صُليت الفريضة، صلّى على الجنائز ، فنظر الإمام إلى جنازة من وراء النّاس، فقال لهم : "لم لاتُصلوا على هذه الجنازة ؟ قالوا له : "هو يهودي وكان يصلي، فقال:" أفيكم من يشهد له بالصلاة ؟، فقال النّاس : "نعم ، من كل جانب"، فقال لهم:" قد شهدتم له بالإيمان"، ثمّ أمر من يقيم الصّفوف ، وصلّى عليه ونحن من ورائه .فلما صلى دعا بالفقهاء ووبخهم وعرفهم بالسنة وبين لهم الكتاب العزيز ،فقالوا له بعد أن عرفوا الحق جهلنا يافقيه . فكانوا يأخذون عنه العلم أياما عديدة[1] .

إنتقل مع بعض أصحابه [2] إلى قسنطينة [3]، وكعادته حريصا على إقامة السّنّة ومقاومة البدع ، قام بها يوجه النّاس إلى تطبيق الشّرع والحدود كما جاء في السّنّة النّبويّة[4]، إلاّ أنّه لم يُطل الإقامة بها، فاتّجه مع أصحابه إلى بجاية [5]، التي وصلها سنة511ه/ 1117م كما ذكره ابن القطّان [6]،أوسنة512ه/1118م حسب ابن خلدون[7].

---

(1) البيذق : **أخبار المهدي** ، ص30 .

(2) ذكرهم البيذق وهم :يوسف الدكّالي والحاج عبد الرحمن وأبو بكر الصُنهاجي بالإضافة إلى ابن تومرت. انظر، البيذق : **أخبار المهدي** ، ص30.

(3) قسنطينة، مدينة تقع في شرق الجزائر فوق مرتفعات صخرية، كانت عاصمة إقليم نوميديا، دخلها الإسلام في القرن الأوّل الهجري ، بها خندق عظيم، يدور بالمدينة على ثلاث جوانب، تعدّ من مشاهير بلاد إفريقيّة. انظر، الحميري : **مصدر سابق** ، ص470 . عبد الحكيم العفيفي: **موسوعة 1000 مدينة إسلاميّة** ، ط1، بيروت، لبنان، 1421ه/2000م ، ص372 .

(4) ذكر لنا البيذق حادثة بالتّفصيل، حضرها ابن تومرت بقسنطينة، حيث تدّخل كعادته ليبيّن للنّاس فيها كيفية تطبيق الحدّ طبقاً للشريعة الإسلاميّة . انظر ، البيذق : **أخبار المهدي** ، ص ص30 ،ــ31.

(5) بجاية، مدينة جزائرية عريقة، تطلّ على البحر الأبيض المتوسط ، دخلها الإسلام سنة 61ه/680م ،كانت قديما ميناء ، ثمّ أصبحت قاعدة مُلك بني حمّاد ، وتسمّى النّاصريّة باسم بانيها النّاصر بن علنّاس بن حمّاد . انظر ، الحموي : **معجم البلدان** ،ج1 ، ص339 . الحميري : **مصدر سابق** ، ص81 . العمري شهاب الدين أحمد بن يحي: **مسالك الابصار في ممالك الامصار** ، تحقيق: كامل سلمان جبوري ،ط1 ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان1431ه/ 2010م ، ج4، ص68 وما بعدها ؛ العفيفي : **مرجع سابق** ، ص101.

(6) ابن القطّان : **مصدر سابق** ، ص 76 .

(7) ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، 362 .

وكعادته إذا دخل مدينة، يترل بأحد مساجدها، فترل بمسجد الرّيحانة الذي إتّخذه مكانا للتّدريس حيث أقبل عليه طلبة العلم والفقهاء[1]، يأخذون عنه العلم وخاصة الأصول والتّأويل[2]،كما أخذ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، حيث نهى الرّجال عن التّشبه بالنّساء في اللّباس والزّينة، وأباح للرّجال والنّساء الطيب في رمضان [3]،كما أخذ ينكر على النّاس شُرب الخمر ويُكسر أوانيها[4]، وهذه طريقته في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر منذ أن إنطلق راجعا من المشرق وفيها غلظة وشدّة [5]، ربّما تكون قد أثّرت فيه طبيعة نشأته البّدويّة وغيرته على تطبيق الشّريعة الإسلاميّة وتكوينه العلمي المتّشدد، فكان لهذا الأسلوب عدّة إنعكاسات سلبيّة عليه، حيث كان يتمّ دائما طرده من البلدة التي يوجد بها، إذ عندما تدّخل لتغيّير المنكر في بجاية يوم عيد الفطر، أحدث ضجّة وهرجا، وتعرّضت النّساء لسرقة حليّها واستطال الشّر، كما وصف ذلك أحد أتباعه ابن القطّان بقوله :" ثمّ حضر عيدا، فرأى فيه من إختلاط الرّجال بالنّساء والصبيان المتزينين المتكحلين ما لا يحلّ، فزجرهم وغيّر ذلك عليهم، فوقعت لذلك نفرة، إستطال فيها الشّر، وسلب النّساء حليّها، وقام الهرج" [6].

وصل خبر الحادثة إلى الحاكم العزيز بن المنصور [7] وأنّ المتسبّب في ذلك هو الفقيه السّوسي، فاستدعاه ليتبيّن الأمر، وأحضر الفقهاء لمناظرته ، وأُعدّ الطعام في بيت أحدهم بهذه المناسبة، وحضر ابن

---

(1) منهم محرز وابراهيم الزّيدوني وإبراهيم بن محمد الميلي ويوسف بن الجزري الجراوي وعبد الرحمن بن الحاج الصُنهاجي القاضي. انظر ، البيذق : **أخبار المهدي** ، ص31.

(2) البيذق : **أخبار المهدي** ، ص 31 . عبد المجيد النّجار : **مرجع سابق** ، ص 90 .

(3) البيذق : **أخبار المهدي** ، ص31 .

(4) **نفس المصدر** ، ص 32.

(5) ذكر البيذق حادثة، وقعت لابن تومرت في بجاية، نستشّف منها أسلوبه الغليظ في تغيّير المنكر، حيث قال: " فلمّا كان يوم الفطر، إختلط الرّجال والنّساء في الشّريعة، فلمّا رآهم الإمام، دخل عليهم بالعصا يمينا وشمالا حتى بدّدهم". انظر، البيذق : **أخبار المهدي** ، ص 31.

(6) ابن القطّان : **مصدر سابق** ، ص 93 .

(7) هو العزيز بن المنصور بن النّاصر بن علنّاس بن حمّاد الصُنهاجي، ولد سنة 481ه/ 1088م ، ثامن ملوك الدّولة الحماديّة ، تولّى الحكم بعد وفاة أخيه باديس سنة 498ه/1105م،كان حسن الخلق ، معتدل الطريقة ، فكانت أيّامه أعيادا ...توفيّ سنة 515ه/ 1121م. انظر:=

تومرت بعد محاولات عديدة من الفقهاء؛ لإقناعه بالحضور، فطرحوا عليه الأسئلة، فأجابهم عليها كلّها؛ بل أسكتهم وأفحمهم بأسئلته، كما يقول ابن القطّان:" .. فوصل إليهم ، فناظروه وساءلوه، فأجابهم، ما أسكتهم، ثمّسألهم، فما أحاروا جوابا" [1].

ويبدو أنّ هذه الحادثة، إستمالت إليه قلوب النّاس[2]، وأقلقت الحاكم العزيز بن المنصور الذي طلب منه الخروج من المدينة بطريقة ليّنة، متعلّلا بالخوف عليه من السّوقة، قائلا :" يا فقيه، لا تأمر السّوقة بالمعروف وهم لا يعرفونه، فإنيّ أخاف، أن يأمروا فيك وتملكهم ،لايستوي حُرّ كريم مع شيطان رجيم " [3]، فخرج ابن تومرت من المدينة [4]ولجأ إلى مكان قريب، يقال له: ملاّلة[5] ، وهناك بُنيّ له مسجدا، صار يُدرس فيه، وأقبل إليه الطلبة، يدرسون عليه حتى أَلِفه النّاس وأحبّوه [6]، فقال ابن القطّان: "فعمّر مجلسه الطلبة والصالحون ، فكان مأوى لأهل الخير والعلم..." [7].

لكن لم تذكر المصادر المدّة بالضبط التي مكثها ابن تومرت في ملاّلة، ويبدو أنّه مكث بها بعض الأشهر[8]يتأمّل فيمن سيكون عضده في تنفيذ ما يُكنّه ويخطط له، حيث كلّما إنتهى من التّدريس، جلس

=ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص361 ؛ ابن الخطيب : **أعمال الأعلام** ، القسم الثالث ، ص99 ؛ عادل نويهض : **معجم أعلام الجزائر** ، ط2 ، مؤسسة نويهض للنّشر، بيروت ، 1400ه/1980م، ص232 .

(1) ابن القطّان : **مصدر سابق** ، ص94 .

(2) المراكشي: **مصدر سابق** ، ص 247 .

(3) البيذق : **أخبار المهدي** ، ص31 .

(4) تذكر بعض المصادر، أنّه خرج منها خائفا ، عكس ما ذكره مناصروه من المؤرخين .انظر ، ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص467 .

(5) ملاّلة، قرية صغيرة، قريبة من مدينة بجاية على بعد خمسة كيلومتر جنوب غرب بجاية . انظر ، الحموي : **معجم البلدان** ، ج5، ص189؛ رشيد بورويبة: **مرجع سابق** ، ص42 .

(6) البيذق : **أخبار المهدي** ، ص32 ؛ ابن القطّان : **مصدر سابق** ، ص77 ؛ ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص467 .

(7) ابن القطّان : **نفس المصدر** ، ص77 .

(8) حسبما جاء عند البيذق : **أخبار المهدي** ، ص 36 ؛ المراكشي : **نفس المصدر** ، ص 248.

على قارعة الطريق، يتأمّل المارّة [1]، ولا يمكن أن نعتبر ذلك عفوية منه؛ بل ربّما كان يبحث ويتوسّم في المارّة من يساعده في مشّاق دعوته ودولته المستقبليّة ، فكانت هذه المحطّة منعطفا تاريخيّا في حياة وسيرة ابن تومرت.

4) لقاء ابن تومرت بعبد المؤمن:

يعتبر عبد المؤمن بن علي[2]الدُّعامة الأساسيّة التي كان يبحث عنها ابن تومرت؛ لإنهاء حكم المرابطين وإقامة دولته، فلمّا إلتقى به وسأله: ما اسمك؟ ، قال : "عبد المؤمن" ، فقال له وهو فرح مسرور : "الله أكبر أنت بغيتي" ، ثمّ نظر في حليّته، فوافقت ما عنده من أمارات[3]، فكان ذلك اليوم بداية عهد جديد في حياة ودعوة ابن تومرت.

يمثل لقاء ابن تومرت بعبد المؤمن[4]أهمّ حدث في دعوته ،حيث كان السّند الأساسي في قيّام دولة الموحدين فيما بعد كما سنرى ، إلاّ أنّنا نجد بعض المؤرخين، يعطون لهذا اللّقاء هالة؛ بل يصبغون عليه صفة أسطورية خيالية، وأظهروه في مظهر السّر الأزّلي الذي حُلّت رُموزه[5]وخاصة عند المؤرخين، البيذق وابن

(1) البيذق : **أخبار المهدي** ، ص32 ؛ ابن خلدون : **العبر** ، ج6، ص467 .

(2) عبد المؤمن بن علي بن مخلوف بن يعلى بن مروان، أبو محمد الكومي، ولد في مدينة تاجرت، من أعمال تلمسان سنة487ه/1094م، نشأفيها طالب علم ، ثمّ إلتحق بابن تومرت وأصبح خليفة له سنة524ه / 1130م ، كان ملكا عادلا سياسيًا ، عظيم الهيبة، عالي الهمّة ،كثير المحاسن، توفيّ سنة 558ه/1163م . انظر: المراكشي : **مصدر سابق** ، ص265 ؛ ابن خلّكان : **مصدر سابق**، ج3 ، ص237 ؛ الذّهبي: **سيّر أعلام النّبلاء** ، ج20 ، 366وما بعدها ؛ ابن عماد : **مصدر سابق** ، ج6 ، ص305 .

(3) ابن خلّكان : **نفس المصدر** ،ج5 ، ص48 ؛ السّبكي : **مصدر سابق** ،ج6 ، ص111.

(4) ذكر بعض المؤرخين، أنّ اللّقاء بينهما كان بملاّلة، بينما يخالفهم مؤرخ، يقول: "حتى وصل إلى بلاد تلمسان، فنزل منها بقرية تُعرف بتاجر، من أحواز تلمسان، فلقيّه بها عبد المؤمن بن علي ...". انظر، ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، الهامش رقم 99، ص173 . المراكشي الذي جعل اللّقاء في قرية من قرى متيجة، تدعى فترارة، كان عبد المؤمن، يعلّم بها الصبيان. انظر ، المراكشي : **نفس المصدر** ، ص 249.

(5) رشيد بورويبة : **مرجع سابق** ، ص 46 ؛ عبد المجيد النّجار : **مرجع سابق** ، ص92 ؛ علي محمد الصلاّبي: **دولة الموحدين** ، دار البّيارق للنّشر عمان ،(د.ت) ، ص24 .

القطّان وتبعهم في ذلك عدّة مؤرخين[1].

كما أنّنا نجد بعض الرّوايات، تريد أن تحيط عبد المؤمن بشيء من الكرامة منذ ولادته، حيث تذكر مجموعة من الرُّؤى والأحداث التي رويت عن أمّه، وأخرى عن عبد المؤمن نفسه، وفي مجملها تشير أنّ عبد المؤمن سيكون له شأن وملك عظيم؛ بل سيكون السبب في إنهاء مُلك المرابطين[2]، ولكن إذا تمعنّا في مجموع هذه الرّوايات[3]، فإنّنا يمكن أن نخلص إلى الرواية الأقرب إلى المنطق والحقيقة وهي التي يرويها لنا ابن القطّان وابن خلدون [4]وملخصها أنّ عبد المؤمن كان يدرس بتلمسان على يدي ابن صاحب الصلاة وعبد السّلام التونسي المتضلع في الفقه وعلم الكلام، ولما توفيّ عبد السّلام، أراد طلبة العلم أن يخلفوه بمُدرس آخر، وكان قد وصل خبر ابن تومرت إلى تلمسان، العائد من المشرق بعلم غزير، خاصة في علم الكلام والفقه، المقيم في ملالة، فتشوّق الطلبة للأخذ عنه، فانتدبوا عبد المؤمن للقيام بمهمة استقدام ابن تومرت إلى تلمسان للتّدريس فانتقل إلى بجاية وهناك إلتقى بابن تومرت في ملاّلة وأبلغه رسالة طلبة العلم بتلمسان [5] .

---

(1) البيذق : **أخبار المهدي** ، ص32 وما بعدها ؛ المراكشي : **نفس المصدر** ، ص 249 ؛ ابن خلّكان : **نفس المصدر** ،ج5 ، ص 48. النّويري : **نهاية الأرب**، ج24 ، ص144 ؛ السّبكي : **المصدر السابق** ، ج6 ، ص111 .

(2) أورد المؤرخون عدّة روايات حول الرؤيا التي رآها كلّ من عبد المؤمن وأمّه . انظر ، البيذق : **أخبار المهدي** ، ص33 ــ 34 ؛ المراكشي : **مصدر سابق** ، ص249.

(3) ذكر المؤرخون عدة روايات متضاربة حول لقاء ابن تومرت بعبد المؤمن . انظر ، ابن القطّان : **مصدر سابق** ، ص 77 ؛ البيذق : **أخبار المهدي** ، ص32 ــ 35 ؛ المراكشي : **نفس المصدر** ، ص249 ؛ ابن خلّكان :**مصدر سابق** ،ج5 ، ص48 ؛ ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص259 ؛ مجهول: **الحلل الموشية** ، ص106؛ السّلاوي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص74.

(4) يذكر هويثي ميراندا أمبروسيو في بحثه أنّ ذلك اللّقاء، كما يصوره لنا ابن القطّان هو أقرب إلى المعقول من قصّة البيذق . انظر ، ابن القطّان : **مصدر سابق** ، الهامش: رقم 4 ، ص 77.

(5)ابن القطّان : **نفس المصدر** ، ص 77؛ ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص259.

ورغم أنّ الرواية التي يرويها لنا البيذق فيها جزء من الخيال والأسطورة، إلّا أنها في بعض أجزائها تتكامل مع رواية ابن القطّان، خاصة عندما يتحدث عن خروج عبد المؤمن لطلب العلم[1]، كعادة أهل المغرب الشّغوفين بالعلم، المحبّين له في هذا السّن، ولمّا رآه ابن تومرت، إبتهج وقرّبه إليه ، فسأله عن اسمه، فلمّا وجده مطابقا لما عنده من أخبار [2]، أخبره ابن تومرت عن اسم والده، ثمّ عن أهله وعشيرته ، فأثار ذلك استغراب الحاضرين وإعجابهم به، ثمّ سأله إلى أين يتّجه، فأخبره : إلى المشرق يطلب العلم ، فقال له ابن تومرت : "العلم الذي تريده بالمشرق قد وجدته بالمغرب"[3].

وعندما إنصرف النّاس، طلب ابن تومرت من عبد المؤمن البقاء والمبيت عنده حتى يخبره بالسّر المكنون وفي اللّيل بدأ ابن تومرت، يقرأ على عبد المؤمن ما وجده في كتاب كان قد جلبه من المشرق، يسّمى بالجفر[4]، حتى بكى عبد المؤمن عندما سمع ابن تومرت يقول :"لا يقُوم الأمر الذي فيه حياة الدّين إلاّ بعبد المؤمن بن علي سراج الموحدين"[5]، وهو الذي كان يطمح فقط أن يُطّهر نفسه بالعلم، فقال: "يا فقيه ، ما كنت في شيء من هذا، إنّما أنا رجل أريد ما يُطهرني من ذنوبي ، فقال له ابن تومرت :" إنّما تطهيرك من ذنوبك صلاح الدّنيا على يديك "[6]، "وقد وجدت علما وشرفا وذكرا ، أصحبني تنله،

(1) انظر، الرّواية بالتفصيل عند، البيذق : **أخبار المهدي** ، ص32 ــ 34 .

(2) جاء في وفيات الأعيان : أنّ ابن تومرت قد إطّلع من علوم أهل البيت على كتاب يسّمى الجفر وأنّه رآى فيه صفة رجل يظهر بالمغرب ، وهو من ذرية رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يدعو الى الله...يكون مقامه ومدفنه بموضع من المغرب يسمّى باسم هجاء حروفه (ت ي ن م ل) وإستقامة ذلك الأمر يكون على يد رجل من أصحابه، هجاء اسمه (ع ب د م و م ن)، ويجاوز وقته المائة الخامسة للهجرة . انظر، ابن خلّكان: **مصدر سابق** ،ج5 ، ص 48 ؛ السّبكي : **مصدر سابق** ، ج6 ، ص110 .

(3)البيذق :**أخبار المهدي** ، ص35 ؛ مجهول:**الحلل الموشية** ، ص106 .

(4) **الجفر** ،كتاب عند الشيعة فيه علم بمسقبل الأحداث ، وعلم الجفر، هو علم يبحث فيه عن الحروف من حيث دلالتها على أحداث العالم. انظر ، دائرة المعارف الإسلاميّة : مادة "**جفر** " ، دار المعرفة بيروت ، مج7 ، ص46 ــ 47 ؛ ابن خلدون : **المقدمة** ، ص594 وما بعدها ؛ مجدي وهبة وكامل المهندس : **معجم المصطلحات العربية في اللغة والآداب** ، مكتبة لبنان بيروت 1404ه/1984م ، ص174.

(5) البيذق : **أخبار المهدي** ، ص 35 .

(6) **نفس المصدر**، ص 36.

فوافقه على ذلك فألقى ابن تومرت إليه، أمره و أودعه سرّه"[1]، وربّما أخبره بما يعتزم أن يقوم به، فبايعه عليه [2]، وهذا بعد أن تفرّس فيه الذّكاء والفطنة والحرس على القيام بما أخبره به ابن تومرت [3] .

فأقام عبد المؤمن بملالة، يدرس ويأخذ العلم الذي وعده به ابن تومرت [4]إلى أن تهيأت الظروف للرّحيل .

5) العودة إلى المغرب الأقصى:

بعد الإقامة في ملاّلة لمدّة أشهر كما ذكر ذلك بعض المؤرخين[5]، التي تمّ لابن تومرت فيها اللّقاء بأهّم شخصية في دعوته ودولته عبد المؤمن بن علي، توجّه مع أصحابه[6] نحو المغرب الأقصى[7]، وفي طريقهم حسب بعض المؤرخين مروا بكلّ من متيجة وجساس ومليانة والونشريس، حيث إنضمّ إليهم رجل اسمه أبو محمد البشير[8] سمّي فيما بعد بالونشريسي[9]

ثمّ إلى تينملت، ثمّ البطحاء[10]، ثمّ إلى تلمسان [11]،حيث نزل بمسجد بظاهر المدينة يُعرف بالعبّاد، وقد

(1) ابن خلّكان : **مصدر سابق** ، ج5 ، ص48 ؛ السّبكي : **مصدر سابق** ، ج6 ، ص110؛ السّلاوي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص74.

(2) المراكشي : **مصدر سابق** ، ص248 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص173.

(3) ابن الأثير : **الكامل** ،ج8 ، ص295 .

(4) البيذق :**أخبار المهدي** ، ص36 ؛ ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص259 ؛ السّلاوي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص73 .

(5) البيذق : **أخبار المهدي** ، ص 36 ؛ المراكشي: **مصدر سابق** ، ص 248.

(6) وهم " عبد المؤمن و البيذق ويوسف الدكالي والحاج عبد الرحمن وعبد الله بن عبد العزيز وعبد الصمد بن عبد الحليم ويرزيجن بن عمر. انظر ، رشيد بورويبة : **مرجع سابق** ، ص47 ــ 48.

(7) انظر:الخريطة، ص34 من هذا البحث .

(8)أبو محمد عبد الله بن محسن الونشريسي المشهور بالبشير ، من أهل الجماعة العشرة ، تبع ابن تومرت وتتلمذ عليه وأصبح من المقربين له وخاصّته ، فقد في وقعة البحيرة بأبواب مراكش سنة 524ه/1130م .البيذق : **المقتبس** ، ص23.

(9) البيذق : **أخبار المهدي** ، ص38 ؛ مجهول: **الحلل الموشية** ، ص107 ؛ ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص467 .

(10) البطحاء : مدينة تقع شمال مدينة غليزان الحالية " أغيل إزان " قرب ملتقى وادي مينا بنهر الشلف . انظر ، البيذق : **أخبار المهدي** ، الهامش رقم :2 ، ص38 .

(11) مدينتان متجاورتان مسوّرتان ، إحداهما حديثة إختطّها الملثمون ملوك المغرب واسمها تافرزت ، يسكنها الجند وأصحاب السّلطان وأصناف من النّاس ، والقديمة تسمّى أقادير، تسكنها الرّعيّة .انظر ، الحموي : **معجم البلدان** : ج2 ، ص44 .

قام بالتّدريس في هذه المدينة أيّاما حتى ذاع صيته وتسامع النّاس بخبره[1].

وكعادته يقوم بالأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، مستعملا في معظم الحالات العنف والغلظة[2] ولايخشى في ذلك لومة لائم من الحكّام، أو الرّعيّة؛ بل كانت تهابه النّاس وتسمع كلامه وتلتزم [3]، ثمّ إتجه وأصحابه قاصدا فاس[4]، حيث مرّ بعدّة مناطق منها وجدة وصاء[5] وأمليل ، وهناك أخذ يُدَرّس العقيدة على الطريقة الأشعرية، فأعجب الطلبة بطريقته وتجمّعوا حوله[6]، ممّا أثار قلقاً بين الفقهاء وناظروه، فناظرهم إلى أن إنتصر عليهم، فأشار الفقهاء على والي البلدة بإخراجه حتى لا يفسد على النّاس عقولهم ، فأمره بالخروج[7]، وكان ذلك سنة 514ه/1120م حسبما ذكره ابن أبي زرع [8] .

---

(1) البيذق : **أخبار المهدي** ، ص39 ؛ المراكشي : **نفس المصدر** ، ص250 ؛ الزّركشي : **مصدر سابق** ، ص5؛ ابن خلدون : **العبر**، ،ج6، ص467.

(2) يروي لنا البيذق أنّه عندما دخل ابن تومرت تلمسان، وجد عروسا تُزف لبعلها وهي راكبة على سرج واللّهو والمنكر أمامها ، فكسّر الدفوف واللّهو وغيّر المنكر وأنزل العروس عن سرجها .انظر ، البيذق : **أخبار المهدي** ، ص39 .

(3) المراكشي : **مصدر سابق** ، ص250 — 251 .

(4) مدينة مشهورة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر وهي مدينتان متفرقتان مسوّرتان ، وهي عدوة القرويّين وعدوة الأندلسيّين ، يجري بينهما نهر تأسّست في عهد إدريس بن إدريس 192ه/808م . البكري : **مصدر سابق** ، ص115 ؛ الحموي : **معجم البلدان** ، ج4 ، ص230.

(5) إسمها اليوم تاوريت ، أمّا إسم صاء، أوصاع، فيطلق خاصّة على الوادي الّذي يمرّ بها ، وهي مدينة لطيفة على وادي عظيم ، ذات ثمار ومزارع. انظر ، البكري : **نفس المصدر** ، ص88 ؛ ابن حوقل أبي القاسم : **كتاب صورة الأرض** ، مكتبة الحياة، بيروت، 1412ه/1992م ، ص88.

(6) المراكشي : **نفس المصدر** ، ص251 ؛ البيذق : **أخبار المهدي** ، ص 43 ؛ السّلاوي : **مصدر سابق** ،ج2 ، ص75 .

(7) المراكشي : **نفس المصدر** ، ص 251.

(8) ابن أبي زرع : **روض القرطاس** ، ص 173 .

توجّه ابن تومرت إلى مكناس[1]، ثمّ إلى سلا [2] ومنها إلى مراكش [3]، وكان في طريقه هذه كلّما دخل مدينة أو قرية إلاّ وبادر فيها بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وقد أورد لنا البيذق عدّة وقائع، حدثت في وجدة وفاس ومكناس وغيرها[4] ، أوبنائه المساجد أوتعمير ما كان مُعطّلا منها[5] ، ويقوم بتدريس العلوم الدّينية، كالأصول والفقه والعقيدة على الطريقة الأشعريّة [6].كما كان يتخيّر الرّجال الذين يلمح فيهم الصدق والوفاء والذّكاء والشّجاعة والكفاءة لمصاحبته [7].

(1) مكناس أو مكناسة، مدينة بالمغرب في بلاد البربر ، عليها سور كبير وأبراج عظيمة ، وهي مدينة جليلة بينها وبين فاس أربعين ميلا في جهة المغرب ، وأكثر شجرها الزيتون . انظر : الحميري : **مصدر سابق** ، ص544 ؛ الحموي : **معجم البلدان** ، ج5 ، ص 181 .

(2) سلا، مدينة قديمة ، على ساحل المحيط الأطلسي بينها وبين مراكش تسع مراحل على ساحل البّحر ، أحدث بها الموحدون عمائر كثيرة، حيث إختطّ بغربها عبد المؤمن مدينة وسّماها المهدية . انظر : الحميري : **نفس المصدر** ، ص 319 ؛ الحموي : **معجم البلدان** ، ج3 ، ص 231.

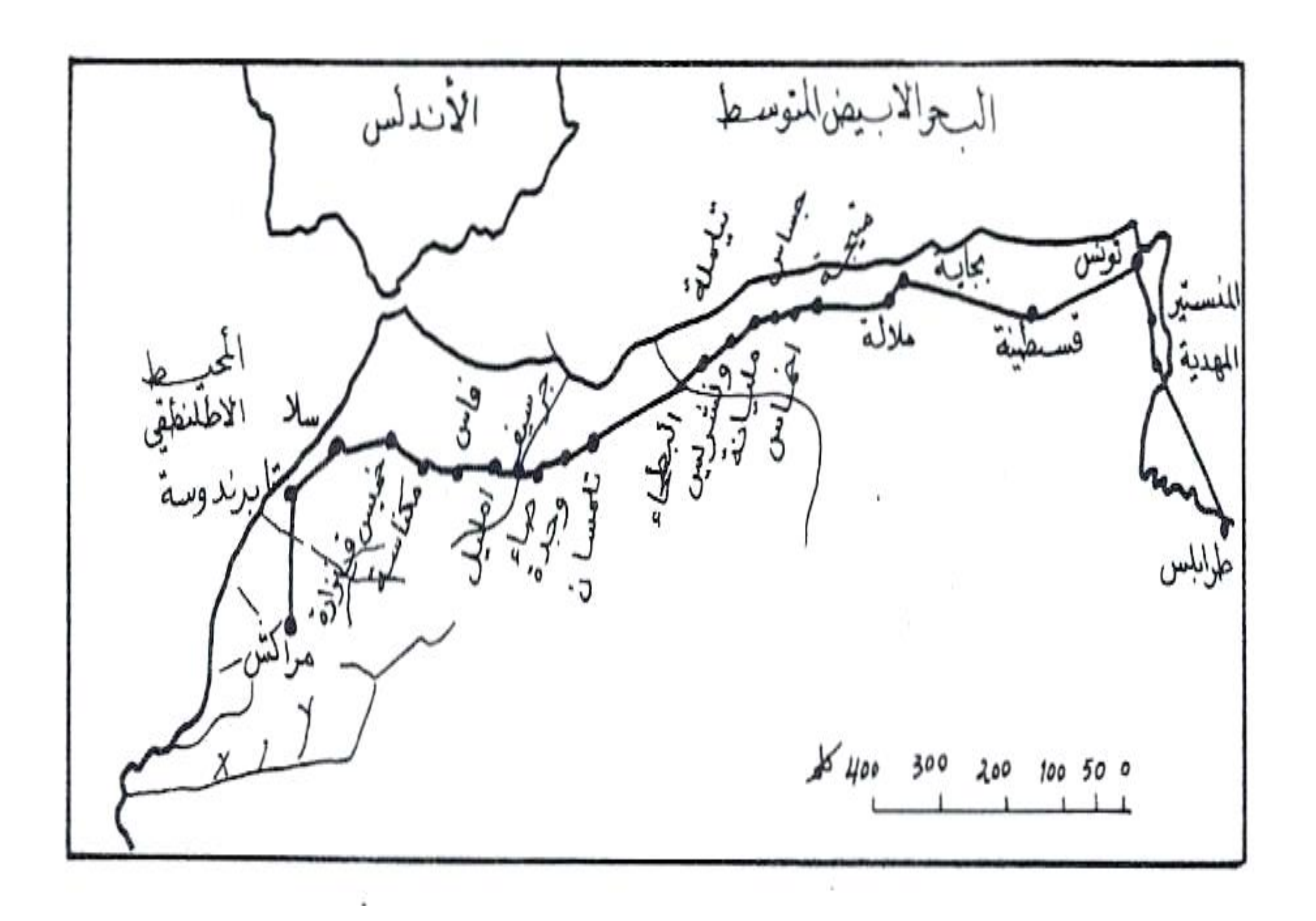
(3) مراكش، أعظم مدينة بالمغرب ، بها سرير ملك بني عبد المؤمن ، وهي من البّر الأعظم ، كان أول من إختطّها يوسف بن تاشفين سنة 470ه/1077م ، وهي في وطاء من الأرض، ليس حولها من الجبال إلاّ جبل صغير . انظر : الحميري : **نفس المصدر** ، ص540 ؛ الحموي : **معجم البلدان** ،ج5 ، ص94.

(4) في وجدة أمر النّاس أن يقيموا ساقية بالقرب من المسجدحتى يتوضأ منها الرجال عوض الإختلاط بالنّساء في السّاقية العامّة ، وفي فاس أمر أصحابه بإحضار عصي، ثمّ أمرهم بكسر كل ما يجدونه في الحوانيت من دفوف ومزامير وعيدان وروطا وجميع اللّهو...ولّما اشتكى أصحابها إلى القاضي، سانده في ذلك ، وفي مكناس فرق بالعصا تجمعا للنّساء وإختلاطهم بالرّجال. انظر، البيذق : **أخبار المهدي** ، ص 40 وما بعدها.

(5) البيذق : **أخبار المهدي** ، ص38.

(6) المراكشي : **مصدر السابق** ، ص251 ؛ البيذق : **أخبار المهدي** ، ص43 ـــــ 45

(7) ذكرهم البيذق، وهم عبد المؤمن بن علي والبيذق أبو بكر الصُنهاجي وعبد الواحد الشّرقي والحاج عبد الرحمن و الحاج يوسف الدّكالي وعمر بن علي وعبد الحق بن عبد الله . انظر : البيذق : **أخبار المهدي** ، ص44 .



- خريطة رحلة ابن تومرت من طرابلس إلى مراكش[1]

(1) رشيد بورويبة: **مرجع سابق** ، ص47.

6) ابن تومرت في مراكش:

وصل ابن تومرت إلى مراكش سنة 514ه/1120م ، التي كانت عاصمة مُلك المرابطين بقيادة علي بن يوسف بن تاشفين ، الذي عُرف بالورع والتّواضع والعدل والعبادة والتّبتل[1] ، ومن جهة بضعفه أمام الفقهاء الذين أصبحوا يوجهون شؤون الدّولة، كما فشى في المدينة بعض المناكر والبدع، وإنتشرت الآفات الاجتماعيّة المختلفة، مثل بيع الخمر علانية في الأسواق والخنازير تمرح في أحياء المسلمين[2].

ولّما رأى ابن تومرت ذلك، بادر إلى تغيّير المنكر وأمر بالمعروف [3]، وفي هذه المرّة لم يقتصر تغيّيره للمنكر على العامّة، بل توجّه إلى الحكّام وإقتحم حاشيتهم، منها ما يرويه لنا بعض المؤرخين، أنّ ابنتومرت رأى أخت الأمير مع جواريها سافرة الوجه، فأمرها ومن معها بستر وجهها، وضرب وأصحابه دوابهم،

(1) ابن خلّكان : **مصدر سابق** ، ج5 ، ص49 ؛ المراكشي : **مصدر سابق** ، ص253؛ رشيد بورويبة : **مرجع سابق** ، ص53.

(2) المراكشي : **نفس المصدر** ، ص253 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص174 ؛ عبد الله عنان : **مرجع سابق** ،ج1 ، ص169.

(3) نلاحظ أنّ ابن تومرت إتّخذ أسلوب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر عند تغيّير الأوضاع ، وهذه النّظرية مأخوذة من قوله تعالى " وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّة يَدْعُونَ إِلَى الخَيْر ويَأْمُرُونَ بالمَعْرُوف ويَنْهَوْنَ عَن المُنكَر ". انظر ، **سورة آل عمران،** الآية 104، وقوله تعالى "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلْنَّاسِ تَأْمُرُونَ بالمَعْرُوفِ وتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وتُؤْمِنُونَ بالله". انظر، **سورة آل عمران،** الآية: 110؛ كما وردت أحاديث في هذا المجال، منها قوله عليه الصلاة والسّلام "والّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بالمَعْرُوفِ ولَتَنْهَوَنّ عَنِ المُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ الله أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ،ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلاَ يُسْتَجَابُ لَكُمْ" من حديث حذيفة ، رواه التّرميذي ، وهناك أحاديث كثيرة. انظر، عزّالدّين بليق: **منهاج الصالحين،** ط1 ، دار الفتح بيروت 1398ه/1978 ص410 ، ولذلك أجمع علماء الإسلام على أنّ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر واجب على المسلمين ، وهذا من أجل حماية المجتمع من المنكرات والرّذائل ، ولقد فصل في ذلك ابن حزم وذهب مع أهل السّنّة والمعتزلة والخوارج والزّيديّة إلى أنّ سلّ السّيوف في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر واجب، إذا لم يكن دفع المنكر إلاّ به، فإذا كان أهل الحقّ في عصابة يمكنهم الدّفع ولا ييئسون من الظفر، ففرض عليهم ذلك وإن كانوا في عدد لايرجون لقلتهم وضعفهم بظفر كانوا في سعة من ترك التّغيّير باليد ، والامام الغزالي يصف الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر بأنّه القطب الأعظم في الدّين وهو المهمّ الّذي إبتعث الله له النّبيّين أجمعين.. .انظر، الغزالي أبو حامد :**إحياء علوم الدّين** ، دار المعرفة بيروت (د.ت)،ج2 ، ص306 ؛ ولقد إختار المسلمون أسلوب التّدرج في تغيّير المنكر من الأسهل إلى الأصعب وعبّر عنه الغزالي بدرجات الإحتساب بداية بالتّعريف مرورا بالوعظ والنّصح، ثمّ التّغيّير باليد إلى شهر السّلاح...انظر، الغزالي :**نفس المصدر** ، ج2، ص329 ــ 332 ؛ ولذلك كان منصب الحسبة مهمّا في الدّولة الإسلاميّة، إذ يقوم بهذه المهمّة من قبل الحاكم ، ووضع له العلماء شروطا حتى لايكون محلّ نقد من الرّعيّة . انظر، الغزالي : **نفس المصدر**،ج2، ص333؛ ولذلك يبدو أنّ ابن تومرت قد إقتنع برأي الغزالي على أنّ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر القطب الأعظم في الدّين ، خاصّة وأنّه وجد الدّليل من القرآن والحديث ، فانطلق يدعو لذلك ويطبّق ما اقتنع به وجعله واجبا فوريا لايجوز تأخيره ، وهذا ما يظهر من خلال مؤلفاته وسلوكه مع النّاس، منذ أن إنطلق عائدا من المشرق إلى المغرب . انظر، عبد المجيد النّجار:**مرجع سابق،** ص272 وما بعدها ؛ عبد الله عنان : **مرجع سابق** ،ج1 ، ص 176 -178.

فسقطت أخت الأمير عن دابتها، فذهبت إلى أخيها شاكية، باكية [1]، كما أنّه تطاول حتى على الأمير نفسه، كما يروي ذلك البيذق [2]، عندما إلتقى به في المسجد، وربّما تكون في روايته بعض المبالغة، لإظهار ابن تومرت على أنّه لايخشى أحدا حتى الأمير، إلاّ أنّه لمـــّا استفحل أمر محمد بن تومرت بين النّاس ورُفع الأمر إلى علي بن يوسف ، إستشار الفقهاء في شأنه[3]، ثمّ استدعاه وذلك بعد أن بحث في أمره، وأرسل من يأتيه بخبره وأحضره إلى القصر، فوجد ابن تومرت في ذلك فرصة، ليعظ الأمير وحشمه ، فلمّا سأله: "ما هذا الّذي بلغنا عنك ؟ قال له :" إنّما أنا رجل فقير، طالب الآخرة، ولست بطالب دنيا، ولا حاجة لي بها، إلاّ أنّي آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر ، وأنت أولى من يفعل ذلك ، وقد وجب عليك إحياء السّنّة وإماتة البدعة[4].. وقد عاب الله تعالى على قوم، تركوا النّهي عن المنكر، فقال تعالى "كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَنِ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ"[5].

وقد أثرّ هذا الكلام في نفس علي بن يوسف إلى أن بكى وطأطأ رأسه مليًا [6]، ثمّ أمر بإحضار الفقهاء لمناظرته، وكان من بين الحاضرين الفقيه مالك بن وهيب الأندلسي[7] ،وكان جلّ من حضر من

---

(1) ابن الأثير : **الكامل** ، ج8 ، ص295 ؛ ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص468 .ابن خلّكان : **مصدر سابق** ، الهامش رقم 1،ج5 ، ص49 ؛ النّويري : **مصدر سابق** ، ج240 ، ص154.

(2) يذكر أنّ ابن تومرت دخل جامع علي بن يوسف فوجده قاعدا على غفارة ابن تيزمت والوزراء واقفون ، فقالوا له :"ردّ الخلافة على الأمير ، فقال لهم : "وأين الأمير ؟"، إنّما أرى جواري منقبّات، فلمّا سمع علي بن يوسف ذلك حطّ النّقاب عن وجهه وقال لهم :" صدق" ، فلمّا رآه ابن تومرت قال له : "الخلافة لله وليست لك يا علي بن يوسف ، ثمّ قال له : "يا علي ، قم عن هذه المغيرة، تكن إمام عادل . .. فأزالها وأعطاها لمولاها". انظر ، البيذق : **أخبار المهدي** ، ص47.

(3) ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص468 ؛ ابن خلّكان : **نفس المصدر** ،ج5 ، ص49 ؛ ابن القّلانسي أبي يعلى حمزة : **ذيل تاريخ دمشق** ، بيروت 1326ه/1908م ، ص292.

(4) ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص 174؛ حسن إبراهيم حسن : **تاريخ الإسلام السّياسي والدّيني والثّقافي والاجتماعي** ، ط1 ، دار الأندلس بيروت 1368ه/1967م ،ج4 ، ص297 .

(5) **سورة المائدة:** الآية رقم، 74.

(6) ابن أبي زرع : **الانيس المطرب** ، ص 174 ؛ ابن الأثير : **الكامل** ،ج8 ، ص 295 ؛ ابن خلّكان : **نفس المصدر** ،ج5 ، ص50.

(7)مالك بن يحي بن وهيب الأندلسي، من أهل إشبيليّة ، ولد سنة453ه/1061م، أحد العلماء المتبحرين في أنواع العلوم، إلاّ أنّه أظنّ النّاس=

فقهاء الفروع ليست لهم دراية كافية بالأصول[1]، ممّا جعله يُفحمهم ويظهر عليهم في هذه الجلسة[2]، فأشار مالك بن وهيب على الأمير أنّ الرّجل لايريد إلاّ الإفساد ولا يؤتمن وإن سمعته العامّة، إستهواهم وأصابنا منه شرّ كثير، لذلك فاقتله قبل أن تُنفق أموال الدّنيا ولا تتمكّن منه[3]، لكنّ تدخل بعض الحاضرين من المقربين من الأمير منهم بينتان بن عمر، أحد وزرائه الّذي قال للأمير :"يا أمير المسلمين، ماذا يقال عنك في البلاد ؟ أتسجن رجلا يعرف الله وهو أعرف أهل الأرض بالله تعالى"[4]، ثمّ أمر بإخراجه من المدينة [5].

كان لهذه الحادثة مع الأمير وحاشيته من الفقهاء دورا بارزا في إذكاء عزيمة ابن تومرت ودفعه إلى تحقيق أهدافه، حيث لاحظ ضعف الأمير أمام حاشيته وإنقياده لآراء الفقهاء الّذين لم تكن لهم قوّة الحجّة والمعرفة بالجدل ؛ بل وجدهم جامدين على التّقليد ، جاهلين لأسلوب الحوار العلمي[6] ، لكنّ ابن تومرت إتّجه إلى ضاحية من ضواحي العاصمة مراكش ، وأقام هناك خيمة بإحدى المقابر وأخذ يلقي الدّروس

= بها ، توفيّ بمراكش سنة 525ه/1131م . انظر ، ابن بشكوال :**كتاب الصلة** ،تحقيق ، إبراهيم الأبياري ، ط1 ، دار الكتاب المصري 1410ه/1989م ،ج3 ، ص897.

(1) المراكشي : **مصدر سابق** ، ص252 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص174 ؛ عبد الله عنان : **مرجع سابق** ، ج1 ، ص170.

(2) ذكر ابن أبي زرع مناظرة بين ابن تومرت والفقهاء واعتقد أنها قامت بحضرة الامير علي بن يوسف ، إلا ان هذه المناظرة قامت بمدينة اغمات وليس بمراكش. انظر، ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب**، ص 174 ؛ وهذا ما يفهم من قول البيذق المصاحب لابن تومرت "فسار المعصوم من أغمات بعد أن أفحمهم بالعلوم، وردّ عليهم الرّد البيّن". انظر، البيذق: **أخبار المهدي** ، ص49؛ "وفي المناظرة التي كانت بين الإمام المعصوم المهدي رضي الله عنه .. وبين المدّعين بأغمات". انظر، محمد بن تومرت : **أعزّ ما يطلب** ، تحقيق ، عمار طالبي ، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب الجزائر 1405ه/1985م، ص31؛ أمّا المناظرة التي أقيمت بحضرة الأمير بمراكش فلم تذكر لنا المصادر فحواها كاملة ماعدا نتائجها وأنّ ابن تومرت لّما أفحم فقهاء المرابطين، أشاروا على الأمير بقتله أو سجنه . انظر، البيذق : **أخبار المهدي** ، ص47 ــ 48 ؛ المراكشي: **نفس المصدر**، ص252 ــ 253 ؛ ابن خلّكان : **مصدر سابق** ، ج5 ص49 ــ 50 ؛ ابن الأثير : **الكامل** ، ج8 ، ص295 ؛ ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص468 .

(3) المراكشي : **نفس المصدر** ، ص253 ؛ ابن الأثير : **الكامل** ، ج8 ، ص295 ؛ ابن خلّكان : **نفس المصدر** ، ج5 ، ص50.

(4) البيذق : **أخبار المهدي** ، ص47 ــ 48 ؛ ابن الأثير : **الكامل** ، ج8 ،ص295 ؛ النّويري : **مصدر سابق** ، ج24 ، ص154.

(5) البيذق : **أخبار المهدي**، ص48 ؛ أبو الفدا إسماعيل : **المختصر في أخبار البشر** ، ط1 ، المطبعة الحسينية المصرية 1325ه/1907م، ج2 ، ص233؛ حسن إبراهيم حسن : **مرجع سابق** ،ج4 ، ص298 .

(6) عبد المجيد النّجار : **مرجع سابق** ، ص 101 .

ويعظ النّاس وفي نفس الوقت يترقّب ردّة فعل الأمير المرابطي، إلاّ أنّ هذه الدّروس أخذت بُعدا عقديا وسياسيا جديدا تهدف إلى تكوين معارضة قويّة للمرابطين ولا بدّ من القيام بثورة عليهم [1]، فاجتمع حوله ناس كثير وقد أحسّوا منه صدقه وسعة علمه وجرأته في طعن المرابطين الّذين لقبّهم بالمجسّمين وأنّه لابدّ من قتالهم ولـمّـا علم الأمير بذلك غضب وأمره بمغادرة المنطقة [2].

II) المرحلة الإنتقاليّة :

1) عودة ابن تومرت إلى مسقط رأسه محضن دعوته :

لـمّـا شعر ابن تومرت بخطورة الوضع وخاصّة أنّ فقهاء المرابطين مازالوا يأتمرون به ويطلبون من الأمير أن يقتله، لذلك غادر المنطقة إلى مدينة أغمات[3]، حيث أقام بها بضعة أيّام يدرّس بمسجدها، لكنّ منافسيه من الفقهاء أرادوا أن يختبروه، فأجرى هناك مناظرة مع فقهائها الّذين أفحمهم وممّا ورد فيها أنّه سأل خصمه : "طرق العلم هل هي منحصرة، أم لا ؟"، فأجاب مقدّمهم:" هي تنحصر في الكتاب والسّنّة والمعاني الّتي نبّهت عليها" ، فقال له : "إنّما سألتك عن طرق العلم، هل تنحصر، أم لا؟ فلم تذكر إلاّ واحدة منها ، ومن شروط الجواب أن يكون مطابقا للسّؤال ، فلم يفهم عنه وعجز عن الجواب مناظره ، ثمّ سأله عن أصول الحقّ والبّاطل ما هي ؟ فعاد إلى جوابه الأوّل ، فلمّا رأى ابن تومرت عجْز مناظريه عن فهم السّؤال والجواب عنه، شرع يبيّن لهم أصول الحقّ والباطل ، فقال:" إنّها أربعة، وهي العلم والجهل والشّك والظّن والعلم أصل للهدى والجهل والشّك والظّن أصول للضّلال، ثمّ أ خذ في تبيين طرق العلم،

(1) ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص175 ؛ عبد المجيد النّجار : **مرجع سابق** ، ص 101.

(2) ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص 175 .

(3) أغمات ، ناحية من بلاد البربر في أرض المغرب قرب مدينة مراكش ، وهي عبارة عن مدينتان متقابلتان. كثيرة الخير. انظر ، ياقوت الحموي : **معجم البلدان** ، ج1 ، ص225 .

فبهرهم بطريق أنوار العلم..."[1].

وبعد أغمات[2] توجّه نحو بلاد السّوس[3]، ثمّ إلى مسقط رأسه جبل إيجلي[4](إِيجْلِيز) سنة 515ه/1122م،[5] وهذا بعد أن تأكّد له أنّ المكان غير آمن وقد يَغدُر به أهلها[6]،خاصّة بعد أن أفحم فقهاء الدّولة المرابطيّة، ممّا زاد من شعبيّته في أوساط سكان هذه المنطقة وانتشار خبره بين القبائل الكثيرة المنتشرة بالإقليم[7]، وفي طريقه كان يمرّ بالقرى والقبائل، فيُلقي دروسا في الوعظ والإرشاد وحثّ النّاس على محاربة المرابطين ويشارك في بناء المساجد ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويطلب المساندة والتّأييد من القبائل[8] ، إلى أن كثر أتباعه[9].

وفي إيجلي بنى ابن تومرت رابطة للعبادة وإجتمع إليه الطلبة والمتعلمون والقبائل[10] وقام بتأليف كتبه منها في العقيدة بلسان القوم [11].

---

(1) انظر نص المناظرة، محمد بن تومرت : **أعزّ ما يطلب** ، ص31 ــ 32 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص 174 ــ 175 .

(2) انظر، طريق الرّحلة من مراكش إلى مسقط رأس المهدي، ص40 من هذا البحث .

(3) ذكر بعض المؤرخين أنّ ابن تومرت، خرج من أغمات بعد أن أحسّ بالخطر وأنّ الأمير علي بن يوسف يريد قتله عندما أصبح يشكل عليه خطرا . انظر ، ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص175 ؛ السّلاوي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص77 .

(4) ابن القطّان : **مصدر سابق** ، ص 78 ؛ ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص 469 ؛ ابن الأثير : **الكامل** ، ج8 ، ص296.

(5) هذا كما ذكره ابن القطّان : **نظم الجمان**، ص78، ابن خلدون : **العبر** ،ج6 ، ص469 ؛ الزّركشي : **مصدر سابق** ، ص 5 ؛ وفي سنة 514ه/1121م ، كما ذكره البيذق: **أخبار المهدي** ، ص51؛ ابن الأثير : **الكامل** ،ج8 ، ص 296.

(6) ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص468 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص 176.

(7) ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، 176 .

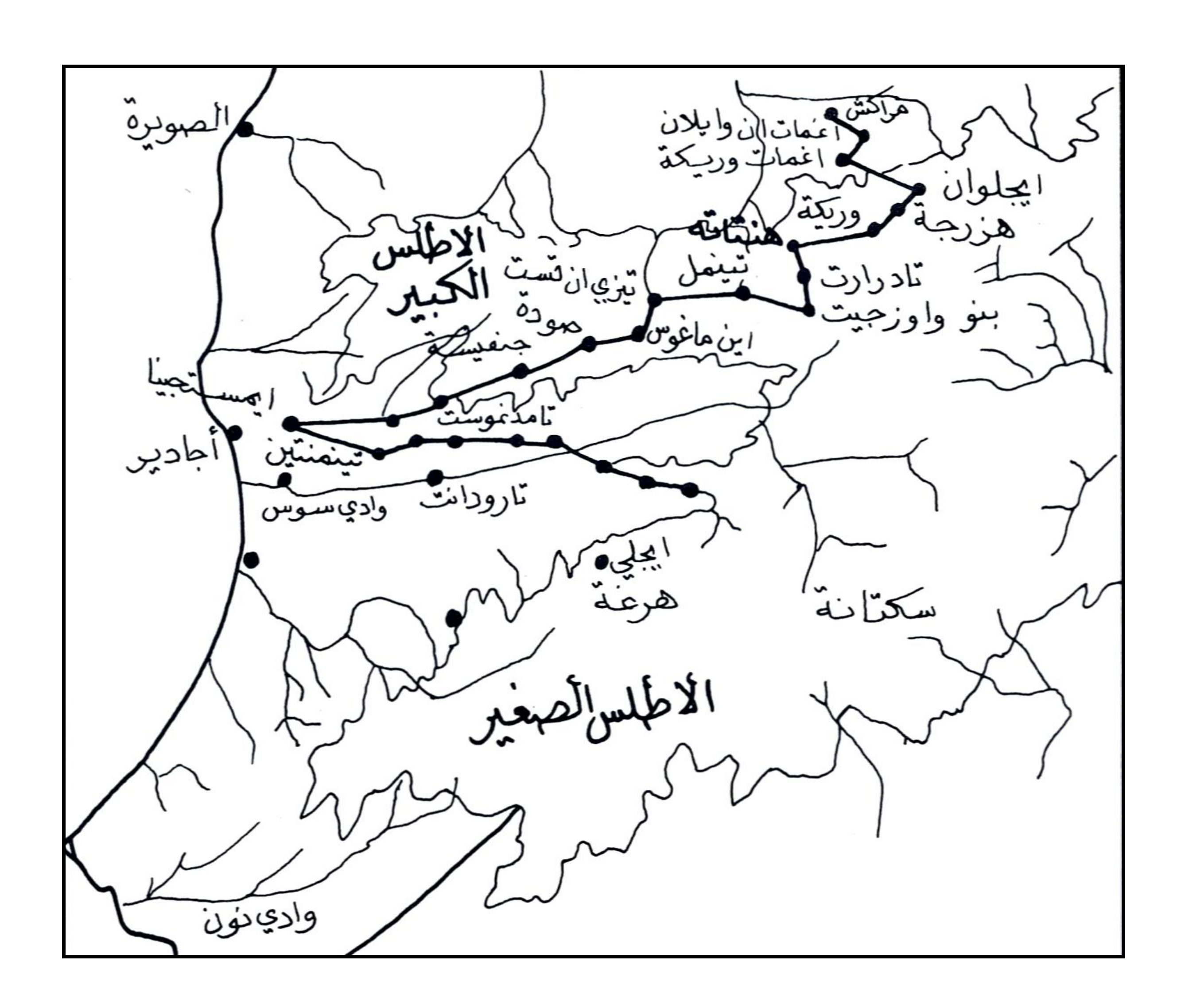
(8) تفاصيل الرّحلة من مراكش إلى مسقط رأسه إيجلي ذكرها البيذق بدقّة وتفصيل . انظر ، البيذق : **أخبار المهدي** ، ص49 ــ 52.

(9) منهم أبو حفص عمر الهنتاتي شيخ قبيلة هنتاتة . انظر، ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص 468 ؛ الزرّكشي : **مصدر سابق** ، ص 5 ؛ السّلاوي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص77.

(10) ابن القطّان : **مصدر سابق** ، ص 78 ؛ المراكشي : **نفس المصدر** ، ص 254 ؛ الزّركشي: **نفس المصدر**، ص5 ؛ ابن قنفذ القسنطيني: **الفارسية في مباديء الدوّلة الحفصيّة** ، تحقيق ، محمد الشّادلي النّيفر و عبد المجيد التّركي ، تونس1388ه/1968م ، ص 100 ؛ حسن إبراهيم حسن : **مرجع سابق** ، ج4 ، ص299.

(11) قال ابن القطّان : "وأول ما دبّرهم به أنّه ألّف لهم كتاب التّوحيد باللّسان البربري وهو سبعة أحزاب عدد أيام الجمعة"، ص129؛ ولعلّه المقصود عند باقي المؤرخين . انظر، المراكشي : **مصدر سابق** ، ص 254 ؛ ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص469.

ممّا زادهم حبًّا وتعظيماً له [1]،كما قام يشرح لأتباعه نظرية المهدي المنتظر ويشوّقهم إليه وجمع الأحاديث الّتي ذكرت ذلك وفي نفس الوقت يرسل إلى القبائل المجاورة له من يُحدّثهم ويشوّقهم إلى دعوته إلى أن أدرك بأنّ دعوته أثمرت، فاعتزم الإعلان عن إمامته [2].



الطريق الّتي سلكها ابن تومرت من مراكش إلى إيجلي [3]

(1) المراكشي : **نفس المصدر** ، ص 254 .

(2) المراكشي: **نفس المصدر**، ص254 ؛ حسن إبراهيم حسن: **مرجع سابق** ، ج4 ،ص299 ؛ عبد الله عنان: **مرجع سابق** ،ج1، ص173

(3) رشيد بورويبة : **مرجع سابق** ، ص60 .

2) الإعلان عن المهدويّة وتنظيم الأتباع :

في اليوم الخامس عشر من رمضان سنة 515ه/1121م[1] وفي قرية إيجلي(إيجليز) مسقط رأسه قام في أتباعه خطيبا، معلنا أنّه المهدي المنتظر[2] في خطبة قصيرة، قال فيها : "الحمد لله الفعّال لِما يريد، القاضي بما يشاء، لا رادّ لأمره ولا مُعَقِب لحُكمه وصلّى الله على سيدنا محمّد المبّشر بالمهدي الّذي يملأ الأرض قِسطا وعدْلا، كما مُلئت ظُلما وجَوْرا، يبعثه الله، إذا نسخ الحقّ بالبّاطل وأُزيل العدل بالجوْر مكانه بالمغرب الأقصى و زمنه آخر الزّمان واسمه اسمٌ للنبّي عليه الصّلاة والسّلام ونسبه نَسبُ النّبي صلّى الله تعالى وملائكته الكرام المقرّبون عليه وسلّم، وقد ظهر جوْر الأمراء وامتلأت الأرض بالفسّاد وهذا آخر الزّمان والإسم الإسم والنّسب النّسب والفعل الفعل !"[3].

ولّما فرغ من خطبته، قام عشرة من رجاله[4] أوّلهم عبد المؤمن بن علي، الّذي قال له: "هذه الصّفة لاتوجد إلاّ فيك، فأنت المهدي ! فبايعوه [5]، وقد إنتهز ابن تومرت الفرصة ليبايعه أصحابه تحت شجرة الخروب على ما بايع الصّحابة رضيّ الله عنهم الرّسول عليه الصّلاة والسّلام تحت الشّجرة[6]، وبعد

(1) ذكر المؤرخون تواريخ مختلفة لهذه الحادثة تتراوح ما بين 514 ه/1120م و 516 ه/1122م وربّما كان في ذلك خلط بين تاريخ الإعلان عن المهدية وتاريخ التّسميّة بالمهدي. انظر، عبد المجيد النّجار: **المهدي بن تومرت، هامش رقم:19**، ص 114؛ رشيد بورويبة: **مرجع سابق** ، ص65 ــ 66 .

(2) ابن القطّان : **مصدر سابق** ،ص124 ؛ المركشي : **مصدر سابق** ، ص254 ؛ ابن الأثير : **الكامل** ،ج8 ، ص296 .

(3) ابن القطّان :**نفس المصدر** ، ص124 ؛ مجهول: **الحلل الموشية** ، ص107 ؛ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب** ، ص176.

(4) وهم :عبد المؤمن بن علي وأبو محمد البشير الونشريسي وأبو إبراهيم الهزرجي و أبوحفص عمر بن علي الصُنهاجي وأبو الرّبيع سليمان بن الحضري وأبو عمران موسى بن تمارا وأبو يحيى أبو بكر بن يخيت وأبوعبد الله محمد بن سليمان وأبو حفص عمر بن يحي وعبد الله بن ملوية . انظر، ابن القطّان : **نفس المصدر** ، ص 126 ــ 127 ؛ وذكرهم مع بعض الإختلاف. انظر، البيذق: **أخبار المهدي** ، ص 53 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص176 ؛ مجهول :**الحلل الموشية** ، ص108 ؛ الزّركشي : **مصدر سابق** ، ص6 .

(5) ابن القطّان : **نفس المصدر** ، ص125 ؛ ابن الأثير : **الكامل** ، ج8 ، ص296 .

(6) المراكشي : **مصدر سابق** ،ص255 ؛ البيذق : **أخبار المهدي** ، ص53 ؛ مجهول: **الحلل الموشية** ، ص108؛ رشيد بورويبة : **مرجع سابق** ، ص66 ــ 67.

المبايعة أطلقوا عليه اسم المهدي بعدما كان يسمّى بالإمام [1]،كما أُطلق على هؤلاء العشرة اسم أهل الجماعة [2] بعدما إختارهم المهدي لدّعوته من خيرة أصحابه ، ثمّ تبعهم كلّ من حضر من الأنصار من مختلف القبائل [3]، إلى أن تمّ من المبايعين خمسين رجلا [4]، جعلهم طبقة ثانية، سمّاهم بأهل الخمسين وتضمّ ممثلين عن القبّائل الّتي إقتنعت بدعوة المهدي [5]، ثمّ الطّبّقة الثّالثة وهم جماعة تتكون من سبعين رجلا ، ربّما كان يضمّ أهل الخمسين بالإضافة إلى عشرين رجلا ، ويُعتقد أن يكونوا أهل الدّار[6]، أو من ممثلي قبائل أخرى[7]، وقد ضمّت هذه الطّبقات الثّلاث أخلص أنصار المهدي ابن تومرت، الّذين كان لهم الدّور المهمّ والبّارز في بناء دولة الموحدين والمحافظة على الأنصار وضمان تبعيتهم وكان أفرادها قد" إنعقد لهم من البرّ والتّكرمة، ما أنهضهم إلى أن تسمعَ بقيّة عوّامهم منهم وتطيع"[8] .

كما كانوا يمثلون المجالس الّتي تُعقد للمداولة عندما تطرح أيّ قضية وذلك حسب أهمّيّتها في ترتيب تنازلي، حيث "كانوا إذا قطعوا الأمور العظام، يخلون بالعشرة، لايحضر معهم غيرهم ، فإذا جاء أمر أهْون أحضروا الخمسين، فإذا جاء دون ذلك، أحضروا السّبعين رجلا ، وفي ما دون ذلك لا يتأخر أحد ممّن دخل في أمره" [9].

(1) الزرّكشي : **مصدر سابق** ، ص6 ؛ مجهول: **الحلل الموشية** ، ص 108 ؛ المراكشي :**مصدر سابق** ، ص255.
(2) ابن القطّان : **مصدر سابق** ، ص128 ؛ ابن الأثير : **الكامل** : ج8 ، ص 298 ؛ المراكشي : **مصدر سابق** ، ص255.
(3) ذكرهم البيذق بأسمائهم في كتابه. انظر، البيذق: **المقتبس** ، ص32 وما بعدها .
(4)ابن القطّان : **نفس المصدر** ، ص 84 ــ 85.
(5) ابن القطّان : **نفس المصدر** ، ص128 ؛ المراكشي : **نفس المصدر** ، ص255 ؛ ابن الأثير : **الكامل** ، ج8 ، ص298.
(6) رشيد بورويبة : **مرجع سابق** ، ص94.
(7)ابن القطّان : **نفس المصدر** ، ص128 ؛ ابن الأثير: **الكامل** ، ج8 ، ص298 ؛ مجهول :**الحلل الموشية** ، ص108؛ عبد المجيد النّجار: **مرجع سابق** ، ص116؛ عبد الله عنان :**مرجع سابق** ، ج1 ،ص 174.
(8) ابن القطّان : **نفس المصدر** ، ص128 .
(9) **نفسه.**

كما أُلحق بهذه المجالس مجلس آخر سميّ أهل الدّار، وهم ممّن أُخْتصّ بخدمة المهدي والقيّام بشؤونه[1] كما رتبّ سائر الأنصار وذلك حسب المهمّة الّتي أوُكلت لهم، أو حسب القبائل وهم طلبة العلم، ثمّ الحُفّاظ ثمّ صغار الطلبة، ثمّ أهل هرغة قبيلة المهدي، ثمّ أهل تينملل[2]، ثمّ أهل جدميوه[3]، ثمّ أهل جنفيسة[4]،ثمّ أهل هنتانة[5]، ثمّ الجند، ثمّ الغزاة والرُماة، ثمّ طبقة الفُرات وهم الأحداث الصّغار الأمّيون[6].

ووضع المهدي نظاما خاصّا لمهام هذه الطّبقات ورتبّها ، فجعل لكلّ منها مهمّة تختصّ بها ورتبة لا تتّعداها ، سواء في السّفر أو الحضر ، وشرّع القتل جزاء لمن خالف الأوامر ، ومن تخلّف عن الحضور أُدبّ فإن تمادى، قُتل ، ومن لم يحْفظ حِزبه، عُزِّر بالسّياط ، وكلّ من لم يتأدّب بما أُدبّ به ، ضُرب بالسّوط مرّة، أو مرتين ، فإن تمادى في تصّرفه وترك الإمتثال للأوامر، قُتل ، ومن داهن على أخيه، أو أبيه، أو ابنه، أو من يُكرم عليه، قتل ، كما شدّد ابن تومرت في تنفيذ شريعته وضبْط الأمور بحزم ، فكان هذا النّظام هو أساس الدّولة الموحديّة فيما بعد[7] ، وأطلق على أتباعه إسم الموحدين[8]وذلك (تعريضا بلمتونة في أخذهم بالعدول

---

(1) ابن القطّان:**مصدر سابق** ، ص 86 ــ 87 ؛ البيذق : **المقتبس** ، ص26.

(2) وهي مجموعة من القبائل، أطلق عليها هذا الإسم لتواجدها في مكان واحد، إسمه جبل تينملل ، لهم من البطون إحدى عشرة، ذكرهم البيذق كانت لها مكانة هامّة عند المهدي ،حيث أعطوه المضجع والمُستقر أين بدأ دعوته . انظر ، البيذق : **المقتبس** ، ص43 ؛ Levi provençal :Document inédits Almohade , Librairie orientaliste , Paris 1928 , p 56 - 57

(3) جدميوة، أو كدميوة ، كانت تابعة لهنتانة وتينملل نظرا لتواجدهم في مكان واحد جبل هنتانة ، منها أفراد في مجلس الخمسين ، لهم من البطون تسعة وأربعون، ذكرهم وأحصاهم البيذق. أنظر، البيذق: **المقتبس** ، ص44 ؛ ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، 568.

(4) وهي قبيلة كثيرة العدد ، لهم من البطون إثنان وعشرون، ذكرهم البيذق ، إنضمّ بعض أفرادها إلى مجلس الخمسين . انظر، البيذق : **المقتبس** ، ص47.

(5) من القبائل المصموديّة ، وهي قبيلة كبيرة وفي بعضها رياسة وشرف في الدّهر القديم ، يقيمون في جبل درن بالقرب من مراكش، ومنهم صاحب المهدي أبي حفص عمر بن يحي . انظر ، ابن خلدون : **العبر** ،ج6 ، ص562 ؛ البيذق : **المقتبس** ، ص44 .

(6) ابن القطّان : **نفس المصدر** ، ص 82 ؛ مجهول:**الحلل الموشية** : ص109؛ رشيد بورويبة : **مرجع سابق** ، ص95 ؛ عبد الله عنان : **مرجع سابق** ، ج1 ، ص 174.

(7) ابن القطّان : **نفس المصدر** ، ص83 ؛ مجهول :**الحلل الموشية** ، ص109 .

(8)ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص471 ؛ الذّهبي:**سيّر أعلام النّبلاء** ، ج19 ، ص541 ؛ ابن الأثير: **الكامل** ، ج8 ، ص296.

عن التّأويل وميلهم إلى التّجسيم" [1]،كما نعت المرابطين بالمجسمين والزراجنة والحشم[2] .

ولكي يكمل دوره التّنظيمي والتّربوي والاجتماعي ونظرا لكون معظم السّكان الّذين استقر بينهم يفتقرون إلى الثّقافة الإسلاميّة الواسعة وإستيعاب العلوم الشّرعيّة ، فقد بادر ابن تومرت إلى تأليف كتب في العقيدة، خاصّة وأخرى في الفقه والعبادات وفي الأصول والحديث [3]، ولّما وجد بعضهم لايتقن اللّغة العربيّة وهو يتقن اللّغتين العربيّة والبربريّة، ألّف لهم بعضا منها بلسانهم، مثل " المرشدة في التّوحيد" [4]، وقال لهم: "من لا يحفظ هذا التّوحيد، فليس بمُوّحد ، وإنّما هو كافر، لا تجوز إمامته" [5]، حتى صار هذا التّوحيد عندهم كالقرآن العزيز [6].

كما وضع لهم كتابه في العقيدة والعلم والإمامة، الّذي رواه عنه تلميذه وخليفته عبد المؤمن بن علي والّذي يفتتحه بقوله " أعزّ ما يُطلب " وهو عنوان الكتاب ذاته[7]، حتى يجعل من أتباعه مجتمعا، متعلّما، مثقفا، يمكنه أن يقود ويفتح بهم البلاد ويكوِّن بهم دولة قويّة.

---

(1) ابن خلدون : **العبر** ؛ ج6 ،ص471 ؛ عبد المجيد الّنجار : **المهدي بن تومرت** ، ص 202؛ لقد فصل عبد المجيد النّجار في حقيقة التّوحيد والموحدين مطوّلا . انظر ، عبد المجيد النّجار: **مرجع سابق**، ص202 وما بعدها.

(2) نعت ابن تومرت المرابطين بمجموعة من النّعوت، منها الزراجنة تشبيها بطائر أسود البّطن، أبيض الرّيش، يقال له: الزرجان؛ لأنّهم بيض الثّياب سود القلوب وبالُمجسمين؛ لأنّه ألزمهم في المذاكرة، أنّهم يقولون بالتّجسيم والمكان وبالحشم للّثام الّذي يضعونه على وجوههم، كما تفعل النّساء المحتشمات . انظر ، ابن القطّان : **مصدر سابق** ، ص132.

(3) تعرّض لمحتوياتها بالتّفصيل، عبد المجيد النّجار: **المهدي بن تومرت** ص146 وما بعدها .

(4) ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص469 ؛ الزرّكشي : **مصدر سابق** ، ص5.

(5)ابن القطّان : **مصدر سابق** ، ص81 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص177.

(6) ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص177.

(7) المراكشي : **مصدر سابق** ، ص255 .

3) كسب الأنصار والقبائل المجاورة :

إستمرّ ابن تومرت في دعوته، يستقطب إليه القبائل الأخرى ويكسب إليه الأنصار، حتى علا صيته وكثر أتباعه[1]ووصل خبره إلى السّلطان المرابطي علي بن يوسف، فوجّه لمحاربة المهدي وأتباعه عدّة قوّات[2]، منها الّتي أرسلها والي السّوس أبو بكر بن محمد اللّمتوني، إلاّ أنّ صعوبة المنطقة والمسلك إليها جعل الوصول صعبا، إلاّ عبر طريق واحد ضيّق، لايعبره سوى فارس واحد، لم تتمكّن قوّات المرابطين من القضاء على قوّات ابن تومرت؛ بل تمكّن الموحدون من هزيمة جيوش المرابطين وعادوا بغنائم كثيرة[3].

وكان لهذا النّصر أثره في نفوس أتباع المهدي ابن تومرت، إذ تضاعفت شهرته وشعبيته وإرتفع عدد أتباعه وقد حاول المرابطون مرّة وأخرى القضاء على جيوش الموحدين، لكن دون جدوى ، ودانت خلال فترة 516ه/1122م لابن تومرت معظم قبائل المصامدة ، وقاتل في نفس الوقت القبائل الّتي رفضت الإنضواء تحت رايته، منها قبيلة هسكورة وهزرجة ووازكيت وعجدامة[4]، إلى أن دانت له معظم القبائل المجاورة له، وقد إستمرّت ثوراته تلك زهاء ثلاث سنوات، من سنة 515ه/1122م الى 518ه/1124م، وهكذا تمكن من بسط نفوذه على بلاد السّوس[5].

(1) المراكشي : **مصدر سابق** ، ص255 ؛ ابن الأثير : **الكامل** ، ج8 ، ص296 ؛ مجهول :**الحلل الموشية** ، ص110 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص177.

(2)إختلف المؤرخون حول تحديد أوّل معركة دارت بين المرابطين والموحدين . انظر ، ابن القطّان : **مصدر سابق** ، ص129 ؛ البيذق : **أخبار المهدي** ، ص53 ؛ ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص470 ؛ ابن الأثير : **الكامل** ،ج8 ، ص296 .

(3) ابن القطّان: **مصدر سابق** ، ص129 ــ 130 ؛ ابن الأثير : **الكامل** ، ج8 ، ص296 ؛ ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص470.

(4) ابن القطّان : **نفس المصدر** ، ص131 ؛ ابن خلدون : **العبر** ،ج6 ، ص470.

(5) ابن القطّان : **نفس المصدر** ، ص133.

وفي سنة 518ه/1124م توجّه ابن تومرت من جبل إيجلي (إيجليز)، بعد أن أقام فيه ثلاث

سنوات[1] نحو تينملل في سفح جبل "دَوَنْ" مقره الثّاني وهو موقع حصين يقع بين جبلين، يصعب دخوله،

إلاّ من الجهة

الشرقية، أو الغربية [2]، ويقدّم لنا المؤرخون رواية عن إنتقال ابن تومرت إلى تينملل الّتي جعلها مقره الثّاني مفادها أنّ أهلها أرسلوا إلى ابن تومرت بطاعة قبيلتهم "هزميرة الجبل" وطلبوا منه أن يرحل إليهم، على أنّ المنطقة أصلح وأقرب لنّشر دعوته ، فنزل بتينملل، فأكرمه أهلها وإستقبلوه أحسن إستقبال ، وأكّدوا له خضوعهم وطاعتهم وبايعوه ، فبنى لهم مسجدا خارج المدينة، حيث كان يصلي فيه مع أتباعه ، ولّما رآى كثرة القوم وحصانة بلدهم، خشي أن يتراجعوا عنه ، فطلب منهم يوما أن يحضروا إلى الصلاة بدون سلاح، ففعلوا ذلك عدّة أيّام إلى أن إطمأنوا له، فأمر أصحابه الموحدين يوما، أن يأتوا بالسّلاح وأن يقتلو أهل المدينة فقتلوهم ، ثمّ دخل المدينة، فقتل من فيها وسبى نساءهم ونهب أموالهم وقسّم أراضيهم بين أصحابه الموحدين وبعدها بنى صورا حول المدينة ، وفي قمّة الجبل وضع حصنا، يشرف ويكشف ما وراء الجبل[3] .

---

(1) **نفس المصدر** ، ص130 ؛ ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص470 .

(2) ينقل لنا ابن القطّان وصفا لتينملل بقوله : " ولا أعلم مدينة أحصن ولا أمنع منها، إذ أنّها بين جبلين لا يدخلها الفارس، إلا من شرقيها وغربيها ، فأمّا غربيها فطريق أوسع ما به ما يمشي عليه الفارس وحده ، وأضيقه ما ينزل عن فرسه خوفا من سقوطه؛ لأنّ الطّريق مصنوعة من نفس الجبل، تحت راكبها حافات وفيها مواضع مصنوعة بالخشب، إذا أُزيلت منها خشبة، لم يمر عليها أحد ..." . انظر، ابن القطّان : **مصدر سابق** ، ص140 ؛ مجهول: **الحلل الوشية** ، ص 113. كما وصفها عدّة مؤرخين وجغرافيّين، منهم الإدريسي بقوله " ... وهو في أعلى الجبل ومن حصانته وثقافة مكانته أنّ أربعة رجال يمسكونه ويمنعون الصعود إليه ؛ لأنّ الصعود إليه على ما كان ضيّق وعر المرتقى ..." . انظر، الإدريسي محمد بن محمد : **كتاب نزهة المشتاق في إختراق الآفاق** ، نشرته مكتبة الثّقافة الدّينيّة القاهرة 1422ه/2002م ، مج1، ص230.

وللإطّلاع على وصف تينملل وحصانتها انظر،

H.Terrasse & Basset **: Sanctuaires et Fortresses almmohades** ,Coll Hespris , paris 1932, p37 ; Ferriol**: Les Ruines de Tinmel** , Hésperis,paris 1922, p162 – 163.

(3) ابن القطّان : **مصدر سابق** ، ص139 ــ 140 ؛ ابن الأثير : **الكامل** ، ج8 ، 296 ؛ ابن عذارى : **مصدر سابق** ، ج4 ، 69 ؛ مجهول : **الحلل الموشية** ، ص112 ؛ النّويري : **مصدر سابق** : ج24 ، ص 155 .

بعدما إستقر المهدي ابن تومرت في تينملل، واصل عمله الدّعوي والسّياسي والقتالي ، حيث كان يجمع النّاس ويعظهم ويحثّهم على القتال ويهيّئهم لمعارك أصعب والنّاس معجبين به[1]وبطلاقة لسانه ومعرفته الواسعة بالدّين الإسلامي وزهده في الدّنيا وتقواه .

وفي نفس الوقت كان يرسل بقواته إلى المناطق المجاورة له لبسط نفوذه[2]، ولمـــّا كثر أتباعه، أراد أن ينظمهم من جديد ويتأكّد من ولائهم له ولدعوته ، فقام بتمييز أتباعه[3] وكان ذلك سنة 519ه/1125م وبذلك إستطاع أن يميّز بين الصّادق في ايمانه وإعتقاده بالمهدي ابن تومرت من الكاذب المراوغ ، ثمّ أمر بقتل المشكوك في أمرهم ، وقد بلغ الأمر بأتباعه إلى حدّ قتل الأب لابنه والابن لأبيه والأخ لأخيه، كما تقول بعض الرّوايات[4] .

4) غزو مراكش حاضرة المرابطين :

ولمـــّا إستقر له الأمر، أخذ المهدي ابن تومرت يفكر في التّحضير للهجوم على مقرّ المرابطين مراكش فمهد لذلك بهجومات صغيرة بداية سنة 524ه/1129م [5]، ثمّ جهز جيشا كبيرا، قُدّر بأربعين ألف

(1) المراكشي : **مصدر سابق** ، ص256 .

(2) رشيد بورويبة : **مرجع سابق** ، ص76 ؛ عبد الله عنان : **مرجع سابق** ، ج1 ، ص182.

(3) نقلت لنا بعض المصادر حادثة التّمييز، حيث نلمح منها شيئا من الأسطورة بعيدة نوعا ما عن الحقيقة ، خاصّة في عدد الّذين قتلوا، حيث قُدّروا بالآلاف ، وخلاصتها أنّ المهدي قبل هجومه على مراكش أراد أن يميّز اتباعه ، وينقيهم من المشككين فاتّفق مع الونشريسي أحد المقربين منه على حيلة بادّعاء أنّه أوتي علماً سريّاً، يميز به أهل الخير من أهل الشّر ، فكان النّاس يعرضون عليه ، فيخرج قوما على يمينه ويزعم أنّهم من أهل الجنّة،ويخرج آخرين على يساره ويزعم أنّهم من أهل النّار، فيؤخذون بالقتل، وهم المشككون في مهدية ابن تومرت ، فكان عدد القتلى حسب ابن الأثير سبعين ألف، فلمّا إحتجّ على ذلك أحد الفقهاء الحاضرين من أصحابه بقوله: "كيف تقتل أقواماً، بايعوك ودخلوا في طاعتك ؟"، أمر بقتله وصلبه. انظر ، ابن القطّان : **مصدر سابق** ، ص146 ـــ 148 ؛ البيذق : **أخبار المهدي** ، ص58 ؛ ابن عذارى : **مصدر سابق**، ج4، ص68 ـــ 69 ؛ ابن خلّكان: **مصدر سابق**،ج5 ،ص52 ـــ 52 ؛ ابن الأثير: **الكامل**، ج8، ص297 ـــ 298 ؛ النّويري: **مصدر سابق** ،ج24، ص 156 ـــ 157مع بعض الإختلاف في الرّواية .

(4) ابن القطّان : **نفس المصدر** ، ص148 ؛ ابن الأثير : **الكامل** ، ج8 ، ص298 .

(5) ذكرها لنا المؤرخون وهي معركة في أراضي كيك شمالي تينملل، هُزم فيها المرابطون ، ثمّ معركة بكو بن علي بن يوسف هزم فيها المرابطون ، ثمّ قوات يطي بن إسماعيل وعمر بن تورجير ، ثمّ توجّه جيش الموحدين إلى أغمات وهزموا جيش المرابطين هناك . انظر ، =

مقاتل، أمّر عليهم أبا محمد البّشير الونشريسي، يساعده عبد المؤمن بن علي وجعله إماما للصّلاة وتوجّه إلى مراكش، حيث إستطاع في البداية أن يهزم جيش المرابطين، الّذين إنسحبوا وتمكّنوا من دخول المدينة وغلق أبوابها ، فحاصرها الموحدون لمدّة أربعين يوما [1]، فطلب علي بن يوسف أمير المرابطين الإمدادات من القبائل المجاورة، فكان له ذلك ، ثمّ جهز جيشه وخرج لمقابلة جيش الموحدين، الّذي كان معسكرا في الجهة الشّرقيّة من المدينة، يسمّى بالبَحَيْرَة[2]، فأصبحت تسمّى بمعركة البحيرة، ودارت بين الجيشين معركة ضارية وهي أكبر معركة بينهما ، إنهزم فيها الموحدون شرّ هزيمة ، حيث قدّر المؤرخون عدد قتلاهم بأربعين ألفا ، وفيها قُتل خيرة أتباع المهدي، منهم البّشير الونشريسي ودُفن هناك ، وإدّعى الموحدون بأنّه رفعته الملائكة [3] ، و لم يسلم منهم سوى أربعمئة فارس وراجل ، ولولا هطول المطر ودخول اللّيل لأتوا على آخرهم[4].

إغتنم عبد المؤمن الفرصة وتوجّه نحو أغمات، ولاحقتهم جيوش المرابطين، وكان قد وصل خبر هزيمة الموحدين إلى المهدي ابن تومرت، الّذي كان مريضا، فسأل عن عبد المؤمن، هل مازال حياًّ ؟ فقيل له: نعم ، فقال: الحمد لله ربّ العالمين، قد بقيّ أمركم [5]، إلاّ أنّ هذه الهزيمة لم تُفن من عزيمة المهدي ابن تومرت وأتباعه؛ بل قام يُهوِّن عليهم وقْع الهزيمة ويُذكرهم بأنّ قتلاهم شهداء؛ لأنّهم دافعوا عن دين الله، مظهرين

=ابن القطّان: **نفس المصدر**، ص156 ــ 158؛ ابن عذارى : **نفس المصدر** ، ج4 ، ص75 ؛ رشيد بورويبة : **مرجع سابق** ، ص81 ــ 82 ؛ عبد الله عنان : **مرجع سابق** ، ج1 ، ص184 .

(1) ذكر ابن الأثير، أنّ الحصار دام عشرين يوما . انظر : ابن الأثير : **الكامل** ،ج8 ، ص298 .

(2) البُحَيْرَة، وهي البستان باللّغة المحليّة . انظر ، ابن الأثير : **الكامل**، ج8 ، ص298 ؛كما تطلق هذه الكلمة على البساتين بالمناطق الدّاخلية في الجزائر بسطيف مثلا .

(3) ابن الأثير : **الكامل** ،ج8 ، ص298.

(4) حول تفاصيل معركة البحيرة. انظر، ابن القطّان : **مصدر سابق** ، ص160 ــ 161 ؛ البيذق : **أخبار المهدي** ، ص59 ــ 60 ؛ ابن الأثير: **الكامل** ، ج8 ، ص298 ؛ المراكشي : **مصدر سابق** ، ص260 ؛ الزرّكشي : **مصدر سابق** ، ص7 ؛ ابن عذارى : **مصدر سابق** ، ج4 ، ص 75 ــ 76 ؛ النّويري : **مصدر سابق** ،ج24 ، ص158 .

(5) البيذق : **أخبار المهدي** ، ص60 ؛ ابن القطّان : **نفس المصدر** ، ص 165 ؛ وفي المعجب قال ابن تومرت: " أليس قد نجا عبد المؤمن ؟" قالوا: نعم، قال : "لم يُفقد أحد". انظر، المراكشي : **مصدر سابق** ، ص260.

السُنَّة ، فزادهم ذلك عزيمة وحرصا على لقاء عدوّهم وقاموا بشنّ عدّة غارات مفاجئة على ضواحي مراكش يقطعون عنها المؤن ويأخذون كلّ ما يجدونه ... [1]

5) وفاة المهدي ابن تومرت :

بعد عودة الموحدين من معركة البحيرة، إشتدّ المرض بابن تومرت، الّذي بدأه قبل المعركة ، وربّما أثرّت عليه هزيمة الموحدين ومقتل معظم أصحابه ،حيث لم يعش طويلا بعدها [2]، إذ لمـّا دنا أجله، خرج من بيته راكبا بغلته، يشدّه إثنان من أصحابه ، فتجمّع حوله النّاس؛ ليستمعوا له نساءاً ورجالاً ، فوعظهم طويلا إلى أن أضحى النّهار ، ثمّ قال لهم : "أعرفوني وحققّوني، أنا مسافر عنكم سفرا بعيدا ، فضجَّ النّاس بالبكاء"، فقالت له أخته زينب : "وإلى أين تغيب عنّا ؟ ألم يكفك أن غِبْت عنّا خمسة عشر عاماً ؟" فقال له الحاضرون : "إن كنت تسير إلى الشّرق، نسير معك ؟" فقال : "ليس هذا سفر، يسافره معي أحد ، إنّما هو لي وحدي، ثمّ دخل و لم يره أحد أبدا[3].

وقد حدّد المؤرخون تاريخ وفاته بسنة 524ه/1130م[4]في شهر رمضان، ماعدا ابن خلدون، فيحدّدها بسنة 522ه/1128م[5]، ويبدو بعد مقارنة الرّوايات[6] أنّ وفاته كانت يوم الأربعاء 13

---

(1) المراكشي : **نفس المصدر** ، ص261 .

(2) ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص471 .

(3) البيذق : **أخبار المهدي**، ص 62 ؛ ابن القطّان : **مصدر سابق** ، ص167 ؛ وهناك عدّة روايات عن الأيّام الأخيرة لابن تومرت، ذكرها المؤرخون. انظر، المراكشي : **مصدر سابق** ، ص262 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص179 ــ 180 ؛ النّويري : **مصدر سابق** ، ج24، ص158 ؛ مجهول :**الحلل الموشية** ، ص117 ؛ السّلاوي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص87 ــ 88 .

(4) البيذق : **أخبار المهدي** ، ص62 ؛ ابن القطّان : **نفس المصدر** ، ص167 ؛ ابن عذارى : **مصدر سابق** ،ج4 ، ص84 ؛ المراكشي : **نفس المصدر** ، ص262 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص180 ؛ ابن خلّكان : **مصدر سابق** ،ج5 ، ص53 ؛ مجهول: **الحلل الموشية**، ص117.

(5) ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص472 .

(6) لقد إختلف المؤرخون في تحديد تاريخ وفاة ابن تومرت بالضّبط، حيث يذكر البيذق، أنّه يوم الأربعاء وقيل: الخميس 25 رمضان من عام 524ه/1131م. انظر، البيذق: **أخبار المهدي** ، ص62، بينما يحدده ابن القطّان بيوم الخميس 14 رمضان 524ه/1131م. انظر، ابن القطّان: **نفس المصدر** ، ص167؛ أمّا ابن أبي زرع فيحدده بيوم الخميس 25 رمضان 524ه/1131م، أو يوم الأربعاء 13 رمضان. انظر=

رمضان 524ه/الموافق ل 19 أوت 1130م[1].

كما أشارت بعض المصادر إلى أنّ هذه الوفاة، أُخفيت عن الأتباع [2]و لم تُعلن عند حدوثها ؛ بل بقيت سرّاً [3] إلى أن بايع الموحدون خليفته عبد المؤمن بن علي البّيعة العامّة[4]، وهذا حرصا منهم للمحافظة على وحدة صفّ الموحدين وإجتماعهم على رجل واحد ، وحتى لا يستغلّ المشككون في حقيقة هذه الدّعوة الظّرف[5] وبذلك يقضى على الدّولة الموحديّة وهي ما زالت في مهدها .

III) مرحلة تأسيس الدّولة :

لم يكن من السّهل على أي شخص تحمل أعباء دولة جديدة بعد وفاة مؤسّسها الرّوحي المهدي ابن تومرت، قبل أن يُكمل بناءها ، إلاّ أن الرّجل الثّاني في هذه الدّولة كان قد أعدّه ابن تومرت لهذه المهمّة الصّعبة منذ أن إلتقى به في ملالة ، فأُوكلت له الخلافة ، حيث إتّخذ ابن تومرت قراراً بشأن من يخلفه قبل وفاته[6] ووافقه على ذلك المقرّبون منه [7]. إلاّ أنّهم لم يعلنوا ذلك، إلاّ بعد أن تأكّدوا من عدم وجود معارضة شديدة لهذا القرار .

= ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب** ، 180؛ أمّا صاحب الحلل الموشية فيحدده بيوم الإثنين 14 رمضان 524ه/111م. انظر، مجهول: **الحلل الموشية**، ص117، بينما السّلاوي يقول: أنّه كان يوم13 رمضان 524ه/1131م. انظر، **السّلاوي: مصدر سابق** ،ج2 ، ص87.

(1) رشيد بورويبة : **مرجع سابق** ، ص88 .

(2) ذكر البيذق خمسة أشخاص كانوا يلازمون ابن تومرت عند مرضه الشّديد وهم : عبد المؤمن بن علي ، وأبو إبراهيم وعمر أصناج ووسنار وأخته أمّ عبد العزيز بن عيسى. انظر، البيذق : **أخبار المهدي** ، ص62 .

(3) حدّد بعض المؤرخين المدّة التي أُخفيت فيها وفاة ابن تومرت بحوالي بثلاث سنوات. انظر، ابن خلدون : **العبر** ،ج6 ، ص472 ؛ البيذق : **أخبار المهدي**، ص 63 ؛ ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب** ، ص184 .بينما يحدد ابن القطّان تاريخ الإعلان عن الوفاة سنة 529ه/1134م. ابن القطّان: **مصدر سابق** ، ص204 ؛ ويؤكده ابن عذارى : **مصدر سابق** ، ج1 ، ص312 .

(4) هناك البّيعة الخاصّة وتسمّى بيعة السِّر الّتي قام بها المقربون من المهدي ابن تومرت، الّذين أوصاهم عند مرضه الشّديد قبل موته والّتي كانت سنة 524ه/1130م، وهناك البّيعة العامّة الّتي أدَّاها باقي الأتباع سنة 529ه/1134م . انظر، ابن القطّان : **نفس المصدر** ، ص170 - 204.

(5) ابن خلدون : **العبر** ،ج6 ، ص 472 ؛ رشيد بورويبة : **مرجع سابق** ، ص89 .

(6) ابن القطّان : **مصدر سابق** ، ص171 ؛ المراكشي : **مصدر سابق** ، ص262 .

(7) ابن القطّان : **نفس المصدر** ، ص171 ؛ المراكشي : **نفس المصدر** ، ص262 ؛ مجهول : **الحلل الموشية** ، ص142.

1)عبد المؤمن وتوطيد الحكم :

خلف ابن تومرت أحد طلبته المقرّبين منه كثيرا وأحبّهم إليه عبد المؤمن بن علي ، رغم أنّه لا ينتمي إلى أي قبيلة من قبائل مصمودة، وقد يكون ذلك سبباّ داعماّ لقبوله، حتى لاتتقاتل قبائل مصمودة على خلافة ابن تومرت[1] ، كما أنّه يتصف بصفات القيادة، ممّا يؤهله لقيادة الدّولة الفتيّة [2]وإخماد الفتن الّتي قد تطال الموحدين. وكانت مهمّته الأولى والصّعبة هي القضاء على دولة المرابطين [3]، وخاصة أنّه قد فشل في محاولته الأولى سنة 524ه/1130م ولذلك كان عليه إعداد جيش قوي، وتوثيق الرّوابط مع القبائل المجاورة وحشْد جموعهم[4].

بادر عبد المؤمن منذ مبايعته إلى مواصلة قتال المرابطين وحلفائهم [5]، وقد أخذ منه ذلك وقتا طويلا إلى سنة534ه/1140م، لكنّها في معظمها لم تكن ترقى إلى مستوى المعارك الكبرى؛ بل كانت حروب قبْلية تشبه حرب العصابات [6]، إلى أن إستولى على منطقة جبال الأطلس ، ثمّ أعدّ جيشا كبيرا وإنطلق لغزوة ضخمة ومهمّة، إستمرّت سبع سنوات من 534ه/1140م الى 541ه/1146م، جاب فيها مختلف

---

(1) ابن خلدون : **العبر** ،ج6 ، ص472 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص184 .

(2) ذكر المؤرخون عدّة صفات، كان يتميز بها عبد المؤمن، منها فصاحة اللّسان، جزالة المنطق ، عالما بالجدل ، نافذ الرّأي، ذو حزم وسياسة وشجاعة وإقدام في الحروب ، رزيناً، وقوراً ، عَلية الهمَّة، خليقاً للإمارة، كامل السّؤدُد. انظر ، ابن القطّان : **مصدر سابق** ، ص171 وما بعدها؛ المراكشي: **مصدر سابق** ، ص266 ؛ ابن الأثير : **الكامل** ، ج8 ، ص298 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص203 ؛ الذّهبي : **سيّر أعلام النّبلاء** ، ج20 ، ص367 .

(3) صالح بن قربة : **عبد المؤمن بن علي مُوحد بلاد المغرب** ، ط1، المؤسسّة الوطنيّة للفنون المطبعيّة الجزائر 1405ه/ 1985م ، ص35.

(4) روجي لي تورنو: **حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثّاني عشر والثّالث عشر** ، ترجمة ، أمين الطّيبي، الدّار العربيّة للكتاب ليبيا ، 1982/1402م، ص62 .

(5) حول غزوات عبد المؤمن الّتي خاضها بعد وفاة ابن تومرت. انظر ، البيذق : **أخبار المهدي** ، ص69 وما بعدها ؛ ابن القطّان : **نفس المصدر** ، ص223 وما بعدها .

(6) صالح بن قربة : **نفس المرجع** ،ص 35 .

المناطق المجاورة لمراكش ، حيث تمكّن من بسط نفوذه على هذه المناطق وإستمالة قبائلها[1]، وهذا بعد أن غيّر أسلوب وطريقة قتاله [2]ومن هذه المناطق الإستراتيجيّة منطقة وهران [3]سنة 539ه/1145م[4] وتلمسان سنة 539ه/1145م[5] ، وتلّقى هناك بيعة أهل سجلماسة في نفس السّنة [6]،كما فتح مدينة فاس سنة 540ه/ 1145م[7] وسلا[8]سنة540ه/1145م[9] وسبتة سنة541ه/1146م[10] ،

---

(1) حول توسعات عبد المؤمن في المغرب الأقصى. انظر ، البيذق : **أخبار المهدي** ، ص75 وما بعدها ؛ ابن عذارى المراكشي : **البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب (قسم الموحدين)** ، تحقيق، محمد إبراهيم الكتاني وأخرون ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، 1406ه/1985م ، ص15 وما بعدها ؛ ابن أبي زرع : **نفس المصدر** ، ص186 وما بعدها ؛ ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص473 وما بعدها .

(2) وضع عبد المؤمن إستراتيجيّة جديدة، تكمن في التّحرك بجيوشه في المناطق الوعرة والجبليّة ، ممّا يصعب على المرابطين القضاء عليه وعزل العاصمة مراكش عن باقي المناطق التّابعة لها، مثل وهران وفاس ومكناس وسلا وسبتة وغيرها .حول الاستراتيجية العسكرية الجديدة. انظر ، روجيلي تورنو : **مرجع سابق** ، ص62 ــ 63 ؛ صالح بن قربة : **مرجع سابق** ، ص36 ــ 37 .

(3) وهران، مدينة بالمغرب على ساحل البحر ، بناها مجموعة من الأندلسيّين سنة 290ه/903م ، كثيرة البّساتين ، حصينة، بها مرسى كبير . انظر، البكري : **مصدر سابق** ، ص 70 ؛ الحميري : **مصدر سابق** ، ص612 ؛ الحموي : **معجم البلدان** ،ج5 ، ص385.

(4)ابن عذارى : **البيان المغرب (قسم الموحدين)** ، ص22 ؛ البيذق : **أخبار المهدي** ، ص88 ؛ الزّركشي : **مصدر سابق** ، ص8 ؛ بينما قيل: أنّ فتح وهران، كان في محرم سنة 540ه/ جويلة 1145. انظر، ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب**، ص188.

(5) ابن عذارى : **مصدر سابق (قسم الموحدين)** ، ص22 ؛ ابن الأثير : **الكامل** ، ج8 ، ص299 ؛ مجهول: **الحلل الموشية** ، ص 135.

(6) ابن خلدون : **العبر** ،ج6 ، ص478 ؛ مجهول: **مفاخر البربر** ، دراسة وتحقيق : عبد القادر بوباية ، ط2 ، دار أبي رقراق للطّباعة والنّشر الرّباط المغرب ،1429ه/ 2008م ، ص164 ؛ إبراهيم حركات : **المغرب عبر التاريخ** ، ط1، دار السُلّمي الدّار البيضاء المغرب ، 1384ه /1965م ،ج1 ، ص268 . لكن لم يدخلها عبد المؤمن إلاّ سنة543ه/1148م. انظر ، ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص190.

(7)البيذق : **أخبار المهدي** ، ص92 ؛ البيان المغرب : **مصدر سابق (قسم الموحدين)** ، ص24 ؛ ابن الأثير : **الكامل** ، ج8 ، ص300.

(8) سلا ، مدينة بأقصى المغرب، ليس بعدها معمورة ، قديمة، متوسطة ، أقيمت بها مدينة حديثة على ضفّة البحر . انظر، مجهول : **كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار** ، نشر وتعليق ، سعد زغلور عبد الحميد ، دار الشّؤون الثّقافيّة بغداد العراق 1406ه/ 1986م ، ص140؛ الإدريسي : **مصدر سابق** ، ص72 ؛ الحموي : **معجم البلدان** ، ج3 ، ص231 .

(9) ابن عذارى :**مصدر سابق (قسم الموحدين)**، ص25 ؛ ابن خلدون : **العبر** ،ج6 ، ص479 ؛ الزّركشي : **مصدر سابق** ، ص8 .

(10) ابن عذارى : **نفس المصدر (قسم الموحدين)**، ص24 ؛ ابن الأثير : **الكامل** ، ج8 ،ص300 ؛ ابن خلدون : **العبر** ،ج6 ، ص179.

وأغمات[1]وطنجة[2]541ه/1146م[3].ومكناسة[4]الّتي حاصرها الموحدون سنة 540ه/1145م و لم يتمّكنوا من فتحها إلاّ سن ة 543ه / 1148م[5]، وبذلك تمكن من عزل مراكش عن باقي المناطق بعد الإستلاء عليها وضمّها إليه، ثمّ إتّجه عبد المؤمن بعد ذلك إلى مراكش عاصمة المرابطين وحاصرها مدّة تسعة أشهر[6] وتمكّن من دخولها بعد معركة ضروس سنة 54ه/1146م[7] .

بعد أن دان لعبد المؤمن بن علي المغرب الأقصى ، أقام في مراكش مدّة من الزّمن، يُنظم شؤون الدّولة ويرتب هياكلها [8]، ويحشد إليه القبائل الّتي جاءت تعلن طاعتها له من العرب والبربر [9]،كما كانت في نفس الوقت تصل عبد المؤمن الوفود من الأندلس من أشياخ القبائل وزعمائها[10] ، الثّائرين على حكم

(1) أغمات ، مدينة بأرض المغرب بقرب وادي درعة وبينها وبين نفيس مرحلة ، وأغمات مدينتان، إحداهما تسمّى وريكة والأخرى أغمات هيلان وبينهما نحو ثمانية أميال . انظر ، مجهول: **الإستبصار،** ص207 ؛ الحميري : **مصدر سابق** ، ص46 ؛ الحموي : **معجم البلدان** ، ج1، ص225.

(2) طنجة ، مدينة بالمغرب قديمة على ساحل البحر ، مقابل الجزيرة الخضراء ، فيها آثار كثيرة وقصور وبينها وبين سبتة ثلاثين ميلا في البّر ، وتعرف بالبربرية (وليلي) . انظر، مجهول: **الإستبصار،** ص138 ؛الحميري : **مصدر سابق** ، ص395 ؛ الحموي : **معجم البلدان** ، ج4 ، ص43 .

(3) ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص189 ؛ ابن عذارى : **نفس المصدر (قسم الموحدين**)، ص26 .

(4) مكناسة ، وهي المسمّاة تاقرارت ، مدينة بالمغرب في بلاد البربر على البّر ، وهي مدينتان صغيرتان ، بها أكثر شجر الزّيتون ، حصينة ومكينة عليها سور كبير وأبراج عظيمة . انظر، الإدريسي : **مصدر سابق** ، ج2، ص244 ؛ الحموي : **معجم البلدان** ، ج5 ،ص181.

(5) ابن غازي محمد بن أحمد بن محمد : **الرّوض الهتون في أخبار مكناسة الزّيتون** ، ط1 ، مطبعة الأمنيّة الرّباط ،1371ه/1952م ، ص ص7 ، 10؛ ابن عذارى : **مصدر سابق (قسم الموحدين)** ، ص24 ؛ ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ،ص478 ؛ ابن أبي زرع :**الأنيس المطرب،** ص191.

(6) ابن عذارى : **نفس المصدر (قسم الموحدين**) ص27 ؛ الزّركشي : **مصدر سابق** ، ص8 .

(7) البيذق : **أخبار المهدي** ، ص93 وما بعدها ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص189 ؛ المراكشي : **مصدر سابق** ، ص272 ؛ ابن عذارى : **مصدر سابق(قسم الموحدين)** ، ص27 ؛ ابن الأثير : **الكامل** ، ج8 ،ص300 ؛ ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ،ص479؛ بينما يذكر بعض المؤرخين، أنّ الموحدين دخلوا مراكش سنة 542ه/1147م . انظر، ابن خلّكان : **مصدر سابق** ، ج3 ،ص239 ؛ الذّهبي : **سيّر أعلام النّبلاء** ، ج20 ، ص370 . والرّاجح هو سنة 541ه/1146م .

(8) منها أنّ عبد المؤمن تسمّى بأمير المؤمنين سنة429ه/1038م . انظر ، السّلاوي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص98.

(9) ابن عذارى : **نفس المصدر (قسم الموحدين)** ، ص30 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص189 .

(10) وصل إلى عبد المؤمن عدّة وفود، تعلن ولاءها وطاعتها له قبل دخول الموحدين إلى مراكش ومنهم أمير البحر علي بن عيسى بن ميمون المنتزي على المرابطين في قادش سنة 540ه/1145م وأبو الغمر بن عزون زعيم شريش وأركش ورندة والقاضي بن حمدين زعيم قرطبة ومنهم أيضاً أبو بكر بن العربي وأبو بكر بن الجدّ وأبو بكر بن شجرة وأبو الحسن الزّهري . انظر، ابن عذارى : **نفس المصدر =**

المرابطين ،معلنين لطاعتهم[1]، إلاّ أنّ هذا الحكم الجديد لم يعرف الإستقرار في البداية ، حيث أنّ الروح القبليّة الكامنة في نفوس المغاربة حفزّها نصر المصامدة،فقامت بعدّة ثورات[2]،منها ثورة محمد بن عبد الله بن هود الماسي[3] بالسّوس، تلّقب بالهادي وجمع حوله خلق كثير ، ممّا أصبح يشكل خطرا على إستقرار الدّولة الفتيّة فأرسل إليه عبد المؤمن جيشا قوياً بقيادة أبو حفص عمر بن يحي الهنتاني[4]، فإستطاع أن يقضي عليه في شوال سنة 542ه/1148م[5]، وقد أغرى ذلك الخروج عن طاعة الموحدين بعض القبائل من دكالة[6]وبرغواطة [7] فثاروا ضدّهم [8]، إلاَّ أنّ هذه الحركة وغيرها أخمدت وتبدّدت أطماعهم وخلُص الأمر إلى عبد المؤمن بن علي سنة 543ه/1148م [9] .

= (**قسم الموحدين**)، ص27 ،ص33 ، 34 ؛ ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص485 ؛ مجهول : **الحلل الموشية** ، ص147 ؛ الزرّكشي : **مصدر سابق** ، ص8 ــ 9 ؛ السّلاوي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص105.

(1) ابن عذارى : **نفس المصدر** (**قسم الموحدين**) ، ص 33 .

(2) عزّ الدّين عمر موسى : **الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم** ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان ، ص43.

(3)محمد بن عبد الله بن هود السّلاوي الماسي، يسّميه البيذق، عمر بن الخياط ويلّقب ببويكندي ، ثائر مغربي، كان قصَّاراً على ضفة البّحر بسلا إدّعى الهداية وسمّى نفسه بالهادي ، إستقرّ برباط ماسة ، ناصره أهل سجلماسة ودرعة ، قتل في شوال سنة 542ه/1148م . انظر: البيذق: **أخبار المهدي** ، ص97 ؛ ابن عذارى : **نفس المصدر** (**قسم الموحدين**) ص30 ؛ **السّلاوي** : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص99

(4)أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاني ، جدّ ملوك الحفصيّين في إفريقيا ، يسّميه البيذق بآينْتي، ويسّميه المراكشي بعبد الواحد عمر بن ومزال ، أصله من هنتانة أكبر قبائل المصامدة ، إشتهر بموالاته للمهدي بن تومرت وخلفائه ، إشترك في أعمال حربية كثيرة ، فتح للموحدين كثير من بلاد الأندلس، منها رندة وإشبيليّة ، توفيّ في سلا، قادما من قرطبة سنة571ه/1175م . انظر،ابن عذارى : **نفس المصدر** (**قسم الموحدين**) ص32؛ البيذق : **أخبار المهدي** ، ص75 ؛ المراكشي : **مصدر سابق** ، ص262 ؛ محمد الباجي : **مصدر سابق** ، ص56 ؛ السّلاوي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص91 .

(5) البيذق : **أخبار المهدي** ، ص97 ؛ ابن عذارى : **مصدر سابق** (**قسم الموحدين**) ، ص30 ــ 31 ؛ ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص480 ؛ مجهول : **الحلل الموشية** ، ص146 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص190 .

(6) دكالة، بلد بالمغرب، يسكنه البربر . انظر، الحموي : **معجم البلدان** ،ج2، ص459 .

(7)برغواطة، من قبائل البربر، كان لهم في صدر الإسلام التّقدم وكانوا شعوبا كثيرة ، مواطنهم خصوصا من بين المصامدة في بسائط تامسنا وريف البّحر المحيط من سلا وأزمور وأسفي . انظر، ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ص 428.

(8) ابن عذارى : **نفس المصدر** (**قسم الموحدين**) ، ص37 ؛ ابن الأثير : **الكامل** ، ج8 ، ص301 ؛ النّويري : **مصدر سابق** ، ج24 ، ص164 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص190 ــ 191 .

(9) ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ،ص190 ــ 191.

2)ـــ التّوسعات في المغربين الأوسط والأدنى (إفريقيّة) :

بعد القضاء على المتمردين والثّائرين على الدّولة الموحديّة في المغرب الأقصى، قرّر عبد المؤمن الإتّجاه نحوالمغربين الأوسط والأدنى [1]، الّذين إستغاث به أهلهما المسلمون [2] ، والّذين كانا تحت تهديدات النّورمانديّين الّذين إحتلّوا المهديّة سنة543ه/1148م[3]وإختلاف الأمراء وتطاول العرب من بني هلال وسُلَيْم[4] بالفساد[5]، فكان عليه أن يقوم بواجب النّصرة وبسط النّفوذ ، فقام بتجهيز الجيش والإستعداد للتّحرك نحو المغرب الأوسط في سرّية محكمة، حتى أنه كان لايسمح لأحد أن يسأل عن ذلك [6]؛ بل يُقتل كلّ من سأل عن الإتّجاه الّذي يريده عبد المؤمن [7].

إنطلق عبد المؤمن بجيشه نحو المغرب الأوسط سنة546ه/1151م [8]، ودخل مدينة الجزائر[9]في نفس

(1) البيذق : **أخبار المهدي** ، ص105 . وهذا بعد أن إستشار كبار رجال دولته . انظر ، السّلاوي : **مصدر سابق** ،ج2 ، ص107.

(2) ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص490 ؛ عبد الحليم عويس : **دولة بنّي حمّاد صفحة رائعة من التّاريخ الجزائري** ، ط2 ، دار الصّحوة للنّشر والتّوزيع القاهرة ،1411/1991م ، ص193 .

(3)ابن الأثير : **مصدر سابق** ، ج9 ، ص19 ؛ مجهول: **الحلل الموشية** ، ص153 ؛ النّويري : **مصدر سابق** ،ج24 ، ص170 ؛ إبراهيم حركات :**مرجع سابق** ، ج1 ، ص270 ؛ عبد الحليم عويس: **مرجع سابق** ، ص201 .

(4)بنو هلال، هم القبائل الّتي إستقرّت في شمال إفريقيّة بالقرب من الأوراس قادمة من المشرق .انظر ، ابن خلدون : **العبر** ،ج6 ،ص48.

(5) ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص490 ؛ السّلاوي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص107 ؛ هويثي ميراندا أميروسيو : **التّاريخ السّياسي للأمبراطوريّة الموحديّة** ، ترجمة، عبد الواحد أكمير ، ط1 ، مطبعة النّجاح الجديدة الدّار البّيضاء المغرب ،1425ه/ 2004 م، ص151 ؛ عبد الله عنان : **مرجع سابق** ، ج3 ، ص280 ؛ إبراهيم حركات : **نفس المرجع** ، ج1 ، ص270؛ عبد الحليم عويس: **مرجع سابق** ، ص194 ؛ روبار برنشفيك : **تاريخ إفريقيّة في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م** ، ترجمة، حمّادي السّاحلي،ط1، دار الغرب الإسلامي لبنان1408ه/ 1988 م ، ج1 ،ص32 .

(6) البيذق : **أخبار المهدي** ، ص106 ؛ ابن عذارى : **مصدر سابق (قسم الموحدين)** ، ص45 ؛ ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص490 ؛ ابن الأثير : **الكامل** ، ج9 ، ص31 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص193 .

(7) ونادى مناديه في المحلّة :" أيّها النّاس ، من تكلّم منكم بكلام ما، معناه إلى أين هذا السّفر، فجزاؤه السّيف" . انظر، مجهول :**الحلل الموشية** ، ص149 ؛ البيذق : **أخبار المهدي** ، ص106 .

(8) ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص490 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ،ص192.

(9) الجزائر، مدينة عامرة بالمغرب الأوسط ، قديمة البنيان ، تقع على ضفّة البحر ، بين إفريقيّة والمغرب . أنظر، البكري : **مصدر سابق** ، ص66 ؛الحموي : **معجم البلدان** ،ج2 ، ص132.

السّنة صُلحاً[1]، ثمّ إتّجه نحو بجاية، الّتي كان يحكمها يحي بن العزيز بن المنصور [2] ، وتمكّن من دخولها سنة547ه/1152م[3] دون مقاومة شديدة.ساعده في ذلك ميمون بن علي بن حمدون وزير يحي[4].

فُتحت القلعة بعد مقاومة شديدة [5] ، وقد أحسن عبد المؤمن إلى أهل بجاية و لم يتعرّض لهم بسوء[6] وإستأمنّه بنو حمدون، فأمّنهم [7]، إلاّ أنّ الوضع لم يستتب لعبد المؤمن؛ بل ظهرت بعض المقاومة من العرب الّذين حاولوا إسترجاع بجاية والأراضي الّتي طُردوا منها [8]، وقد تمكّن الموحدون من القضاء عليها

---

(1) ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ،ص490 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص193 .

(2) يحي بن العزيز بن المنصور بن النّاصر بن علنّاس بن حمّاد الصُنهاجي ، تاسع ملوك الدّولة الحمّاديّة وآخرها ، تولّى الحكم سنة 515ه/1121م أخذه معه عبد المؤمن إلى مراكش وأكرمه إلى أن توفيّ سنة 558ه/1163م . انظر، ابن خلدون : **العبر** ،ج6 ، ص363 ؛ عبّاس بن إبراهيم السّملالي : **الإعلام بمن حلّ بمراكش وأغمات من الأعلام** ، تحقيق ، عبد الوهاب بن منصور ، ط2 ، المطبّعة الملكيّة الرّباط المغرب ،1413ه/1993م ، ج10، ص202 ؛ عادل نويهض : **معجم أعلام الجزائر** ، ط2 ، مؤسسة نويهض بيروت 1400ه/ 1980م، ص352.

(3) تمكنت قوّات الموحدين من دخول بجاية بسهولة بعدأن فتح ميمون بن علي بن حمدون البّاب لقوّات عبد المؤمن ، حيث دخلت مقدمة الجيوش بجاية قبل وصول عبد المؤمن بيومين ، وهرب يحي بن عبد العزيز إلى بونة ومنها إلى قسنطينة ، وقد أخذ معه أمواله وذخائره ولحق به الموحدون وحاصروا قسنطينة إلى أن طلب يحي الأمان من عبد المؤمن ودخل بذلك تحت طاعة الموحدين ، وعند عودة عبد المؤمن إلى مراكش، أخذه معه وأكرمه وقرّبه. انظر، ابن عذارى : **مصدر سابق** (**قسم الموحدين**) ، ص46 ؛ ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص363 ــ364 ؛ ابن الأثير : **الكامل** ، ج9 ، ص31 ؛ مجهول: **الحلل الموشية** ، ص147 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص193 ؛ ويقول التّيجاني "أنّ يحي بن العزيز كان يريد الذّهاب إلى بغداد، حيث الخلافة ، إلاّ أنّ أخاه في بونة عاتبه فإتّجه إلى قسنطينة ". انظر، التّيجاني عبد الله بن محمد : **رحلة التّيجاني** ، الدّار العربيّة للكتاب ليبيا تونس ، 1981م، ص344 ؛ السّلاوي : **مصدر سابق** ، ص108 .

(4) حول دور ميمون بن علي بن حمدون وزير صاحب بجاية في مساعدة الموحدين للدّخول إلى بجاية. انظر، ليفي بروفنسال: **مجموعة رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدّولة المؤمنيّة** ، المطبعة الإقتصاديّة رباط الفتح المغرب 1941م ، ص20 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص193 ؛ مجهول: **الحلل الموشية** ، ص149؛ عبد الحليم عويس : **مرجع سابق** ، ص201.

(5) لم يتمكّن الموحدون من دخول القلعة إلاّ بالقوة بقيادة عبد الله بن عبد المؤمن، فقتل فيها ما يناهز عشرين ألفا، حسب بعض الرّوايات . انظر : ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص491 ؛ السّلاوي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص108 ؛ هويثي ميراندا : **مرجع سابق** ، ص 152 ؛ إبراهيم حركات : **مرجع سابق** ، ص269 ؛ الهادي روجي إدريس : **الدّولة الصُنهاجيّة (تاريخ إفريقيّة في عهد بنّي زيري من القرن 10 إلى القرن 12**)، ترجمة ، حمّادي السّاحلي ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان 1412ه/ 1992م ، ج1 ، ص 430 ــ 431 .

(6) ابن الأثير : **الكامل** : ج9 ، ص31 ؛ الهادي روجي إدريس : **نفس المرجع** ، ج1، ص430.كما إهتمّ عبد المؤمن بمجموعة من التّجار والطلبة الّذين عيّن عددا منهم في مناصب مهمّة . انظر، ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص194 ؛ هويثي ميراندا : **مرجع سابق** ، ص152.

(7) ابن الأثير : **مصدر سابق** ، ج9 ، ص31 ؛ ابن عذارى : **مصدر سابق (قسم الموحدين**) ، ص47 .

(8) لم يتمكّن الموحدون من بسط نفوذهم في المنطقة، إلاّ بعد أن تمّ لهم القضاء على المقاومة العنيفة الّتي رفعتها بعض القبائل العربيّة، مثل الأثبج ورياح وزغبة وغيرها في وجههم ، وقد نشبت معركة كبيرة في منطقة سطيف، دامت ثلاثا ، قاد فيها عبد المؤمن وابنه عبد الله=

بعد قتال إستمّر لثلاث سنوات[1].

قفل بعد ذلك عبد المؤمن عائدا إلى مراكش، مزهوّا بالنّصر و محمّلا بالغنائم، بعد أن ترك ابنه عبد الله والّيا على بجاية [2]، الّذي واصل توسعاته في شرق بجاية، حيث فتح مدينة بونة [3]الّتي إستولى عليها سنة 551ه/1156م [4].

وما أن إستقرّ الأمر لعبد المؤمن في المغرب الأقصى ، حتى توجّه مرّة ثانية نحو المغرب الأدنى لطرد النّورمانديّين من المهديّة وتونس ، وذلك في سنة 554ه/1159م [5] وتمكّن من فتح كلّ من سوسة[6]

=الموحدين ، وقد هزم فيها العرب شرّ هزيمة، فلجأوا إلى الإستسلام والدّخول تحت طاعة الموحدين سنة 548ه/1153م . انظر، البيذق : **أخبار المهدي** ، ص107 ــ108 ؛ ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص491 ؛ السّلاوي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص108 ؛ هويثي ميراندا : **نفس المرجع** ، ص153 ؛ مصطفى أبوضيف : **القبائل العربيّة في المغرب في عصر الموحدين وبنّي مرين** ، ديوان المطبوعات الجامعيّة الجزائر1402ه/ 1981م ،ص71 ــ 72 .

(1) البيذق : **أخبار المهدي** ، ص107 ــ 108 ؛ ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص491 ؛ ابن الأثير : **مصدر سابق** ،ج9 ، ص31 ؛ ليفي بروفنسال: **مجموع رسائل موحديّة** ، ص29 ــ 34 .

(2) البيذق : **أخبار المهدي** ،ص108 ؛ المراكشي: **مصدر سابق** ، ص275 ؛ ابن صاحب الصّلاة : **المصدر السابق**، ص174؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص194.

(3) بونة، مدينة بإفريقيّة بين مرسى الخرز وجزيرة بنّي مزغناي ، وهي مدينة حصينة على البّحر . انظر، الإدريسي : **مصدر سابق** ، ج1، ص291 الحموي : **معجم البلدان** ، ج1 ، ص512.

(4) مجهول : **الحلل الموشية** ، ص154 ؛ عبد الله عنان : **مرجع سابق** ، ج1 ، ص293 .

(5)التّيجاني : **مصدر سابق** ، ص345 ؛ ابن عذارى : **مصدر سابق (قسم الموحدين)** ، ص62 ؛ الزّركشي : **مصدر سابق** ، ص11 ؛ السّلاوي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص121 . بينما يحدد المراكشي تاريخ توجه عبد المؤمن إلى المهديّة وتونس بسنة 553ه/1158م . انظر، المراكشي: **نفس المصدر**، ص298. ويبدو أنّ عبد المؤمن تحرّك من مراكش في أواخر سنة 553ه/1158م حسبما ذكر ذلك كلّ من المراكشي وابن عذارى نحو رباط الفتح، حيث رتبّ أمور الدّولة وإعلان النّفير ، ثمّ توجّه بعدها نحو إفريقيّة في بداية سنة 554ه/1159م. انظر، ابن عذارى : **نفس المصدر (قسم الموحدين)** ، ص64 .

(6) سوسة ، مدينة صغيرة على ساحل البّحر من بلاد إفريقيّة . الحميري : **مصدر سابق** ، ص331 ؛ الحموي : **معجم البلدان** ،ج3 ، ص281.

وقفصة[1] والقيروان[2] وصفاقص[3] وقابس[4] وغيرها من المدن وإسترجاعها إلى المسلمين ، وضمّ إفريقيّة إلى حكمه سنة 555ه/ 1160م [5]، كما يقول المراكشي :"..وتمّ لعبد المؤمن مُلك إفريقيّة كلّها، منتظما إلى مملكة المغرب ، فملك في حياته من طرابلس المغرب إلى سوس الأقصى من بلاد المصامدة ..."[6]، وبذلك وضع كامل الشّمال الإفريقي تحت راية وسلطة الموحدين[7] وبالتّالي، فإنّه لأوّل مرّة في تاريخ المغرب الإسلامي توّحد تلك البلاد على يد البربر [8].

3) ـــ إخضاع الأندلس للحكم الموحدي:

بعد أن قضى على كلّ الفتن والثّائرين، فكّر في إخضاع الأندلس لحكمه، حيث كانت الدّولة المرابطيّة تحتفظ ببقية من سلطانها، فيقضي بذلك على بقايا المرابطين هناك ، ويسترجع المناطق الّتي أخذها النّصارى من المسلمين في فترة ضعفهم وتناحرهم ، ويقضي على الفتن ويوّحد الغرب الإسلامي تحت راية الموحدين وكان أوّل المتصلين بعبد المؤمن من أهل الأندلس أمير البحر علي بن عيسى بن ميمون[9] المنتزي

---

(1) قفصة ، بلدة صغيرة في طرف إفريقيّة من ناحية المغرب ، بها بساتين ومياه . انظر، الحموي : **معجم البلدان** ،ج4 ، ص 382.

(2) القيروان ، مدينة عظيمة بإفريقيّة وهي قاعدة البلاد الإفريقيّة ، تعرّضت للفتن والتّخريب. انظر، الحميري : **مصدر سابق** ،ص486 ؛ الحموي: **معجم البلدان** ، ج4، ص420 .

(3) سَفاقُس، مدينة بإفريقيّة بها رابطات على السّاحل وبها أسواق وحمّامات كثيرة، جلّ غلاّتها الزّيتون . انظر، الحميري : **مصدر سابق** ، ص365؛ الحموي : **معجم البلدان** ،ج3 ، ص223 .

(4) قابس ، مدينة من بلاد إفريقيّة ، وهي مدينة كبيرة قديمة بحريّة صحراويّة بها حمّامات وفنادق. انظر، الحميري : **مصدر سابق** ، ص450 .

(5) المراكشي : **مصدر سابق** ، ص300 ؛ ابن الأثير : **الكامل** ، ج9 ، ص62 ؛ ابن عذارى : **مصدر سابق (قسم الموحدين)** ، ص64؛ الزّركشي : **مصدر سابق** ، ص12 ؛ ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص494 ؛ التّيجاني : **مصدر سابق** ، ص349 . وقد سمّى عبد المؤمن هذا العام بسنة الأخماس، يعني 555ه/1161م . انظر ، ابن الأثير : **الكامل** ، ج9 ، ص64 ؛ السّلاوي : **مصدر سابق** ،ج2 ،ص124 ؛ النّويري : **مصدر سابق** ، ج24 ، ص173.

(6) المراكشي: **نفس المصدر** ، ص300.

(7) روبار برنشفيك : **مرجع سابق** ، ج1 ، ص32.

(8) روجي لي تورنو : **مرجع سابق** ، ص67.

(9) علي بن عيسى بن ميمون، يبدو أنه شخصية مهمة في تاريخ الموحدين.

على المرابطين، فيجزيرة قادس[1] سنة 540ه/1145م أثناء حصار مدينة فاس ، وقدّم له طاعته، ثمّ عاد إلى الأندلس، يدعو النّاس لطاعة الموحدين ، وخطب لهم في جامع قادس ،فكانت تلك الخطبة هي أول خطبة للموحدين في الأندلس[2]، فكان هذا الحدث من أهمّ الأحداث الّتي شجعت الموحدين للعبور إلى الأندلس .

كما أنّ إضطراب الأوضاع في الأندلس وظهور الثّورات الإنفصاليّة والإنتفاضات ضدّ الحكم المرابطي، شجع النّصارى وحلفائهم للإستيلاء على الثّغور في الأندلس[3].

ولوضع حدّ لهذه الأوضاع المترديّة، قرر عبد المؤمن الدّخول إلى الأندلس لنصرة إخوانه المسلمين، الّذين إستصرخوا به [4] ، فبادر مبكراً بإرسال جيوش إلى الأندلس، قدّرت بعشرة آلاف فارس سنة 540ه / 1145م[5]، بالرغم من أنّه كان في أدّق مرحلة له في المغرب أثناءحصاره لمراكش[6] ،كما وفد

---

(1) قادس جزيرة في غرب الأندلس عند طالقة، من مدن إشبيليّة، بها مزارع كثيرة ، طولها 12ميل، أي حوالي 20كم قريبة من البرّ ، يفصلها خليج صغير . انظر، الحميري : **مصدر سابق** ، ص448 ؛ الحموي : **معجم البلدان** ،ج4 ، ص290 .

(2) ابن عذارى : **مصدر سابق (قسم الموحدين)** ، ص34 ؛ ابن خلدون :**العبر** ، ج6 ، ص485 .

(3) يتحدّث المراكشي عن هذه الأوضاع وهو القريب منها بقوله " فأمّا أحوال جزيرة الأندلس فإنّه لّما كان آخر دولة أمير المسلمين علي بن يوسف إختلّت أحوالها إختلالاً مفرطا ، أوجب ذلك تخاذل المرابطين وتواكلهم وميلهم إلى الدّعة ، وإثارهم الرّاحة ،وطاعتهم النّساء ، فهانوا على أهل الجزيرة وقلّوا في أعينهم وإجترأ عليهم العدّو ، وإستولى النّصارى على كثير من الثّغور المجاورة لبلادهم ". انظر، المراكشي : **مصدر سابق** ، ص277.

(4) وصف ابن الخطيب الوضع بقوله : "ولّما إضطرب أمر لمتونة بالأندلس وضعفوا وكثرت الفتن والثّوّار ... تعلّقت آمال المسلمين بهم (يقصد الموحدين) واستصرخهم النّاس ، وثاروا بمن ببلادهم من المرابطين ، ... فأجابهم صاحب الدّعوة الأمير عبد المؤمن بن علي " . انظر، ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص265.

(5) وجّه عبد المؤمن أوّل جيش موحدي إلى الأندلس بقيادة أبي إسحاق براز بن محمد المسوفي ، وقد صحب هذا الجيش أحمد بن قسّي ، ثمّ تبعه جيش ثاني بقيادة موسى بن سعيد وثالث بقيادة عمر بن صالح الصُنهاجي . انظر، ابن عذارى : **مصدر سابق (قسم الموحدين)** ، ص35 ؛ ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص486 ؛ السّلاوي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص104 .

(6) عصمت عبد اللطيف دندش : **الأندلس في نهاية المرابطين** ، ص104 .

على عبد المؤمن العديد من زعماء الأندلس الثّائرين منهم، أبي الغمر بن عزوز، زعيم شريش[1]ورندة والقاضي ابن حمدين، زعيم قرطبة أثناء حصاره لمراكش معلنين طاعتهم له [2].

وقد واجهت جيوش عبد المؤمن مقاومة شديدة من أنصار المرابطين في الأندلس والثّائرين[3]، إلاّ أنّها إستطاعت أن تخضع العديد من المدن منها شريش، ثمّ لبلة[4]،ثمّ شلب[5]، ثمّ باجة [6]، ثمّ بطليوس[7]، ثمّ إشبيليّة وذلك سنة 541ه/1147م [8]، وبذلك فإنّ معظم مدن غرب الأندلس خضعت لطاعة الموحدين[9] ، كما تنازل يحي بن غانية[10]عن قرطبة وبيّاسة[11] وأُبدة[12] للموحدين

---

(1) شريش من كورة شذونة بالأندلس، قريبة من البحر، بها زرع كثير . انظر، الحميري : **مصدر سابق** ، ص 340.

(2) ابن عذارى : **نفس المصدر (قسم الموحدين)**، ص27 .

(3) أمثال يوسف بن أحمد البطروجي ويحي بن علي المسوفي (بن غانيّة) ويحي بن يغمور ولبيد بن عبد الله قائد شنترين ومحمد بن الحجام ..؛ ابن عذارى : **نفس المصدر (قسم الموحدين)** ص36 ؛ السّلاوي : **مصدر سابق** ، ج2 ،ص104 وما بعدها .

(4) لبلة ، مدينة بالأندلس حسنة متوسطة القدر، لها حصن منيع، تقع غرب قرطبة، تُعرف بالحمراء . انظر، الحميري : **مصدر سابق** ، ص 507 ؛ الحموي : **معجم البلدان** ،ج5 ،ص10 .

(5) شِلْبُ ، مدينة تقع في غرب الأندلس ، وهي حسنة الهيئة، بديعة البناء، مرتبة الأسواق . انظر، الحميري : **مصدر سابق** ، ص442 ؛ الحموي : **معجم البلدان** ، ج3 ، ص357 .

(6) باجة ، من أقدم مدن الأندلس ومعناها الصلح في كلام العجم، بينها وبين قرطبة 100فرسخ، أي حوالي 483كم ، لها معاقل موصوفة بالحصانة والمنعة. انظر، الحميري : **مصدر سابق** ،ص75 .

(7) بطليوس ، مدينة كبيرة بالأندلس، من أعمال ماردة على نهر آنة غربي قرطبة . انظر، الحميري : **مصدر سابق** ، ص93 ؛ الحموي : **معجم البلدان** ، ج1 ، ص447 .

(8)ابن عذارى : **مصدر سابق (قسم الموحدين)** ص35 ؛ ابن الآبار : **الحلة السيراء** ،ج2 ، ص199 ؛ ابن خلدون : **العبر** ،ج6 ، ص486 ؛ يوسف إشباخ : **مرجع سابق** ، ص232 ؛ إبراهيم حركات : **مرجع سابق** ، ص272 .

(9)ابن عذارى : **نفس المصدر (قسم الموحدين)** ص40 ؛ دندش عبد اللّطيف : **الأندلس في نهاية المرابطين** ، ص 119 .

(10) يحي بن علي بن يوسف المسوفي، المعروف بابن غانيّة، ولد بقرطبة وشبّ في بلاط المرابطين بمراكش، أوّل من وليّ الأندلس من بني غانيّة وغانيّة أمّه من قريبات يوسف بن تاشفين ، كان رجلا صالحا، عارفا بالفقه، واسع الرّواية للحديث الشّريف ، شجاعا، فارسا ، توفيّ بغرناطة سنة 543ه /1148م . انظر، المراكشي : **مصدر سابق** ، ص342 ؛ ألفرد بيل :**ابن غانيّة ، دائرة المعارف الإسلاميّة** ،ترجمة :أحمد الشنتناوي وآخرون ، دار المعرفة بيروت لبنان (د.ت)، مج1 ، ص246 .

(11) بياسة ، مدينة كبيرة بالأندلس في كورة جيان، على كدية من تراب ، ذات أسوار وأسواق مطلّة على النّهر الكبير المنحدر إلى قرطبة . انظر، الحميري : **مصدر سابق** ، ص121 ؛ انظر، الحموي : **معجم البلدان** ،ج1 ،ص 518 .

(12) أُبَدَة ، مدينة بالأندلس ، بينها وبين بياسة سبعة أميال، أي حوالي 8كم ، وهي مدينة صغيرة على مقربة من النّهر الكبير . انظر، الحميري : **مصدر سابق** ، ص6 .

سنة 543ه/1148[1] لكنّ سرعان ما نكثت بعض مدن الأندلس طاعة الموحدين[2]ممّا إضطّر عبد المؤمن بن علي إلى إرسال المدد بقيادة يوسف بن سليمان[3] الّذي تمكّن من إعادة المناطق إلى الموحدين وإخماد التّمرد [4]، وما إن حلّت سنة545ه/1160م حتى تمكّن الموحدون من أخذ البّيعة والطاعة من الّذين إستقلّوا بمدنهم من الثّائرين [5] إلاّ أنّ شرق الأندلس بقيّ معظمه تحت سيطرة بن مردنيش محمد بن سعيد إلى أن تمكّن الموحدون من فتح ألمرية[6] سنة 552ه/1157 م [7]والقضاء على قوّات النّصارى وحلفائهم وإسترجاع قاعدتها البّحريّة الشّهيرة الحصينة [8]، وقبلها دخل الموحدون مدينة غرناطة سنة 551ه/1156م [9].

ولإستتباب الأمن والإطمئنان على الأندلس وأهلها المسلمين حضر عبد المؤمن بنفسه إلى الأندلس سنة

---

(1)ابن عذارى : **نفس المصدر** (**قسم الموحدين**) ص40؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص191 ؛ ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص488 ؛ إبراهيم حركات : **مرجع سابق** ، ص273 ؛ صالح بن قربة : **مرجع سابق** ، ص46 .

(2) مثل لبلة وشلب وجزيرة قادس وبطليوس .انظر ، ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص487 .

(3) يوسف بن سليمان ، من أهل تنملل، كان من أصحاب المهدي المقرّبين ، وهو من أهل الخمسين . انظر، البيذق : **المقتبس** ، ص33 ؛ المراكشي : **نفس المصدر** ، ص261 ، ص421.

(4) يذكر ابن خلدون أنّ هذا التّمرد قام بسبب سوء تصرف أخوي المهدي ابن تومرت، عبد العزيز وعيسى بإشبيليّة مع سكانها وإنتشار الخبر بين سكان باقي المناطق من إستباحة الدّماء والأموال ... انظر ، ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص 487 .

(5) عبد الله عنان : **مرجع سابق** ، ج1 ، ص329 ؛ صالح بن قربة : **مرجع سابق** ، ص46 .

(6) ألمرية ، مدينة عظيمة على ساحل البحر وهي محدثة، أحدثها العرب في الإسلام، كانوا يرابطون فيها ، وبنى سورها عبد الرحمن النّاصر لدين الله سنة ثلاثة وأربعين وثلاثمئة . انظر، الإدريسي : **مصدر سابق** ، ج 1، ص562 ــ 563 ؛ الحميري : **مصدر سابق** ، ص537 – 538 ؛ الحموي : **معجم البلدان** ، ج5 ، ص119 .

(7) ذكر أنّ المرية فتحها الموحدون سنة 546ه/1152م. انظر،ابن ابي زرع : **روض القرطاس**، ص193. والأصّح حسب الكثير من المؤرخين هو سنة 552ه/1158م . انظر ، المراكشي : **مصدر سابق** ، ص293 ؛ ابن عذارى : **مصدر سابق** (**قسم الموحدين**)، ص56 .

(8) ابن عذارى : **نفس المصدر** (**قسم الموحدين**) ص56 ؛ ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص 492 ؛ دندش عبد اللّطيف : **الأندلس في نهاية المرابطين**، ص118 ؛ السّيد عبد العزيز سالم : **تاريخ مدينة ألمرية الإسلاميّة قاعدة أسطول الأندلس** ، الإسكندريّة مصر1404ه/ 1984م، ص79 .

(9)ابن عذارى: **نفس المصدر** (**قسم الموحدين**) ص55 ؛ ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ،ص496 ؛ ابن أبي زرع :**الأنيس المطرب** ، ص196.

555ه/1160م وإستقرّ بجبل طارق وأطلق عليه إسم جبل الفتح[1] ، كما أمر ببناء مدينة به، تكون قاعدة تنطلق منها جيوش الدّولة الموحديّة وتستريح فيها [2].

وفي جبل طارق جاءته الوفود من كلّ مكان، تعلن طاعتها له[3] ، وقد مكث عبد المؤمن هناك قرابة شهرين، يًنظم شؤون الأندلس وينظر في مطالب أهلها ويستمع إلى قضاتها و علمائها وشعرائها وولاّتها [4]، ثمّ غادرها عائدا إلى مراكش في مستهل 556ه/1161 م [5].

وفي سنة 558ه/1163 م إستنفر عبد المؤمن النّاس لجهاد الرّوم في الأندلس[6]والقضاء على بقايا المتمردين وإستقرّ في مدينة سلا[7]، وجهزّ جيشا ضخما، قاصدا به الأندلس[8]، لكن سرعان ما أصيب بمرض[9] أدّى به إلى الوفاة في 10جمادي الثّانيّة 558 ه/15ماي 1163م [10]، وكان قد أوصى بالخلافة من بعده

(1) المراكشي : **اصدر سابق** ، ص282 ؛ ابن صاحب الصّلاة : **مصدر سابق** ، ص147 ـــ 150 ؛ ابن عذارى : **نفس المصدر (قسم الموحدين)** ص69 ؛ ابن الخطيب : **أعمال الأعلام** ، ج2 ، ص256 ؛ مجهول : **الحلل الموشية** ، ص155 .

(2) ليفي بروفنصال:**مجموع رسائل موحديّة** ، ص97 ـــ 98 ؛ ابن صاحب الصّلاة : **مصدر سابق** ، ص137 وما بعدها ؛ ابن عذارى : **نفس المصدر (قسم الموحدين)**، ص66 .

(3) لقد قدّم لنا ابن صاحب الصّلاة وصفا إضافيا عن الحفل الّذي أقيم في جبل الفتح . انظر ، إن صاحب الصّلاة : **مصدر سابق** ، ص147 وما بعدها .

(4)ابن عذارى: **مصدر سابق(قسم الموحدين)** ص70 ؛ مجهول :**الحلل الموشية** ، ص155 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص200.

(5) المراكشي : **مصدر سابق** ، ص293 ؛ مجهول : **الحلل الموشية** ، ص155 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص200.

(6) ابن صاحب الصّلاة : **مصدر سابق** ، ص217 وما بعدها ؛ المراكشي : **مصدر سابق** ، ص306 ؛ ابن عذارى : **مصدر سابق (قسم الموحدين)** ص79 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص202 ؛ الذّهبي : **سيّر أعلام النّبلاء** ، ج20 ،ص375 ؛ حسن إبراهيم حسن : **مرجع سابق** ، ج4، ص221.

(7) سلا ، مدينة بأقصى المغرب قديمة، فيها آثار الأوائل ، وبها أسواق وتجارة ، منيعة من جهة الّبحر . الحميري :**مصدر سابق** ، ص319 ؛ الحموي : **معجم البلدان** ، ج3 ، ص217 . الإدريسي: **مصدر سابق** ، ج1 ، ص242.

(8)ابن صاحب الصّلاة : **نفس المصدر** ، ص218 ؛ المراكشي : **نفس المصدر** ،ص306 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص202.

(9) حول مرض عبد المؤمن بن علي، مرض الوفاة ، انظر ، ابن صاحب الصّلاة : **نفس المصدر** ، ص221 ؛ ابن عذارى : **نفس المصدر (قسم الموحدين)** ص79 ؛ ابن الأثير : **مصدر سابق** ، ج9 ، ص81 ـــ 82.

(10)ابن صاحب الصّلاة : **نفس المصدر** ، ص221 ـــ 222 ؛ المراكشي : **نفس المصدر** ، ص306 ؛ ابن الأثير : **الكامل** ، ج9 ، ص82 ؛ ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، 496 ؛ الزّركشي : **مصدر سابق** ، ص13 ؛ الذّهبي : **سيّر أعلام النّبلاء** ، ج20 ، ص375 .

لابنه يوسف أبي يعقوب وبايعه النّاس[1].

4) خلفاء عبد المؤمن :

واصل يوسف بن عبد المؤمن[2]سعي أبيه في إستتّباب الأمن والإستقرار في الدّولة الموحديّة وهذا بفضل حنكته الدّبلوماسيّة وقوّته ، حيث تمكّن من تذليل الصّعاب[3]وتوحيد المغرب والأندلس تحت راية الموحدين إذ تمكّن من إخضاع الأندلس لحكمه سنة567ه/1172م [4]بعد وفاة ابن مردنيش[5]وبذلك أكمل ما كان ينوي والده عبد المؤمن القيّام به [6] .

كما قام بنقل مقرّ الحكومة الموحديّة بالأندلس إلى إشبيليّة، حيث يشرف الحاكم العام على الولايات المختلفة ، وإليها تصل الأوامر والمراسيم من الخليفة ، كما كانت مركزا لتجمع الجيوش الموحديّة للإنطلاق نحو الفتوحات والقضاء على التّمردات[7] .

لقد إستطاع ابناء عبد المؤمن أن يحافظوا على قوّة الدّولة الموحديّة ، حيث أعتبرت مرحلة حكم أبي

---

(1) البيذق : **أخبار المهدي** ، ص118 ـــ 119 ؛ ابن صاحب الصّلاة : **نفس المصدر** ، ص 222 ؛ ابن عذارى : **نفس المصدر (قسم الموحدين)** ص79، ابن الخطيب : **أعمال الأعلام** ، ص269 .

(2) يوسف بن عبد المؤمن، يكنّى بأبي يعقوب، ولد سنة 535ه/1138م في تينملل، كان حازما، شجاعا، عارفا بالسّياسة، له علم وفقه ، كثير الميل إلى الحكمة والفلسفة ، توفيّ متأثرا بجروح، أصيب بها في معركة شنترين سنة 580ه/1184م. انظري، المراكشي : **نفس المصدر** ، ص308 وما بعدها ؛ ابن خلّكان : **مصدر سابق** ، ج7 ،ص130 وما بعدها ؛ الذّهبي : **سيّر أعلام النّبلاء** ، ج21 ، ص98 ؛ ابن أبي زرع :**الأنيس المطرب** ، ص205 وما بعدها ؛ ابن الخطيب : **أعمال الأعلام** ، ص269 ؛ مجهول: **الحلل الموشية** ، ص157 .

(3) روجي لي تورنو : **مرجع سابق** ، ص80 .

(4) يقول المراكشي : " ولم يزل أمير المؤمنين مقيما بالأندلس بقية سنة سبع، وثمان ، وتسع ، إلى أن رجع إلى مراكش في آخر سنة 569ه وقد ملك الجزيرة بأسرها ودانت له بجملتها ولم يخرج عن طاعته شيء منها " . انظر، المراكشي : **مصدر سابق** ، ص324.

(5) ابن عذارى : **نفس المصدر(قسم الموحدين)** ص122 ؛ ابن صاحب الصّلاة : **نفس المصدر** ، ص472 ؛ المراكشي : **نفس المصدر** ، ص322 ـــ 323 ؛ ابن الخطيب : **أعمال الأعلام** ، ص271 .

(6) حول إستعدادات عبد المؤمن لقتال النّصارى في الأندلس. انظر ، ابن صاحب الصّلاة : **نفس المصدر** ، ص213 ـــ 214 .

(7) يوسف علي بن إبراهيم العريني : **الحياة العلميّة في الأندلس في عصر الموحدين** ، ط1 ، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز 1416ه / 1995م ، ص7 .

يعقوب يوسف وابنه المنصور من أقوى الفترات الّتي عرفتها الدّولة من حيث التّوسع[1].والقوّة والإنجازات[2] توفيّ يوسف بن عبد المؤمن سنة 580ه/1184م [3]، متأثرا بجروح، أصيب بها في إحدى المعارك بمدينة شنترين[4].

جاء بعده ابنه يعقوب المنصور[5]الّذي أكمل إنجازات أبيه وجدّه، حيث قضى على بعض المتمّردين مثل بنو غانيّة علي بن إسحاق [6]، الّذي إستولى على بجاية سنة 581ه/1186 م، مستغلا إنشغال الموحدين ببيعة يعقوب المنصور[7]، كما قام يعقوب المنصور بتوجيه ضربة قاسية موجعة للنّصارى في الأندلس في معركة الأرك[8] سنة591ه/1191م ،

---

(1) في عصر الخلفاء الأربعة الأوّل بلغت الدّولة الموحديّة أقصى إتّساعها من طرابلس شرقا إلى المحيط غربا ومن الصحراء الإفريقيّة جنوبا إلى جبال الشّارات بالأندلس شمالا . انظر: دندش عبد اللّطيف : **الأندلس في نهاية المرابطين** ، ص48.

(2)المراكشي : **مصدر سابق** ، ص332 ، ص334 ؛ الزرّكشي : **مصدر سابق** ، ص14 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص215 ؛ ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ص504 ؛ شرقي نوارة : **الحياة الاجتماعيّة في الغرب الإسلامي في عهد الموحدين** ، مذكرة لنّيل شهادة الماجستير في التّاريخ الإسلامي الوسيط ، غير منشورة ، تحت إشراف ، عبد العزيز محمود لعرج ، كلية العلوم الإنسانيّة والاجتماعية ، قسم التّاريخ ، جامعة الجزائر2، 2007- 2008 ، ص24.

(3) البيذق : **أخبار المهدي** ، ص 134 ؛ المراكشي : **نفس المصدر** ، ص332 ، ص334 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص215 ؛ الزّركشي : **مصدر سابق** ، ص14 ؛ ابن عذارى : **نفس المصدر (قسم الموحدين)** ص164 ؛ ابن خلّكان : **مصدر سابق** ، ج7 ، ص136؛ ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص504 .

(4) شنترين ، مدينة في غرب الأندلس على جبل عال، تطلّ على نهر تاجة ، بها بساتين كثيرة وهي حصينة . انظر، الحميري : **مصدر سابق** ، ص346 ؛ الحموي : **معجم البلدان** ، ج3 ، ص367 .

(5) يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي الموحدي ، ولد بمراكش سنة 554ه/1160م ، بويع له بعد وفاة والده سنة 580ه/1184م ، عرف علمه وشجاعته وذكائه ، من أهّم أعماله إنتصاره في موقعة الارك سنة591ه/1191م ، توفيّ سنة 595ه/1199م انظر، ابن خلّكان : **مصدر سابق** ، ج7 ، ص3 ؛ الصّفدي : **مصدر سابق** ،ج29 ، ص5 ؛ الذّهبي : **سيّر أعلام النّبلاء** ،ج21، ص311 وما بعدها ؛ سبط ابن الجوزي يوسف بن قزأولي : **مرآة الزّمان في تاريخ الأعيان** ، حيدر أباد باكستان1370ه/1951م ،ج8، ص464 وما بعدها.

(6) علي بن إسحاق بن محمد بن غانية أمير جزائر الباليار ميروقة ، نزل بجاية سنة 581ه ، وجعل الدّعاء علّة المنابر لبنّي العبّاس ، توفيّ سنة 585ه/1189م . انظر، المراكشي : **مصدر سابق** ، ص 345 ؛ الحميري : **مصدر سابق** ، ص568 .

(7) المراكشي : **نفس المصدر** ، ص 345 ، ص347 ؛ إبراهيم حركات : **مرجع سابق** ، ص282.

(8) حول معركة الارك. انظر ، المراكشي : **مصدر سابق** ، ص358 ــ 359 ؛ ابن عذارى : **مصدر سابق(قسم الموحدين)** ص218 ــ 221 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص220 وما بعدها ؛ أحمد بن محمد المقرّي التّلمساني : **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطي** ،=

أعتبرت كأختها الزّلاّقة [1] من أشهر أمجاد المسلمين في الأندلس[2] كما إستطاع ابنه الّذي جاء من بعده محمد النّاصر[3]أن يقضي نهائيا على بنو غانيّة [4] في إفريقيّة سنة 601 ه /1205م [5]، إلاّ أنّه تعرّض لأكبر هزيمة عرفتها الدّولة الموحديّة في الأندلس منذ نشأتها وذلك في معركة حصن العقاب سنة 609ه / 1213م[6]، فكانت تلك الهزيمة بداية تراجع حكم الموحدين في الأندلس.كما قضت على سلطانهم بها[7]

تحقيق، إحسان عبّاس ، دار صادر بيروت ،1388ه/1968م ،ج1 ص443 ؛ عبد الله عنان : **مرجع سابق** ،ج2 ، ص 197 وما بعدها؛ أحمد توفيق الطّيبي : **دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس** ، ط1، الدّار العربيّة للكتاب تونس1997م ،ج2، ص197وما بعدها.

(1) وهي المعركة الّتي وقعت بين النّصارى بقيادة الادفنش والمسلمين بقيادة يوسف بن تاشفين سنة 480ه/1088م بالقرب من بطليوس بالأندلس ،إنهزم فيها النّصارى شرّ هزيمة ، حول هذه المعركة. انظر ، المراكشي : **نفس المصدر** ، ص193 ــ 195 ؛ الحميري : **نفس المصدر** ، ص288 وما بعدها ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص145 وما بعدها .

(2)المراكشي : **مصدر سابق** ، ص 359 ؛ العريني : **مرجع سابق** ، ص10 .

(3) محمدبن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الكومي الموحدي، الملّقب بالنّاصر ، ولد سنة 576ه/1181م ، بويع له بالخلافة سنة595ه/1199م ،كان حليما، شجاعا، عفيفا عن الدماء ، توفيّ سنة 610ه/ 1213م . انظر، المراكشي : **نفس المصدر** ، ص386؛ الذّهبي : **دول الإسلام** ، تحقيق ، حسن إسماعيل مروة ، ط1 ، دار صادر بيروت لبنان1420ه/ 1999م ، ج2 ، ص177 ؛ الصّفدي : **مصدر سابق** ، ج5 ، ص148 ؛ ابن عماد : **مصدر سابق** ،ج 7 ، 80 .

(4)شكّلت أسرة بني غانيّة خطرا على إستقرار الدّولة الموحديّة؛ بل هدّدت وحدتها في الأندلس وإفريقيّة . انظر ، المراكشي : **نفس المصدر** ، ص 345، ص247 ؛ ابن عذارى : **مصدر سابق(قسم الموحدين)** ص240 ــ 243 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص232 ؛ ابن خلدون: **العبر** ، ج،6 ص506وما بعدها.

(5) المراكشي : **مصدر سابق** ، ص397 ؛ ابن عذارى : **مصدر سابق(قسم الموحدين)** ص 243 ــ 244 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص232 ؛ ابن أبي دينار:**مصدر سابق**، ص117 . عصام الدّين عبد الرؤوف الفقي : **تاريخ المغرب والأندلس** ، مكتبة نهضة الشّرق القاهرة 1406ه/ 1985م ، ص275 .

(6) حول معركة حصن العقاب . انظر ، المراكشي : **نفس المصدر** ، ص401 ــ 402 ؛ ابن عذارى : **نفس المصدر (قسم الموحدين)**، ص263 وما بعدها ؛ الحميري : **مصدر سابق** ، ص416 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص238 ــ 240 ؛ ابن أبي زرع : **الذخيرة السّنيّة في تاريخ الدّولة المرينيّة** ، ط1 ، دار المنصور الرّباط المغرب 1392ه/1972م ، ص 46 ؛ المقرّي : **مصدر سابق** ، ج4 ص383 ؛ عبد الله عنان : **مرجع سابق** ، ج2 ، ص308 وما بعدها ؛ عصام الدّين عبد الرّؤوف الفقي: **تاريخ المغرب والأندلس**، ط1، مكتبة نهضة الشّرق القاهرة 1405ه/ 1984م، ص 275 ــ 276 .

نجيب زبيب : **الموسوعة العامّة لتاريخ المغرب والأندلس** ، ط1 ، دار الأمير بيروت لبنان 1415ه/1995م ، ج2 ، ص403 .

(7)ابن عذارى : **نفس المصدر (قسم الموحدين)** ص 263 ؛ ابن الخطيب : **أعمال الأعلام** ، ص270 ؛ مونتغمري وات : **في تاريخ إسبانيا الإسلاميّة** ، ترجمة ، محمد رضا المصري ، ط2 ، شركة المطبوعات للتوزيع والنّشر بيروت لبنان 1410ه/ 1998 م ،ص 119 ؛ الفقي عبد الرّؤوف : **نفس المرجع** ، ص 275 ــ 276 .

IV) مرحلة التّراجع والسّقوط :

أعتبرت نتيجة حصن العقاب نذيرا مسبقا بانحلال وتراجع الدّولة الموحدّية وإنهيارها [1]حيث بعد وفاة محمد النّاصر سنة 610ه/1213م متأثراَ بهزيمته في الأندلس[2]جاء من بعده خلفاء، لم يستطيعوا الحفاظ على مُلك أجدادهم ؛ بل دخلت الدّولة الموحدّية في مرحلة جديدة، تميزت بالإنحلال و كثرة الصراعات الدّاخليّة المستمرة حول العرش[3]وتحولت عائلة عبد المؤمن بن علي إلى أحزاب وشِيع ضعيفة متصارعة فيما بينها ، كما إنقسمت القبائل الموحديّة حول تأييد هذا الفريق أوذاك ، فانهارت قوى الدّولة وتراجعت مواردها[4].

حاول يوسف المستنصر(610ه - 620ه/ 1213م - 1224م)[5]الّذي خلف والده محمد على الحكم أن يحافظ على وحدة الدّولة في ظلّ ظروف مضطربة وقد نجح في ذلك إلى حدٍّ ما [6]، حيث أنّ الدّولة الموحديّة كانت في هذه الفترة في أمّس الحاجة إلى قائد قوي، ذو خبرة بالسّياسة، يسترجع لها قوّتها

---

(1) المقرّي : **مصدر سابق** ، ج4 ، ص383 ؛ عبد الرحمان علي الحجي : **التّاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة** ، ط2 ، دار القلم دمشق بيروت 1402ه/1981م ، ص464 ؛ حسين مؤنس : **معالم تاريخ المغرب والأندلس** ، دار الرّشاد القاهرة 1425ه/ 2004 م، ص234 ، ص440 .

(2) تذكر بعض المصادر أنّ محمد النّاصر بعد معركة حصن العقاب لزم قصره في مراكش وإحتجب عن النّاس ، وإنغمس في لذّاته، فأقام فيها مصطبحا ومغتبقا، أي صباحا ومساء إلى أن مات سنة 910ه/1213م . انظر، ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص241 .

كما إختلفت المصادر في تحديد سبب وفاته ، فمنهم من قال: أنّه توفيّ غمًّا وألمـــًا من آثار إنهزامه في معركة حصن العقاب . انظر، مجهول : **الحلل الموشية** ، ص161 ؛ ومنهم من قال: أنّه مات مسمومًا بتدبير من بعض وزرائه . انظر، ابن عذارى : **نفس المصدر (قسم الموحدين)**، ص265 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص 241 . ومنهم من قال: أنّه توفيّ من عضّة كلب . انظر، الزّركشي : **مصدر سابق** ، ص19 ؛ الحميري : **مصدر سابق** ، ص416 . وقيل: أنّه أصيب بسكتة من ورم في دماغه . انظر، المراكشي : **نفس المصدر** ، ص403

(3) حسين مؤنس : **مرجع سابق** ، ص440 .

(4) عبد الله عنان : **مرجع سابق** ، ج2، ص328 .

(5) يوسف بن محمد النّاصر بن يعقوب الكومي ، يُلقب بالمستنصر بالله ، ولد سنة 594ه/1198م ، بويع له صغيرا بعد وفاة أبيه سنة 610ه/1213م وسنّه لم يتجاوز 16سنة ، توفيّ سنة 620ه/1224م . انظر، ابن خلّكان : **مصدر سابق** ، ج7 ، ص15 ــ 16 ؛ المراكشي : **مصدر سابق** ، ص404 ؛ ابن عذارى : **مصدر سابق(قسم الموحدين)** ص265 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص241 .

(6) العرّيبي : **مرجع سابق** ، ص 12 .

وهيبتها ومكانتها ، إلاّ أنّه ولسوء الحظّ كان الخليفة يوسف المستنصر شابا، صغيرا ، لم يتجاوز سنه السّادسة عشرة عند إستلامه الحكم(1)، كما أنّه كان مولعًا بالملّذات وتربية الحيوانات، و لم يغادر مراكش قط(2).

بالإضافة إلى أنّه ضعيف الشّخصيّة أمام أشياخ الموحدين ووزرائه (3)الّذين توّلوا تسيّير شؤون الدّولة(4) إذ لاحكمة ولا تجربة ولاعلم له بأمور الدّولة والسّياسة (5)، وقد أجمع المؤرخون على أنّ فترته كانت فترة سلام ومهادنة(6)ماعدا بعض الأحداث البسيطة (7)، ممّا جعل الدّولة تعرف التّراجع والإنحلال وبدأت قبضة الموحدين على الأندلس تتلاشى وعادت الثّورات والتّمردات(8).

في ظلّ هذه الظروف ظهر بنو مرين(9) الّذين استغلوا إنشغال الموحدين بالصّراعات الدّاخليّة

(1)المراكشي : **نفس المصدر** ، ص404 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص242 ؛ ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص523 ؛السّلاوي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص202 ؛ نجيب زبيب : **مرجع سابق** ، ج2 ، ص403 .

(2)ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص243 ؛ ابن خلّكان : **مصدر سابق** ، ج7 ،ص16 ؛ مجهول : **الحلل الموشية** ، ص161 ؛ عبد الله عنان : **مرجع سابق** ، ج2، ص336 .

(3) ابن أبي زرع : **الذّخيرة السّنيّة** ، ص24 ؛ يقول ابن أبي زرع :"..وكانت أوامره لا يمتثل أكثرها لضعفه وليانته وإدمانه على الخلاعة وركونه إلى اللّذات ، وتفوض أمر مملكته ومهمّات أموره إلى السفلة ". انظر، ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب** ، ص243.

(4) ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص243 ؛ ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص523 ؛ ابن أبي زرع : **الذّخيرة السّنيّة** ، ص24 ؛ عزّ الدّين عمر موسى : **مرجع سابق** ، ص56.

(5) ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص242 ؛ ابن أبي زرع : **الذّخيرة السّنيّة** ، ص24 .

(6) ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص524 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص242 ؛ ابن عذارى : **مصدر سابق(قسم الموحدين)** ص265 ؛ مجهول: **الحلل الموشية** ، ص162 .

(7) منها في سنة 612ه/ 1216م إدّعى رجل إسمه عبد الرحمن أنّه من بني عبيد الله الشّيعي ، وإنتشر خبره وإجتمع حوله النّاس ، إلاّ أنّ الموحدين تمكنوا من القضاء عليه وقطع رأسه وأرسل إلى مراكش وعلّق رأسه على باب مدينة فاس، قبل إنتشاردعوته . انظر ، ابن عذارى : **نفس المصدر (قسم الموحدين)** ص266 ؛ المراكشي : **مصدر سابق** ، ص408 ــ 409 ؛ ابن أبي زرع : **الذّخيرة السّنيّة** ، ص38 .

(8)العريني : **مرجع سابق** ، ص12 ؛ حسين مؤنس : **مرجع سابق** ، ص440 ؛ عمر موسى : **مرجع سابق** ، ص56 .

(9)بنومرين، فخذ من زناتة، وهم ولد مرين بن ورتاجن بن ماخوخ بن وجديج بن فاتن بن بدر ويصل نسبهم إلى مضر بن نزار بن معد بن عدنان فهم بذلك عرب في الأصل . انظر ، ابن أبي زرع : **الذّخيرة السّنيّة** ، ص14 وما بعدها .

[1]وبدأوا يتحركون نحو المناطق الشّماليّة بالمغرب، حيث المراعي والتّلال بحثا عن الكلإ لإبلهم وخيلهم [2]، فلم يجدوا مقاومة تذكر، فاستقّروا بالقرب من فاس [3].

وحاول يوسف المستنصر أن يقضي عليهم ،إلاّ أنّهم تمكنوا من القضاء على جيوش الموحدين وإستولوا على ثرواتهم سنة 613ه/1217م[4] ، وبدأت تقوى شوكتهم ، وما إن توفيّ المستنصر سنة 620ه / 1224م[5]حتى بدت مظاهر التّصدع والإنهيار في أوصال الدّولة الموحديّة [6].

حيث قدَّم أشياخ الموحدين رجل طاعن في السّن تجاوز السّتين إلى خلافة المستنصر ، وهوعبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن الملّقب بالمخلوع [7]، وقد أجمع أشياخ الموحدين على بيعته لحكمة كانوا يروها [8]رغم أنّه لم يكن يرغب في الحكم [9].

---

(1)حول ظهور بني مرين في المغرب. انظر ، ابن أبي زرع : **الذّخيرة السّنيّة** ، ص24 وما بعدها ؛ روجي لي تورنو : **مرجع سابق** ، ص104؛ عبد الله عنان : **مرجع سابق** ، ج2 ، ص336.

(2) ابن أبي زرع : **الذّخيرة السّنيّة** ، ص26 ؛ عبد الله عنان : **مرجع سابق** ، ج2 ، ص336 .

(3) ابن أبي زرع : **الذّخيرة السّنيّة** ، ص27 ؛ ابن عذارى : **نفس المصدر (قسم الموحدين)** ص266 ؛ السّلاوي : **مصدر سابق** ،ج2 ، ص202.

(4)ابن عذارى : **نفس المصدر (قسم الموحدين)**، ص266 ؛ ابن أبي زرع : **الذّخيرة السّنيّة** ، ص28 ؛ ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص524 ؛ السّلاوي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص203 ؛ عبد الله عنان : **نفس المرجع** ،ج2 ، ص337 .

(5) ذكر المؤرخون أنّ وفاته كانت بسبب ضربة من بقرة بقرنها على قلبه؛ لأنّه كان مولعا بتربية الحيوانات، منها الخيل والبقر ...فمات من حينه . انظر ، ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص243 ؛ الزرّكشي : **مصدر سابق** ، ص20 ؛ السّلاوي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص204

(6) روجي لي تورنو : **مرجع سابق** ، ص106 .

(7)عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن، لُقب بالمخلوع ، ولد سنة 560ه/1165م ، بويع للخلافة في 13 ذي الحجّة سنة 620ه/ 7جانفي 1224م على كره منه ، وكان شيخا سنه 60سنة ، وكان رجلا صالحا، فاضلا، متورعا ، حكم حوالي ثمانية أشهر، ثمّ خُلع من الحكم وقتل خنقا سنة621ه/1224م . انظر، الصّفدي : **مصدر سابق** ، ج19 ، ص187 ؛ المقرّي : **مصدر سابق** ، ج4 ، ص353 ؛ مجهول :**الحلل الموشية** ، ص162؛ الزّركشي : **مصدر سابق** ، ص20 .

(8) عبد الله عنان : **مرجع سابق** ،ج2 ، ص 349 .

(9) ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص243 ؛ عبد الله عنان : **نفس المرجع** ، ج2 ، ص349 .

لم يستمر حكم عبد الواحد سوى ثمانية أشهر من 13 ذي الحجّة 620ه/7جانفي 1224م إلى 21شعبان 621ه/ 20سبتمبر 1224م، حيث رفض ابن أخيه عبد الله بن يعقوب [1]الملّقب بالعادل والي مرسية أن يبايعه على الخلافة ، وطلب من أشياخ الموحدين أن يبايعوه بدل عبد الواحد ، وأغراهم بالأموال والتّمكين ، فقاموا بالضغط على عبد الواحد بخلع نفسه ويبايع العادل ، فامتثل لذلك وبعد ثلاثة عشة يوما قتلوه وسلبوا أمواله وسبّوا حريمه في 5رمضان 621ه/ فيفري 1224م ، فكانت تلك الحادثة أوّل بادرة بانهيار ملك الموحدين ونهايتهم[2]، فلم تقم لهم قائمة وطمع فيهم الطامعون وإنهارت إمارتهم في الأندلس ورفض ولاّتها مبايعة من جاء بعد عبد الواحد من الخلفاء الموحدين[3]، وإنتشرت الفتن والتمّردات والإستعانة بالنّصارى على المسلمين أكثر من ذي قبل[4].

ففي شرق الأندلس ثار محمدبن يوسف بن هود [5]، من سلالة بني هود ، وتمكّن من الإستيلاء على مرسية سنة624ه/1227م وطرد الوالي الموحدي [6]،

(1) عبد الله بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الملّقب بالعادل ، بويع للخلافة إثر خلع عمّ أبيه عبد الواحدسنة621 ه/1224م ، كان أميرا على الأندلس وكانت خلافته ثلاث سنوات، توفيّ سنة624ه/1227م . انظر، الصّفدي : **مصدر سابق** ،ج17 ، ص362 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص245 وما بعدها ؛ مجهول : **الحلل الموشية** ،ص 163 ؛ السّلاوي : **مصدر سابق** ،ج2 ، ص206 .

(2) ابن عذارى لم يذكر قصّة خلع عبد الواحد وكيف تمّ ذلك. انظر، ابن عذارى: **مصدر سابق(قسم الموحدين)** ص269؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص244 ـــ 245 ؛ المقرّي : **مصدر سابق** ، ج4 ، ص384 ؛ السّلاوي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص206 .

(3) أصبح عصيان الخلفاء الموحدين من طرف الولاّة والأمراء وقادة الجيش أمراً مألوفاً، والخروج عن طاعتهم ودعوة النّاس لمبايعتهم يسعى إليه كلّ من سوّلت له نفسه لذلك . انظر ، ابن عذارى : **نفس المصدر (قسم الموحدين)**، ص292 ؛ عبد الله عنان : **مرجع سابق** ، ج2 ، ص352.

(4) مثل عبد الله بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن البيّاسي، والي قرطبة الّذي خرج عن طاعة الموحدين وإستعان بالنّصارى عليهم سنة 623ه/1227م انظر، ابن عذارى : **مصدر سابق(قسم الموحدين)** ص271 ؛ ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ،ص527 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص246 ـــ 247 ؛ عبد الله عنان : **مرجع سابق** ، ج2 ، ص352 .

(5) محمد بن يوسف بن هود أبو عبد الله، من أعقاب بنّي هود الجذاميين، ظهر لمّا حدث الخلل في دولة الموحدين وعظم أمره ، وبايع الخليفة العبّاسي ، وتنازع مع ابن الأحمر على ريّاسة الأندلس ، توفيّ سنة 635ه/1238م . انظر، المراكشي : **مصدر سابق** ، ص417 ؛ ابن عذارى : **مصدر سابق(قسم الموحدين)**، ص276 – 288 ، ص341 ؛ السّلاوي :**مصدر سابق** ،ج2 ، ص211 .

(6)ابن عذارى : **نفس المصدر** ، ص276 ، ص288 ؛ ابن خلدون : **العبر** ،ج6 ، ص530 ؛ السّلاوي : **مصدر سابق** ،ج2 ، ص210 .

وثار في بلنسية أبو جميل زيان [1]بن مردنيش الجذامي[2]، وقاد محمد بن يوسف بن محمد النّصري [3]المعروف بابن الأحمر ثورة في وسط الأندلس، منافسا بني هود [4] ، فأدّت هذه الثورات والتّمردات ضدّ الحكم المركزي في مراكش إلى القضاء على الوجود الموحدي في الأندلس[5].

حاول الموحدون لمّ شملهم وتقوية دولتهم في المغرب الأقصى، لكنّ المشاكل والخلافات حول العرش الّتي عانت منها الدّولة كانت أكبر من أيّ محاولات لردع الصدع ، فانحدرت نحو السّقوط بسرعة [6].

حكم عبد الله العادل حوالي ثلاث سنوات من سنة 621ه/1224م الى 624 ه/1227م، حاول خلالها إسترجاع الأمن والإستقرار، لكنّه فشل [7]، وما لبث أن وجد أخاه أبو العلاء إدريس المأمون[8]يطالبه بالخُلع.

---

(1) زيّان بن مدافع بن يوسف بن سعد بن مردنيش ، أمير أندلسي، حكم بلنسية ودانية، ثمّ إحتلّ مرسية سنة 636ه/1239م ،لكن قتله أهلها سنة 637ه/1240م . انظر، ابن الآبار : **الحلّة السيراء** ، ج2 ، ص127 ،ص262 ،ص306 ؛ ابن عذارى : **مصدر سابق** (**قسم الموحدين**) ،ص356 ؛ السّلاوي : **مصدر سابق** ،ج2 ، ص210 ؛ الزّركلي : **مرجع سابق** ،ج3 ، ص56 .

(2) ابن عذارى : **نفس المصدر** ، ص289 ؛ السّلاوي : **نفس المصدر** ،ج2 ، ص210.

(3) محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر، مؤسس دولة بنّي الأحمر في الأندلس ، ولد سنة 585ه/1199 م بأرجونة، إمتلك غرناطة سنة 635ه/1238م ، بنى حصن الحمراء بغرناطة ، وتعاقد مع بنّي مرين لقتال النّصارى، توفيّ سنة 671ه/1273م . انظر، ابن الخطيب : **اللّمحة البّدريّة في الدّولة النّصريّة** ، تحقيق مسعود جبران ، ط1 ، دار المدار الإسلامي بيروت لبنان 1430ه/2009م ، ص67؛ ابن عذارى : **نفس المصدر** (**قسم الموحدين**)، ص296 ؛ ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج2 ، ص92 وما بعدها ؛ السّلاوي : **مصدر سابق** ،ج2 ، ص211 ؛ الزّركلي : **مرجع سابق** ،ج7 ، ص151 .

(4)ابن عذارى : **نفس المصدر** (**قسم الموحدين**) ،ص296 ؛ السّلاوي : **مصدر سابق** ،ج2 ، ص211 .

(5) العريني : **مرجع سابق** ، ص13 .

(6) للتّوسع أكثر انظر ، ابن عذارى : **مصدر سابق** (**قسم الموحدين**) ،ص271 وما بعدها ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص247 =
= وما بعدها ؛ السّلاوي : **مصدر سابق:** ج2 ، ص208 وما بعدها .

(7) ظهرت عدّة تمردات وإنتفاضات في المغرب الأقصى، منها ظهور عرب الخلط وهسكورة على العادل، الّذي فشل في إقناعهم أو القضاء عليهم . انظر، ابن عذارى : **نفس المصدر** (**قسم الموحدين**) ، ص273 ؛ السّلاوي : **نفس المصدر** ، ج2 ، ص207 .

(8) أبو العلاء إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الموحدي ، ولد سنة 581ه/1185م ،كان شهما، شجاعا، جريئا، كاتبا، أديبا فصيحا ، بويع للخلافة سنة 626ه/1229م، قام بمحو رسوم المهدوية، منها إزالة إسم المهدي من الخطب والسّكة والآذان ...عرفت فترة حكمه الفتن والحروب . توفّي سنة629ه/1232م . انظر، الصّفدي : **مصدر سابق** ،ج8 ، ص209 ؛ ابن عذارى : **نفس المصدر** (**قسم الموحدين**) ، ص274 ؛ ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج1 ، ص409 ؛عبّاس السّملالي: **مصدر سابق** ، ج3 ، ص5 وما بعدها ؛ ابن أبي زرع **:الأنيس المطرب**، ص249 ؛ السّلاوي : **نفس المصدر** ، ج2 ،ص207 ؛ الزّركلي : **مرجع سابق** ،ج1 ، ص281 وما بعدها .

ووقف معه أشياخ الموحدين الّذين استجابوا لذلك[1] في بداية الأمر وقاموا بالضغط على عبد الله العادل وقتلوه خنقاً [2]في 22شوال 624ه/1227م[3]، إلاّ أنّهم عادوا ونكثوا البّيعة لإدريس المأمون خوفاً منه[4]وبايعوا يحيى بن النّاصر[5]رغم صغر سنّه، إذ لم يتجاوز ستّ عشرة سنة في28شوال624ه/11أكتوبر 1227م[6]

إضطربت الأحوال في المغرب وكثر القتل والفتن[7]. فاضطّر إدريس المأمون أن يستعين بالنّصارى[8]للحصول على العرش[9]، ودخلت الدّولة الموحديّة في صراع داخلي بين إدريس المأمون ومن

(1)ابن عذارى : **نفس المصدر(قسم الموحدين)** ، ص273 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص247 ؛ السّلاوي : **نفس المصدر** ، ج2 ، ص208 .

(2)رفض العادل أن يتنازل عن العرش ولّما همُّوا بقتله بعد التّهديد قال لهم :" إصنعوا ما بدا لكم، والله لا أموت، إلاّ أمير المؤمنين "، فقتلوه خنقا بعمامته . انظر ، ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص247 ؛ السّلاوي : **نفس المصدر** ، ج2 ، ص208 .

(3) ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص247 ؛ الزّركشي : **مصدر سابق** ،ص22 ؛ ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص528 ؛ السّلاوي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص208 .

(4) لأنّهم تذّكروا أنّهم قاموا بخلع عمّه عبد الواحد وقتلوه، ثمّ قبضوا على أخيه العادل وقتلوه، فإن بايعوا إدريس المأمون، فسوف ينتقم منهم؛ لأنّه شديد البطش، لايرحم . انظر ، ابن عذارى : **نفس المصدر (قسم الموحدين)** ، ص274 ؛ ابن الخطيب : **الإحاطة** ،ج1 ، ص409 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص248 ؛ عبّاس السّمْلالي : **نفس المصدر** ، ج3 ، ص5 .

(5) يحي بن محمد النّاصر بن المنصور أبو زكريا المعتصم بالله ، ولد سنة608ه/1211 م ، بويع بالخلافة في 28 شوال 624 ه/ 11اكتوبر1227م وسنّه لايتجاوز ستّ عشرة سنة ، لم يستقم له الأمر ، ثمّ أبعده إدريس المأمون سنة 626ه عن الحكم وإستمّر في المقاومة لإسترجاع العرش إلى أن قتل في 28 رمضان 633ه/5جويلية 1236م على يد عرب المعقل . انظر، ابن عذارى : **نفس المصدر (قسم الموحدين)** ، ص274 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص247 ؛ الذّهبي : **تارخ الإسلام** ، ج14 ، ص127 ؛ ابن خلّكان : **مصدر سابق** ، ج7 ، 17 ؛ مجهول :**الحلل الموشية** ، ص166 .

(6)ابن عذارى : **مصدر سابق (قسم الموحدين)** ، ص274 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص248 ؛ السّلاوي : **مصدر سابق** ، ج2، ص208 .

(7)ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص248 ؛ السّلاوي : **نفس المصدر** ، ج2 ، ص208 .

(8) لقد إشترط ملك قشتالة على المأمون شروطا قاسية مقابل دعمه ضدّ يحي . انظر ، ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص250 ؛ Julio Gonzalez :**LesConquistas de Fernando III en Andalucia** , Madrid , 1946 p59

(9)ابن عذارى : **مصدر سابق** ، ص284 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص250 ؛ ابن خلدون : العبر، ج6 ، ص530 ؛ ابن الخطيب: **الإحاطة** ، ج1، ص411 ؛ السّلاوي : **نفس المصدر** ، ج2 ، ص212 .

بايعه[1] ويحي بن محمد النّاصر ومن بايعه[2]، إستمرّ هذا الصراع أكثر من سنتين من 28شوال624ه /10اكتوبر1227م الى 25 ربيع الأوّل 627 ه/10فيفري 1230م وإنتشر الخوف والفساد وغلت الأسعار[3]، وتعرّض يحي بن النّاصر إلى الهزائم المتتالية من أنصار المأمون ، ولكنّه في آخر المطاف تمكّن المأمون من دخول مراكش في 25ربيع الأول 627ه/10فيفري 1230م [4]، بينما لجأ يحي النّاصر إلى جبال تينملل واحتمى بها وجعلها نقطة إنطلاق لقوّاته لمحاربة قوات المأمون[5].

أخذ المأمون في الإنتقام من الّذين نقضوا البيعة من أشياخ الموحدين[6]ومن قدّم لهم العون بالقتل والسّجن[7]،كما تراجع عن سيرة أجداده ، حيث أسقط اسم المهدي من الخطبة وأزالها عن الدّنانير والدّراهم وإعتبر ما كان يدعو له المهدي ابن تومرت وأتباعه بدعة لابدّ من محاربتها [8]ممّا أثار ضدّه المتعصبين للدّعوة الموحديّة وإستغلّ ذلك أعداؤه ومنافسوه في الحكم .

لم يستمر حكم المأمون إدريس إلاّ سنتين، عرف خلالها الموحدون إنقساما كبيرا وصارت الدّولة دولتين قسم يؤيد يحي بن النّاصر وقسم وقف مع المأمون إدريس، فكانت بينهما حروب إستنزاف ،

---

(1) منهم عرب الخلط وهسكورة وأهل فاس وصاحب تلمسان محمد بن أبي زيد بن يوجنان وصاحب سبتة أبو موسى بن المنصور وصاحب بجاية ابن أخته ابن الاطاس . انظر ، الزّركشي : **مصدر سابق** ، ص22 .

(2) منهم والي تونس صاحب إفريقيّة وسجلماسة . انظر ، ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص529 .

(3) يقول صاحب كتاب روض القرطاس : فإضطربت عليه البلاد (يقصد يحي) وغلت الأسعار وخيفت الطرق وفشا الفساد والخراب في المغرب لكثرة الفتن ...انظر ، ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب**، ص 248 .

(4)ابن عذارى : **نفس المصدر (قسم الموحدين)** ، ص289 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص 251 .

(5)ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص 251 ؛ السّلاوي : **نفس المصدر** ، ج2 ، ص212 .

(6) كانت تلك محنة كبرى لأشياخ الموحدين الّذين كانت لهم مكانة عظمى لدى خلفاء الدّولة الموحديّة . انظر ، السّلاوي : **نفس المصدر** ، ج2 ، ص212 ــ 213 .

(7)ابن عذارى: **نفس المصدر** ، ص285؛ ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب** ، ص251 ــ 252 ؛ ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج1، ص411.

(8) حول تراجع المأمون عن المهدوية ومحاربته لها ، والرّسالة الّتي بعث بها إلى المقاطات التّابعة له . انظر ، ابن عذارى : **نفس المصدر(قسم الموحدين)** ، ص286 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص 251 ؛ مجهول: **الحلل الموشية** ، ص164 . السّملالي : **مصدر سابق** ، ج3 ، ص9 .

وضعفت الدّولة عن تحقيق الأمن والإستقرار وطمع فيها المتربصون لها وإستقل بعض ولاّة الدّولة الموحديّة بولايتهم [1].

توفي إدريس المأمون وهو عائد إلى مراكش، مهموما، مغموما، معنوياته منهارة، بعد فشله في إخماد الفتنة الّتي أثارها أخوه عمران بن المنصور بمدينة سبتة من جهة، وسماعه بخبر نزول يحي بن النّاصر من الجبل ودخوله مراكش الّتي عثا فيها فسادا وتقتيلا وحمل معه جميع ما وجده في القصر إلى الجبل من جهة ثانية في ذي الحجّة 629ه/اكتوبر 1232م[2]، وخلفه من بعده ابنه عبد الواحد الرّشيد[3].

حكم من 1محرم 630ه إلى 10جمادي الثّانيّة 640ه/ 18اكتوبر1232م إلى 4 ديسمبر 1242م [4]، والّذي قام بإعادة رسوم المهدي الّتي أزالها والده المأمون حتى يكسب ثقة أشياخ الموحدين [5] وأتْبَاع يحي بن النّاصر الّذي قتل في رمضان633ه/جويلية1236 م[6]، كما إشتدّت قوة بني مرين ببلاد المغرب

(1) في سنة 627ه/1230م خلع أبوزكريا بن أبي محمد الوالي بإفريقيّة طاعته للموحدين وفي سنة 628ه/1231م خرجت بلاد الأندلس عن طاعة الموحدين وسيطر على أملاكهم ابن هود . انظر :

Abdallah Larawi **: L histoire du magreb un essai de snthése Casablanca**, Maroc1995, p210.؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص 253 ؛ السّلاوي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص214 ؛ ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص531 .

(2)ابن عذارى : **نفس المصدر (قسم الموحدين)** ، ص297 ــ 298 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص253 ؛ ابن خلدون : **العبر**، ج6 ، ص531 ــ 532 ؛ وفاته في 15 محرم 630ه/1234م. انظر، ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج1، ص417.

(3) عبد الواحد بن أبي العلاء إدريس المأمون بن أبي يوسف يعقوب المنصور، لُقب بالرّشيد، ولد سنة 616ه/1220م ، أصبح خليفة لأبيه في 630ه/1232م وسنّه لم يتعد أربع عشرة سنة ، حارب يحي بن النّاصر إلى أن قضى عليه ، وأعاد رسوم ابن تومرت الّتي ألغاها والده، مات غريقا في صهريج ببستانه بمراكش في 9جمادى الثّاني 640ه/4ديسمبر1242م . انظر، الصّفدي : **مصدر سابق** ،ج19 ، ص166 ؛ ابن عماد : **مصدر سابق** ، ج7 ، ص360 ؛ الذّهبي : **تاريخ الإسلام** ، ج14 ، ص324 ؛ ابن عذارى : **نفس المصدر (قسم الموحدين)** ، ص298 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص254 ؛ السّلاوي : **نفس المصدر** ، ج2 ، ص216 .

(4)ابن عذارى: **مصدر سابق (قسم الموحدين)**، ص300 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ص254؛ السّلاوي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص216 .

(5)يقول السّلاوي :" وجاء الباقون (أتباع يحي)على إثره بعد أن شرطوا عليه إعادة ما كان أزاله المأمون من رسوم المهدي وسننه، فأعيدت..." انظر، السّلاوي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص217 ؛ ابن عذارى : **نفس المصدر** ، ص317 ؛ إبراهيم حركات : **مرجع سابق** ، ص302 .

(6)ابن عذارى: **نفس المصدر**، ص336 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص255 ؛ السّلاوي: **مصدر سابق** ، ج2 ، ص219 .

وفشل الرّشيد في القضاء عليهم، وفي جمادى الثّانيّة 640هـ/3ديسمبر 1242م توفيّ الرّشيد غريقا في صهريج ببستانه بمراكش[1]وجاء من بعده السّعيد علي بن المأمون بن المنصور[2] .

تلّقب بالمعتضد بالله في 10جمادى الثّانيّة 640ه/5ديسمبر1242م [3]، وكان قد تفاقم أمر المرينيّين في المغرب وزادت قوّة الحفصيّين في إفريقيّة، الّذين وصلتهم البّيعة من سبتة وإشبيليّة وغيرهما ، كما قويت شوكة يغمراسن [4] في المغرب الأوسط .

وإختصّ ابن هود بالأندلس ودعا فيها إلى العبّاسيّين[5]، فكانت أيّام السّعيد علي بن المأمون في معظمها محاولة للقضاء على المتمردين [6]والطامعين في الخلافة [7]، إلاّ أنّه فشل في ذلك وقتل وهو يحاصر

(1)ابن عذارى: **نفس المصدر**، ص359؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص255 ؛ ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص537 ؛ السّلاوي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص221 .

(2) أبو الحسن علي بن أبي العلاء إدريس بن يوسف يعقوب المنصور ، بويع بالخلافة يوم وفاة والده في 10جمادى الثّانيّة 640ه/ 5ديسمبر 1242م وتلّقب بالمعتصم بالله وأيضا بالسّعيد ، كان عالي الهمّة، شجاع ، عرفت فترته بداية ، إعلان المناطق عن الإنفصال عن الدّولة الموحديّة توفيّ في 29 صفر 646ه /23جويلية 1248م وهويحاصر يغمراسن بن زيّان بضواحي تلمسان . انظر، ابن خلّكان : **مصدر سابق**، ج7، ص17 ؛ الصّفدي : **مصدر سابق** ،ج20، ص134 ؛ ابن عماد : **مصدر سابق** ، ج5 ، ص85 ؛ الذّهبي : **سيّر أعلام النّبلاء** ، ج23 ، ص186 ؛ ابن عذارى : **نفس المصدر** ، ص359 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص255 .

(3) ابن عذارى : **نفس المصدر** ، ص359 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص255 ؛ السّلاوي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص222 .

(4) يغمراسن بن زيّان بن ثابت بن محمد العبد الوادي ، ولدسنة 630ه/1206م أوّل من إستقلّ بتلمسان أيّام بنّي عبد المؤمن في عهد السّعيد علي سنة 646ه/1248 م ، كان شجاعا، فاضلا، متواضعا، يُكثر من مجالسة العلماء والصالحين ، توفيّ سنة681ه/1283م . انظر، ابن خلدون: **بغية الرّواد في ذكر الملوك من بنّي عبد الواد** ، مطبعة بيير بونطانا الشراقة الجزائر 1331ه/1903م ، ج1 ، ص109 وما بعدها ؛ الذّهبي : **دول الإسلام** ، ج2 ، ص206 ؛ رزق الله منقريوس الصّرفي : **تاريخ دول الإسلام** ، مطبعة الهلال مصر 1326ه/1908م ،ج3،ص21 ؛ ابن الخطيب : **الإحاطة** ،ج1 ، ص563 .

(5)ابن عذارى : **مصدر سابق (قسم الموحدين**) ، ص360 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص256 ؛ السّلاوي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص222 ــ 223 .

(6) إبراهيم حركات : **مرجع سابق** ، ص303 .

(7) حول دور السّعيد علي بن المأمون في القضاء على المتمردين. انظر ، ابن عذارى : **مصدر سابق** ، ص361 وما بعدها ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص256 ــ 257؛ السّلاوي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص221 وما بعدها ؛ الصّيرفي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص175 -176.

جيش يغمراسن بالقرب من تلمسان في 29صفر 646ه/ 23 جويلية 1248م [1].

خلف علي بن المأمون السّعيد أحد أحفاد يوسف بن عبد المؤمن عمر المرتضي[2]في 1ربيع الأول 646ه/23جويلية 1248م [3]، وقد ورث تركة ثقيلة من الإضطرابات والتّمردات والثّورات والإنفصال والإنقسامات الّتي تركها له أسلافه ، ممّا صعّب عليه مهمّة إعادة هيبة الدّولة وقوّتها ، وخاصة أنّ بني مرين أصبحوا أقوياء وبدأوا بالزّحف نحو مراكش[4]، إلى أن خرج أحد قادته من أحفاد عبد المؤمن وهو إدريس[5] أبو دبوس عنه سنة 663ه/1264م [6] ، وتحالف مع يعقوب المنصور المريني [7]وتمّ القضاء على حكم عمر المرتضى في 22محرم 665ه/22أكتوبر1266م، الّذي لجأ إلى صهره يحي بن عطوش، الّذي

(1)ابن عذارى : **نفس المصدر** ، ص386 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص256 ؛ الزّركشي : **مصدر سابق** ، ص31 ؛ ابن خلدون: **العبر** ، ج6 ، ص541 ؛ السّلاوي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص226 ؛ مجهول : **الحلل الموشية** ، ص167 .

(2) أبو حفص عمر بن السّيد أبي إبراهيم بن أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، لُقب بالمرتضي ، بويع بالخلافة في غرّة ربيع الأول 646ه/23جويلية 1248م، حاول القضاء على المتمردين والمنفصلين، لكنّه فشل ، توفيّ في 22محرم 665ه/22اكتوبر 1266م . انظر، ابن عماد : **مصدر سابق** ،ج7 ، ص557 ؛ ابن عذارى : **نفس المصدر** ، ص387 ؛ الذّهبي : **دول الإسلام** ، ج2 ، ص 187 ؛ الذّهبي : **تاريخ الإسلام** ، ج49 ، 202 ؛ الصّيرفي : **نفس المصدر** ، ج2 ، ص176 .

(3)ابن عذارى : **نفس المصدر**، ص387 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص258 ؛ ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، 542 .

(4)ابن عذارى : **نفس المصدر** ، ص400 –434 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص258 ؛ ابن أبي زرع : **الذّخيرة السّنيّة** ، ص75 وما بعدها ؛ السّلاوي : **نفس المصدر** ،ج2 ، ص229 ؛ إبراهيم حركات : **مرجع سابق** ، ص304 .

(5) إدريس بن محمد بن عمر بن عبد المؤمن، أبو دبوس الواثق بالله، آخر ملوك دولة الموحدين ، تولّى الحكم بعد مقتل عمر المرتضي سنة 665ه/1266، كانت أيّامه نكدة ،كثر فيها المتمردون والإنفصاليون، وقتله المرينيون في9محرم 668ه/7سبتمبر1269م . انظر، الصّفدي : **مصدر سابق** ،ج8 ، ص212 ؛ ابن كثير : **مصدر سابق ،ج17 ، ص487** ؛ أحمد بن القاضي المكناسي : **جذوة الإقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام في مدينة فاس** ، دار المنصور للطباعة الرباط المغرب 1393ه/ 1973م ، ص162 ؛ الذّهبي : **تاريخ الإسلام** ، ج49 ، ص259 ؛ ابن عماد ، **مصدر سابق** ، ج7 ، ص569 ؛ الذّهبي : **دول الإسلام** ، ج2 ، ص189 .

(6)ابن عذارى : **مصدر سابق (قسم الموحدين)** ، ص434 .

(7) يعقوب بن عبد الحقّ بن محيو بن أبي بكر بن حمامة المريني الزّناتي المنصور بالله، بربري، من أصل عربي ، ولد سنة607ه/1210م، ، بويع له بالإمارة في 27رجب 656ه/29جويلية 1258م ، وسنّه ست وأربعين سنة . كان حليما، كريما، ذو حزم وعزم ، دائم الذّكر، صوّاما، قوّاما ، توفيّ سنة 685ه/1286م . انظر، مجهول: **الحلل الموشية** ، ص171 ؛ ابن أبي زرع : **الذّخيرة السّنيّة** ، ص85 وما بعدها ؛ الذّهبي: **دول الإسلام** ، ج2 ، ص209 ؛ الذّهبي : **تاريخ الإسلام** ، ج15 ، ص563 ؛ المكناسي : **مصدر سابق** ، ص556 ـــ 557 ؛ السّلاوي: **مصدر سابق** ، ج3 ، ص20ومابعدها .

كان واليّا في أزمور(1)، إلاّ أنّه إعتقله وأرسله إلى أبي دبوس ، فأرسل أبو دبوس من يقتله وهو في طريقه إلى مراكش في ربيع الثّاني 665ه/جانفي 1267م (2)، وأصبح بذلك إدريس بن محمد أبودبوس الواثق بالله خليفة للموحدين، فبايعه الموحدون في 23محرم 665ه/23اكتوبر1266م (3) ، إلاّ أنّه نكث العهد الّذي أعطاه ليعقوب المريني بأن يتقاسم معه أملاك الموحدين بعد إستقراره في الحكم ، فغضب يعقوب المريني وجهزّ جيشا وإتّجه به نحو مراكش(4) ، وحاول أبودبوس أن يستعين بيغمراسن(5)مستغلا الصراع بين يعقوب ويغمراسن وبذلك يشتت قوّات يعقوب ، لكنّه فشل في ذلك (6)وتمكّن يعقوب المريني من القضاء على ابن دبوس ودخل مراكش في 9محرم 668ه/7سبتمبر1269م (7)، بينما فرّ باقي الموحدين نحو جبال تينملل(8)وإنتهت بذلك دولة الموحدين وقامت مكانها الدّولة المرينيّة(9).

---

(1) أزمور ، ومعناها بالبربرية الزّيتون البّري ، وهي بلد بالمغرب في جبال البربر، تطلّ على المحيط الأطلسي ، جنوب مدينة الدّار البيضاء. انظر، الحميري : **مصدر سابق** ، ص6 ؛ الحموي : **مصدر سابق** ، ج1 ، ص169 ؛ عبد الحكيم العفيفي : **مرجع سابق** ، ص44 ــ 45 .

(2)ابن عذارى : **نفس المصدر** ، ص442؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص260 ؛ ابن أبي زرع : **الذّخيرة السّنيّة** ، ص110؛ ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص549 ؛ السّلاوي :**مصدر سابق** ، ج2 ، ص232 .

(3)ابن عذارى : **نفس المصدر** ، ص448؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص259 ؛ السّلاوي :**مصدر سابق** ، ج2 ، ص233 .

(4)ابن عذارى: **نفس المصدر** ، ص466؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص261 ؛ ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص551 ؛ السّلاوي : **نفس المصدر** ، ج2 ، ص233 .

(5) بعث يغمراسن بن زيّان في ذي القعدة 665ه/1266م ببيعته إلى ابن دبوس وهو يقول له : "إيّاك، أن تُطمع بنّي مرين فيما لديك، فأنا أكفيك شرّهم ، وأنا وأنت يدا واحدة في حربهم ، فسرّ ابن دبوس بذلك ، وقال : "الآن أظهر على بنّي مرين" . انظر ، ابن أبي زرع : **الذّخيرة السّنيّة** ، ص112 .

(6) لقد إتّجه يعقوب المريني إلى يغمراسن بوادي تلاغ قرب وادي ملوية وتمكّن من القضاء على قوّاته وفرّ يغمراسن هاربا إلى تلمسان في 12جمادى الثّانيّة 666ه/27فيفري1268م ، ثمّ إتّجه يعقوب إلى مراكش، حيث أبيدبوس . انظر ، ابن أبي زرع : **الذّخيرة السّنيّة** ، ص116 .

(7)ابن عذارى : **المصدرالسابق** ، ص468؛ ابن أبي زرع : **الانيس المطرب** ، ص261 ؛ ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص551 ؛ ابن ابي زرع : **الذخيرة السنية** ، ص117 ؛ **مجهول** :**الحلل الموشية** ، ص171 ؛ السلاوي : **نفس المصدر** ، ج2 ،ص233 .

(8)ابن عذارى : **مصدر سابق (قسم الموحدين)** ، ص 468 ؛ ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص551 ؛ ابن ابي زرع : **الذخيرة السنية** ، ص118 ؛ السلاوي : **نفس المصدر** ، ج3،ص27

(9) ابن كثير : **مصدر سابق** ، ج17 ، ص487 ؛ ابن ابي زرع : **الذخيرة السنية** ، ص118 ؛ ابن أبي زرع : **الانيس المطرب** ، ص261 ؛ الصفدي : **مصدر سابق** ، ج8، ص212 ؛ الذهبي : **تاريخ الاسلام** ، ج15 ، ص563 ؛ ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص551 .

الفصل الثّاني

عوامل إزدهار الحركة الفكريّة

I – دور خلفاء الدّولة الموحديّة في الإهتمام بالعلم والعلماء

II–المجالس العلميّة والمناظرات.

–عقد المجالس العلميّة – إستدعاء العلماء المُبرَزين – المناظرات العلميّة

III– الرّحلات العلميّة:

أ) – الدّاخلية.

ب) – الخارجية.

IV– إنتشار الكتب والمكتبات الخاصّة والعامّة.

أ) الإهتمام بالكتب واقتنائها:

– مؤلّفات العلماء – جلب الكتب من المشرق – جلب الكتب من غيرالمسلمين

ب) الإهتمام بالكتاب والمكتبات:

- صناعة الورق – الوِراقة و الورّاقين – المكتبات العامّة والخاصّة .

عوامل إزدهار الحركة الفكريّة:

I) دور خلفاء الدّولة الموحديّة في الإهتمام بالعلم والعلماء:

لقد أسهمت الدّولة الموحديّة في الإهتمام بالعلم والعلماء بشكل واضح وواسع، ممّا جعلها قبلة للعلم والعلماء، ويظهر ذلك في عدد العلماء الّذين برزوا في هذا العهد في مختلف العلوم، ودُونت أسماءهم في مختلف كتب التّراجم، وكذا المؤلفات الّتي تركها هؤلاء العلماء، فالدّولة الموحديّة إهتمّ حكّامها بالعلم، حيث جعلته الرّكيزة الأساسيّة، الّتي قامت عليها.

يعتبر مؤسس الدّولة محمد بن تومرت من العلماء، الّذين عرفتهم المنطقة في هذا العهد، و إستطاع أن يجعل له مكانا بين علماء عصره، وظهر عليه ذلك منذ صغره[1] ، متّبعا طريق طلبة العلم في التّحصيل العلمي حيث سعى لذلك من خلال رحلته إلى الأندلس ومنها إلى المشرق الإسلامي[2]، إذ أخذ العلم عن عدّة علماء عصره في مختلف العلوم كالسّياسة الشّرعيّة والفقه وأصوله والجدل والخلافيّات والحديث والمنطق والفلسفة وغيرها من العلوم[3] .

إستمّرت رحلته هذه حوالي خمس عشرة سنة[4]، وعاد منها كما قال ابن خلدون:"بحرا متفجرا من العلم

(1) ابن القطّان : **مصدر سابق** ، ص90 .

(2) **نفس المصدر**، ص 62 ؛ ابن عذارى : **مصدر سابق** ، ج4، ص59 ؛ المراكشي : **مصدر سابق** ، ص245.

(3) ابن القطّان : **نفس المصدر** ، ص 62

(4) **نفسه.**

وشهابا واريا من الدّين "[1]، وتشهد جملة المؤلفات الّتي تركها ابن تومرت بصدق هذه الأوصاف[2]، فبدأ ابن تومرت في تطبيق ما أخذه من العلم منذ إنطلاق رحلة عودته إلى المغرب، إذ كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، محاربا البدع، ساعيا إلى إحياء العلم[3] .

إجتمع حوله طلبة العلم في كلّ بلد، يحلّ به، يأخذون عنه العلم [4] ، وكان مناظرا مقنعا [5]، كما حدث له في تونس عندما رفض الفقهاء الصلاة على جنازة يهودي، فقام يبيّن لهم الصّواب بالأدّلة من الكتاب والسّنّة [6] ، وفي بجاية ناظر الفقهاء وأسكتهم، ممّا جعل النّاس يميلون إليه ويجتمعون حوله[7]، وفي مراكش عُقد له مجلس لمناظرته، حضره عدد من كبار فقهاء الدّولة المرابطيّة، فتمكّن من إفحامهم [8]، ولمـّا إتّجه نحو إيجلي مسقط رأسه بين قومه وعشيرته في بلاد السّوس ، أقام رابطة لتعليم مباديء دعوته

(1) ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص466 ، وقال عنه ابن الأثير: "كان فقيها، فاضلا ، عالما بالشّريعة، حافظا للحديث، عارفا بأصول الدّين والفقه، متحقّقا بعلم العربيّة". انظر، ابن الأثير : **الكامل** ، ج8 ، ص294 ، وقال عنه ابن أبي زرع: " فكان المهدي أوحد عصره في علم الكلام وعلوم الإعتقاد، حافظا للحديث والفقه، له لسان وفصاحة ". انظر، ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص 173.

(2) عبد المجيد النّجار : **مرجع سابق** ، ص132 .

(3) المراكشي : **مصدر سابق** ، ص246.

(4) البيذق : **أخبار المهدي** ، ص30 ،31 ؛ ابن القطّان : **مصدر سابق** ، ص 77 ؛ ابن خلّكان : **مصدر سابق** ، ج5 ، ص47 .

(5) ابن القطّان : **نفس المصدر** ، ص94 ؛ ابن الأثير : **الكامل** ،ج8 ، ص294 ؛ ابن خلّكان : **نفس المصدر** ، ج5 ، ص47 .

(6) البيذق : **أخبار المهدي** ، ص 30، 31 .

(7) ابن القطّان : **نفس المصدر** ، ص34 ؛ المراكشي : **نفس المصدر** ، ص247 .

(8) البيذق : **أخبار المهدي** ، ص 47 ، 48 ؛ المراكشي : **نفس المصدر** ، ص 252 – 253 ؛ ابن الأثير : **الكامل** ،ج8 ، ص259 ؛ ابن خلّكان : **نفس المصدر** ، ج5 ، ص 49 ،50 .

وجاءه الطّلبة[1].من مختلف الأنحاء[2] ، الّذين أصبحوا عماد ثورته ضدّ المرابطين، ونظرا لأهمية طلبة العلم[3] فقد وضعهم ابن تومرت في الطبقة الرّابعة [4]، كما أنّه أعطى للعلم أهمية كبرى في دعوته، حيث عنْونَ كتابه الّذي وضعه للموحدين قيد الدّراسة والحفظ بـــ " أعزّ ما يُطلب"[5]، وإفتتحه بعبارة "أعزّ ما يُطلب، وأفضل ما يُكتسب وأنفس ما يُدّخر، وأحسن ما يُعمل، العلم الّذي جعله الله سبب الهداية إلى كلّ خير، هو أعزّ مايُطلب وأفضل المكاسب وأنفس الذّخائر وأحسن الأعمال"[6].

ومن تعاليم ابن تومرت للموحدين في حثّهم على العلم وبذْل الجهد في تحصيله قوله:" شروط العلم تسعة وهي، الفراغ التّام، والبصيرة النّيّرة ، والسّريرة الحسنة ، والهمّة العاليّة ، والصّبر الحديدي، والإقتداء

---

(1) كلمة **طلبة** لم تكن موجودة وإنّما إستحدثها ابن تومرت في بداية دعوته، حيث كان يسّمي أصحابه الطلبة وباقي الأتباع بالموحدين . انظر، ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص470 ؛ كما يشير لفظ الطلبة بأنّهم في مرحلة التّلّقي من أستاذهم ابن تومرت ، حيث كان يلقنهم ويعلّمهم مبادىء دعوته الجديدة، حتى إذا إنتشرت وكثر أفراده وبايعوه على أنّه المهدي، عمد ابن تومرت إلى تقسيم أصحابه وأتباعه إلى طبقات، كلّ طبقة لها مهمّة خاصّة بها، وأصبح لفظ الطلبة، يُطلق على الطبقة الرّابعة والخامسة والحُفّاظ، يكَونون هيئة الدّعاة للدّعوة الموحديّة، أمّا بعد وفاة ابن تومرت وقيّام الدّولة الموحديّة، صارت كلمة طلبة تُطلق على ثلاث فئات ولكلّ منهغ وظيفتها الخاصّة بها، وهم : **الطلبة الحُفّاظ** الّذين جيء بهم من مختلف المناطق؛ لتعليمهم وتدريبهم على أسّس الدّعوة الموحديّة، ثمّ توزيعهم على المناطق، قُدِر عددهم في عهد عبد المؤمن بن علي بثلاثة آلاف طالب . انظر، مجهول : **الحلل الموشية** ، ص 150 ، **وطلبة الموحدين**، وهم طلبة المصامدة الّذين يقومون بالدّعوة، دراسة وفهما وحفظا ثمّ يقومون بالدّعوة وتتّضح رسالتهم من الرّسالة الّتي أرسلها عبد المؤمن إلى طلبة بجاية سنة 566هــ/1170م . انظر ، ليفي بروفنسال: **مجموع رسائل موحدية** ، ص137 ، 138 .

وطلبة الحَضر، وهم المشتغلون بالعلم والّذين يحضُرون إلى مراكش باستدعاء من الخلفاء ، وقد أشار إلى ذلك المراكشي بقوله :" وقد جرت عادتهم بالكُتب إلى البلاد وإستجلاب العلماء إلى حضرتهم، من أهل كلّ فنّ وخاصّة أهل علم النّظر وسمّوهم طلبة الحَضر ". انظر، المراكشي : **نفس المصدر** ، ص 426 ؛ هؤلاء كانوا يحضرون المجالس العامّة، أو الخاصّة مع الخليفة. انظر ، حسن علي حسن : **الحضارة الإسلاميّة في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين** ، ط1 ، مكتبة الخّانجي القاهرة 1400ه/ 1980م ، ص331 – 333 ؛ عزّ الدّين عمر موسى: **مرجع سابق** ، ص77 وما بعدها .

(2) الزّركشي : **مصدر سابق** ، ص5 ؛ ابن قنفذ القسنطيني : **الفارسية** ، ص 100 .

(3) كان لكلّ طبقة من طبقات الموحدين مهمّة تختصّ بها ، حيث جعل لطبقتي الطّلبة والحفاظ، حَمْل العلم والتّلّقي. انظر، ابن الخطيب لسان الدّين : **رقم الحُلّل في نظم الدّول** ، المطبّعة العموميّة تونس ، 1316هــ/1899 م ، ص57 .

(4) رتبّ ابن تومرت أتباعه حسب الأهمّيّة الّتي يراها للمجموعة، حيث وضع الطلبة في المرتبة الرّابعة بعد كلّ من أهل العشرة، ثمّ أهل الخمسين، ثمّ أهل السّبعين، وبعد الطلبة في المرتبة الخّامسة جعل الحُفّاظ وهم صغار الطلبة . انظر ، ابن القطّان : **مصدر سابق** ، ص 82 .

(5) عبارة عن مجموعة من كتب ورسائل في الأصول والفقه والتّوحيد والحديث والجهاد، أملاها ابن تومرت على أتباعه ، إذ يعتبر من أهمّ مؤلفاته وقد طبع العديد من المرّات. انظر ، محمد بن تومرت : **أعزّ مايُطلب** ، ص7 وما بعدها ؛ المراكشي : **مصدر سابق** ، ص 255 ؛ ابن صاحب الصّلاة : **مصدر سابق** ، ص229 ، 230 ؛ عبد المجيد النّجار : **مرجع سابق** ، ص146 - 148

(6) محمد بن تومرت : **نفس المصدر** ، ص 29 .

بالإمام النّاصح ، وإتّباع السّبيل الواضح، والتّأدب بأداب أهله وألاّ يُبْتغي به ما، سوى وجه الله تعالى "[1]

كما وضع المشاغل الّتي تصرف طالب العلم عن الإستمرار في طلبه للعلم بقوله:" القواطع عن العلم أربعة: الحوادث الصّارفة، وإشتغال النّفس وعدم الكفاف ومخالطة النّاس" [2] .

أمّا خلفاؤه من بعده فقد ساروا على الخطّة الّتي رسمها لهم زعيمهم ومُرّبيهم ابن تومرت، ممّا جعل الدّولة تتوجه توّجها علمياً [3]، حيث أنّ خليفته الأوّل عبد المؤمن بن علي بدأ حياته طالِبَ علم، وأراد أن يهاجر إلى المشرق للتّحصيل العلمي، لولا أنّ ابن تومرت ضمّه إليه وأصبح من أعزّ طلبته ومن أهم المقرّبين إليه[4].

ويصف ابن أبي زرع عبد المؤمن بن علي بقوله:"فصيح اللّسان، نبيها، عالما بالجدل، فقيها في علم الأصول حافظا لحديث النّبي صلّى الله عليه وسلّم، مُتْقَن الرّواية، مشاركا في كثير من العلوم الدّينيّة والدّنيويّة، إماما في النّحو واللّغة والأدب والقراءات، ذاكرا للتّاريخ وأيّام النّاس[5].

كمّا إهتمّ بطلبة العلم ودعْم نشر العلم بين النّشيء الجديد[6] ولتحقيق ذلك إتّبع أسلوبين تمثلا في :

ا)– أمر بأن يُختار من كلّ مدينة من مدن المغرب والأندلس عدد من الصبيان [7] النّجباء، الحُفّاظ يُوجَهون إلى العاصمة مراكش، حيث يتولّى معلمون تعليمهم وتحفيظهم القرآن الكريم والحديث النّبوي

(1) ابن القطّان : **مصدر سابق** ، ص 169.

(2) **نفسه** .

(3) العريني : **مرجع سابق** ، ص40 .

(4) البيذق : **أخبارالمهدي** ، ص 35، 36 ؛ المراكشي : **مصدر سابق** ، ص248 ، 249 ، ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص173 .

(5) ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص203 .

(6) ليفي بروفنصال : **مجموعة رسائل موحدية** ، 131 وما بعدها.

(7) جاء من إشبيليّة لوحدها بهدف الدّراسة خمسون صبيّا، أسند إلى إثنين من العلماء مهمّة كفالتهم ورعاية شؤونهم إلى أن يعودوا إلى أهلهم . انظر: ابن القطّان : **مصدر سابق** ، ص179 .

الشّريف مثل صحيح مسلم وبعض مؤلفات ابن تومرت، كالُمرشدة [1] والُموطأ [2]، وذلك لمدّة ستّة أشهر، تُجرى عليهم خلالها الأرزاق الواسعة والعطايا الجزيلة، ثمّ بعدها يعودون إلى بلادهم[3] .

ب)- الإهتمام بالطلبة الفقراء منهم، خاصّة ببذل المال عليهم من خزينة الدّولة ، وهذا بعد أن رأى في أحد الأيّام عبد المؤمن أحد الطلبة في مجلسه، يلبس ثيابا رثةً، فاتّجه إلى أشياخ الموحدين وقال لهم : "هؤلاء طلبة غرباء، ضعفاء ، والإقلال عليهم ظاهر ، فنرى أن ندفع إليهم مالاً، نقارضهم فيه ، ويتجروْن به ويردّون السّلف لنا" ، فقالوا : نعم ، فأسلفهم من مال المخزن ألف دينار لكلّ واحد منهم ، فاكتسبوا منها وكانت أصل غناهم ، و لم يأخذها منهم أبداً "[4] .

كما كان ابنه أبو يعقوب يوسف الّذي جاء من بعده من كبار علماء عصره، حيث قال عنه ابن صاحب الصّلاة :" مستظهرا للقرآن كتاب الله تعالى بشرحه في ناسخه ومنسوخه ، قارئاً لنصه ، حافظا له على وقفه وإبتدائه، عالما بحديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بصحيحه ومختلفه وحسنه وغريبه وبإسناده متقنا في العلوم الشّرعيّة والأصوليّة ، متقدّما في علم الإمام المهدي" [5] .

ووصفه المراكشي بقوله :" أعرف النّاس كيف تكلّمت العرب ، وأحفظهم لأيّامها ومآثرها وجميع أخبارها في الجاهلية والإسلام، صرف عنايته إلى ذلك أيّام كونه بإشبيليّة واليّا عليها في حياة أبيه ، ولقيّ بها

---

(1) الُمرشدة ، وهي رسالة صغيرة لاتتجاوز الصّفحتين، فيها عرض موجز لمسائل العقيدة، خالٍ من البراهين، وتعتبر أكثر مؤلفات ابن تومرت إنتشاراّ؛ لأنّها خلاصة فكره العَقَدي. انظر: عبد المجيد النّجار : **مرجع سابق** ، ص 150 .

(2) الُموطأ ، وهو مجموعة الأحاديث النّبويّة الّتي وردت في موّطأ الإمام مالك بن أنس برواية يحيى بن عبد الله بن بكير وذلك بعد حذف الأسانيد وقد نُشر هذا الكتاب بالجزائر سنة1905 م، تحت عنوان " **مُوَطّأ الإمام المهدي** " . انظر، عبد المجيد النّجار : **نفس المرجع** ، ص 150 ؛ ابن القطّان : **نفس المصدر** ، الهامش رقم 5، ص173 .

(3) ابن القطّان : **مصدر سابق** ، ص 179 ؛ المراكشي : **مصدر سابق** ، ص269 .

(4) ابن القطّان : **نفس المصدر** ، ص 177 ؛ ابن عذارى : **مصدر سابق (قسم الموحدين)**، ص81 .

(5) ابن صاحب الصّلاة : **مصدر سابق** ، ص 233 .

رجالا من أهل علم اللّغة والنّحو والقرآن ...فأخذ عنهم جميع ذلك وبرع في كثير منه" [1] ، مؤثرًا للعلم، متعطشا له إلى حدّ أنّه كان يحفظ أحد الصحيحين " البخاري أو مسلم "، متفقِهٌ ، مشارك في الأدب واللغة، متبّحر في علم النّحو ، دارس للفلسفة والطبّ[2] ، ومن خلال الصفات العلميّة الّتي تميّز بها يوسف بن عبد المؤمن، يمكن القول أنّ أثر والده، بدا واضحا في شخصيّته، ممّا جعله يُؤثر العلم ويتعطّش له، وتجلّى ذلك في معاملته للعلماء، حيث كان يحبّهم ويقرّبهم منه ويشاورهم ، ويبحث عن أعلمهم وأعلامهم ، وهم أهل خدمته وخاصّته[3].

أمّا ابنه يعقوب المنصور فيقول عنه ابن الخطيب: "نجم بني عبد المؤمن وجوهرهم "[4]، فقد شهد عهده مرحلة من أهمّ مراحل إزدهار الحياة العلميّة في عهد الموحدين ، إذ يعتبر من علماء الدّولة الموحديّة ، فكان يحفظ القرآن الكريم ومتون الأحاديث ، كما كانت له إجتهادات فقهيّة، يرجع إليها فقهاء عصره [5] ، ممّا سمح له أن يتّخذ عدّة قرارات، كان منها موقفه من كتب الفروع في المذهب المالكي في المغرب والأندلس[6].

وقد يكون هذا هو السّبب الّذي دفعه إلى وضْع كتابه الّذي أسماه " التّرغيب في الصّلاة " وهو عبارة عن أحاديث صحيحة خاصّة بالصّلاة وما يتعلّق بها[7]، ولذلك نال علماء الحديث مكانة هامّة ومنزلة

(1) المراكشي : **نفس المصدر** ، ص309 .
(2) المراكشي : **نفس المصدر** ، ص 309 - 310 .
(3) ابن الأثير : **الكامل** ، ج9 ، ص165 .
(4) ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج4 ، ص355 .
(5) المقرّي : **نفح الطيب** ، ج3 ، ص 102 .
(6) المتمثل في دعوته المشهورة، نبذ كتب الفروع والعودة إلى الكتاب والسّنّة . انظر ، المراكشي : **نفس المصدر** ، ص 354 ، 355 .
(7) جُمعت فيه أحاديث مجردة من الأسانيد حتّى يسْهل على العامّة حفظها والعمل بها ، توجد مخطوطة لهذا الكتاب، تضمّ أربعين ورقة في الخزانة الملكيّة بالرّباط تحت رقم : 4478. انظر ، العريني ، **مرجع سابق** ، الهامش رقم1، ص42 .

عظيمة لدى يعقوب المنصور ، ممّا إنجرّ عن ذلك حسد أشياخ الموحدين لهم [1] ،كما أُجريت المرتبّات على العلماء والطلبة في عهده على قدر مراتبهم وطبقاتهم [2].

ورغم مظاهر الضعف والوهن الّذي أصاب خلفاء الدّولة الموحديّة بعد يعقوب المنصور، إلاّ أنّهم استمّروا في تشجيع العلم والعلماء ، كما أنّهم كانوا يتميّزون بصفات العلماء، أمثال المأمون بن المنصور الّذي كان فقيها، حافظا للحديث، فصيح اللّسان ، عارفا بالقراءات، إمّاما في علوم اللّغة العربيّة وآدابها، كاتبا بليغاً [3] كما كان عمر المرتضي ذو حظّ وافر من العلم والأدب وقرض الشّعر[4]، وقد بلغ إهتمام الموحدين بالعلماء إلى حدّ أنّهم خصّصوا لهم مرتبات ثابتة [5] ، حيث كان أبو بكر بن طفيل، يأخذ مُرتبا، مثل مرتّبات الموظفين في الدّولة[6].

وكان أحمد بن محمد أبا الخطاب البّلنسي[7]ت 614هـ/1217م، يأخذ مُرتبه الّذي خُصّص له من العاصمة مراكش[8]، ويمكن إعتبار هذه السّياسة سابقة في التّاريخ الإسلامي، حيث تقوم الدّولة بربط العالم بها من خلال نشره في مختلف مناطق المغرب والأندلس، على أن تُخصص له راتبه الخاص ، وكانت هذه

---

(1) المراكشي : **نفس المصدر** ، ص356 .

(2) ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص217 .

(3)ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب** ، ص249 .

(4) مجهول : **الحلل الموشية** ، ص168 .

(5) المراكشي : **مصدر سابق** ، ص269 - 312 .

(6) **نفسه.**

(7) أحمد بن أبي الحسن بن محمّد بن عمر بن محمد بن واجب القيسي، من أهل بلنسيّة، حامل راية الرّواية بشرق الأندلس، له عناية كبيرة بصناعة الحديث، إختصر كتاب ابن بشكوال (في **الغوامض والمبهمات**)، توفيّ بمراكش سنة 614هـ/ 1217م عندما جاء لأخذ راتبه . انظر، ابن الأبار، **التّكملة** ،ج1 ، ص94 ؛ محمد بن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س1 ، ق2 ، ص470 ؛ ابن فرحون إبراهيم بن نور الدّين: **الدّيباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تحقيق، مأمون بن محي الّدّين الجنان ، ط1، دار الكتب العلميّة بيروت ، 1417هـ/1996م ، ص 124 ؛ الرّعيني أبو الحسن علي: **برنامج شيوخ الرّعيني** ، تحقيق ، إبراهيم شبوح ، وزارة الثّقافة والإرشاد القومي دمشق ، 1381هـ/ 1962م ، ص47 ؛ الذّهبي شمس الدّين: **سيّر أعلام النّبلاء** ، ج22 ، ص 44 ، 45 ؛ ابن العماد : **مصدر سابق** ، ج7، ص105 .

(8)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج1 ، ص96 ؛ الذّهبي شمس الدّين: **نفس المصدر** ، ج22 ، ص45 .

السّياسة ناجحة ، حيث أتت بثمارها ، وإستطاعت الدّولة من خلال علمائها نشر مباديء وأفكار الدّولة الموحديّة.

هذا بالإضافة إلى تخصيص حوافز وعطايا جزيلة، سواء كانت نقديّة أو عينيّة ، وقد حدث ذلك مع عدّة علماء، كان منهم أحمد بن عبد الرّحمن الأنصاري بن الصّقر ت569هـ/1173م[1]، الّذي كانت "مواهب عبد المؤمن له جزيلة وأُعطيّته مترادفة وصِلاتُه متواليّة ، ربّما وصلت في المرّة الواحدة بخمسمائة دينار ونحوها" [2].

وكانت هذه العطايا في كثير من الأحيان مصدر ثراء بعض العلماء، حيث كان أحمد بن عتيق بن جرج الذّهبي ت 601هـ /1204م [3]، ممّن يجالس المنصور الموّحدي، وقد بلغت عطاياه ألف دينار لإجابته عن سؤال، طرحه المنصور "ولم يزل إحسانه إليه متواليا حتى أثرّت على حاله، وتأثّل أموالا جمّة "[4]، وطلب منه المنصور أن يستر ذلك ولا يتحدّث به أمام النّاس خوفا عليه من الحسد[5] .

---

(1) ابن الصّقر، أحمد بن عبد الرّحمن بن محمد الأنصاري، أصله من سرقسطة، إستوطن بمراكش ، كان محدثا، ثقّة، ضابطا مقروءاً، مجوّدا، حافظا للفقه، عارفا بأصوله، متقدّما في علم الكلام، عاقدا للشّروط ...تولّى القضاء في غرناطة، ثمّ إشبيليّة، ثمّ تولّى خطّة الخزانة العاليّة، الّتي كانت من الخِطط الجليلة، الّتي لا يُعيّن لتوليها إلاّ كبار العلماء ، توفيّ بمراكش سنة 569هـ /1173 م. انظر، ابن الأبار : **التّكملة** ، ج1 ، ص 69 ؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س1، ق1 ، ص223 ؛ ابن فرحون : **نفس المصدر** ، ص 117 ؛ ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج1، ص182 ؛ الصّفدي :**مصدر سابق** ، ج7 ، ص31 .

(2) ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س1، ق1 ، ص228،229 ؛ ابن فرحون : **مصدر سابق** ، ص118 .

(3) أحمد بن عتيق بن الحسين بن زياد بن جرج، من أهل بلنسيّة، يُعرف بالذّهبي ، أخذ عن عدّة علماء عصره، ومال إلى العلوم النّظريّة، فبرز في كلّ فنّ منها ، وشارك في جميعها ، كان ذكيّا، حسن الإستنباط والغوْص في دقائق المعاني ، له عدّة تواليف، منها (**حسن العبارة في فضل الخلافة والإمارة**)، نال بخدمة السّلطان، دنيا عريضة ، توفيّ سنة 601ه/1204م . انظر ، ابن الأبار : **التّكملة** ، ج1 ، ص85 ؛ ابن سعيد : **الغصون اليّانعة في محاسن شعراء المائة السّابعة** ، تحقيق، إبراهيم الأبياري ، دار المعارف مصر (د. ت) ، ج1 ، ص36؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س1، ق1 ، ص279 ؛ السّيوطي جلال الدّين : **بُغية الوُعاة في طبقات اللّغويّين والنّحاة** ، تحقيق ، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2 ، دار الفكر القاهرة مصر ، 1399هـ /1979م ، ج1 ، ص334 ؛ ابن فرحون : **مصدر سابق** ، ص120 .

(4) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س1، ق1 ، ص281.

(5) **نفسه** .

كما شملت العطايا للعلماء، عطايا عينيّة كالأراضي وغيرها، حيث عندما قدم على الموحدين المُنذر منصور الرّعيني [1] في بداية أمرهم، تلّقوْه بالبرّ والإحسان والإكرام وأقطعوا له إقطاعات بمالقة [2]، وكانت نظرة الموحدين إلى العلماء نظرة تقدير وإحترام وتبجيل ، وإختلفت وتنوّعت صُوَر هذا التّقدير، منها أنّهم كانوا جلساءهم، مثلما كان يحدث مع أبي بكر بن طفيل ت581ه/1185م الّذي كان يقيم عند أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن في قصره ليلا ونهاراً [3] .

وكان يوسف بن عبد المؤمن يترل من فرسه، إذا خرج للّقاء الفقيه أبي بكر بن محمد بن عبد الله بن الجدّ ت 586ه/1190م [4] إحتراما وإجلالا له، لأنّه من كبار علماء الدّولة الموحديّة، وكان يعقوب المنصور إذا قام بزيارة للعالم محمد بن عبد الله بن مجاهد[5]ت574ه/1178م في مرضه، كان يستأذن للدّخول عليه[6]، ومن مظاهر تقدير وإحترام حكّام الدّولة الموحديّة للعلماء، أنّهم كانوا يشاركون في تشيّيع جنائزهم والصّلاة عليهم [7].

---

(1) الرّعيني، المنذر بن رضي، من أهل سرقسطة ، إنتقل إلى الموحدين في أوّل أمرهم في مالقة ، فأحسنوا إليه لمكانته من الحسب ، وبراعته في الأدب ، كان كاتبا، بليغا وشاعرا، لم نعثر له عن تاريخ وفاته. انظر، ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص190 ؛ أبو عبد الله بن عسكر وأبو بكر بن خميس : **أعلام مالقة** ، تحقيق ، عبد الله المرابط التّرغي ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي بيروت ، 1420ه / 1999م ، ص200 ؛ ابن الزّبير أحمد بن إبراهيم الغرناطي : **صلة الصّلة** ، ط3 ، مكتبة الثّقافة الدّينيّة القاهرة ،1429هـ/2008 م ، ص47 .

(2) ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص47 ؛ ابن عسكر و ابن خميس : **نفس المصدر** ، ص200.

(3) المراكشي : **مصدر سابق** ، ص312 .

(4) ابن سعيد : **المُغرب** ، ج1 ، ص343 .

(5) محمد بن أحمد بن عبيد الله، توفيّ 574ه/1178م، يُعرف بابن مجاهد ، زاهد الأندلس علامة العلماء وشيخ مشايخ الصوفيّة، كان مُجاب الدّعوة، منافرا للملوك، مع رغبتهم فيه، يُقتدي في أحواله بالسّلف الصّالح . انظر، التنبكتي أحمد بابا : **كفاية المُحتاج لمعرفة من ليس في الدّيباج** ، تحقيق، محمد مطيع ، ط1 ، وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة المغرب ، 1421ه/2000م ،ج2 ، ص 21، 22 .

(6) التنبكتي : **نفس المصدر،ج2** ، ص22 .

(7) لم يكن تشيّيع جنائز العلماء يقتصر على حكّام الدّولة الموحديّة فقط؛ بل يشارك في ذلك عامّة النّاس وخاصّتهم بأعداد كبيرة. انظر ، ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص 32 ، ج3 ، ص128 ، ص214 ؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س1، ق1 ، ص231 ، ص272، س4، ص185 ، ص215 ، س5 ، ق1 ، ص63 ، س6 ، ص17 ، ص35 ، ص166 ، س8 ، ق 2 ، ص302 ؛ ابن الزّبير : **مصدر سابق** ، ص196 ؛ ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج1 ، ص186 .

شارك المنصور الموحدي في تشييع جنازة أبي بكر بن طفيل[1] وصلّى على جنازة محمّد بن عبد الملك بن زهر ت595ه/1198م [2] النّاصر بن المنصور ت 610ه/1213 م[3] وكذا الحال مع علي بن أحمد بن خيرة ت 634ه/1234م [4]، كما شهد أبو دبوس الأمير الموحدي بفاس أنذاك جنازة محمد بن عبد الكريم الفندلاوي[5] الكتّاني ت596ه/ 1199م [6] .

وهكذا فإنّ طبيعة الدّعوة الموحديّة الّتي شجعت العلم وحثّت عليه بالإضافة إلى وجود خلفاء يتميّزون بالعلم ، ساعد كلّ ذلك وغيره على إنتعاش الحياة العلميّة والفكريّة وإزدهارها في ظلّ هذه الدّولة .

---

(1) ابن الأبار : **تُحفة القادم** ، إعداد وتعليق ، إحسان عبّاس ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي بيروت ، 1406ه/1986 م ، ص96 .

(2) محمد بن عبد الملك بن زهر، من أهل إشبيليّة ، أخذ العلم عن علماء عصره، منهم والده عبد الملك ، إنفرد بعلم الطّب ، وكانت له مشاركة في العديد من العلوم والآداب ، كانت له مكانة خاصّة عند حكّام الدّولة الموحديّة ، توفيّ 595ه/1198م ودفن في روضة الأمراء. انظر: ابن الأبار: **التّكملة**، ج2، ص 75 ؛ ابن دحيّة أبو الخطّاب عمر بن حسن : **المُطرب من أشعار أهل المغرب**، تحقيق ، إبراهيم الأبياري وآخرون ، ط1، دار العلم للجميع بيروت ، 1374ه/1955م ، ص203 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص398 ؛ ابن أبي أصيبعة أحمد بن القاسم : **عيون الإنباء في طبقات الأطباء** ، تحقيق ، نزار رضا ، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت (د.ت) ، ص521 وما بعدها ؛ المراكشي :**مصدر سابق** ، ص145 ، 146 .

(3) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص75 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص403 .

(4) علي بن أحمد بن خيرة، من أهل بلنسيّة، أخذ العلم عن عدّة علماء عصره ، كان عدلا، فاضلا ، راجح العقل ، مُقرئا، مُجوِدًّا للقرآن، وليّ الصّلاة بالمسجد الجامع ببلنسيّة نحو أربعين سنة، توفيّ سنة634ه وكانت جنازته مشهودة، حضرها السّلطان . انظر، ابن الآبار: **التّكملة**، ج3، ص 237 ، 238 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5 ، ق1 ، ص160 وما بعدها .

(5) ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص270 ؛ المكناسي : **مصدر سابق** ، ص220 .

(6) محمد بن علي بن عبد الكريم الفندلاوي الكتّاني ، كان من أئمة العلم في المغرب، مقدّما في فنون العلم ، منه علم الكلام وأصول الفقه ، زاهدا في الدّنيا ، له مؤلف عنوانه (المُستفاد في مناقب الصّالحين والعباد من أهل فاس وما والاها من البلاد)، توفيّ سنة 596ه/1199م. انظر، ابن الأبار : **التّكملة** ،ج2 ، ص161 ؛ التّادلي يوسف بن يحي ابن الزّيّات : **التّشوف إلى رجال التّصوف** ، تحقيق، أحمد التّوفيق ، ط2 ، مطبعة النّجاح الجديدة الدّار البيضاء المغرب ، 1418ه/ 1997م، ص335 ، فيها يُحدد تاريخ وفاته بـــ 597ه/1201م ؛ المكناسي: **نفس المصدر**، ص220 ؛ الكتّاني أبو عبد الله محمد بن جعفر : **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أُقبر من العلماء والصلحاء بفاس** ، تحقيق ، الشّريف محمد حمزة بن علي الكتّاني ، ط2 ، مطبعة النّجاح الجديدة الدّار البيضاء ،1423ه/2002م ، ص270 ،271 .

II) عقد المجالس العلميّة و المناظرات:

1) عقد المجالس العلميّة:

لقد مثّل عقد المجالس العلميّة جزءا من إهتمامات الموحدين برعاية شؤون العلم والعلماء [1] ، حيث كان يحضرها مجموعة من العلماء في مختلف الفنون العلميّة، كالفقهاء والأطبّاء والفلاسفة والأدباء وغيرهم [2] إذ كان لهذه المجالس دور بارز في إزدهار وتطور الحركة الفكريّة في مختلف المناطق[3]، الّتي خضعت للحكم الموحدي حتى زادت في تنافس علماء المغرب والأندلس ، وهذه المجالس كانت تُعقد بصورة دوريّة، حيث يقول ابن صاحب الصّلاة: "كنت صبيحة يوم الأحد، قد بكّرت على العادة إلى دار الخليفة رضي الله عنه جالساً مع طلبة الحضر وأشياخ أهل الأندلس ...) [4].

كما كانت هذه المجالس تمثل سمة بارزة وذات أهميّة للعلماء، إذ كانوا يحضرون بانتظام هذه المجالس[5] وممّن كان يحضر هذه المجالس من العلماء عبد الله بن علي بن أبي العبّاس [6] ت562ه/1166م [7] ومحمد بن عبد الله العبدري [8] ت567ه/1171م وأبو بكر محمد بن الجدّ ت586ه/1190م [1] وأبو عبد

(1) محمد المنّوني : **حضارة الموحدين** ، ص30 .
(2) **نفسه** .
(3) حسن علي حسن : **مرجع سابق** ، ص414 .
(4) ابن صاحب الصّلاة : **مصدر سابق** ، ص275 .
(5) حسن علي حسن : **مرجع سابق** ، ص415 .
(6) ابن الزّبير : **مصدر سابق** ، ص86 ؛ ابن عسكر وابن خميس : **مصدر سابق** ، ص221 .
(7) عبد الله بن علي بن أبي العبّاس ، من أهل مالقة، كان من جلّة الأدباء وعليّة الفصحاء، الخطباء، جليل الهمّة، عالي المقدار، كتب لأبي يعقوب وعبد المؤمن ، وكان معظّما عندهم، يباهون به في مجالسهم ويشاورونه في أمورهم، توفيّ سنة 562ه/1166م . انظر ، ابن الزّبير: **مصدر سابق** ، ص86؛ ابن سعيد : **المُغرب** ،ج1 ، ص426 ؛ ابن عسكر وابن خميس : **نفس المصدر** ، ص 221 وما بعدها .
(8) محمدبن عبد الله بن ميمون العبدري، قرطبي، إستوطن مراكش ، أخذ العلم عن عدّة علماء عصره ، كان عالما بالقراءات، ذاكرا للتّفسير، حافظا للفقه واللّغة والآداب، مبَرزا في النّحو، من مصنّفاته (مشاحذ الأفكار في مآخذ النّظار)، إنتصب للتّدريس في مراكش، فأخذ عنه خلق=

الله بن الصّقر [2] وأبو بكر بن طفيل [3] ، ويحي بن أبي الحجّاج ت 590ه/1192م [4] وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم الفهري[5] ت612ه/1215م وأبو الوليد بن رشد الحفيد [6]،كما أنّ عقد المجالس، لم يقصر على خلفاء الدّولة الموحديّة فقط، بل كان يعقدها الأمراء والولاّة في ولاياتهم أيضا ، ونظراً لأهمية هذه المجالس العلميّة نلاحظ أمرين هامين هما :

أ) ــ إتّخذت الدّولة الموحديّة أسلوبا خاصّا في تعيّين الولاّة والأمراء في المناطق ، حيث تُعيّن معهم وتُكلّف عددا من الشّيوخ والحُفّاظ والطلبة[7] للعمل إلى جانب الوالي، ممّن عُرفوا بسعة علمهم وفقههم كهيئة إستشاريّة له في مختلف المجالات[8] .

ب)ــ إختيار الدّولة الموحديّة للولاّة، لم يكن عشوائياً؛ بل يختارون الّذين يتميّزون بالثّقافة العلميّة الواسعة[9] وقد برز من خلال المجالس العلميّة الّتي كانوا يعقدونها المستوى العلمي الّذي يتميّز به الأمراء ، والمناقشات والمناظرات الّتي كانت تقوم في حضرتهم ، إذ كانت مجالسهم تعجّ بالعلماء البّارزين في مختلف العلوم والمعارف فكان يوسف بن عبد المؤمن يلتقي بالعلماء وهو في إشبيليّة واليّا عليها، يأخذ عنهم العلم

=كثير، فكان بنو عبد المؤمن يتنافسون للأخذ عنه ، وكان يحضر مجالس عبد المؤمن مع بقية العلماء، توفيّ بمراكش سنة 567ه/1171م. انظر ، ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س6 ، ص 319 وما بعدها .

(1) المراكشي : **مصدر سابق** ، ص355 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص325 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص207

(2) ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص 207 .

(3) المراكشي : **نفس المصدر** ، ص 311 ، 312 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص 207.

(4) ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص 408 .

(5) الغبريني أبو العبّاس أحمد بن أحمد : **عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السّابعة ببجاية** ، تحقيق ، عادل نويهض ، ط2 ، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت 1979م ، ص 209 .

(6) المراكشي : **مصدر سابق** ، ص314 ، 315 ؛ ابن أبي اصيبعة : **مصدر سابق** ، ص531 .

(7) ابن صاحب الصّلاة: **مصدر سابق** ، ص118 ، ص293 ، ص395 – 396 ؛ المراكشي : **مصدر سابق** ، ص293 .

(8) المراكشي : **نفس المصدر** ، ص293 ؛ ليفي بروفنسال: **مجموع رسائل موحديّة** ، ص7 .

(9) عزّ الدّين عمر موسى : **مرجع سابق** ، ص 99 .

ويستشيرهم[1] وعثمان[2] بن عبد المؤمن الّذي ولاّه والده ولاية غرناطة، فقد عُرف عنه أنّه كان محبّا للأدب والأدباء، إذ إجتمع له من الشعراء والكُتّاب والأدباء خلقٌ كثير، يقول عنه المراكشي :" اجتمع له من وجوه الشعراء وأعيان الكُتّاب عصابة ما علمتُها، إجتمعت لملك منهم بعده" [3]وسليمان بن عبد المؤمن[4] عندما كان واليّا إجتمع إليه أهل الأدب وإشتهر مكانه [5] وعبد العزيز بن يوسف[6] بن عبد المؤمن الّذي تولّى مالقة سنة598ه وإشبيليّة وغيرها، عُرف بتقريبه للطلبة محباً لهم معظّما للعلم وأهله [7].

وأبو زكريا يحيى بن يوسف بن عبد المؤمن [8] الّذي كانت تنعقد المناظرات والمجالس العلميّة في مجلسه وكان يحضر معظمها عبد الواحد المراكشي[9]، وعندما عيّن إدريس بن يعقوب المنصور والياً على مالقة [10]في خلافة أخيه عبد الله العادل ، عقد فور وصوله إليها مجلس مذاكرة، شارك فيه كبار علماء

(1) المراكشي : **نفس المصدر** ، ص 309 .

(2) أبو سعيد عثمان بن عبد المؤمن والي غرناطة، كان له دور بارز في القضاء على المتمّردين والنّصارى في الأندلس، منهم محمد بن سعيد بن مردنيش ، توفيّ في مراكش بسبب الطّاعون الّذي أصاب عددا كبيرا من سكان مراكش سنة571ه/1176م . انظر، المركشي: **نفس المصدر** ، ص293 ؛ ابن عذارى : **مصدر سابق (قسم الموحدين)** ، ص 136 ؛ ابن صاحب الصّلاة : **نفس المصدر** ، هامش رقم4، ص 138 .

(3) المراكشي : **نفس المصدر** ، ص293 .

(4) أبو الرّبيع، سليمان بن عبد المؤمن، تنقّل في عدّة ولايات، كبلنسيّة وبجاية وسجلماسة ، وحيثما كان يجتمع إليه أهل الأدب، كان متميّزا في قومه، عالما فيهم بهذا الشّأن ، فصيحا بالعربيّة والبربريّة ، له شعر سمّاه(نظم العقود ورقم الحلل والبرود)، وإختصر كتاب الأغاني للأصفهاني، يعدّ من مفاخر بنّي عبد المؤمن، توفيّ سنة 604ه/1207م. انظر ، ابن سعيد : **الغصون اليّانعة** ، ص131 وما بعدها ؛ المراكشي : **نفس المصدر** ، 378 ؛ المقرّي : **نفح الطيب** ، ج3 ، ص105 .

(5) ابن سعيد : **الغصون اليّانعة** ، ص131 .

(6) عبد العزيز بن يوسف بن عبد المؤمن، يُكنّى أبا محمد ، وليّ مالقة وإشبيليّة وغيرها ، كان من جلّة السّادات ، معلوم مكانته ، فاضلا، جليل القدر، حسن السّيرة، مقرّبا للطّلبة، محبّا للعلم وأهله ، قويّ العزيمة، شديد الشّكيمة ، أرطب النّاس لسانا بذكر الله، أتلاهم لكتاب الله .انظر، المراكشي : **مصدر سابق** ، ص 412، 413 ؛ ابن عسكر وابن خميس : **مصدر سابق** ، ص262 .

(7) ابن عسكر وابن خميس : **نفس المصدر** ، ص262 .

(8) يحيى بن يوسف بن عبد المؤمن، أحد ابناء أبي يعقوب بن عبد المؤمن ، كان صديقا لعبد الواحد المراكشي ، أخذ عنه كثيرا من أخبار دولة الموحدين، دوّنها في كتابه المعجب . انظر ، المراكشي : **نفس المصدر** ، ص317 .

(9) المراكشي : **نفس المصدر** ، ص317 ؛ محمد المنّوني : **مرجع سابق** ، ص 31 .

(10) مالقة، مدينة بالأندلس، على شاطيء البحر، وهي عامرة، كثيرة الدّيار ، وفي غاية الحصانة والمنعة ، البحر في قبلتها . انظر ، الحموي : **معجم البلدان** ، ج5 ص43 ؛ الحميري : **مصدر سابق** ، 517 .

مالقة ونبهاء طلبتها وكان لهذا الأمير دور في المناقشات العلميّة، نال إستحسان الحاضرين واستغرابهم في آن واحد[1].

وهكذا فقد أسهم العلماء والولاّة في إغناء الحركة الفكريّة بالمناقشات والحوارات، وقد أتت هذه المجالس بثمارها عندما تولّى الحكم والإدارة نخبة من العلماء، ممّن كانت لهم آفاق علميّة واسعة، جعلت من الدّولة الموحديّة دولة علم وثقافة وحريّة وإنتاج فكري وعلمي غزير .

وعملية عقد المجالس لم تكن عشوائية، إنّما كانت تخضع لتخطيط معيّن وترتيب وفق نسق خاص، حيث كان جلوس الحاضرين على قدر مراتبهم ، فكان حكّام الدّولة الموحديّة سواء كانوا خلفاء أو أمراء أو ولاّة يتصدّرون المجلس وإلى جانبهم خطيب الدّولة الموحديّة ويليه قاضي الجماعة، ثمّ رئيس الأطبّاء، ثمّ سائر العلماء على إختلاف مراتبهم [2] .

ويبدو أنّ هذا الأخير يتغيّر من مجلس إلى آخر، تبعا للفنّ الّذي سوف يُبحث ، إذ أنّ لكلّ فنّ مجلساً فهناك مجلس لمذاكرة الحديث [3] وآخر للبّحث في علم الكلام [4] وثالث للعربيّة ورابع للأدب وهكذا [5] ويحضر هذه المجالس عدد من العلماء والطّلبة على إختلاف مراتبهم وطبقاتهم [6] .

وكانت المناقشات تجري وفق مجريات عصرهم، فكان الخليفة أو من ينوب عنه، يطرح مسألة ما، ثمّ يبدأ الحاضرون مناقشتها وإبداء الرّأي فيها [7]، ويتصدّر النّقاش خلفاء الدّولة، لسعة ثقافتهم وعلمهم [8]

(1) ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج1 ، ص410 ، 411 .
(2) ابن أبي أصيبعة : **مصدر سابق** ، ص486 .
(3) ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س8 ، ق1 ،ص 169 .
(4) ابن فرحون : **مصدر سابق** ، ص127 .
(5) ابن أبي أصيبعة : **مصدر سابق** ، ص534 .
(6) المراكشي : **مصدر سابق** ، ص 426 .
(7)المراكشي : **نفس المصدر** ، ص 426 ، يذكر أنّ عبد المؤمن وابنه يوسف ويعقوب بن يوسف، كانوا يلقون المسائل بأنفسهم .
(8) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5 ، ق1 ، ص62 .

وبعد المناقشة والتّحليل والتّعليل بالأدّلة [1] يُختم المجلس بالدّعاء للخليفة الموّحدي[2] ، حيث يدعو الخليفة ويؤَمِّن الوزير جهراً ليسمع من بَعد [3].

كما كان لهذه المجالس آداب وقواعد، لابدّ على الحاضرين من إحترامها والإلتزام بها، تتميّز بالجدّ وإحترام الحاضرين وخاصّة الخليفة ومخاطبته بالألقاب المفخّمة، أو يكون مصيره الإبتعاد عن هذه المجالس وهذا ما حدث لمحمد بن عبد الله العبدري الّذي أُبعد عن حضور هذه المجالس العلميّة الّتي كان يحضرها بانتظام ويُبدي ما عنده من المعارف [4].

وكان عبد المؤمن وبنوه يُجلّونه ويحترمونه ويتنافسون للقراءة عليه إلى أن أنشد في أحدّ مجالس عبد المؤمن ثلاث أبيات، قالها متغزّلا [5]، لم تلقى قبولا عند عبد المؤمن ، فهجره عبد المؤمن ومنعه من حضور مجالسه وصرف بنيه عن القراءة عليه ، على الرّغم من أنّ هذه الأبيات من لغو القوْل ، ورغم أنّ العبدري قد عُرف بالطّهارة والعفاف [6] وكذلك الحال مع ابن رشد الحفيد أبي الوليد الّذي نُكب بسبب مخاطبته للمنصور في مجلس من مجالسه العلميّة " تسمع يا أخي " [7] .

ويمكن القول أنّ إنتشار هذا النّوع من اللّقاءات الفكريّة والعلميّة وما يقع فيها من مناقشات ومناظرات جادّة، لاشكّ أنّها ساهمت إلى حدّ كبير في إثراء الحياة العلميّة في هذا العصر؛ بل كانت سببا في ظهور العديد من المؤلفات العلميّة، منها ما حدث في مجلس والي سبتة الموّحدي أبو يحيى بن عمر بن زكرياء

---

(1)ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س5 ، ق1 ، ص62 .

(2) ابن صاحب الصّلاة : **مصدر سابق** ، ص285 ؛ المراكشي : **نفس المصدر** ، ص426 .

(3)المراكشي : **نفس المصدر** ، ص426.

(4) ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س6 ، ص320.

(5) انظر الأبيات، ابن عبد الملك : **نفس المصدر**، س6 ، ص320 .

(6) **نفسه** .

(7) ابن أبي أصيبعه : **مصدر سابق** ، ص532 ؛ عبد الله عنان : **مرجع سابق** ، ج2 ، ص 228 .

الهنتاني ، حيث وقعت مناظرة بين أبي الوليد الشّقندي [1] ت629ه/1232م وبين أبي يحيى بن المعلم الطّنجي في المفاضلة بين الأندلس و المغرب ، وحاول كلّ واحد منهما أن ينتصر لبلده ، وكانت ثمرة هذه المناظرة، أن ألّف كل واحد منهما رسالة في تفضيل بلده على البلد الآخر[2].

كما كان الخلفاء والولاّة يجلبون إليهم العلماء من مختلف المناطق وفي مختلف أصناف العلوم ، مثلما كان يفعل أبو بكر بن طفيل مع يوسف بن عبد المؤمن، حيث يقول المراكشي :" ولم يزل أبو بكر هذا، يجلب إليه العلماء من جميع الأقطار ويُنبّهه عليهم ويحضّه على إكرامهم والتّنويه بهم" [3] وقد أدّى هذا التّحفيز من الدّولة الموحديّة للعلماء، أن أصبحت مراكش العاصمة قِبلة العلماء وطلبة العلم من مختلف المناطق [4] ، وكلّما وصل إلى مسامع الموحدين اسم أحد العلماء ذو شهرة علمية في فنّ من الفنون، شجعوه للحضور إلى مراكش [5] .

كما أنّه لايُسمح لأيّ عالم حضور مجالس الخليفة، إلاّ بعد أن يُجرى له إمتحان في تخصّصه؛ للتّحقّق من مستواه العلمي ، وقد أعدَّ لهذا الغرض منزلاً خاصاً، سُميّ بيت الطلبة ، يأوي إليه العلماء القادمين من بعيد إلى مراكش ، وفيه يجتمع العلماء لإمتحان أيّ وافد إليه ، فإذا نجح في هذا الإمتحان، سمح له بالمشاركة في هذه المجلس ، ومن ذلك ما حدث لأبي عمر بن عات ت609ه/1212م فقد إنعقد له مجلس

---

(1) إسماعيل بن محمد الشّقندي، أبو الوليد ، أديب أندلسي، ولد بشقندة بالأندلس، تولّى القضاء في بياسة ، له رسالة في فضل الأندلس، توفيّ سنة 629ه /1232م. انظر ، الزّركلي : **مصدر سابق** ،ج1 ، ص222 .

(2) ابن سعيد الأندلسي : **إختصار القدح المُعلّى في التّاريخ المُحلّى** ، تحقيق ، إبراهيم الأبياري ، ط2 ، دار الكتاب اللبناني بيروت ، 1400ه/ 1980م، ص138 ؛ ذكر المقرّي المناظرة مطوّلا والرّسالة الّتي كتبها الشّقندي. انظر، المقرّي : **مصدر سابق** ، ج3 ، ص186 ؛ أنخيل جانثالث بالنثيا : **تاريخ الفكر الأندلسي** ، ترجمة ، حسين مؤنس ، مكتبة الثّقافة الدّينيّة مصر ، (د .ت) ، ص299.

(3) المراكشي : **مصدر سابق** ، ص 314 .

(4) العرّيني : **مرجع سابق** ، ص49 .

(5) نظرا لوصول عدد كبير من العلماءإلى مراكش العاصمة في هذا العصر، فقد ألّف أحد العلماء كتابا، ذكر فيه هؤلاء العلماء. انظر ، ابن عبد الملك ، س1 ،ق2 ، ص467 .

من كبار علماء الحديث وذكروا له أحاديث من صحيح مسلم وخالفوا بين مُتونها وأسانيدها ، فأعاد المُتون إلى الأسانيد، فاعْترف لهؤلاء العلماء بالحفظ وأصبح له الحقّ لحضور مجالس الخليفة العلميّة [1] .

2)إستدعاء العلماء المُبّرَزين :

لم يكن إختيار العلماء ودعوتهم للحضور إلى مراكش عاصمة الخلافة الموحديّة إعتباطي دون هدف مسطّر له، بل كان لأسباب وأهداف أهمها :

✓ لحضور مجالس الخلفاء العلميّة، مثل يحي بن أبي الحجّاج ت590ه/1193م [2] الّذي قيل في سبب إستقدامه أنّه تمكّن من استنباط واستخراج تاريخ فتح بيت المقدس الّذي كان سنة 583ه/1187م من سورة مريم من خلال تفسير أبي الحكم بن برجان [3] ت536 ه/1141م عند كلامه على سورة الرّوم ووقف المنصور الموّحدي عند هذا الاستنتاج ، وأخذ يترقّب ويتحقّق من هذا الفتح ، ولمـــّا تحقّق الفتح، أيقن من سعة علم أبي الحجّاج ونباهته ، فاستدعاه للحضور إلى مجلسه مع بقية العلماء الّذين يحضرون عادة [4] ، وقد نال الاهتمام والتّقريب أكثر علماء الحديث، خاصّة في عهد يعقوب المنصور الّذي أمر بطرْح كتب الفروع والاعتماد على كتب الحديث[5] ، ولذلك استدعى الموحدون عددا كبيرا من علماء الحديث وكان منهم محمد بن إبراهيم الأنصاري بن الفخّار ت590ه/1193م [6] الّذي كان صدراً في حفظ

(1) المقرّي : **نفح الطيب** ،ج2 ، ص100.

(2) يحي بن أبي الحجّاج، من أهل لبلة ، نشأ بمراكش ، كان له تقدم في علم العربي ، وعلم أصول الفقه ، مع دقّة نظر ونفوذ فهم وغموض وإستنباط، توفيّ سنة 590ه/1193م . انظر، ابن الزّبير ، **مصدر سابق** ، ص408 ؛ السّيوطي : **بُغية الوُعاة** ، ج2 ، ص331 .

(3) طبع تفسير ابن برجان الّذي يسمّى (**تنبيه الأفهام إلى تدّبر الكتاب الحكيم وتعرف الآيات والنّبأ** العظيم)، تحقيق ، أحمد فريد المزيدي ، ط1، دار الكتب العلميّة بيروت 1434ه/2013م .

(4) ابن الزّبير : **مصدر سابق** ، ص408 .

(5) المراكشي : **مصدر سابق** ، ص 354 ، 355 .

(6) محمد بن إبراهيم بن خلف بن أحمد الأنصاري، يُعرف بابن الفخّار ، كان صدرا في حفظ الحديث، يسرد المتون والأسانيد مع معرفةٍ بالرّجال وذكر الغريب ، حافظا لكتاب السّنن لأبي داوود وصحيح مسلم ، إستُدعيّ إلى حضرة مراكش؛ ليسمع عليه ، توفيّ سنة 590ه/1194 بمراكش. انظر، ابن الأبّار: **التّكملة** ، ج2 ، ص 69 ؛ الضّبي : **مصدر سابق** ، ج1 ، ص 82 وما بعدها ؛ الذّهبي:=

✓ الحديث، يسرد المتون والأسانيد، فاستدعاه المنصور إلى مراكش، ليسمع عليه الحديث [1] ، كما استدعى لنفس الغرض أبا العبّاس أحمد بن سلمة بن الصّيقل ت 598ه/1202م [2]، ومن بين الكتب الّتي كانت تُعرض في هذه المجالس بطبيعة الحال مؤلفات ابن تومرت، منها مُوطأ المهدي والمرشدة وكتاب أعزّ ما يُطلب[3] وغيرها.

✓ للتّدريس في المساجد والجامع وتقديم ما لديهم من العلوم والمعارف ، منهم محمد بن عبد العزيز المعافري ت601ه/1205م [4] كان مُحَدّثاً، راوياً، ذاكراً أقوال أئمّة الفقه، إذ تصدّر للقرّاء بإشبيليّة وقرطبة، ثمّ نقله المنصور إلى حضرته في جامعها الأعظم لتدريس ما عنده من العلوم والمعارف ، وقد حظيّ عنده وعند أهله وشيعته حظوة عظمى إلى أن توفيّ[5] .

✓ لتعليم ابناء الخلفاء والأمراء ، حيث كانوا يحرصون على إختيار العلماء الّذين يتولّون تعليم وتربية ابنائهم، مّن عُرفوا بالعلم الواسع والخُلق الكريم ومن هؤلاء علي بن محمد القرطبي ت618ه/1221م [6] حيث سمعه المنصور، يقرأ يوما، فأعجبه حُسن قراءته، فاستخلصه ، وأمره بتعليم ابنائه .

تذكرة الحُفّاظ ، ط3 ،دار الكتب العلميّة بيروت ،1377ه/1958 م ، ج4 ، ص1355 ؛ السّيوطي: **طبقات الحُفّاظ** ، ط1 ، دار الكتب العلميّة،بيروت1403ه/1983م ، ص 483 ؛ الذّهبي : **سيّر أعلام النّبلاء** ، ج21 ، ص241 .

(1) ابن الأبار : **التّكملة** ،ج2 ، ص 69 ؛ الذّهبي : **سيّر أعلام النّبلاء** ، ج21 ، ص 241 .

(2) أحمد بن سلمة بن أحمد بن يوسف بن سلمة الأنصاري بن الصّيقل، كان مُحَدّثا، حافظا، كامل العناية بالحديث، وافر الحظّ في علم العربيّة ، توفيّ سنة 598ه/1202م . انظر، ابن الآبار : **التّكملة** ، ج1 ، ص82 ؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س1، ق1 ، ص126 .

(3) ابن صاحب الصّلاة : **مصدر سابق** ، ص229 ؛ ابن عذارى : **مصدر سابق (قسم الموحدين)** ، ص151 .

(4) محمد بن عبد العزيز بن خلف بن عبد العزيز المعافري، سكن إشبيليّة، ثمّ مراكش، أخذ العلوم عن عدّة علماء، فكان مَحدّثا، راوية، عدلا، فقيها، ذاكرا أقوال أئمة الفقه، مستبحرا في حفظ اللّغات والتّواريخ والأشعار قديمها وحديثها، متقدّما في النّحو، حظيّ عند المنصور الموحدي وأهله وشيعته حظوة عظمى إلى أن توفيّ سنة 601 ه/1205م. انظر، ابن الأبار :**التّكملة** ، ج2 ، ص87 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر**، س6، ص381 ، 382 .

(5)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص 381، 382 .

(6) علي بن محمد بن يوسف بن عبد الله الفهمي القرطبي ، سكن سلا، ثمّ مراكش، تلا في إشبيليّة بالسّبع على عدّة قرّاء ، كان حافظا للقرآن الكريم ، مَجوّدا له ، عارفا بالقراءات، قائما عليها آية من آيّات الله في حسن الصّوت ، ذو حظّ من رواية الحديث، ذكيّا، فهما، يقظا ضريرا، له مقام محمود عند الموحدين ، توفيّ بمراكش سنة618 ه/1221م. انظر، ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5، ق1 ،ص 399 وما بعدها .

ونظرا لكونه ضريرا وعفيفاً أمره المنصور بتعليم بناته أيضا ، ورغم محاولته الإعتذار عن تعليم البنات، إلاّ أنّ المنصور أصرّ على ذلك وألزمه بتعليمهنّ [1] ، ومنهم أحمد بن حسن بن سيد الجراوي[2] توفيّ بعد 560ه/1165 الّذي استخلصه عبد المؤمن بن علي لتأديب بنيه، فسما قدره وعظُم صيته وارتقى محلّه[3]وابن حوط الله عبد الله بن سليمان الأنصاري ت612 ه/1204[4] الّذي يُعرف بمُحدّث الأندلس قام بتأديب أولاد المنصور الموّحدي، فنال عزّا ودنيا واسعة[5] .

- ✓ لإدارة المؤسّسات التّعليميّة خاصّة في مراكش الّتي تحتاج إلى علماء، يديروها ويحرصون على نشر العلم فيها ، وقد استَقْدموا لهذا الغرض مجموعة من العلماء ، كان منهم عبد الله بن محمد الأنصاري ت 574ه/1178[6]م الّذي ترأّس طلبة الحضر بمراكش [7] وأحمد بن عتيق الذّهبي ت 601ه / 1204م الّذي ترأّس نُظراءه من الطلبة وقد نال بخدمة السّلطان دنيا عريضة [8] وعلي بن محمد الكُتامي

(1) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5 ، ق1 ، ص400 .

(2)أحمد بن حسن بن سيد الجراوي، مالقي ، أخذ عن عدّة علماء عصره علم في العربيّة والآداب ، كان نحويّاً، فاضلا، ماهرا، له حظّ في قرض الشّعر ، إنتقل إلى مراكش، حيث قام بتأديب ابناء عبد المؤمن، توفيّ بعد 560ه/1165م. انظر، ابن الأبار : **التّكملة** ، ج1 ، ص63، 64 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س1 ، ق1 ، ص92- 93 ؛ السّيوطي : **بغية الوعاة** ، ج1 ، ص302 .

(3) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج1 ، ص63 ؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س1 ،ق1 ، ص92،93 .

(4) أبو محمد عبد الله بن سليمان بن داود بن حوط الله الأنصاري ، أخذ العلم عن علماء عصره ، كان مُنشأ، خطيبا، بليغا، نحويّا، تصدّر للقراءة والعربيّة ، إعتنى به الموحدون، فكان له عند المنصور أكرم أثر، تولّى قضاء إشبيليّة وقرطبة ومرسية وسبتة وسلا وميروقة، توفيّ سنة612ه بغرناطة . انظر ، ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص287 -289 ؛ ابن الزّبير : **مصدر سابق** ، ص97،96 ؛ أبو الحسن النُّباهي : **تاريخ قضاة الأندلس "كتاب المرقبة العليا فيمن يستحقّ القضاء والفُتيا "**، تحقيق ،لجنة إحياء التّراث ، ط5 ، دار الآفاق الجديدة بيروت 1403ه/1983م ، ص112 ؛ السّيوطي : **بغية الوعاة** ، ج2 ، ص44 ؛ الذّهبي : **تذكرة الحُفّاظ** ، ج4 ، ص1397 ،1398 .

(5) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص 289 ؛ ابن الزّبير: **مصدر سابق** ، ص97 ؛ الذّهبي : **سيّر أعلام النّبلاء** ، ج22 ، ص42 .

(6) عبد الله بن محمد بن عيسى الأنصاري، يُعرف بالمالقي، سكن مراكش ، أخذ عن عدّة علماء عصره ، كان فقيها، نظّارا، خطيبا، مفوّها، ذو حظّ في الأدب ، نال بخدمة السّلطان دنيا عريضة ، ترأّس طلبة حضرته بمراكش، توفيّ سنة 574ه/ 1178م . انظر، ابن الأبار : **التّكملة**، ج2، ص 272 ؛ عبّاس السّملالي : **مصدر سابق** ، ج8 ، ص193 .

(7) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص 272 ؛ السّملالي : **مصدر سابق** ، ج8 ، ص193 .

(8) ابن الأبار: **التّكملة** ، ج1 ، 85 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س1، ق1 ، ص279 ؛ السّيوطي: **بغية الوعاة** ، ج1، ص334.

ت628 ه/1231م[1] الّذي ترأّس طلبة العلم في مراكش ونال هو الآخر دنيا عريضة بخدمة السّلطان[2] .

- ✓ لإصطحابهم مع الجيوش وهي عادة الموحدين في غزواتهم، حيث كان دور العلماء هو إقراء الجند والإفتاء لما يحدث لهم ، وشحْذ ورفْع الهمم ..، ومن هؤلاء العلماء محمد بن إبراهيم الأنصاري بن الفخّار ت 590ه/ 1193م الّذي صحب الجيوش الموحديّة إلى إفريقيّة في عهد المنصور ، كما صحب تلك الجيوش نجبة بن يحي الرّعيني الإشبيلي المُقرىء ت 591ه/1195م[3] الّذي توفيّ بالأندلس مع جيوش الموحدين بقيادة المنصور[4] وكذلك أحمد بن عتيق الذّهبي الّذي توفيّ في تلمسان سنة601ه/1205م وهو قاصدا مع جيوش الموحدين صحبة النّاصر إلى إفريقيا[5] .

- ✓ كما كان يُستدعى إلى عاصمة الدّولة الموحديّة كبار العلماء بهدف القيام ببعض الأعمال الّتي لايمكن أن يقوم بها غيرهم، منها خطّة الخزانة العامّة ، إذ استدعى يوسف بن عبد المؤمن من غرناطة أحمد بن عبد

(1) علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي ، من أهل مدينة فاس، يُعرف بابن القطّان ، كان من أبصر النّاس بصناعة الحديث ، وأحفظهم لأسماء رجاله وأشدّهم عناية بالرّواية مع التّفنّن في المعرفة والدّراية، له كتاب (شرح الأحكام) لعبد الحق ، توفيّ بسجلماسة وهومتولي قضاءها سنة 628ه/1231 م . انظر ، ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص250 ؛ ابن الزّبير : **مصدر سابق** ، ص297 ؛ الذّهبي : **تذكرة الحفاظ** ، ج4 ، ص1407 ؛ ابن العماد :**مصدر سابق** ، ج7، ص225 ؛ المكناسي : **مصدر سابق** ، ج2، ص 470 .

(2) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص250 ؛ الغبريني : **مصدر سابق** ، ص43 .

(3) نجبة بن يحي بن خلف بن نجبة الرّعيني الإشبيلي، ولد سنة 520ه/1126م فكان نحويّا، مُقْرِءاً ، متحقّقا، تصدّر إقراء القرآن وتعليم العربيّة في مراكش وإفريقيا ، توفيّ سنة591 ه/1195م بالأندلس وهو يجاهد مع المنصور. انظر، ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص218 -219 ؛ السّيوطي : **بغية الوعاة** ، ج2 ، ص312 .

(4) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص 219 .

(5) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج1 ، ص85 ؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س1 ، ق1 ، ص282 .

الرّحمن بن الصّقر ت569ه/1174م الّذي كان قاضياً عليها وجعله على خطّة الخزّائن العلميّة بمراكش[1] الّتي كانت من الخطط الجليلة لدى الموحدين، لايتولاّها إلاّ عليَّة أهل العلم وأكابرهم [2] .

وكان لدى يوسف بن عبد المؤمن مكتبة ضخمة، إجتهد في تزويدها بمختلف أصناف الكتب، حتى ضاهت مكتبة الحكم المستنصر بالأندلس (350ه -366ه/961- 977م) [3]والّتي كانت تضمّ أربعمائة ألف مجلد[4] ويبدو أنّ هذا العالم خبير في تنظيم الكتب والمكتبات والإعتناء بها؛ لأنّه كان يملك مكتبة ضخمة خاصّة حسب ماذكرته المصادر،إلاَّ أنّها تعرّضت للنّهب والغرق خلال فترة الفتن بغرناطة ومراكش[5].

- ✓ كما أنّ الموحدين استقدموا للمهام العلاجيّة في دار الخلافة وفي مارستان مراكش أطباء أكْفاء متخصّصين من الأندلس خاصّة الّتي كانت تتوّفر على عدد كبير منهم [6]، وكان من بينهم وأهمّهم أبو بكر بن طفيل أبو الوليد وابن رشد ومحمد بن زهر وغيرهم من الّذين حفَلت بهم كتب التّراجم [7] .

هذا و لم يقتصر عقد المجالس والإهتمام بالعلم والعلماء على خلفاء الدّولة في عاصمتهم وإنّما عقدها أيضا الأمراء والولاّة في ولاياتهم ، بل يتنافسون في استدعاء المبَرزين من العلماء والأدباء والكُتّاب [8] ،

(1) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س1 ، ق1، ص228.

(2)ابن عبد الملك : **نفس المصدر**، س1، ق1، ص228 ؛ ابن الخطيب:**الإحاطة** ،ج1 ، ص184 ؛ ابن فرحون : **مصدر سابق** ، ص117.

(3) المراكشي : **مصدر سابق** ، ص 310.

(4) المقرّي : **نفح الطيب** ، ج1 ، ص 395 .

(5)ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س1، ق1، ص229 ؛ ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج1 ، ص186 ؛ ابن فرحون :**نفس المصدر** ، ص118.

(6) إبراهيم حركات : **مرجع سابق** ، ص373 ؛ العرّيني : **مرجع سابق** ، ص52 .

(7) ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص207 ؛ ابن أبي أصيبعة : **مصدر سابق** ، ص519 وما بعدها .

(8) العرّيني : **نفس المرجع** ، ص52 .

ليتولّوا التّدريس في ولاياتهم وليحضروا مجالسهم العلميّة ومن هؤلاء الأمراء أبو سعيد عثمان بن عبد المؤمن الّذي كان واليّا على غرناطة سنة 548ه/1153م، وأثناء ولايته جمع حوله نخبة من العلماء والأدباء [1]، منهم الأديب والكاتب محمد بن إبراهيم بن خيرة، المعروف بابن المواعيني ت 564ه/1168م [2] والكاتب إبراهيم بن خلف بن فرقد ت572ه/1176م[3]وابن طفيل الطّبيب والحافظ بن حبيش[4] ت584ه/1188م والحافظ بن الجدّ ت 586ه/1190م[5].

3) المناظرات العلميّة :

إنّه لجدير بالذّكر في هذا المقام أن نذكر المناظرات العلميّة والرّدود بين العلماء وأهميّتها في إثراء الحياة الفكريّة في عهد الموحدين ، وذلك لأنّها تشحذ الأفكار نحو إنتاج فكري وعلمي سليم ، وقد ذكرنا نوعا منها الّذي كان يقوم في حضرة خلفاء وأمراء الدّولة الموحديّة الموّحدين ، إلاّ أنّنا نودُّ أن نذكر هنا مايجري بين العلماء مباشرة وليس في حضرة الحكّام ، فقد تكون أغزر علما وأكثر فائدة، لأنّها تتّم في حرية تامّة،

(1) المراكشي : **مصدر سابق** ، ص293 .

(2) محمدبن إبراهيم بن خيرة بن المواعيني، القرطبي الإشبيلي ، أديب أندلسي سكنا ، تولى الكتابة لصاحب غرناطة أبي حفص عثمان بن عبد المؤمن ، كان كاتبا، بليغا وشاعرا مجيدا، حسن الخطّ ، نال حظّا وافرا ، وثروة كبيرة لدى أبي حفص، له كتاب (ريحان الألباب وريعان الشّباب في مراتب الآداب)، توفيّ سنة564ه/1168م . انظر ، ابن الأبار :**التّكملة** ،ج2 ، ص43 ؛ابن سعيد : **المغرب** ، ج1 ، ص247 ؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س6 ، ص91 ؛ ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج2 ، 337 .

(3) إبراهيم بن خلف بن محمد بن الحبيب بن فرقد القرشي ، سكن إشبيليّة، كان متفنّنا في المعارف، محدّثا، راوية، فقيها، حافظا، شاعرا، كاتبا بارعا ، كتب بخطّه الكثير من كبار الدّواوين وصغارها ، كان من أصحّ النّاس كتْبًا وأتقنهم ضبطا وتقيّيدا، دوّن برنامجا، ذكر فيه شيوخه وخطب مختلف المقاصد ، توفيّ سنة572ه/1176م . انظر ، ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج1 ، ص364 وما بعدها .

(4) عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصاري الأندلسي ابن حبيش ، عالم بالعربيّة والقراءات ، من الحُفّاظ ، مؤرخ ، بارع في النّحو ، تولّى القضاء بجزيرة شقر، ثمّ مرسية ، له كتاب (المغازي)في عدّة مجلدات ، توفيّ سنة584ه/1188م . انظر ، ابن الأبار : **التّكملة** ،ج3 ، ص35؛ الضّبي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص465 ؛ الذّهبي : **تذكرة الحُفاظ** ، ج4 ، ص 1353 ؛ ابن الجزري شمس الدّين محمد بن محمد : **غاية النّهاية في طبقات القُرّاء** ، ط1 ، دار الكتب العلميّة بيروت ، 1427ه/2006م ،ج1 ، ص341 ؛ السّيوطي : **بغية الوعاة** ، ج2 ، ص85.

(5) ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج1 ، ص365 .

بينما في مجالس الأمراء والخلفاء تكون مقيّدة بنظام وآداب معيّنة، يفرضها الموقف والأصول والبروتوكولات.

وتتمّ المنظرات بين العلماء بأن تُطرح إحدى المسائل العلميّة للنّقاش ، فيُدْلي كلّ عالم بدلوه في الموضوع وقد يحتدّ النّقاش بين المتناظرين ، ويظهر من الوهلة الأولى أنّهما على عداء شديد بينهما ، إلاّ أنّ الحقيقة عكس ذلك، حيث أنّ العلاقات بينهما متينة، يطغى عليها الإحترام والتّقدير ، وأمّا الهدف من هذا النّقاش هو إشاعة الفائدة وتبادل الأفكار والمعارف والمعلومات بينهما ، كما أنّ الحاضرين تزيد معارفهم وتتقّوى مداركهم ، وقد قال سهل بن مالك الأزدي ت639ه/1241م [1] وهو يصف لنا حال المتناظرين:

" نُفُوسٌ عَلَى لَفْظِ الجِدَالِ مُقِيمَةٌ ∆ فَتَبْصُرُهَا حَرْباً وتَعْقِلُهَا سِلْماً "[2]

وقال أيضا محمد بن عتيق التّجيبي[3] ت637ه/1240م:

"تَعَاطَوْا كُؤُوسَ العِلْمِ في رَوْضَةِ التُّقَى ∆ فَكُلُّهُمْ مِنْ ذَلِكَ الرَّي لاَيَضْمَأُ "[4]

---

(1) سهل بن محمد بن سهل بن أحمد بن الأزدي، من أهل غرناطة، أبو الحسن ، أخذ العلم عن عدّة علماء عصره ،كان من أعيان وأفاضل عصره تفنّنا في العلوم وبراعةً في المنثور والمنظوم ، مُحدّثا، ضابطا، عدلا، ثقة، ثبتا، حافظا للقرآن العظيم ، متقدّما في العربية وافر النصيب في الفقه وأصوله

كاتبا مجيد النّظم ، توفيّ بغرناطة سنة639ه/1241م . انظر ، الرّعيني : **مرجع سابق،** ص59 ؛ ابن الأبار : **التّكملة** ، ج4 ، ص125 ؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س4 ، ص101 وما بعدها ؛ السّيوطي : **بغية الوّعاة** ، ج1 ، ص605 .

(2) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س4 ، ص108 .

(3) محمد بن عتيق بن علي التّجيبي، من أهل شقورة وسكن غرناطة ، كان فقيها، حافظا، مبرّزا في عقود الشّروط، أديبا، استقضي في غير موضع له عدّة مصنّفات منها (أنوار الصباح في الجمع بين السّنّة الصحاح) وغيره، توفيّ بغرناطة سنة 637ه/1240م . انظر، ابن الابار : = = **التكملة** ،ج2 ، ص151؛ ابن عبد الملك : **المصدر السابق** ،س6 ، ص429 ــ430 ؛الصفدي :**مصدر سابق** ، ج4 ،ص59.

(4) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س4 ، ص108 .

ومن المناظرات الّتي سجلّها لنا التّاريخ بين علماء هذا العصر، ماجرى بين أبي زيد السُّهيلي[1]ت581ه/ 1185م وأبي الحسن علي بن خروف[2] ت609ه/1212م حول مسألة نحوية ودارت بينهما مناقشات، تداولها العلماء وطلبة العلم في ذلك العصر، وقد أخذ بعضهم، يؤيد أحد الطّرفين ضدّ الآخر [3]، ومنها ماجرى بين أبي محمد بن القرطبي ت611ه /1214م[4] وأبي علي الرّندي ت616ه/1219م [5] حول بعض المسائل اللّغويّة، حيث يقول عنه الرّعيني في برنامجه :"كان بينه وبين أبي محمد القرطبي من التّنافس، ما يكون بين المتواردين على صنعة واحدة "[6]، وقد ألّف الرّندي كتابا، ردَّ فيه على ابن القرطبي، سمّاه (الخبيّ

(1) عبد الرّحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السّهيلي ، كان حافظا للسّير والأخبار والأنساب، عالما بالقراءات واللّغة العربيّة والسّير، ضرير، مقدّما في الفهم والفطنة والذّكاء ، يغلب عليه علم العربيّة والغريب من أهل الرّواية والدّراية ، له عدّة تآليف، منها كتاب (الرّوض الآنف في شرح السّير لأبي إسحاق)، دلّ به على سعة حفظه ومتانة علمه و (التّعريف والإعلام بما أُبهم في القرآن العزيز من الأسماء والأعلام) وغيره، توفيّ بمراكش سنة 581ه/1185م . انظر ، ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص33،32 ؛ ابن سعيد : **المغرب** ، ج1 ، ص448 ؛ الذّهبي : **تذكرة الحفّاظ** ، ج4 ،ص 1384 ؛ الضّبي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص477 ؛ السّلاوي : **مصدر سابق** ، ج1 ، ص187 .

(2) علي بن محمدبن علي الحضرمي بن خروف ، من أهل إشبيليّة ، عالم بالعربيّة، مشارك في علم الكلام وأصول الفقه وله ردّ في العربيّة على أبي زيد السّهيلي وابن ملكون ، له عدّة مؤلفات منها (تنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب) و(شرح الجمل للزّجاج) و (شرح كتاب سيبويه) توفي بإشبيليّة سنة609ه/1212م . انظر ، الرّعيني : **مصدر سابق** ، ص 81 ؛ ابن الأبار: **التّكملة** ،ج3 ، ص227 ؛ ابن الزّبير : **مصدر سابق** ، ص287 ؛ ابن خلّكان : **مصدر سابق** ، ج3 ، ص335 ؛ المكناسي : **مصدر سابق** ، ص 485،484 .

(3) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س1،ق2 ،ص425،424 .

(4) عبد الله بن الحسين بن أحمد الأنصاري ، مالقي قرطبي ، يُعرف بأبي محمد القرطبي ، أخذ العلم عن عدّة علماء عصره، منهم أبي زيد السّهيلي كان فذّا في الإقراء وعَلما في رواية الحديث وضبطه، متقدّما، محقّقا لعلوم واسعة المعرفة ، ناقدا، ذاكرا لأسماء رجال الحديث وطبقاتهم، له مؤلفات منها (تلخيص أسانيد الموطأ)، توفيّ سنة611ه/1214م. انظر ، الرّعيني : **نفس المصدر** ، ص87 ؛ ابن الأبار : **التّكملة**، ج2 ، ص286 وما بعدها ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س4 ، ص191 وما بعدها ؛ ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص95 ؛ ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج3 ، ص405 وما بعدها ؛ الذّهبي : **تذكرة الحفّاظ** ، ج4 ، ص1396 ؛ الذّهبي : **سيّر أعلام النّبلاء** ، ج22 ، ص69 .

(5) عمر بن عبد المجيد بن عمر الأزدي، المعروف بالرّندي، أخذ عن عدّة علماء، منهم أبي زيد السّهيلي الأدب والعربيّة ولازمه طويلا ، كان عالما بالقراءات، متقدّما في صناعة العربيّة وعلما في رواية الحديث وضبطه ومحقّقا لعلومه ، عدلا، ثقة، نحويا، أقرأ القرآن ودرّس العربيّة طويلا في سبتة، ثمّ مالقة، له عدّة مؤلفات منها : على جمل الزّجاج شرح جيد، توفيّ سنة 616ه/1219م. انظر ، الرّعيني : **مصدر سابق** ، ص86؛ ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ،ص137 ؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س5 ،ق2 ، ص450وما بعدها ؛ ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص244،243=

= ابن الجزري : **غاية النهاية** ، ج1 ، ص524 ؛ الكتّاني عبد الحي بن عبد الكبير : **فهرس الفهرس ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، باعتناء ، إحسان عبّاس ، ط2 ، دار الغرب الإسلامي بيروت ،1402ه/1982م ،ج1 ، ص429 ، 430 .

(6) الرّعيني : **مصدر سابق** ، ص87 ؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س5، ق2 ، ص453.

في أغاليط ابن القرطبي) وهذا بعد أن كتب أبو محمد بن القرطبي ردّاً على ابن علي الرّندي في أسانيد إجازة، كتبها لبعض الطلبة، إعتبرها أوهام في مواضيع منها ، فكتب كتابا سمّاه (المُبْدي لخطإ الرّندي)، ظهر فيه شفوفه وإدراكه وتبريزه في جودة التّعقيب(1) وقد ذكر ابن الزّبير أنّ هذا الكتاب – الّذي ألّفه الرّندي – لم يخْلُ من حمْل وتعسُّف بينما يصف ابن القرطبي بأنّه مُنصف وعادل (2).

كما كانت تتعرّض الكتب للنّقد والردّ عليها ، فقد ألّف عبد الحقّ بن عبد الرّحمن الأزدي (3)المعروف بابن الخرّاط ت 581ه/1186م ، كتابا سمّاه (كتاب الأحكام الكبرى)، حيث نقد الكتاب عالما من علماء الأندلس وهو ابن القطّان علي بن محمد ت628ه/1231م وألّف كتابا سمّاه (الوهم والإيهام فيما وقع من الخلل في الأحكام الكبرى) ، ناقش ابن الخرّاط فيما يتعلّق بالعلل والجرح والتّعديل(4).

كما كانت تُؤلَّف كُتب، يردّ فيها أصحابها على التّهم والإنتقادات الّتي وُجهت إلى زملائهم وشيوخهم ومنها تأليف ابن مضاء اللّخمي(5) ت 592ه/1196م كتابا سمّاه (تنزيه القرآن عن ما لا يليق بالبّيان) الّذي تحامل صاحبه على النّحاة وإتّهمّهم باتّهامات، أنكرها عليه ابن خروف علي بن محمد ت

---

(1) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5 ، ق2 ، ص453 ، س4 ، ص208 .

(2) ابن الزّبير : **مصدر سابق** ، ص 244 .

(3) عبد الحقّ بن عبد الرحمن بن عبد الله الأزدي الإشبيلي، المعروف بابن الخرّاط، أخذ العلم عن عدّة علماء عصره، سكن بجاية عند قيّام الدّولة الموحديّة، فنثر بها علمه، وكان فقيها، حافظا، عالما بالحديث وعلله، عارفا بأسماء رجاله ، زاهدا، ورعا، مشاركا في الأدب، له عدّة مؤلفات، منها كتاب (في الأحكام) و (الجمع بين الصحيحين)و (الجمع بين المصنّفات السّتّة) ... توفيّ سنة 581ه/1186م . انظر ، ابن الآبار : **التّكملة** ،ج3 ، ص120 وما بعدها ؛ الضّبي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص508 ؛ الغبريني : **مصدر سابق** ، ص41؛ الذّهبي : **تذكرة الحفّاظ** ، ج4 ، ص1350 ؛ الذّهبي : **سيّر أعلام النّبلاء**، ج21 ، ص198 وما بعدها ؛ ابن العماد : **مصدر سابق** ، ج 4 ، ص271 .

(4) الذّهبي : **سيّر أعلام النّبلاء** : ج21 ، ص200 .

(5) أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن سعيد بن مضاء اللّخمي ، كان جميل السّيرة، له حظّ في الكتابة والشّعر ، فكان مُقرءا، مُجَوِدا، واسع الرّواية نشأمتقطعا للعلم، ذاكرا لمسائل الفقه، عارفا بأصوله، متقدّما في علم الكلام، ماهرا في علوم أخرى كالطبّ والحساب والهندسة، من تصانيفه (المشرق) و(تنزيه القرآن عن ما لا يليق بالبّيان)، أقرأ ابناء عبد المؤمن مدّة ، توفيّ سنة 592ه/ 1196م . انظر ، ابن الأبار : **التّكملة** =،

609هـ/1212م الّذي ألّف كتابا في الرّدّ عليه سمّاه (تنزيه أئمّة النّحو عن ما نُسب إليهم من الخطإ والسّهو) ، ولّما بلغ هذا الكتاب إلى ابن مضّاء، قال متهكّماً ومعرضاً باسم صاحبه : "نحن لانبالي بالكباش النّطّاحة وتُعارضنا ابناء الخرفان) [1] .

وقد تظهر المناقشات العلميّة قصوراً عند أحد الطّرفين في بعض المسائل العلميّة، فيتجّه إلى البّحث والمطالعة في هذه المسألة ، ثمّ يقوم في كثير من الأحيان بتأليف كتاب، يعالج فيه هذه المسألة، وهذا ما وقع للعالم أبي محمد بن القرطبي السّالف الذّكر ، رغم أنّه من العلماء الكبار في اللّغة العربيّة، إلاّ أنّ مناقشة علميّة دارت بينه وبين أحد الحضور في حلقة علم، جعلته يُحسُّ بالقصور في المسألة موضوع النّقاش عندما كان يقوم بشرح أحد الموضوعات من كتاب الإيضاح للفارسي[2] ت377هـ/987م.

وتعرّض لمسائل تتعلّق بعلم العروض ، وكان من بين الحاضرين من له إطّلاع واسع في هذا العلم، فناقشه وإشتدّ في ذلك ، و لم يستطع ابن القرطبي مجاراته، فكفّ عن الخوض في تلك المسألة ، وبعد إنصرافه إلى بيته تصفّح الكتب وإطّلع أكثر على علم العروض ، حتى تمكّن منها وفهم أغراضه وحصل قوانينه وجاءه في الغدّ

=ج1، ص79، 80 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س1 ، ق1 ، ص212 ؛ الضّبي : **نفس المصدر** ، ج1 ، ص253 ؛ ابن الجزري : **غاية النهاية** ، ج1، ص65 ؛ المكناسي: **مصدر سابق** ،ص142 ؛ السّيوطي : **بغية الوعاة** ، ج1 ، ص323 .

(1) ابن البار : **التّكملة** ، ج1 ، ص 80 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س1 ، ق1 ، ص217 ، 218 .

(2) الحسن بن أحمد بن عبد الغفّار، الفارسي الأصل أبو علي ، أحد الأئمّة في علم العربيّة ، ولد في فسا، من أعمال فارس ، تجوّل في كثير من البلدان ، طالبا للعلم ، وأخيرا صحب عضد الدّولة ابن بويه ، له عدّة مؤلفات، منها (الإيضاح) في النّحو و(التّكملة) في الصّرف ، توفيّ سنة377هـ/987م . انظر ، الخطيب البغدادي الحافظ أبي بكر أحمد : **تارخ مدينة السّلام وأخبار مُحَدّثيها وذكر قُطّانها العلماء من غير أهلها ووارديها** ، تحقيق ، بشار عواد معروف ، ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت ، 1422هـ/2001م ، ج8 ، ص 217، 218 ؛ القفطي جمال الدّين أبي الحسن علي بن يوسف : **أنباه الرّوّاة على أنباء النّحاة** ، تحقيق ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط1 ، دار الفكر العربي القاهرة ، 1406هـ/1986م ، ج1 ، ص 308، 309 ؛ ياقوت الحموي : **معجم الأدباء (إرشاد الأريب في معرفة الأديب)** ، ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت1413هـ/1993م ، ج2 ، ص811 ؛ السّيوطي : **بغية الوعاة** ، ج1 ، 496-498 ؛ ابن خلّكان : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص80.

يحمل مختصراً، ألّفه في هذا الموضوع [1].

III) الرّحلات العلميّة :

تعدّ الرّحلات في طلب العلم من أهمّ الأعمال الّتي يقوم بها طلبة العلم بحثا عن العلم والعلماء ومصادر العلم ، وهذ تحت مقولة "خذوا العلم من أفواه الرّجال"، وكانت هذه الظّاهرة منذ فجر الإسلام ، حيث كان أهل البّدو وغيرهم من خارج المدينة المنوّرة، يفدون على النّبي محمد صلّى الله عليه وسلّم؛ ليسألوه عن أمور دينهم وحتى دنياهم [2]، وبعدما توسعّت الفتوحات الإسلاميّة وإنتشرت المراكز العلميّة ، زاد الإهتمام بالرّحلة وطلب العلم، حتى أنّها أصبحت لازمة من لوازم التّحصيل العلمي [3] .

كما إعتبر أهل العلم من السّلف طالب العلم، ليس رشيدا، إذا لم يرحل في طلب العلم خارج بلده [4] وقد سرى هذا التّقليد العلمي عند المسلمين وخاصّة منهم أهل المغرب والأندلس ، الّذين كانوا أحوج إلى البّحث عن الحقيقة العلميّة وللتّزود بالعلم، ولمّا كانت الحواضر المشرقيّة محطّ رحال طلبة العلم وعلماء الآندلس ومركز العلوم العربيّة والإسلاميّة، فقد توجّه إليها أهل المغرب والأندلس، حيث منبع علوم الحديث وروايته واللّسان العربي ودواوينه ، فاقتنوا الكتب وإعتنوا بها عناية فائقة [5] .

---

(1) ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س4 ، ص196 ؛ ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج3 ، ص406.

(2) الخطيب البّغدادي : **الرّحلة في طلب العلم** ، تحقيق ، نور الدّين عتر ، ط1 ،دار الكتب العلميّة بيروت ، 1395ه/1975م ، ص31 .

(3) العرّيني : **مرجع سابق** ، ص54 .

(4) الشّهرزوري الإمام عثمان بن عبد الرّحمن المعروف بابن صالح : **علوم الحديث** ، تحقيق ، نور الدّين عتر ، ط1 ، دار الفكر دمشق سوريّة 1406ه/1986 م ، ص246 .

(5)محمد الألمين بلغيث : **الحركة الفكريّة** ، ص 107.

ولم يكن علماء الدّولة الموحديّة شاذّين عن غيرهم؛ بل مؤسّس الدّولة الموحديّة محمد بن تومرت، كما سبق أن ذكرنا قام برحلة علميّة إلى المشرق الإسلامي دامت حوالي خمس عشرة سنة[1]، عاد منها كما قال عنه ابن خلدون : "بحراً متفجراً من العلم ، وشهابا وارياً من الدّين " [2].

وقد تميّزت الرّحلات العلميّة بنوعين هما :

أ) **الرّحلة الدّاخليّة :**

كان هذا النّوع من الرّحلات يتمّ بين المراكز العلميّة المنتشرة في المغرب والأندلس ، إذ كان طالب العلم يتنقّل بين المدن، بحثا عن العلماء وأهل الإختصّاص في نوع من أنواع العلوم وهذا بحثا دائما عن الحقيقة والتّزود بالعلم وأخْذه من أفواه العلماء[3]، وكلّما سمع بعالم، أوأستاذ ذو شهرة، زاره وحضر حلقته وأخذ عنه إجازته أونقل عنه[4].

وقد اشتهرت في ذلك مدن بعينها في فرع من فروع العلم، مثل إشبيليّة الّتي إشتهرت بعلم العربيّة وخاصّة النّحو[5] ، فاتّجه إليها معظم علماء اللّغة؛ للإستزادة منه ، وإذا رجعنا إلى سيّر العلماء وتراجمهم، نجدهم حريصين على الرّحلة بحثا على العلم والعلماء ، أمثال عمر بن عبد المجيد الأزدي، المعروف بالرّندي ت616ه /1219م، لم يكتف بالتّلقي عن علماء مالقة، أمثال أبي زيد السّهيلي ت581ه/1185م، وأبي القاسم بن حبيش ت 584ه/1188م وغيرهم؛ بل تنقّل بين مدن الأندلس المختلفة، حيث زار غرناطة، ثمّ

(1) ابن القطّان : **مصدر سابق** ، ص62 .

(2) ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص466 .

(3)محمد الأمين بلغيث : **الرّبط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين** ، رسالة لنّيل درجة الماجستير في التّاريخ الإسلامي ،غير منشورة ، تحت إشراف ، عبد الحميد حاجيّات ، معهد التّاريخ ، جامعة الجزائر ، 1407ه/1987م ، ص269 .

(4) **نفسه.**

(5) لقد ظهر معظم علماء النّحو الأندلسيّين في هذه المدينة أمثال ، ابن صاف اللّخمي الإشبيلي وابن خروف وأبوعلي الشّلوبيني ت645ه/1248م. انظر ، خوليا ريبيرا : **التّربيّة الإسلاميّة في الأندلس**، ترجمة ، الطّاهر أحمد مكّي، دار المعارف القاهرة1414ه/1994م، ص 61 ، محمد المنّوني : **حضارة الموحدين** ، ص44 .

قرطبة وإشبيليّة وسبتة والجزيرة الخضراء ، وكان يقيم في كلّ مدينة يدخلها مدّة، يتلّقى خلالها العلم على يدّ علمائها وعاد بعدها إلى موطنه مالقة، يُقْرِأ النّاس إلى أن توفيّ [1] .

وكذا عيسى بن عبد العزيز الجزولي أبو موسى[2] ت607ه/1210م المراكشي الّذي إنتقل إلى المشرق الإسلامي وأخذ علوم العربيّة هناك، ثمّ عاد واستقرّ ببجاية وأقام بها مدّة وأقرأ بها ، ثمّ دخل الأندلس ونزل في ألمرية ودرّس بها ، ثمّ إنتقل إلى مراكش وأقرأ بها إلى أن توفيّ بها[3] .

كما أنّ أصحاب المهن هم الآخرون كانوا يتنقلون إلى المدن للتّحصيل العلمي وخاصّة المدن القريبة منهم، دون أن يمنعهم ذلك من القيّام بأعمالهم [4]، مثل عتيق بن محمد بن علي الغسّاني المقرىء[5]ت حوالي 670ه / 1271 م الّذي يُعرف بإبريل لطوله ، كان يختلف من حصن بلش إلى مالقة؛ لأخذ القراءات عن أبي جعفر أحمد بن يوسف والمسافة بينهما أربعة عشرون ميلا، أي حوالي (39كلم) ، إلى أن أكمل القراءات السّبع، دون أن يمنعه ذلك عن القيّام بعمله ، صابرا محتسبا[6] .

وقد يرحل طلبة العلم إلى عالم بعينه؛ بسبب شهرته في علم ما ، كما أنّ الطلبة يستفيدون أكثر من العلماء الّذين يجيدون أكثر من علم ، وبذلك يختصرون الطّريقة للتّحصيل العلمي ومنهم محمد بن عبد

---

(1)ابن الزّبير : **مصدر سابق** ، ص 243 ،244 .

(2) عيسى بن عبد العزيز بن عيسى الجزولي ، كان إماما في علم النّحو، كثير الإطّلاع على دقائقه وغريبه وشاذه ، وصنّف فيه (المقدمة) الّتي سمّاها القانون، أتى فيها بالعجائب ، كلّها رموز وإشارات وتسمّى بالجزوليّة وله (شرح أصول بن السّراج)، توفيّ سنة 607ه/1210م بمراكش .

انظر ، ابن الأبار : **التّكملة** ، ج4 ، ص18،17 ؛ ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص230 ؛ السّيوطي : **بغية الوعاة** ، ج2 ، 236 ،237؛ ابن خلّكان : **مصدر سابق** ، ج3 ، ص488 ،489 .

(3) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج4 ، ص18 ؛ ابن الزّبير : **مصدر سابق** ، ص230 ؛ ابن خلّكان : **نفس المصدر** ، ج3 ، ص489 .

(4) ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص235.

(5) عتيق بن محمد بن علي الغسّاني ، بلنسي، كان مُقرءا، عارفا بالقراءات، حسن القيام عليها، مُتقنا في الأداء، دخل مراكش وأغمات وريكة وأقرأ بهما وبغيرهما، توفيّ في حدود 670ه/1271م . انظر ، ابن عبد الملك ، **مصدر سابق** ، س5 ق1 ، ص130؛ ابن الزّبير :**نفس المصدر**، ص235.

(6) ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص235.

الرّحيم المعروف بابن الفرس[1] ت 567ه/1172م، كان مشهورا بعلمه واتّساع معرفته ، فكانت له حلقات يُدّرس فيها علوم القرآن والحديث والفقه ، وفدت إليه جموع كثيرة من طلبة العلم من مختلف أنحاء الأندلس ومن خارجها [2]، وكذا عبد المنعم بن محمد الخزرجي [3]ت597 ه/1201م الّذي كانت له الرّيادة في الرّواية عن جماعة من العلماء، فكثُر إليه الرّاحلون [4] .

كما كان طلبة العلم يهتمون كثيرا بالعلماء الّذين يعودون من المشرق بعد رحلة طويلة؛ للأخذ عنهم العلوم وخاصّة الّذين إلتقوا بأكبر عدد من العلماء، مثل علي بن أحمد بن كوير المحاربي[5] ت 589ه /1193م ، الّذي اتّجه إلى المشرق وأخذ عن علماء مكّة والإسكندريّة وطالت مدّة غيابه إثنتي عشرة سنة عاد بعدها بعلم غزير ورواية دقيقة ، فتسّارع إليه الطلبة للأخذ عنه [6].

---

(1) محمد بن عبد الرّحيم بن محمد بن الفرج بن خلف الأنصاري الخزرجي، يُعرف بابن الفرس ، من أهل غرناطة، أخذ العلم عن أبيه ومجموعة من العلماء ، كان عالما، حافلا، راوية، يتحقّق بالقراءات والفقه ، ويشارك في الحديث والأصول، مع البصر في الفتوى ووجوهها ، أحد حفّاظ الأندلس

في المسائل، ذاكرا لتواريخ الرّجال وأخبارها، توفيّ سنة567ه/1172م. انظر: ابن الأبار: **التّكملة** ، ج2 ، ص37 ،39 ؛ ابن عبد الملك: **مصدر سابق** ، س6 ، ص372 وما بعدها ؛ الضّبي : **مصدر سابق** ، ج1 ، ص135،134 ؛ الصّفدي : **مصدر سابق** ، ج3،ص202.

(2) ابن الآبار : **التّكملة** ، ج2 ،ص 39 .

(3) عبد المنعم بن محمد بن عبد الرّحيم بن محمد بن فرج الخزرجي ، أخذ العلم عن عدّة علماء ومنهم والده وجدّه ، كان فقيها، حافظا جليلا عارفا بالنّحو والأدب واللّغة ،كاتبا بارعا، شهير الذّكر، عليّ الصيت ، إنفرد بالرّواية عن جماعة ، رحل إليه النّاس، تولّى القضاء في عدّة مدن، ألّف عدّة كتب منها (كتاب الأحكام) أحكام القرآن ، وإختصر (الأحكام السّلطانية) و(ناسخ القرآن ومنسوخه) لابن شاهين ، وكتاب في المسائل الّتي إختلف فيها النّحويون من أهل البّصرة الكوفة ...توفيّ سنة 597ه/1201م . انظر ، ابن الآبار : **التّكملة** ،ج3 ، ص127، 128 ؛ ابن عبد الملك :**نفس المصدر** ، س5، ق 1، ص58 وما بعدها ؛ ابن الزّبير : **نفس المصدر** ،ص194 ،195 ؛ ابن الجزري : **غاية النهاية**، ج1 ، ص420 ؛ ابن الخطيب : **الإحاطة** ،ج3 ، ص541 .

(4) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص128 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5،ق1 ،ص60 ؛ ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص195 .

(5) علي بن أحمد بن محمد بن كوثر المحاربي، من أهل غرناطة ، سمع عن أبيه، ثمّ رحل إلى مكّة، ثمّ مصر، ثمّ الإسكندريّة، حيث أخذ عن عدّة علماء في مختلف العلوم ، تصدّر للإقراء في غرناطة ، له مؤلّفات في القراءات، منها (العروس) ، توفيّ سنة 589ه /1193م. انظر ، ابن الأبار: **التكملة** ،ج3 ، ص217 ، 218 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5 ، ق1 ، ص 173 ، 174 ؛ ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص279 ،280 .

(6)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5 ، ق1 ، ص 174 ؛ ابن الأبار : **التّكملة** ،ج3 ، ص 217 ، 218 .

ب) الرّحلة الخارجيّة :

كان طلبة العلم من المغرب والأندلس يحرصون كثيرا للرّحلة إلى المشرق؛ لطلب العلم بحثا عن العلماءالأكْفاء المتخصّصين في علوم بعينها ، والتّتلمذ على أكبر عدد ممكن من العلماء [1] ، ثمّ يقوم هؤلاء الطلبة بنقل العلوم والمعارف إلى النّاس بالمغرب والأندلس، ممّن لم يُسعفه الحظّ، أو الإمكانيّات للرّحلة إلى المشرق.

وإذا عدنا إلى كتب التّراجم خاصّة الّتي تناولت سيرة هؤلاء العلماء في العهد الموّحدي، نجد كثيرا منهم رحل إلى المشرق وتكبّد في ذلك مشّاق الطّريق والسّفر وغيرها، وما ذلك إلاَّ للتّحصيل العلمي والتّواصل المعرفي والفكري بين المشرق والمغرب الإسلامي ، والرّحلة يمكن أن نعتبرها الوسيلة الوحيدة والأهّم في نقل العلم من منطقة إلى أخرى ، وخاصّة إذا علمنا أنّ المشرق الإسلامي قد سبق المغرب الإسلامي في الميدان العلمي خاصّة منه العلوم الشّرعيّة والعربيّة ووجود علماء كبار في هذا المجال والإمكانيّات لم تكن ميسورة؛ لنقل العلم، إلاَّ عن طريق التّلّقي المباشر من أفواه العلماء [2].

ولاغرابة إذا وجدنا وفودا كثيرة من طلبة العلم ترحل إلى المشرق للتّحصيل العلمي، ونذكر منهم أمثلة وليس في سبيل الحصر، أحمد بن محمد بن عيّاش من أهل مرسيّة [3] ت630ه/1233م الّذي إنتقل إلى المشرق طلبا للعلم وتنقّل بين العديد من المدن العلميّة، منها بغداد ومكّة ودمشق، ثمّ مصر، فدامت رحلته

(1) محمد الأمين بلغيث : **الرّبط** ، ص268 .

(2) محمد علي مكّي : **مرجع سابق** ، ص37 .

(3) أحمد بن محمد بن أحمد بن عيّاش، الكناني أبو جعفر ، أخذ عن بن بشكوال موّطأ مالك ، ثمّ رحل إلى المشرق وحجّ وتجوّل هناك نحو عشرين سنة ودخل بغداد ودمشق ومصر، أخذ العلم فيها من علمائها ، ثمّ عاد إلى الأندلس، فأقام بمالقة ودرس بها، ثمّ إنتقل إلى مرسيّة وأخذ عنه الطلبة كان حافظا للقرآن الكريم، يُحسن تجويده ، له عناية برواية الحديث، له حظّ وافر في علم عُبّار الرّؤيا ، توفّي سنة 630ه/1233 م . انظر، ابن الأبار : **التّكملة** ، ج1 ، ص 104، 105 ؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س1 ، ق1 ، ص373 ؛ المقرّي : **نفح الطيب** ، ج2 ، ص604 .

عشرين سنة[1] والرّحلة العلميّة الّتي قام بها محمد بن تومرت الزّعيم الرّوحي للدّولة الموحديّة، دامت حوالي خمسة عشر عاما [2]، تنقّل خلالها بين مكّة والمدينة والشّام والعراق والإسكندرية وغيرها [3].

وهناك من لم يسعفه الحظّ في التّنقل بين المراكز العلميّة، نظرا لظروفه الماديّة، أو لغيرها من الأسباب إكتفى بأداء فريضة الحجّ والإلتقاء هناك بمن وجد من العلماء، سواء كانوا من المجاورين للحرم المكّي، أو ممّن قدموا إلى الحجّ من المناطق الأخرى [4]، فمحمد بن عبد الله الأنصاري [5] ت598ه/1193م شدّ الرّحال لأداء فريضة الحجّ سنة 571ه/1176م، إلاّ أنّه لم يحج، إلاّ في السّنة التّاليّة، أي سنة572ه/1177م فكان خلال هذه المدّة قد إلتقى بعلماء مكّة، حيث مكث فيها مدّة وخاصة أنّه حجّ مرتين، أي سنة 573ه/1178م و574ه/1179م، وخلال هذه المدّة إلتقى دون شك مع عدد كبير من العلماء، سواء المقيمين بمكّة، أو الوافدين إليها للحجّ و العمرة [6].

هذه الرحلات لاتخلو من المشّاق، سواء ضياع المتاع أوالإصابة بالمرض أو حتى الوفاة في الطّريق قبل العودة إلى الدّيّار وذلك كما حدث لأحمد بن معد التّجيبي[7]ت551ه/1156م الّذي رحل إلى مكّة للحجّ فأدّى

---

(1) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س1 ، ق1 ، ص373 .

(2) ابن القطّان : **مصدر سابق** ، ص62 .

(3) ابن القطّان : **نفس المصدر** ، ص 73 ؛ ابن عذارى : **مصدر سابق (قسم الموحدين)** ، ص59 ؛ المراكشي : **مصدر سابق** ، ص245؛ ابن الأثير : **الكامل** ، ج8 ، ص294 ؛ ابن خلّكان : **مصدر سابق** ، ج5 ، ص46 ؛ ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص465 .

(4) العرّيني : **مرجع سابق** ، ص58 .

(5) محمد بن عبد الله بن سليمان بن عثمان بن هاجر الأنصاري، من أهل بلنسيّة ، أخذ عن عدّة علماء عصره ، ثمّ رحل حاجّا سنة 571ه/1176م، إلاّ أنّه قام بالحجّ سنة 572ه/1177م ، وأخذ العلم في مكّة، ثمّ حجّ بعده حجّتين، ثمّ عاد إلى الأندلس سنة 576ه/118م ، كان مقرءا جليلا محدثا حافظا يعيش من تجارة يديرها ، توفي سنة 598ه/1193م . انظر : ابن الابار : **التكملة** ، ج2 ، ص 78؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س6 ، 282 ؛ ابن الجزري : **غاية النهاية** ، ج2 ، ص158 ؛ الذّهبي : **تاريخ الإسلام** ، ج42 ، ص365 .

(6) ابن الأبار : **التّكملة** ،ج2 ، ص78 ؛ ابن عبد الملك :**نفس المصدر** ، س6 ، ص282 .

(7) أحمد بن معدّ بن عيسى بن وكيل التّجيبي الأندلسي، يُعرف بابن إقليدش، أخذ العلم عن أبيه وثلّة من العلماء ، ثمّ رحل إلى المشرق سنة 542ه/1148م ، أدّى فريضة الحجّ، ثمّ كرّ راجعا إلى المغرب، إلاّ أنّه توفيّ في الطّريق في مصرسنة551ه/1156م ، كان عالما، عارفا=،

الفريضة وجاوز في الحرم مدّة، سمع خلالها من عدّة علماء وأثناء عودته إلى الدّيّار، وافاه الأجل في الطّريق في مدينة قوص[1] من صعيد مصر ودفن هناك [2].

كما نجد بعض العلماء أثناء رحلتهم الى المشرق لم يكتفوا بزيارة بغداد أو دمشق بل اتجهوا الى أبعد من ذلك الى خرسان [3]حيث المراكز العلمية ، ومن بين الذين إتجهو الى هذه المناطق نجد أحمد بن تميم بن هشام ابن حنون[4] ت قبل620ه/1223م رحل الى المشرق الاسلامي سنة 603ه/1206م واستمع الى عدة علماء ببغداد ودمشق .رحل بعدها الى خرسان حيث تنقل بين مناطقها فزار بعض مدنها مثل نيسابو[5] ومَرْو[6] وهراة [7]

=متصوفا شاعرا ، زاهدا في الدّنيا، مقبلا على العلم والعبادة ، مفسّرا للقرآن ، مُحَدّثا، راوية عدلا، له عدّة مصنّفات، منها (شرح الأسماء الحسنى). انظر ، ابن الأبار: **التّكملة** ، ج1 ، ص56، 57 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س1 ، ق2 ، ص543 وما بعدها ؛ السّيوطي : **بغية الوعاة** ، ج1 ، ص392 ؛ الذّهبي : **سيّر أعلام النّبلاء** ، ج20 ، ص358 ؛ إحسان عبّاس : **أخبار وتراجم أندلسيّة** (مستخرج من معجم السّفر للسّلفي ت576ه) ، ط2 ، دار الثّقافة بيروت ،1399ه/1979م ، ص24 ،25 .

(1) قوص، مدينة كبيرة تقع شرق نهر النّيل ، تعدّ قصبة صعيد مصر وتمتاز بأنّها محطّة تجارية، تصلها التّجارة القادمة من شرق آسيا عبر عدن ومنها إلى مصر وإفريقيّا . انظر ، الحموي : **معجم البلدان** ، ج4 ، ص413 ؛ الحميري : **مصدر سابق** ، ص484 .

(2) ابن الآبار : **التّكملة** ، ج1 ، ص57 ؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س1 ، ق2 ، ص549 .

(3) خراسان، بلد واسعة ، أول حدودها، ممّا يلي العراق أزاذْوار قصبة جوين ربهيق ، وآخر حدودها، ممّا يلي الهند طخارستان وغزنة .وسجستان . انظر ، الحموي : **معجم البلدان** ، ج2 ، ص350 ؛ الحميري ، **نفس المصدر** ، ص214 .

(4) أحمد بن تميم بن هشام بن حنون لبلي، سكن إشبيليّة، أخذ العلم عن أبيه ومجموعة من علماء الأندلس ، رحل إلى المشرق سنة603ه/1207م ، وحجّ، ثمّ اتّجه نحو بغداد، ثمّ دمشق ، ثمّ إنتقل إلى خراسان وزار عدّة مناطق وأخذ عن علمائها ، توفيّ قبل سنة 620ه/1223م في دمشق . انظر ، ابن الآبار : **التّكملة** ، ج1 ، ص99 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س1 ، ق1 ، ص76 ،77 ؛ الذّهبي : **سيّر أعلام النّبلاء** ، ج22 ، ص301 ؛ المقرّي : **نفح الطّيب** ، ج2 ، ص603 .

(5) نيسابور ، مدينة في بلاد خراسان ، قديمة البناء، إفتتحها المسلمون في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، يُنسب إليها عدّة علماء ، غزاها المغول سن618ه/1222م، فخرّبوها وقتّلوا عددا كبيرا من أهلها . انظر، الحميري : **نفس المصدر** ، ص588 ؛ ابن الأثير : **الكامل** ،ج3 ، ص33، ص 123 وما بعدها .

(6) مرو، من أشهر مدن خراسان في أقصى شمالها وتعدّ قصبتها ، يُنسب إليها عدّة علماء، منهم أحمد بن حنبل وسفيان الثّوري وغيرهم ، تقع في جنوب روسيا . انظر ، الحموي : **نفس المصدر** ،ج5 ، ص112 وما بعدها ؛ الذّهبي : **الأمصار ذوات الآثار** ، تحقيق ، محمود الأرناؤوط ، ط1 ، دار ابن كثير بيروت ودمشق ، 1405ه/1985م ، ص83 ومابعدها .

(7) هراة ، مدينة في خراسان، قال عنها ياقوت الحموي عندما زارها سنة607ه/1211م، أنّه لم ير في خراسان مدينة، أجلّ ولا أعظم منها فتحها الأحنف بن قيس في خلافة عثمان بن عفّان رضيّ الله عنه ، لكن خرّبها المغول سنة 618ه/1221م . انظر ، الحموي: **نفس المصدر** ، ج5 ، ص396 ،397 ؛ الحميري : **نفس المصدر** ، ص 594 ،595 .

حيث أخذ العلم عن بعض علمائها [1].

وهكذا فقد كان للرحلات العلمية دور بارز في ازدهار الحركة العلمية والفكرية في المغرب الاقصى والاندلس في عهد الموحدين ، حيث أن الرحلات الداخلية أوجدت لنا نوعا من التكامل العلمي بين مختلف المراكز العلميّة في العدوتين، أمّا الرّحلات الخارجيّة فقد ساعدت علماء المغرب والأندلس على الإطّلاع على ما أنتجه إخوانهم في المشرق في مختلف العلوم والتّزود بالمعارف والعلوم من المصادر الأصليّة وهي العلماء وجلْب أكبر قدر ممكن من الكتب و المؤلّفات الجديدة والّتي يفتقد إليها المغرب والأندلس .

IV) إنتشار الكتب و المكتبات العامّة والخاصّة :

1) الإهتمام بالكتب وإقتنائها :

إهتمّ حكّام الدّولة الموحديّة بجمع واقتناء الكتب،و كان هذا بدوره عاملا مشجعا للعلماء على التّأليف وخاصّة إذا علمنا أنّه كان مكسبا ماديا كبيرا أيضا ، وقد أدّى ذلك إلى ظهور العديد من المؤلّفات في مختلف الإختصاصات،كما يدّل ذلك أيضا على حرية الفكر والتّأليف والبّحث، الّذي عرفته الدّولة الموحديّة خلال هذه الفترة وكما سبق أن ذكرنا أنّ حكّام الدّولة وأمراءها، كانوا هم الآخرون ذوي مستوى علمي رفيع سمح لهم بأن يهتمّوا بهذا الجانب ويشجعون على التّأليف، فأبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن عرف عليه حبّه جمع الكتب لمختلف أصناف العلوم ، فقد جمع كتبا عدّة حتى أصبح لديه مكتبة تضاهي مكتبة المستنصر[2]

(1) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س1،ق 1 ، ص76 .

(2) الحكم بن عبد الله المستنصر بالله ، تولّى الخلافة بعد أبيه النّاصر لدّين الله ،كان حسن السّيرة ، فاضلا، عادلا، شغوفا بالعلوم، حريصا على إقتناء الدّواوين، يبعث من أجلها إلى الأقطار والبلدان ، محبّا لها ، مكّرما لأهله ، جمع من الكتب في أنواعها، ما لم يجمعه أحد من الملوك قبله هنالك ، وإشتراها بأغلى الأثمان، حيث كان عدد الفهارس الّتي فيها تسميّة الكتب أربع وأربعين فهرسة ، توفيّ سنة 366ه/976م . انظر، الحُميدي محمد بن فتوح بن عبد الله : **جذوة المُقتبس في تاريخ علماء الأندلس** ، تحقيق ، بشار عواد معروف ومحمد بشار عوّاد ، ط1، دار

(350ه -366ه/ 961م – 976م) [1] .

ويقول المراكشي عنه :" و لم يزل يجمع الكتب من أقطار المغرب والأندلس"[2]، ونظرا لشغفه بجمع الكتب من أيّ مكان والبّحث عنها حتى وإن كانت مكتبات شخصيّة لأصحابها [3]، مقابل تعيّينهم في ولايات ومناصب، لم تحدّثهم أنفسهم بها، مثلما يذكر لنا المراكشي من قصّة عن أبي محمد عبد الملك الشّذوني[4]دليل أحد المتحقّقين بعلمي الطبّ وأحكام النّجوم، قال : "كنت في شبيبتي أستعير هذه الصّناعة – يعني صنعة الأحكام – من رجل كان عندنا بمدينة إشبيليّة، اسمه يوسف، يُكنّى بأبي الحجّاج ، يُعرف بالمرّاني كانت عنده منها جملة كبيرة، وقعت إلى أبيه في أيّام الفتنة بالأندلس، فكان يعيرني إيّاها في غرائر، أجمل غرارة [5] من كثرتها عنده. أخبرني في بعض الأيّام أنّه عَدِمَ تلك الكتب بجملتها :"فسألته عن السّبب الموجب لذلك فأسرّ إليَّ أنّ خبرها، أُنْهيّ إلى أمير المؤمنين ، فأرسل إلى داري وأنا في الدّيوان لا علم عندي بذلك ، وكان الّذي أرسل كافور الخصّي مع جماعة من العبيد الخاصّة ، وأمره ألاّ يُرَوّع أحدا من أهل الدّار، وألاّ يأخذ سوى الكتب وتوّعده والّذي معه أشدّ الوعيد إنْ نقصَ أهل البّيت إبرة فما فوقها " [6] ومقابل هذه الثّروة العلميّة، جازاه أبو يعقوب يوسف ولاية ضخمة، ما كانت تخطر بباله ولا يُحَدِّث بها نفسه [7] ، هذه الرّواية وغيرها تبيّن مقدار اهتمام الموحدين بجمع الكتب وتحصيلها وحمايتها وتنظيمها .

الغرب الإسلامي تونس 1429ه/2008م ، ص33 ؛ ابن الأبار : **الحلّة السّيراء** ، ج1 ، ص200 ،201 ؛ المقرّي : **مصدر سابق** ، ج1 ، ص385، 386 .

(1) المراكشي : **مصدر سابق** ، ص310 .

(2) المراكشي : **مصدر سابق** ، ص311 .

(3) قد تكون هذه سياسة، إتّبعها خلفاء الدّولة الموحديّة للحفاظ على الكتب من الضّياع والسّرقة والنّهب والحروب وخاصّة الكتب النّادرة .

(4) نسبة إلى شذونة ، وهي عاصمة الإقليم الّذي تحمل إسمه ، وتقع جنوب غرب الأندلس بالقرب من مضيق جبل طارق . انظر، الحميري :**مصدر سابق** ، ص239 ؛ الحموي ، **معجم البلدان** ، ج3 ، ص329 .

(5) الغرّارة، وعاء يُستخدم لنقل الأمتعة . انظر، ابن منظور : **لسان العرب**، مادة "غرر" ، ط1 ، دار صادر بيروت ،(د.ت) ،ج5 ، ص13.

(6) المراكشي ، **نفس المصدر** ، ص310، 311 .

(7) **نفسه** .

ولّما كان العلماء الّذين عاشوا تحت كنف هذه الدّولة يعرفون من الخلفاء ورجال الدّولة إهتمامهم بجمع الكتب ، فقد كانوا يهدونهم نسخا من مؤلفاتهم ، كما فعل علي بن محمد بن خليد اللّخمي المراكشي ت567 ه/1172م[1]، الّذي أهدى نسخة من مؤلفه (المعراج) لعبد المؤمن بن علي، فمنحه رتبة عليا نال بسببها دنيا عريضة وجاها مديدا [2] ، كما قدّم أبو الوليد بن رشد ت595ه/1199م كتاب الحيوان لخزانة المنصور[3] ورفع ابن خروف الإشبيلي ت 609ه/1212م إلى النّاصر الموّحدي نسخة من شرحه لكتاب سيبويه بخطّه في أربعة مجلدات، فأجازه بأربعة آلاف درهم[4]، كما رفع أحد الأئمّة كتابا في التّوشيح للخليفة المرتضي الموّحدي ت665ه/1267م[5] .

و لم يكن إهداء الكتب لمكتبات رجال الدّولة الموحديّة قاصرا على أفراد رعيّتهم فقط؛ بل كانت الهدايا لكتاباتهم تأتي أيضا من الزّعماء المعاصرين لهم، أمثال صلاح الدّين الأيوبي (564 ه/1169م-589ه/1194م) الّذي أهدى الخليفة الموّحدي يعقوب المنصور مصحفين كريمين منسوبين [6] وقد تعدّى شغف الموحدين باقتناء الكتب وجمعها إلى الإقتراح على العلماء بتأليف كتب في مواضيع معيّنة، حيث

---

(1) علي بن محمد بن خليد اللّخمي ، سكن ألمريّة، ثمّ مراكش ، كان حافظا للفقه، نافذا في أصوله، متحقّقا بعلم الكلام، خطيبا بليغا، له مصنّف سمّاه (المعراج)، قدم به على عبد المؤمن بن علي سنة541ه/1147م، فأكرمه ورقّاه إلى رتب عاليّة، توفيّ بمراكش 567ه/1172م . انظر ، ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س5، ق1 ، ص304 ؛ ابن الزّبير : **مصدر سابق** ، ص272 .

(2) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5 ،ق1 ، ص304 .

(3) محمد المنّوني : **الحضارة الموحديّة** ، ص183 .

(4) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5 ، ق1 ، ص321 ؛ الحموي : **معجم الادباء**، ج5، ص1970 .

(5) المقرّي : **أزهار الرّيّاض في أخبار عياض** ، تحقيق، مصطفى السّقا وآخرون، اللّجنة المشتركة لنّشر التّراث الرّباط 1398ه/1978م، ج2 ، ص230 .

(6) السّلاوي : **مصدر سابق** ، ج2، ص163 .

إقترح أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن على أبي الوليد بن رشد أن يؤلّف كتابا، يشرح فيه فلسفة أرسطو، فأنجز ابن رشد ذلك في أربعة أجزاء[1] .

كما ألّف شرحه على ألفية ابن سينا بناء على إقتراح من السّيّد أبي الرّبيع بن أبي محمد بن عبد المؤمن[2] ، وقد تمّنى محمد بن جعفر بن حميد[3]ت 586ه/1190 م أن يكلّفه الخليفة الموّحدي بشرح كتاب سيبويه ويقول :"حتى كنت أُخلِّف في تفسيره شرحا، يقطع أوراق الأستاذين ولا يحتاج معه إلى معلم " [4].

وكان الخليفة المنصور يستعرض مع جلسائه من العلماء الكتب الّتي أُلّفت في عصره، ثمّ يأمر باستنساخ ما تحتاجه خزانته منها، وإذا تسامع النّاس أنّ الخليفة، أمر بنسخ هذا الكتاب، أو ذاك، سارعوا للحصول على نسخة منه [5].

كما كانت للكتب الّتي تُقرأ بين أيديهم قيمتها العلميّة، وقد يعود ذلك إلى ما تحويه هذه الكتب من شروح وافيّة وتعليقات واضحة ولهذ السبب كان العلماء يستوهبونها، منهم ومن ذلك أنّ أبا جعفر الوّقشي[6]

(1) المراكشي : **نفس المصدر** ، ص315 ، 316 .

(2) محمد المنّوني : **حضارة الموحدين** ، ص183 .

(3) محمد بن جعفر بن أحمد بن حميد ، قاضي بلنسيّة ، مُقرىء ، نحوي ، أديب ، فاضل ، أقرأ القرآن والعربيّة بمرسيّة مدّة، توفيّ سنة 586ه/1187م بمرسيّة . انظر ، الضّبي : **مصدر سابق** ، ج1 ، ص92، 93 ؛ ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص62 ؛ ابن عبد الملك ، **مصدر سابق** ، س6 ، ص149وما بعدها ؛ ابن الجزري : **غاية النهاية** ، ج2 ، ص96 .

(4) الضّبي : **مصدر سابق** ، ج1 ، ص93 .

(5) ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س6 ، ص382 .

(6) وقشة ، مدينة بالأندلس، من أعمال طليطلة. انظر، الحموي : **معجم البلدان** ، ج5 ، ص381 .

ت574ه/1178م [1]، إستوهب أبا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن نسخة من الموطأ، قُرأت بين يديه [2]

ويمكن أن نقول أنّ إهتمام حكّام الدّولة الموحديّة بالعلم والعلماء وحثّ النّاس على ذلك، ساعد كثيرا على إزدهار الحركة الفكريّة والعلميّة في مختلف المجالات، وإهتمام عامّة النّاس بالعلم والرّحلة للبّحث عن العلماء[3].

ونظرا لأهمية الكتاب في نشر العلم والأفكار بين أفراد المجتمع المسلم وغيره ونقل المعلومات من منطقة إلى أخرى ، فإنّ الدّولة الموحديّة إستطاعت أن توّفر لمجتمعها الكتاب بمختلف علومه [4]، فعلى مدى التّاريخ كلّه لم توجد المكتبات في أمّة من الأمّم، إلاّ كنتيجة لوجود أُناس، يعرفون الكتابة ومواد، يُكتب عليها، وتراث فكري يَحرص النّاس على اقتنائه وتداوله [5]، ولقد كان للمكتبات أثر في توفير المصادر للبّاحثين والدّارسين أنداك، سواء في المغرب أو الأندلس، أو حتى عموم العالم الإسلامي ، ومن أهمّ موارد المكتبات من الكتب :

أ) - مؤلّفات العلماء[6] ، إذ يعدّ موردا هامّا، يملأ تلك المكتبات بأهمّ المصادر في المجالات المختلفة الدّينيّة منها أو الأدبيّة أو العلميّة،

---

(1) أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد الوّقشي الوزير أبو جعفر ، كان من بيت جلالة وحسب شهير ، أديبا، بارعا، فاضلا، شاعرا، مطبوعا وكاتبا بليغا توفيّ بمالقة عائدا من مراكش سنة 574ه/1179م. انظر ، ابن الآبار : **الحلّة السّيراء** ، ج2 ، ص257 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س1 ،ق1 ، ص197 ؛ المقرّي : **مصدر سابق** ، ج5 ، ص271 .

(2) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س1 ، ق1 ، ص200 .

(3) الجراوي عبد الله : **الرّحلة العبدريّة ، مجلة دعوة الحقّ** ، العدد:1 ، السّنة 13 ، الرّباط المغرب1389ه /1969 م، ص128 .

(4) منها أنّ المنصور الموّحدي، كان يتابع حركة التّأليف ويسأل عن المؤلّفات الجديدة ويأمر بنسخ كلّ كتاب، يصدر وإيداعه في خزانته. انظر ، ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س6 ، ص382 .

(5) الحلواجي عبد السّتار : **الكتب والمكتبات بين القديم والحديث** ، ط2 ، الدّار المصريّة اللّبنانيّة القاهرة ، 1423ه/2002م ، ص16 ؛حامد الشّافعي دياب : **الكتب والمكتبات في الأندلس** ، ط1 ، دار قباء للطّبع والنّشر القاهرة1418ه /1998م، ص59 .

(6) كان هناك طريقان سلكتهما المؤلّفات العربيّة الإسلاميّة وصولا من المؤلّف إلى القاريء هما : طريق التّأليف، حيث يعكف المؤلّف على جمع مادة كتابه ومراجعها وتهذيبها وتنقيحها، ثمّ يُخرجها للنّاس في صورة حسنة والطريق الثّاني هو الأمالي وهي ثمار مجالس الإملاء الّتي إنتشرت في العالم الإسلامي . انظر ، حامد الشّافعي : **نفس المرجع** ، ص59.

وقد أوضحت كتب التّراجم غزارة تلك المؤلفات وتنوعها (1) بالشّكل الّذي لقيت به التّشجيع المّادي والمعنوي من قِبَل الموحدين (2) للعلم وأهله، حتّى أنّهم حرصوا على تعدّد نسخ المؤلّفات والسّعي لنّشر نتاجات العلماء الفكريّة؛ لكي تصل إلى أكبر قدر ممكن من المكتبات في بلاد المشرق والمغرب (3).لذا فإنّ مثل هذا الإهتمام كان عاملا مشجعا للعلماء لزيادة إنتاجهم العلمي بما يُدّعم حركة الفكر وقادته (4)، حيث حرص العلماء على تقديم النّسخة الأولى إلى خلفاء الدّولة الموحديّة والأمراء ممّن يألون جهدا في الحصول على الكتب؛ لتزيّين مكتباتهم الشّخصيّة (5) بمؤلّفات بعض المشاهير من العلماء، أمثال ابن الطّراوة وابن الصّقر وابن غلندة والقيسي ، وكانت تلك المكتبات حافلة بالكتب المتنوعة (6) .

إضافة إلى المكتبات الخاصّة بالمشاهير، كانت هناك مكتبات الحكّام والمكتبات العامّة ومكتبات المساجد(7) وكان حرص العلماء الشّغوفين بجمع الكتب والحصول عليها، قد تعدّى حدود المعقول ، فربّما خرج الواحد منهم بالدّرهم والدّرهمين؛ ليشتري به قوتا لنفسه ولعياله، فيصادف في الطريق كتابا، يُباع، فيشتريه ويرجع بالكتاب دون الطّعام وقد تتكرّر هذه الحادثة مرّات عديدة (8) .

(1) قد نجد أنفسنا أمّام موسوعة علميّة، ألّف الواحد منهم في جميع فروع المعرفة، مثل أبو الوليد بن رشد ، الّذي إشتهر بتقدّمه في علوم الطبّ والفلسفة ومع ذلك فقد شارك في علوم أخرى، كالتّفسير والفقه وأصوله وعلم الكلام وعلوم العربيّة، كما كانت له إهتمامات أدبيّة نثريّة وشعريّة وقد أُحصيّ لابن رشد حوالي 80 مؤلّفا . انظر ، ابن عبدالملك : **نفس المصدر** ، س6 ، س22 - 24.

(2) ابن عبدالملك : **نفس المصدر** ، س5 ، ق1 ،ص304 ، ص319 .

(3) ابن عبد الملك: **نفس المصدر** ، س6 ، ص 381، 382 ؛ الرّعيني: **مصدر سابق** ، ص67 .

(4) أمثال ابن الأبار الّذي كان مُحَدّثا، مكثرا، ناقدا، يقضا، ذاكرا للتّواريخ على تباين أغراضها، مستبحرا في علوم اللّسان نحوا ولغة وأدبا، كاتبا بليغا، شاعرا مجيدا ، ألّف في هذا المجال نيفا وخمسين مجلدا. انظر، ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص258 ،259 .

(5)ابن عبد الملك: **نفس المصدر**، س5، ق1، ص304، ص321؛ المقرّي: **نفح الطيب**، ج1، ص463 وقد ذكر قصة طريفة حول الموضوع

(6) حجّي محمد : **منوّعات محمد حجّي** ، دار الغرب الإسلامي بيروت 1418ه/ 1998م ، ص205 ، 206.

(7) الحلواجي : **مرجع سابق** ، ص16 ؛ العرّيني : **مرجع سابق** ، ص135 .

(8) ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س1 ، ق1 ، ص229 .

وقد كان لهذا الحرص أثره في إنتشار المكتبات في المغرب والأندلس ، وأصبح الحصول على الكتاب سواء بالشّراء أو الإهداء أو الإعارة سهلا وميسراً ، حيث تعدّدت موارد الكتاب كما سنذكر ذلك ، وإزدهرت أيضاَ حرفة النّسخ والتّجليد وغيرها، ممّا له علاقة بالكتابة والكتاب [1].

ب) **جلب الكتب من المشرق،** حيث كانت المؤلّفات المشرقيّة المورد الثّاني للمكتبات المغربيّة والأندلسيّة الّتي وصلت عن طريق العلماء الرّحّالة [2]، الّذين أسهموا بشكل كبير ودور هام في نقل الكتب من المشرق الإسلامي، حيث أنّ العلماء وطلبة العلم غالبا ما إذا رحلوا إلى المشرق، يقومون بزيارة العديد من المراكز العلميّة هناك، ويأخذون من علمائها ويتحصّلون عن إجازاتهم، ثمّ يعودون إلى بلدانهم بما أخذوه من مروِيات وإجازات، حيث أنّ هذه الكتب تكون أكثر ضبطا ودقّة وأكبر ثقة بها [3] فقد جلب في هذا العصر من المشرق محمد بن أحمد الكتّاني [4] ت608ه/1211م وأحمد بن أحمد بن خلف[5] ت643ه/1245م في رحلتهما العلميّة مجموعة من الكتب لاعهد لأهل الأندلس بها، إستنسخاها هناك.

ونظرا لكثرتها فقد إتّفقا على أن ينسخ كلّ واحد منهما غير ما ينسخه الآخر، حتى إذا وصلا الأندلس أخذ كلّ منهما ما فاته من الآخر، ومن هذه الكتب الّتي جلبوها (الكشّاف عن حقائق التّنزيل) للزّمخشري

---

(1) العرّيني : **نفس المرجع** ، ص124 .

(2) حامد الشّافعي : **مرجع سابق** ، ص75 ؛ إمام الدّين فتّاح : **المكتبات العربيّة في الأندلس، مجلّة المورد** ، مجلد 25، العددان 3 و4 ، الرّباط المغرب سنة1418ه/ 1997م، ص95 .

(3) كريم عجيل حسين : **الحياة العلميّة في مدينة بلنسيّة** ، ط1 ، مؤسّسة الرّسالة بيروت 1396ه/1976 م، ص259 -260 .

(4) محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرّحمن الكناني ، روى عن طائفة من العلماء ، رحل إلى المشرق برفقة أحمد بن أحمدابن خلف ،كان مُحدّثا راوية عدلا جميل العشرة استشهد سنة 608ه /1211م . انظر : ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س6 ،ص33 .

(5) أحمد بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن خلف الحضرمي، من إشبيليّة يعرف بابن رأس غنمة أخذ العلم عن عدّة علماء عصره ،رحل إلى المشرق وأدّى فريضة الحجّ رفقة محمد بن أحمد الكناني ، كان نبيل الخطّ نقيّ الوراقة حسن الطريقة كتب بخطّه كُتبا كثيرة ، توفي سنة 643ه /1245م. انظر : ابن عبد الملك : **نفس المصدر،** س1 ق1 ، ص28 .

و(شرح السنّة للبغوي) و(تاج اللّغة وصحاح العربيّة) [1]للفارابي، المعروف بالجوهري [2]،كما جلب عيسى بن سليمان الرّعيني[3] ت632ه/1234م من المشرق بعد رحلته الّتي دامت تقريبا عشرين سنة كتبا كثيرة، ممّا لم يكن في المغرب والأندلس[4].

كما حرص الورّاقون على جلب الكتب الجديدة الفريدة والأصلية إلى المغرب والأندلس، ثمّ القيّام بنسخها وبيعها لمن يطلبها، حيث يتحصل من وراء ذلك على أرباح طائلة حسب أهمية الكتاب، وممّن برز في هذا المجال أحمد بن خلف بن فرتون[5] ت560ه/1165م فقد كان ورّاقا، يبيع الكتب[6]، وأيضا عبد الله بن إبراهيم[7] الورّاق ت611ه/1214م. الذي كان له دكّان في قيسارية بلنسيّة، يبيع فيه الكتب[8] ، وهذه أمثلة فقط فإذا عدنا إلى كتب التّراجم، وجدنا عددا كبيرا، يمتهن هذه المهنة .

(1) يمكن أن نستنتج من ذلك أن الصحاح لم يدخل المغرب والأندلس إلاّ بعد سنة 595ه/ 1199م أي بعد قرنين من ظهوره في المشرق . انظر: ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س1 ،ق1 ، الهامش رقم 3، ص29 .

(2)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س1 ،ق1 ، ص 28 – 29 .

(3) عيسى بن سليمان بن عبد الله بن عبد الملك الرّعيني ، مالقي أبو محمد الرّندي ، أخذ العلم عن عدّة علماء عصره رحل إلى المشرق وأدّى فريضة الحج وأقام في رحلته تقريبا عشرين سنة ،حيث زار فيها عدّة مراكز علميّة منها دمشق وبغداد ومكّة ، عاد سنة631ه/1234م ، فكان ضابطا لما رواه مقيّدا مُتقنا عارفا بالرّجال والأسانيد ناقدا فاضلا ،بارع الخطّ حسن التّقيّيد ، جلب كتبا كثيرة ممّا لم يكن وصل المغرب والأندلس، توفي سنة 632ه/1235م .انظر: ابن الأبّار : **التكملة** ، ج4 ،ص15 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5 ، ق1 ، ص495 – 496 ؛ ابن الزّبير : **المصدر السابق** ، ص227.

(4) ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص227 .

(5) أحمد بن خلف بن يوسف بن فرتون، سكن غرناطة ، كان ورّاقاً، يبيع الكتب ، له مجموع صغير سمّاه (المحكم المنتخب من عيون الحكم) ، كما كان يتعاطى نظم الشّعر ، توفيّ سنة 560ه/1165م . انظر ، ابن الأبار : **التّكملة** ، ج1 ، ص63 ؛ ابن عبد الملك ، **مصدر سابق** ، س1 ، ق1 ، ص109 .

(6) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج1 ، ص63 ؛ ابن عبد الملك ، **نفس المصدر** ، س1 ، ق1 ، ص109 .

(7) عبد الله بن إبراهيم بن الحسن بن منتيال الورّاق، سكن بلنسيّة ، سمع عن عدّة علماء بجاية والإسكندريّة ، كتب بخطّه علما كثيرا ، كان له دكّان بالقيساريّة لبيع الكتب ، توفيّ سنة 611ه/1214م . انظر، ابن الأبار: **التّكملة** ، ج2 ، ص287 ؛ الذّهبي: **تاريخ الإسلام** ، ج44 ، ص70.

(8) ابن الآبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص287 .

جـــ) جلب الكتب من غير المسلمين :

تعرّضت الكتب للنّهب والحرق خلال فترة الحروب مع الصليبيّين في الأندلس وكانت بعض الكتب يتمّ الإحتفاظ بها في الأديرة والكنائس، خاصة منها كتب الطبّ والفلك والرّياضيّات والفلسفة ... ولذلك حرص المسلمون على استرجاعها بمختلف الوسائل وكان منها الإهداء، حيث كان بعض الأمراء المسلمين يتحصلون على بعض الكتب، كهدايا من النّصارى[1] ، كما استعمل المسلمون أسلوب المقايضة للحصول على الكتب حيث يبعثون بالسّلع الّتي يحتاجها النّصارى ويبيعونهم هذه السّلع مقابل الكتب، مثلما حدث مع محمد بن سعيد بن مدرك الغسّاني المالقي[2] حوالي 570ه/1174م الورّاق ، الّذي كان شديد العناية باقتناء الكتب النّفيسة إلى أن إجتمع عنده من الكتب الكثير، فاق أهل بلده [3] ، حيث إستغلّ مجاعة، حدثت في بلاد الرّوم ، فبعث إليهم مركبا كبيرا، مُحمّلا بالزّرع و أُوكل لذلك شخصا، ذو معرفة بالكتب، بصيرا بانتقائها وأوصاه، ألاّ يبيع شيئا من الطّعام، إلاّ بالكتب، فجلب له منها الكثير النّفيس الّذي عجز عن الحصول عليه غيره [4] .

(1) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س4 ، ص31 .

(2) محمد بن سعيدبن محمد بن أحمد بن مدرك، مالقي، طربي الأصل ، أخذ العلم عن عدّة علماء عصره ، وروى عنه الكثير من الطّلبة ، كان مُحدّثا راويّة ، ورّاقا بارع الخطّ ، حسن التّقيّيد، شديد العنايّة باقتناء ذخائر الكتب وأعلاقها، منافسا فيها، مغاليّا في أثمانها، إجتمع عنده منها ما لاشيء فوقه كثرة وجودة، توفيّ سنة570ه/1174م . انظر ، ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص44 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص212،213 .

(3) ابن الأبار : **التكملة** ، ج2 ، ص44 .

(4)ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س6 ، ص213 .

2) الإهتمام بالكتاب والمكتبات :

إهتمّ الموّحدون بالكتاب والمكتبات وذلك بحرصهم على الحصول على الورق الجيّد، ثمّ نسْخ الكتاب وضبطه، ثمّ تجليده، وأخيرا حِفظه في خزائن وترتيبها، وتعيّين من يُشرف على المحافظة عليه من الضّياع أو التّلف ، ممّا يُسّهل الإستفادة منه .

أ) صناعة الورق :

إنتشرت صناعة الورق في المغرب والأندلس، مثل غرناطة وبلنسيّة وشاطبة الّتي تعدّ من أشهر المدن الإسلاميّة أنذاك في هذه الصّناعة (1) ، الّتي يقول عنها الحميري :"ويعمل بها كاغد، لا نظير له بَمعمّر الأرض يعمّ المشرق والمغرب) (2)، وكذلك سبتة ومدينة فاس الّتي بلغ بها عدد معامل الورق 400 معمل أيام يعقوب المنصور وابنه محمد النّاصر الموّحدي (3)و كان يُعرف أصحاب صناعة الورق بفاس بالكغّادين عند حيّ باب الحمراء، إلاّ أنّها خرّبت هذه المصانع من جراء المجاعات والفتن الّتي إجتاحت المغرب أواخر هذا العهد (4)كما نجد مدينة سبتة هي الأخرى، إشتهرت بصناعة الورق، حيث تعدّ في طليعة مراكز إنتاج الورق، الّذي صار يُنسب إليها ، و إشتهرت أكثر من شاطبة في هذا المجال (5).

وكان للتّعاون والتّعامل التّجاري بين المسلمين والصّين دورا بارزا في إنتشار بعض أنواع الكاغد (الورق) والّتي إعتبرها بعض البّاحثين ثورة كبرى في تاريخ الحضارة الإنسانيّة (6) وقد إنتقلت صناعة

---

(1) المقدسي شمس الدّين أبي عبد الله محمد : **أحسن التّقاسيم في معرفة الأقاليم** ، ط2 ، طبعة ليدن 1324ه/1906م ، ص239 .

(2) الحميري : **مصدر سابق** ، ص337 .

(3) محمد المنّوني : **حضارة الموحدين** ، ص172 .

(4) علي الجزنائي: **جنيّ زهرة الآسفي بناء مدينة فاس** ، تحقيق ، عبد الوهّاب بن منصور ، ط2 ، المطبعة الملكيّة الرّباط المغرب 1411ه /1991م ، ص44 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص49 ؛ محمد المّنوني : **تاريخ الورّاقة المغربيّة** ، ط1 ، منشورات كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة الرّباط 1412ه/ 1991م ، ص33 .

(5) Ch . André Julien : Histoire de L'Afrique du Nord , Tome II ,Payot- Paris , page 122 .

(6) محمد الأمين بلغيث : **الحركة الفكريّة** ، ص 104.

الورق من المشرق إلى المغرب والأندلس، ممّا أدّى إلى إنخفاض سعر الورق بشكل ملموس، ممّا ساعد ذلك على القيّام بعملية التّدوين الّتي تعتبر أساسيّة لتّطوير وإنتشار العلوم[1] .

ويعدّ المغرب والأندلس أهمّ طريق دخلت منها صناعة الكاغد إلى أوروبا، حيث أُنشيء أوّل معمل للورق في إيطاليا في أواخر القرن الثّالث عشر الميلادي، وفي سنة 792ه/1390م أُنشيء معمل للكاغد بمدينة نورنبيرغ بألمانيا ، وأقدم هذه المصانع في فرنسا أُنشيء في منتصف القرن الرّابع عشر الميلادي ، أمّا في أنجلترا فأوّل مصنع يرجع إلى عهد الملكة إليزابيت سنة 996ه/1588م[2].

ب)الوراقة والورّاقين :

بازدهار صناعة الورق، إزدهرت مهنة الورّاقة الّتي تتمّثل في عملية الإستنساخ والتّصحيح والتّجليد والتّسفير وتوابعها في صناعة الكتاب [3]، وتعتبر الفترة الموحديّة العصر الذّهبي للوراقة المغاربة والأندلسيّين ، حيث نبغ وراقون مجيدون، وكان بينهم بعض المصحفيّين والملتزمين لمنتسخات بعينها[4]، كما أنّ الكثير من الورّاقين والنّساخين عُرفوا بحُسن خطّهم وخاصّة الخطّ الأندلسي المتميّز الّذي حلّ محلّ الخطوط الّتي كانت تستعمل في شمال إفريقيا [5] ، كما تفنّن بعض الخطّاطين في تنويع الخطوط وتفريعها إلى عدّة طرائق مغربية ومشرقيّة وظهر بعض المزخرفين للكتب والمجيدين للتّسفير، ممّا أدّى إلى إزدهار صناعة الورق والكتاب[6] .

(1) محمد الأمين بلغيث : **الحركة الفكريّة** ، ص106 .

(2) محمد المنّوني : **حضارة الموحدين** ، ص 172.

(3) ابن خلدون : **المقدمة** ، ص 755 ؛ محمد المنّوني : **حضارة الموحدين** ، ص 182 ؛ لمين بلغيث : **الحركة الفكريّة** ، ص105 .

(4) محمد المنّوني : **تاريخ الورّاقة** ، ص27 .

(5) ابن خلدون : **المقدمة** ، ص751 ، بالإضافة إلى خطوط أخرى، ذكرها المنّوني في حضارة الموحدين. انظر، محمد المنّوني: **تاريخ الورّاقة** ، ص180 .

(6) محمد المنّوني : **تاريخ الورّاقة** ، ص27.

وهكذا إنتشرت حرفة الوراقة وظهرت بذلك طبقة الورّاقين، حيث كان يُدعى الشّخص الّذي يحترف نسخ الكتب " الورّاق" وأيضا " النّسّاخ " وفي بعض الأحيان " الخطّاط " [1] ، وكان القائمون عليها في الغالب هم أهل العلم، ممّا أدّى إلى إنتشار تجارة الكتب بين أقطار العالم الإسلامي الّتي أصبحت لها سوق رائجة، دعمّت النّهضة الفكريّة والحضاريّة [2]وسهلّت نقل العلوم والمعارف بين مختلف مناطق العالم الإسلامي.

ولمـّـا كان للنّاسخ دور كبير في نشر الكتاب، فكان عليه أن يتحرّى الدّقة والبُعد عن التّصحيف مع وضوح الخطّ والحرص على مقابلة ما ينسخه بالأصل [3] ، مثلما كان يفعل علي بن عبد الله بن عبد الرّحمن الأنصاري[4] .الإشبيلي ت قبل620ه/1223م من علماء العربيّة ،كتب بخطّ يدّه العديد من الكتب في ميادين متخصّصة [5] ، وكذا محمد بن أحمد بن الطّراوة السّبائي[6] ت659ه/1261م، كان بارع الخطّ، رائق الطّريقة، أنيق الوراقة، متقن التّقيّيد، نسّابة لخطوط الأشياخ، كثير الأحكام لأموره وأدواته[7]

(1) حامد الشّافعي : **مرجع سابق** ، ص 60 .

(2) محمد الأمين بلغيث : **الحركة الفكريّة** ، ص106 .

(3) تاج الدّين السّبكي : **معيد النّعم ومبيد النّقم** ، ط2 ، دار الحداثة بيروت 1405ه/1985م ، ص131 ،132 .

(4) علي بن عبد الله بن عبد الرّحمن الأنصاري الإشبيلي ، كان محقّقا بالنّحو، ذكيّا، بارعا الخطّ والأدب، كتب بخطّه الأنيق، كثيرا من الكتب كالجمل للزّجاج وأشعر السّتّة. ..توفيّ سنة 620ه/1223م. انظر، ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س5 ، ق1 ، ص232 .

(5) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5 ،ق1، ص232 .

(6) محمد بن أحمد بن محمد بن أبي الحسين سليمان بن محمد السّبائي، مالقي الأصل، مراكشي ، كان حافظا للتّواريخ ذاكرا لها، أديبا، بارعا، كاتبا محسنا، يقرض الشّعر ، بارع الخطّ، رائع الطّريقة، أنيق الورّاقة، متقن التّقيّيد ، نسّابة لخطوط الأشياخ ...شديد المحافظة على كتبه، مثابرا على الإعتناء بتصحيحها، توفيّ في سجلماسة سنة659ه/1261م . انظر ، عبّاس السّملالي: **مصدر سابق** ، ج4 ، ص239، 240 .

(7) عبّاس السّملالي: **مصدر سابق** ، ج4 ، ص239.

وعمر بن عبد الله السّلمي[1]ت603ه/1207م، كانت له جودة الخطّ وبراعة الأدوات[2] وأبو الحكم بن غَلِنْد[3]كان بارع الخطّ يكتب بخطّين أندلسيّين، كتب علما كثيرا ، خدم المنصور الموّحدي زمنا[4] ، ومنهم محمد بن عيسى بن محمد بن أصبغ الأزدي ت620ه/1223م[5] ،كان بارع الخطّ في كل طرقه ، حيث كان يكتب ثلاث عشرة طريقة بارعا فيها [6]ولم يتوقف حُسن الخطّ والبّراعة فيه على أصحاب المهن فقط؛ بل كان ابناء عبد المؤمن بن علي كلّهم حُفّاظ، خطّاطون[7]، مثل عمر المرتضي الموّحدي [8]، كما أنّ الخلفاء أنفسهم يجيدون الكتابة بأكثر من خطّ ويوّقعون المنشورات الرّسميّة بيدهم بخطّ الثُلُث المشرقي [9].

ونظرا لأهمية الورّاقين الحضاريّة، فقد كانوا يحتلّون مكانة هامّة في المجتمع؛ لأنّ معظمهم من العلماء وطلبة العلم[10]وأصبحوا يُشكلون طبقة هامة في المجتمع، يتنافس عليهم الأمراء والعلماء؛ لنسخ كتبهم

(1) عمر بن عبد الله بن عمر السّلمي ، سكن فاس ، كان من أهل المعرفة والتّفنّن، أديبا، كاتبا، شاعرا مجيدا ، له جودة الخطّ وبراعة الأدوات فصيح الخطابة والكتابة، توفيّ سنة 603ه/1207م . انظر، ابن الآبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص162 ،163 ؛ أحمد المكناسي ، **مصدر سابق** ، ج2 ، ص496 .

(2)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص 163 .

(3) عبيد الله بن علي بن عبيد الله بن غَلِنْده ، ولد بإشبيليّة ، كان شاعرا وأديبا متميّزا في صناعة الطبّ ، خدم المنصور الموّحدي ، وله كتب كثيرة ويكتب بخطّين أندلسيين ، كان أحسنهم ضبطا وكتب علما كثيرا ، توفيّ سنة 581ه/1186م . انظر ، ابن الأبار : **التّكملة** ،ج2، ص313 ؛ ابن أبي أصيبعة : **مصدر سابق** ، ص 534 ، 535 ؛ عبّاس السّملالي: **مصدر سابق** ،ج8 ، ص351 .

(4)ابن الأبار : **التّكملة** ،ج2 ص313 ؛ ابن أبي أصيبعة : **مصدر سابق** ، ص 534 ، 535.

(5) محمد بن عيسى بن محمد الأزدي ، قرطبي الأصل، تنقّل إلى تلمسان ، كان فقيها، نظّارا، جانحا للإجتهاد، حافظا للّغات، شاعرا مجيدا، بارع الخطّ في كلّ طريقة، كان يكتب ثلاث عشرة طريقة هو فيها مجيد، كتب الكثير، له مؤلّفات، منها (الأنجاد في الجهاد) ، توفيّ 620ه/1223م. انظر، ابن عبد الملك : **مصدر سابق**، س8 ،ق1 ، ص345 وما بعدها ؛ عبّاس السّملالي: **مصدر سابق** ،ج4 ، ص181 ، 182.

(6)ابن عبد الملك :**نفس المصدر** ، س8 ، ق1 ، ص348 .

(7) محمد المنّوني : **حضارة الموحدين** ، ص 180.

(8) مجهول : **الحلل الموشية** ، ص168 .

(9) محمد المنّوني : **تاريخ الورّاقة المغربيّة** ، ص 28 .

(10) العرّيني : **مرجع سابق** ، ص132 ؛ حامد الشّافعي : **مرجع سابق** ، ص60.

وتلبيّة طلباتهم [1]، ولأنّهم مصدر إنتاج الكتب المطلوبة وخاصّة النّادرة منها، ممّا جعل بعضهم يتّخذ هذه المهنة مصدراً للرزق مثل محمد بن محمد الأنصاري ت610ه/1213م [2] الّذي عُرف بحُسن خطّه، فكتب ونسخ العديدمن الكتب، فاتّخذ هذه المهنة مصدر رزق له [3] ، وكذلك بالنسبة لعلي بن محمد بن دَيْسِم توفيّ سنة 623 أو624 ه/1226 أو 1227م [4] فقد كان يعيش ممّا يكتب بخطّ يدّه، حيث عُرف بأناقة الوراقة وبديع الخطّ[5]، ومنهم أحمد بن علي الأنصاري ت645ه/1247م[6] الّذي كان رائق الوراقة، يعيش بها زمنا [7]، أمّا الّذين كانوا يعملون في القصور لدى الخلفاء والـــمراء من الّذين يُمثلون فئة كبار الخطّاطين، فقد كانوا يعيشون في رغد عيش، يغدق عليهم الخلفاء والأمراء وغيرهم من المال والإقامة الحسنة[8].

(1) حامد الشّافعي ،: **مرجع سابق** ، ص61 .

(2) محمد بن محمد بن سليمان بن محمد بن عبد العزيز الأنصاري النّحوي، من بلنسيّة أخذ العلم عن عدّة علماء عصره، شديد السّماع بالرّواية متحقّق بعلم اللّسان ، بصيرا بصناعة الحديث ، حسن الخطّ وجودة الضّبط، كتب بخطّه علما جمّا، وربّما عاش من الورّاقة؛ لإقلاله، توفيّ سنة 610ه/1213م . انظر ، ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص101 ، 102 ؛ السّيوطي : **بغية الوعاة** ، ج1 ، ص224 .

(3) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص101 .

(4) علي بن محمد بن ديسم مرسي ، روى عن عدّة علماء ، كان مُقرءاً، نحويّا فاضلا ، يعيش أحيانا ممّا يكتب بخطّه ، وكان رائق الورّاقة، بارع الخطّ ، توفيّ سنة 623 أو624 ه/1226 أو 1227م . انظر ، ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص234 ؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س5 ، ق1 ، ص304، 305 .

(5) ابن الآبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص234 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5 ، ق1 ، ص304، 305 .

(6) أحمد بن علي بن محمد بن علي الأنصاري ، أخذ العلوم عن عدّة علماء عصره ، كان مُقرءا، متقدّما، مبرَزا في العربيّة، راوية للحديث، بارع الورّاقة، مثابرا عليها، عاش منها وقتا ، أتقن ما تولاّه وكتب الكثير، توفيّ سنة 645ه/1247م . انظر ، ابن الآبار : **التّكملة** ، ج1 ، ص109؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س1، ق1 ، ص321 ،322؛ ابن الجزري : **غاية النهاية** ، ج1 ، ص83 .

(7)ابن الآبار : **التّكملة** ، ج1 ، ص109 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س1، ق1 ، ص321 .

(8) حامد الشّافعي : **نفس المرجع** ، ص61 ، 62 .

ويمكن تقسيم فئة الورّاقين والخطّاطين إلى ثلاث فئات وهي:

– فئة كبار الخطّاطين الّذين يعملون في القصور وعند عليّة القوم، وقد إقتصر عملهم على نسخ المؤلفات الغالية، ينعمون في رغد عيش .

– فئة الخطّاطين العاديّين الّذين يعملون في المكتبات، ينسخون كلّ ما يُوضع بين أيديهم لتزويد المكتبات

– فئة الخطّاطين المؤقتين الّذين يعملون بصفة مؤقتة حسب الطّلب والحاجة [1].

كما إحترف بعض الورّاقين هذه المهنة، مثل إبراهيم بن محمد الورّاق ت564ه/1168م [2]وأحمد بن يحي الضّبي ت599ه/1202م [3] الّذي كان جَلدا على الوراقة، محترفا بها، نال منها مالا كثيراً [4] وقد غالى بعض الورّاقين فيما يكتبون نظرا لجمال خطّهم، حيث كان جبر بن هشام بن جبنون توفيّ في حدود 560ه/1164م [5] من أبرع أهل زمانه خطاً وأحسنهم وراقة، ينافس فيما يكتب ويُغالي فيه [6] .

وقد كثُر إعتناء النّاس باقتناء الكتب ، فتنافسوا في إقتناء نسخ ذات الإتقان وجمال الخطّ، كما تنافس الورّاقون في ذلك،

(1)حامد الشّافعي : **نفس المرجع** ، ص61 ، 62 ؛ أورد محمد المنوني جملة من الورّاقين والخطّاطين في العهد الموحدي . انظر ، محمد المنّوني : **تاريخ الورّاقة المغربيّة** ، ص34 وما بعدها .

(2) إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مفرج الورّاق، من بلنسيّة، يُعرف بالحصّار ، كان حسن الخطّ، محترفا بالورّاقة، عاكفا عليها، ذو إتقان وضبط توفيّ سنة 564ه/1169م . انظر ، ابن الأبار : **التّكملة** ، ج1 ، ص130 .

(3) أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة الضّبي، من مرسيّة، أخذ عن جماعة من علماء عصره ، رحل إلى الحجّ وأخذ عن علماء مكّة ، كان حسن الخطّ، صحيح النّقل والضّبط، ثقة، صدوقا، جلدا على الوراقة، محترفا بها، تأثّل منها مالا كثيرا وكتب بخطّه علما كثيرا، توفيّ سنة 599ه/1203م بمرسية . انظر ، ابن الأبار : **التّكملة** ،ج1 ، ص83 ،84 .

(4)ابن الأبار : **التكملة** ،ج1 ، ص83 ،84.

(5) جبر بن هشام بن جبنون، من أهل قرطبة ، عُرف بالصّلاح والعدالة ، من أبرع أهل زمانه خطاً وأحسنهم وُراقة، يتنافس فيما يكتب ويغالي فيه، توفيّ في حدود 560ه/1165م . انظر ، ابن الأبار : **التّكملة** ، ج1 ، ص 202 .

(6)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج1 ، ص 202.

مثل أحمد بن عبد العزيز الورّاق ت572ه/1176م[1] الّذي كان معروفا بالإتقان والضّبط، فتنافس النّاس فيما وجد من خطّه [2] .

ويمكن القول أنّ دكاكين الورّاقين أصبحت حقاًّ، تمثل أحد مراكز العلم والفكر ، إذ كانت تدور بها المناقشات والحوارات العلميّة والفكريّة والأدبيّة بين المتردّدين عليها[3]، حيث كان لمحمد بن عبد الله بن مطروح التّجيبي ت606ه/1209م [4] من أهل بلنسيّة دكاناً للورّاقة ، وكان يتميّز بالفكاهة النّادرة أديبا، فكان يجتمع إليه الأدباء البلنسيون، نظرا لثقافته الواسعة، فيجلسون، يستمعون إلى ما يقوله في الأدب والشّعر ويشاركونه بآرائهم[5] .

هذا ولايفوتني أن أذكر دور المرأة المغربيّة والأندلسيّة في نسخ الكتب، حيث سجّل لنا أهل التّراجم مجموعة لابأس بها من النّاسخات للكتب، أمثال سعيدة بنت محمد بن فيرة الّتي عُرفت بخطّها الجميل، نافذة فيما تكتبه[6] وأختها الصّغرى الّتي كانت تساعدها في نسخ الكتب، قال عنها ابن عبد الملك : "كانت ملازمة للقراءة والنّسْخ وفعل الخير إلى أن توفيّت شابّة "[7] وأيضا ورقاء بنت ينتان الحاجّة الطّليطليّة

---

(1) أحمد بن عبد العزيز بن الفضيل بن الخليع الأنصاري الورّاق، سكن بلنسيّة، أتقن العربيّة والآداب ، كان أديبا، شاعرا ، أُنيق الورّاقة بديعها معروف بالإتقان والضّبط، يتنافس فيما وجد بخطّه من الدّواوين، توفيّ سنة 572ه/1177م . انظر ، ابن الأبار : **التّكملة** ، ج1 ، ص71 ؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س1 ،ق1 ، ص243 ؛ السّيوطي : **بغية الوعاة** ، ج1 ، ص325 .

(2)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج1 ، ص71 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س1 ،ق1 ، ص243 .

(3)حامد الشّافعي : **مرجع سابق** ، ص68 .

(4) محمد بن عبد الله بن أبي يحي بن محمد بن مطروح التّجيبي ، من أهل بلنسيّة ، أصله من سرقسطة ، كان ورّاقاً، يبيع الكتب ، إخبارياً، أديبا حلو النّادرة، فكهاً ، جمع شعر ابن أبي الجزّار يحي وسمّاه (روضة المحاسن وعمدة المحاسن)، توفيّ سنة606ه/1209م . انظر ، ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص95 ؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س6 ، ص276 .

(5) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص95 ؛ ريبيرا : **مرجع سابق** ، ص185 ، 186 .

(6)سعيدة بنت محمد بن فيرة، الأموي التّيطلي ، سكنت مراكش ولها أخت صغرى ، وكانتا من بيت خير وصيانة ، قال عنها أبو العبّاس بن عبد الرّحمن بن الصّقر: "جاورتني، فتعرّفت منها خيراً وفضلا وذكاء ونُبلا ، وكانت سعيدة تنسخ الكتب، نافذة فيما تكتبه، أو تخاطب به الملك" . انظر، ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س8 ، ق2 ، ص487 .

(7) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س8 ، ق2 ، ص494 .

ت540ه/1145م، سكنت فاس وكانت أديبة، شاعرة، صالحة، حافظة للقرآن، بارعة الخطّ [1] وفاطمة بنت أبي علي حسن بن أبي محمد بن فيرة بن حيون الصَّدفي ت590ه/1194م كانت حسنة الخطّ، ملتزمة بمطالعة الكتب، كما أنّها تحفظ القرآن وتقوم عليه، نشأت صالحة، زاهدة [2].

جـ) المكتبات:

تعتبر المكتبات من المراكز الفكريّة الهامّة، حيث على مدى التّاريخ لم توجد المكتبات في أمّة من الأمم إلاّ كنتيجة لوجود من يعرف الكتابة ومواد يكتب عليها وبها ، وتراث فكري يحرص النّاس على إقتنائه وتدّاوله[3] ،وقد إرتبط ظهور المكتبات في الأندلس إرتباطا وثيقا بحركة الإنتاج الفكري بها من حيث الكثرة والتّنوع [4]، وسارت الحركة العلميّة في المغرب والأندلس في النّمو والإنتاج في كلّ الميادين ، وظهر الإنتاج العلمي والفكري والأدبي وكُثرت المؤلّفات [5]، فكان لزاما تنظيمها وترتيبها وتبويبها والحفاظ عليها في أماكن مخصّصة لذلك .

فالمكتبات على مختلف أنواعها زادها الأسّاسي الكتب والمصنّفات على إختلاف مواضيعها وأنماطها وأعدادها من حيث الكثرة أو القلّة، فهي تعتبر المِرفق الحاضن لهذه الأوعيّة الفكريّة، وهذه الأوعيّة هي ثمرة

(1) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج4 ، ص256 ؛ ابن عبد الملك: **نفس المصدر**، س8 ، ق2، ص493؛ ابن الزّبير: **مصدر سابق** ، ص456 – 457 .

(2) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج4 ، ص262 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س8، ق2 ، ص489 .

(3) الحلواجي عبد السّتار : **مرجع سابق** ، ص16 .

(4) حامد الشّافعي : **مرجع سابق** ، ص93 .

(5) علي الحجّي عبد الرّحمن: **التّاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتّى سقوط غرناطة** ، ط2 ، دار القلم دمشقبيروت 1402 ه/1981م، ص501 .

جهد المؤلفين والعلماء في البّحث والدّراسة، وهذا كلّه نتيجة طبيعيّة لرقيّ الحياة العقليّة والعلميّة والاجتماعيّة والسّياسيّة والإقتصاديّة السّائدة ، والّتي دفعت بحركة التّأليف والإبتكار إلى الأمام (1).

كما كان لخلفاء الدّولة الموحديّة دورا بارزا في تشجيع العلماء ماديا ومعنويا على التّأليف (2)؛ بل حرصوا على أن يكون من كلّ مؤلّف نسختين أو أكثر، كما سعوا لنّشر النتاجات الفكريّة للعلماء؛ لكي تصل إلى أكبر عدد ممكن من المكتبات في بلاد المشرق أو المغرب (3)، وقد شجّع هذا الإهتمام من حكّام الدّولة الموحديّة العلماء والأدباء والشّعراء وغيرهم على التّأليف، مما زاد من غزارة الكتب الّتي غزت الأسواق والدّكاكين وأصبح لها سوقا رائجة، وأصبح جمع الكتب وإقتنائها ظاهرة واسعة بين مختلف أفراد المجتمع، ممّا شجّع حركة التّأليف والنّسخ وتجارة الكتب (4)وإنتشار المكتبات بمختلف أنواعها والّتي صُنّفت في المغرب والأندلس إلى نوعين، مكتبات خاصّة أخرى عامّة .

1) المكتبات العامّة :

كانت هذه المكتبات الأكثر إنتشارا في المغرب والأندلس، وكان المسجد هو المكان الأول لها (5)؛ بل أصبحت من العناصر الأساسيّة في المسجد (6)، الّذي إحتضن هذا النّوع من المكتبات، بحيث أنّ المسجد هو الّذي إضطّلع بأهمّ أدوار النّشاط العلمي إلى جانب الدّور الرّسالي التّبليغي و التّعليمي، والكتاب هو العنصر الأساسي في هذا النّشاط، ولذلك لابدّ أن يكون الكتاب متوفراً وقريبا من طالب العلم (7)، وقد زوّد

(1) حامد الشّافعي : **نفس المرجع** ، ص 93 ، 94 .
(2) ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س5 ، ق1 ، ص 304 ، ص 319 .
(3) حيدر علي : **مرجع سابق** ، ص 56 .
(4) حامد الشّافعي : **نفس المرجع** ، ص95 ،96 .
(5) أطلس محمد أسعد : **التّربية والتّعليم في الإسلام** ، دار العلم للملاّيين بيروت 1395ه/ 1975م ، ص93 .
(6) أرنولد توماس : **تراث الإسلام** ، ترجمة ، جرجيس فتح الله ، ط3 ، دار الطّليعة بيروت 1407ه/1987م ، ص482 .
(7) علي الحجّي : **الكتب والمكتبات في الأندلس** ، ط1 ، دار الكتب أبو ظبي الإمارات ،1428ه/2007م ، ص338 .

العلماء قبل غيرهم هذه المكتبات بالكتب وهذا حرصا منهم على نشر العلم والمعرفة؛ بل كانوا يرسلون لطلابهم بكتبهم حتى ولو كانوا على مسافة بعيدة [1].

وعلى الرّغم من قلّة المعلومات الّتي أوردها لنا المصادر التّاريخيّة عن المكتبات العامّة[2] ، إلاّ أنّ الدّور الّذي لعبته هذه المكتبات في تطور الحركة العلميّة و الفكريّة، يُوضح إنتشارها في مختلف أنحاء الدّولة الموحديّة ويعود ذلك إلى طبيعة الدّولة الهادفة إلى دعم الحركة العلميّة والفكريّة والنّهوض بالثّقافة الإسلاميّة والإهتمام بما يجعل هذه الدّولة قويّة، منها العمران كبناء المساجد الّتي تحوي المكتبات والقصور [3].

ومن المكتبات العامّة في عهد الموحدين المكتبة الشّاريّة بسبتة، نسبة إلى مؤسّسها أبي الحسن علي بن محمد الغافقي ت 649ه/1251م [4] المعروف بالشّاري ، كان شغوفا بجمع الكتب، فكَوّن مكتبة عظيمة وجعلها وقفا على علماء المغرب[5] ورغم عدم وجود معلومات كافية من المصادر، تذكر لنا المكتبات العامّة في هذا العهد، إلاّ أنّنا نستبعد تأخر إقامة مكتبة عامّة في العهد الموّحدي إلى أواخر عهدها، نظرا لطبيعة هذه الدّولة وحكّامها العلمي منذ نشأتها وتشجيعها للعلم والعلماء وكثرة التّأليف في مختلف العلوم والفنون.

---

(1) الرّعيني : **مصدر سابق** ، ص67 .

(2) تذكر بعض المراجع أنّه كان في الأندلس حوالي 70 مكتبة عامّة، منها مكتبة قرطبة الّتي بها 40 ألف مجلد. انظر، فريد وجدي : **دائرة معارف القرن العشرين** ، ط3 ، دار المعرفة بيروت 1391ه/1971م ، ج8 ، ص62 ؛ محمد محمد أمان : **الكتب الإسلاميّة** ، ترجمة ، سعد بن عبد الله الضبيعان ، مكتبة الملك فهد الوطنيّة الرّياض 1410ه/1990م ، ص66 .

(3) ابن صاحب الصّلاة : **مصدر سابق** ، ص474 وما بعدها ؛ ابن أبي زرع ، **الأنيس المطرب** ، ص217 ؛ محمد المنّوني: **حضارة الموحدين**، ص184- 185.

(4) علي بن محمد بن علي بن محمد بن يحي الغافقي، يُعرف بالّشاري، من أهل سبتة ، أخذ العلم عن عدّة علماء عصره ، شارك في فنون من العلم ، إقتنى من الدّفاتر والدّواوين شيئا عظيما ، نافس فيها وغالى في أثمانها وربّما رحل في ذلك حتى حصّل منها ما أعجز أهل بلده، توفيّ سنة 649ه/1251م، انظر، الرّعيني : **مصدر سابق** ، ص74 ؛ ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص251 ، 252 ؛ الذّهبي : **سيّر أعلام النّبلاء** ، ج23 ، ص275 وما بعدها .

(5) محمد المنّوني : **حضارة الموحدين** ، ص184 ؛ حسن علي حسن : **مرجع سابق** ، ص513.

2) المكتبات الخاصّة:

شملت المكتبات الخاصّة مكتبات الحكّام والأمراء والولاّة ورجال الدّولة ومسؤوليها ورجال العلم من عامّة ابناء المغرب والأندلس، وأُعتبر هذا النّوع بمثابة المعاهد العلميّة والفكريّة الّتي تُعقد فيها النّدوات الفكريّة والأدبيّة والمجالس برعاية أهل العلم، و لم تخلُ مدينة من المكتبات الخاصّة ذات مستوى ثقافي وفكري [1]، وكان للمكتبات الّتي أنشأها الولاّة في قصورهم دورا بارزا في توفير الكتب لطلبة العلم، رغم أنّه لم يكن لها نفس الدّور الّذي كان للمكتبات في المساجد، إلاّ أنّها كانت مفتوحة لكبار العلماء والأدباء [2]ولمن يتردّد على هذه القصور من الوُجهاء والأعيان وممّن له صلة بهؤلاء الولاّة [3].

ويمكن أن نذكر أشهر مكتبة من هذا الصّنف الّتي أُنشأت في عهد والي غرناطة محمد بن أبي إبراهيم ت569ه/1174م [4] الّذي يقول عنه ابن صاحب الصّلاة : "له همّة عاليّة في الكتب وإقتنائها وإنتساخها حتى اجتمعت له منها خزانة عظيمة عالية الفنون"[5] ومن الولاّة الموحدين الّذين كانت لهم عناية وإهتمام بإنشاء المكتبات في قصورهم أبو إبراهيم إسماعيل بن عبد المؤمن[6] الّذي كان واليّا على إشبيليّة ، فقد كانت له خزانة كتب كبيرة، زوّدها بمختلف الكتب وفروع العلم.

(1) الدّيوه جي سعيد : **التّربيّة والتّعليم في الإسلام** ، مطبعة جامعة الموصل العراق 1402ه/1982م ، ص73 .

(2) كريم عجيل حسن : **الحياة العلميّة في مدينة بلنسيّة** ، ط1 ، مؤسّسة الرّسالة بيروت 1396ه/1976م ، ص277 .

(3) أحمد شلبي : **تاريخ التّربيّة الإسلاميّة** ، ط2 ، مكتبة الأنجلو المصريّة القاهرة 1379ه/1960م، ص 159 .

(4) أبو عبد الله محمد بن أبي إبراهيم ، كان من أحد عليّة ابناء الجماعة ، وكان واليّا على غرناطة ، يحفظ القرآن الكريم بروايته وموطأ المهدي وعقائده ، ، مشاركا في الأدب ، مطّلعا على كتب التّاريخ ، له همّة عاليّة في جمع الكتب وإقتنائها، له وقار وهيبة ووفاء لأصحابه، توفيّ سنة 569ه /1174م وصلّى على جنازته يوسف بن عبد المؤمن. انظر: ابن صاحب الصّلاة : **مصدر سابق** ، ص297- 299 .

(5) ابن صاحب الصّلاة : **نفس المصدر** ، ص299 .

(6) أبو إبراهيم إسماعيل، أحد ابناء عبد المؤمن ، الّذي عيّنه أخوه أبو يعقوب يوسف واليّا على إشبيليّة سنة 561 ه/1166م . انظر، ابن صاحب الصّلاة : **نفس المصدر** ، ص296 .

خصّص لها عددا من النّسّاخ، يقومون بنسخ الكتب الّتي جلبها إلى خزانته وعلى رأسهم النّاسخ أبو القاسم عبد الرّحمن بن عبد الله بن عفير [1] الأموي ت580ه/1184م [2] .

ومن المكتبات الخاصّة وهي كثيرة، مكتبة عيسى بن يوسف بن الملجوم ت543ه/1148م [3] الّذي كان حريصا على جمع الكتب والدّواوين العتيقة والكتب النّفيسة [4] ومكتبة أحمد بن يحي العبدري[5] ت599ه/1202م الّذي كانت لديه كتب كثيرة، قُدّرت قيمتها بستّة آلاف دينار[6]وعبد الرّحمن بن يوسف بن الملجوم الزّهراني ت605ه/1208م[7]،كانت له مكتبة جليلة الشّأن، لم يكن لأحد من أهل

(1) عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرّحمن بن القاسم بن عفير الأموي، من أهل إشبيليّة وأصله من لبلة ، أخذالعلم عن عدّة علماء ، منهم ابن بشكوال وسعد السّعود بن عفير ، كان خطيبا في جامع إشبيليّة ، توفيّ سنة 580ه/1184م. انظر:ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص31،30.

(2) ابن صاحب الصّلاة : **نفس المصدر** ، ص479 .

(3) عيسى بن يوسف بن عيسى بن علي الأزدي، المعروف بابن الملجوم، من فاس ، تولّى القضاء بها ، كان عالما بالفقه، ذاكرا لمسائله، مُتقدّما في علم الفرائض، مُحدِّثا، حافظا، راوية ، جمّاعا للدّواوين العتيقة والدّفاتر النّفيسة، حريصا على ذلك، توفيّ سنة 543ه/1148م . انظر، ابن الآبار: **التّكملة** ، ج4 ، ص16 ؛ ابن الزّبير : **مصدر سابق** ، ص229 ؛ إسماعيل بن الأحمر : **بيوتات فاس الكبرى** ، دار المنصور للطّباعة والوراقة الرّباط 1392ه/1972م ، ص15 ؛ أحمد المكناسي : **مصدر سابق** ، ج2، ص501 .

(4) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج4 ، ص16 ؛ أحمد المكناسي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص501 .

(5) أحمد بن يحي بن إبراهيم بن السّعود العبدري، من أهل قرطبة ، كان أديبا، حافظا ، قويّ العارضة، صاحب منظوم ومنثور، من أبرع النّاس خطّا، إقتنى من الدّفاتر كثيرا، كانت له مكانة حسنة عند أبي يوسف المنصور، يحاضر طلبة العلم بمجلسه إلى أن أحسّ منه المنصور السُكر، فهجره توفيّ سنة 599ه/1203م بمراكش. انظر، ابن الأبار: **التّكملة** ، ج1، ص84 ؛ ابن عبد الملك: **مصدر سابق**، س1، ق2، ص564-566؛ العبّاس السّملالي : **مصدر سابق** ،ج2 ، ص103 .

(6) ابن الآبار : **التّكملة** ، ج1 ، ص84 ؛ العباس السّملالي : **مصدر سابق** ،ج2 ، ص103 .

(7) عبد الرحمن بن يوسف بن الملجوم الزهراني بن رقية) الأزدي، من أهل مدينة فاس، أخذ العلم عن عدّة علماء عصره ، كان من أهل المعرفة بالشّعر والأنساب والحفظ للتواريخ ، حسن الخط ،كانت له خزانة كتب عظيمة، توفيّ سنة 605ه/1208م . انظر، ابن الآبار: **التّكملة**، ج3، ص52، 53 ؛ ابن الزّبير: **مصدر سابق** ، ص156 ؛ ابن أبي زرع : **الذّخيرة السّنيّة** ، ص45 ؛ أحمد المكناسي : **نفس المصدر** ، ج2 ، ص396 .

عصره مثلها، تصدّق بها على ابنة له، باعتها بستة آلاف دينار[1]، ومكتبة محمد بن خير الإشبيلي ت575ه/1179م[2]حيث كانت بها كتب قيّمة غاية الصّحة والإتفاق وعالج تصحيحها بخطّه الحسن ، وجودة التّقيد والضّبط ، وقد عُرضت هذه المكتبة للبّيع بعد وفاة صاحبها، ونظرا لأهمّيّة هذه المكتبة وما تحويه من كتب وقيمتها، فقد غالى طلبة العلم في أثمانها، لحرصهم على الفوز بهذه الكتب [3]، وكذلك مكتبة أحمد بن محمد بن مفرج، المعروف بابن العشّاب ت 637ه/1239م [4]كانت من كبريات المكتبات الخاصّة الّتي عرفها هذا العصر وقد جمعها صاحبها خلال فترة طويلة ، وقد أسهمت رحلته الطّويلة إلى المشرق في تزويد مكتبته بمختلف الكتب ، إستفاد منها العديد من طلبة العلم الّذين كانوا يتردّدون عليها ، كما وهب صاحبها بعض الكتب للمحتاجين إليها [5] .

ومكتبة محمد بن أحمد عبد الرّحمن العبيدي [6] المعروف بابن البنّاء ت 646ه/1248م الّذي تميّز بحُسن خطّه وتقيّيده ، وإهتمامه بجمع الكتب، حيث كان ينسخ كلّ ما يقع بين يديه من الكتب النّفيسة

(1) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، 52 ؛ ابن أبي زرع : **الذّخيرة السّنيّة** ، ص45 ؛ أحمد المكناسي : **نفس المصدر** ، ج2 ، ص396 .

(2)محمد بن خير بن عمر بن خليفة ، من أهل إشبيليّة، أخذ العلم عن عدّة علماء ، وكان مُقرءا، مُجودا، ضابطا، مُحَدِثا، أديبا، نحويا، لغويا، كريم العشرة ، وكانت كتبه في غاية الصّحة والإتقان، قام بمعالجتها بخطّه ، حسن الخط ، وفي ذلك قطع دهرا وأنفق حياته، فلحق بالمتقدّمين وأربى على المتأخرين، توفيّ في قرطبة سنة 575ه/1179م . انظر ، ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص49 -50 ؛ الضّبي : **مصدر سابق** ، ج1 ، ص104 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س8 ، ق1 ، ص299 وما بعدها .

(3) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص50 ؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س8 ، ق1 ، ص301 ، 302 .

(4) أحمد بن محمد بن مفرج الأموي، المعروف بابن العشّاب، أو ابن فرتون ، أخذ العلم عن عدّة علماء ، رحل إلى المشرق وأدّى فريضة الحجّ وأقام هناك نحو ثلاثة أعوام ، أخذ خلاله عن كبار العلماء وتنقّل بين بغداد ودمشق ومصر وتونس وغيرها ، عاد منها بعلم واسع وفوائد جمّة وكتب كثيرة نافعة وتصانيف غريبة،كان مُحَدِثا، حافظا، ناقدا، ذاكرا تواريخ المُحَدِثين وأنسابهم ووفاياتهم وتجريحهم ،كان فاضلا، كثير الشّغف بالعلم، توفيّ سنة 637ه/1239م. انظر ، ابن الآبار : **التّكملة** ، ج1 ، ص107 ؛ ابن عبد الملك: **نفس المصدر** ، س1 ، ق2 ، ص487 وما بعدها؛ ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج1 ،ص207 وما بعدها .

(5) ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س1 ، ق2 ، ص511 -512 ؛ ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج1 ، ص208 .

(6) محمد بن أحمد بن عبد الرّحمن العبيدي أبو بكر بن البنّاء ، كان أديبا وكاتبا وشاعرا ، حسن الخط، أنيق الطّريقة في الوِراقة، مُتقن التّقيّيد، رتبّ على نفسه وظيفة من النّسخ في كلّ يوم، لم يكن يتركها على حال ، يُقيّد من الفوائد والغرائب المثقاة سائر أيّامه، كثير الولوع بذلك، توفيّ سنة 646ه/1248م بسبتة . انظر، إن سعيد : **المغرب** ، ج1 ، ص254 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5 ، ق2 ، 681 .

ويضعها في مكتبته إلى أن اتّسعت وأصبحت تضمّ عددا كبيرا من الدّواوين والمؤلفات النّفيسة، وعندما أراد الخروج من إشبيليّة، أخرج معه حوالي خمسمائة مجلد كلّها بخطّ يده [1] .

هذه بعض الـــأمثلة عن المكتبات الخاصّة والّتي كانت منتشرة بشكل واسع ، ولاأبالغ إن قلت أنّه لم يكن يخلو بيت من بيوت العلماء في المغرب والأندلس خاصّة من وجود خزانة للكتب، نسخ صاحبها بعض منها أو جمعها من هنا أو هناك .

فعلا لقد أدّت المكتبات دورا بارزا ومهمّا في تطور الحركة الفكريّة والعلميّة بالمغرب والأندلس والعالم الإسلامي وحتى المسيحي ، الّذي ترجم الكتب العلميّة خاصّة وكتب الفلسفة وغيرها إلى لغات مختلفة عبر العالم ، كما كانت المكتبات النّاشر الحرّ في إغناء مختلف مناطق العالم الإسلامي بما هو جديد وجدير بأن تتناقله الأيدي وتتداوله الدّول .

(1) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5 ، ق2 ، ص681 .

الفصل الثّالث

الـعـلـوم الـدّيـنـيّـة

I علم القراءات.

II علم التّفسير.

III علم الحديث وخصوصية الإهتمام به في عهد الموحدين.

IV الفقه وأصوله.

V علم الكلام.

العلوم الدّينيّة:

تعتبر العلوم الشّرعيّة العلوم الأساسيّة الّتي أقْبَل عليها المسلمون بالدّراسة والبّحث والتّعمق فيها ويُقصد بها، العلوم الّتي وُجهت لخدمة الشّريعة الإسلاميّة، من دراسة أصليها القرآن الكريم والسّنّة النّبويّة الشّريفة وما تبعها من علوم، كعلم الفقه وأصوله وعلم الكلام [1].

ولقد تناول علماء الإسلام هذه العلوم بالتّفصيل والتّوضيح، ممّا لايدع مجالا للشّك، ووضّح إبن خلدون هذه العلوم بقوله:"أصناف هذه العلوم النّقليّة كثيرة؛ لأنّ المُكلَف يجب عليه أن يعرف أحكام الله تعالى المفروضة عليه وعلى أبناء جنسه وهي مأخوذة من الكتاب والسّنّة بالنّص أو الإجماع أو بالإلحاق، فلاّ بدّ من النّظر في الكتاب، ببيان ألفاظه أوّلا وهذا هو **علم التّفسير**، ثمّ بإسناد نقله وروايته إلى النّبي صلّى الله عليه وسلّم الّذي جاء به من عند الله، واختلاف روايات القُرّاء في قراءته، وهذا هو **علم القراءات**، ثمّ بإسناد السّنّة إلى صاحبها ... وهذه هي **علوم الحديث**، ثمّ لابدّ من استنباط هذه الأحكام من أصولها من وجه قانوني يفيدنا العلم بكيفية هذا الاستنباط، وهذا هو **أصول الفقه**، وبعد هذا تحصُل الثّمرة بمعرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلّفين وهذا هو **الفقه**، ثمّ إنّ التّكاليف : منها بدنيٌّ ومنها قلبيٌّ، وهو المختصّ بالإيمان وما يجب أن يُعتقد ممّا لا يُعتقدُ، وهذه هي العقائد الإيمانيّة في الذّات والّصفات وأمور الحشْر والنّعيم والعذاب والقدر والحِجاج عن هذه الأدّلة العقليّة هو **علم الكلام**، ثمّ النّظر في القرآن والحديث لابدّ أن تتقدّمه العلوم اللّسانيّة لأنّه مُتَوقِف عليها، وهي أصناف فمنها علم اللّغة وعلم النّحو وعلم البيان وعلم الأدب" [2] .

(1) العريني : **مرجع سابق** ، ص212 .

(2) ابن خلدون : **المقدمة** ، ص 780، 781 .

ونظرا لأهمية هذه العلوم في حياة المسلمين وإرتباطها بحياتهم اليوميّة ، إهتمّ بها أهل المغرب والأندلس كباقي الشعوب الإسلاميّة ، قال تعالى "﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾

التوبة:الآية 122 ، كما أنّ هذه العلوم هي الّتي تُنْجي صاحبها في الدّنيا والآخرة؛ لأنّها تهتمّ بالقرآن الكريم وعلومه والحديث وعلومه ... ولذلك بذل المسلمون عناية كبيرة منذ ظهور الإسلام بالعلوم الدّينيّة وكانت علوم القرآن في مقدّمة تلك العلوم لأهميتها باعتبار أنّ القرآن الكريم هو المُنَظم لحياة المسلمين ودستورهم في الحياة .

وزاد إهتمام الموحدين كغيرهم من المسلمين بعلوم القرآن؛ لطبيعتهم الدّعَويّة القائمة على أساس ديني حتّى أنّ إبن تومرت سنَّ منهاجا، سار عليه سلفه وأتباعه، حيث كان الموحدون يقرؤون حزبا من القرآن في كلّ يوم بعد صلاة الصبح والمغرب [1]،كما أنّ عناية خلفاء الدّولة الموحديّة بعلوم القرآن وثقافتهم الواسعة في هذا العلم زادت من ذلك الإهتمام، فعبد المؤمن بن علي كان ذا معرفة واسعة بعلم القراءات[2] وولده يوسف كان أحسن النّاس ألفاظا بالقرآن [3]، كما كان يستظهر القرآن بشرحه ناسخه ومنسوخه، قارئا لنصّه، حافظا له على وقْفِهِ وإبتدائه [4].

(1) ابن صاحب الصّلاة : **مصدر سابق** ، ص232 ؛ مجهول : **الحلل الموشية** ، ص109، 110 .

(2) ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص203 ؛ ابن أبي دينار : **مصدر سابق** ، ص113 .

(3) المراكشي : **مصدر سابق** ، ص309 .

(4) ابن صاحب الصّلاة : **نفس المصدر** ، ص 233 ؛ ابن عذارى : **مصدر سابق** (**قسم الموحدين**) ، ص164 .

I. علم القراءات :

يأتي علم القراءات في مقدمة علوم القرآن الكريم، وقد عرفه التّهانوي بقوله" هو علم يُبْحث فيه عن كيفية النّطق بألفاظ القرآن، وموضوعه القرآن من حيث أنّه كيف يُقرأ "[1] ،فاهتمّ به المسلمون إهتماما كبيرا ومنشؤه الإختلاف في اللّهجات وكيفية النّطق بها أو طُرق الأداء، من تضخيم وترقيق وإمالة، وإدغام واظهار وإشباع ومدٍّ وتشديدٍ وتخفيفٍ [2].

ويُعرّفه بعض العلماء بأنّه العلم الّذي يُعرف به كيفية أداء كلمات القرآن إتّفاقا وإختلافا، معزوًّا كلّ وجه إلى قائله [3]، وقد ظهر الخلاف في القراءات في عهد عثمان بن عفّان رضيّ الله عنه، حيث تنبّه حُذيفة بن اليمان رضيّ الله عنه؛ لخطر إختلاف أفراد الجيش الإسلامي في قراءة القرآن بعد فتح أرمينيّة وأذربيجان فنصح الخليفة عثمان بن عفّان رضيّ الله عنه بإدراك الأمّة قبل إختلافها [4] ، وبذلك إجتمعت الأمّة على مصحف واحد باستنساخ القرآن الكريم[5] .

ووصف إبن خلدون إختلاف المسلمين في قراءة القرآن الكريم قائلا : "أنّ الصحابة رَوَوْهُ عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على طُرق مختلفة في بعض ألفاظه وكيفيات الحروف في أدائها، وتُنُوقل ذلك وإشتهر إلى أن إستقرّت منها سبعُ طُرق معيّنة، تواتر نقلها أيضا بأدائها، وإختصّت بالإنتساب إلى من

(1) التّهانوي محمد علي : **موسوعة كشاف إصطلاحات الفنون والعلوم** ، تحقيق ، علي دحروج ، ط1 ، مكتبة لبنان ناشرون بيروت 1416ه/1996م ، ج1 ، ص35 .

(2) مناع خليل القطّان : **مباحث في علوم القرآن** ، ط11 ، مكتبة وهبة القاهرة ، 1421ه/2000م ، ص153 .

(3) ابن الجزري شمس الدّين محمد بن محمد : **مُنجد المُقَرئين ومُرشد الطّالبين** ، ط1 ، دار الكتب العلميّة بيروت 1420ه/1999 ، ص9.

(4) ابن الجزري شمس الدين محمد: **النشر في القراءات العشر** ، مراجعة وتصحيح : علي محمد الضبّاع ، دار الكتب العلميّة بيروت (د. ت)، ج1 ، ص7 ؛ مناع القطّان : **مرجع سابق** ، ص123 ،124 ؛ محمد عزّة دروزة : **القرآن المجيد** ، المكتبة العصريّة صيدا بيروت ، (د.ت) ، ص62 ،63 .

(5) محمد عزّة دروزة : **نفس المرجع** ، ص52 ، ص64 .

إشتهر برواياتها من الجمّ الغفير، فصارت هذه القراءات السّبع أصولا للقراءة، وربّما زِيد بعد ذلك قراءةٌ أخرى، أُلحقت بالسّبع، إلاَّ أنّها عند أئمّة القراءة، لاتقوى قوّتها في النّقل" [1] .

وقد مثلّ كلّ واحد من القُرّاء مدرسة خاصة به في علم القراءات، متواترة عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[2]، أمّا مناطق تواجد هذه المدارس فكان في العراق والشّام والحجاز ، وانتشرت في مختلف أنحاء العالم الإسلامي وأصبح لها شهرة، ممّا أدّى إلى ظهور ثلاث مدارس أخرى إلى جانب المدارس السّبعة [3] ، فأصبح عددهم عشرُ مدارس في علم القراءات [4] ، ويعتبر علم القراءات أسبق من علم التّفسير وغيره من العلوم الأخرى[5]،إذ يمثّل المرحلة الأولى لتفسير القر آن الكريم[6]، وبذلك فهو أقدم العلوم الإسلاميّة نشأة؛

---

(1) ابن خلدون : **المقدمة** ، ص 782 ؛ وأصحاب القراءات السّبع، هم عبد الله بن عامر اليحصبي ت188ه/736م ، من أهل دمشق ، وعبد الله بن كثير ت120ه/737م من أهل مكّة ، وعاصم بن أبي النّجود ت127ه/744م من أهل الكوفة ، وأبو عمر بن العلاء البصري ت154ه/770م ، وأبو عمارة الكوفي ت156ه/772م ، ونافع المدني ت169ه/785م من أهل المدينة ، وأبو الحسن الكسّائي ت193ه /808م من أهل الكوفة . انظر، الدّاني أبو عمرو عثمان بن سعيد : **التّيسير في القراءات السّبع** ، ط2 ، دار الكتب العلميّة بيروت 1426ه/ 2005 م ، ص16 وما بعدها ؛ ابن البّاذيش أحمد بن علي : **الإقناع في القراءات السّبع** ، تحقيق ، عبد المجيد فطاش ، جامعة أمّ القرى الرّباط1402ه/ 1982م ، ج2 ، ص55 وما بعدها ؛ أبو شامة شهاب الدّين عبد الرّحمن المغربي : **المُرشد الوجيز إلى علوم تتعلّق بالكتاب العزيز** ، تحقيق ، إبراهيم شمس الدّين ، دار الكتب العلميّة بيروت1424ه/2003 م، ص117 وما بعدها ؛ محمد بن محمد مخلوف : **شجرة النّور الزّكيّة في طبقات المالكيّة**، ط1، دار الكتب العلميّة بيروت 1424ه/2003م ، ج1 ، ص28 ، 29 .

(2) ذكر ابن الجزري في جزأي كتابه طبقات القُرّاء وأسمائهم وشيوخهم. انظر، ابن الجزري : **غاية النّهاية** ؛ محمد مخلوف : **نفس المصدر** ، ج2، 34 – 37 ؛ عبد السّلام أحمد الكنوني: **المدرسة القرآنيّة في المغرب من الفتح الإسلامي إلى ابن عطيّة** ، مكتبة المعارف الرّباط 1401ه/1981م ، ج2 ، ص53 ، 54 .

(3) أمّا أصحاب القراءات الثّلاثة الأخرى هم ، يزيد بن القعقاع أبو جعفر المدني ، ويعقوب البصري الحضرمي ت205ه/820م ، وخلف بن هشام البغدادي ت 229ه/834م . انظر ، الذّهبي شمس الدّين : **معرفة القُرّاء الكبار على الطبقات والأعصار** ، تحقيق ، محمد بن حسن الشّافعي ، دار الكتب العلميّة بيروت1418ه/1997م، ص39 ، ص42 ؛ ابن الجزري : **غاية النّهاية** ، ج1 ، ص246، 247 ، ج2 ، ص333ومابعدها. .

(4) عبد السّلام الكنوني : **نفس المرجع** ،ج2 ، ص53 -54 ؛ يوسف بن أحمد حواله : **الحياة العلميّة في إفريقيّة (المغرب الأدنى) منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن 5ه** ، جامعة أمّ القرى الرّياض 1421ه/2000 ، ج1 ، ص 404، 405 .

(5)محمد مخلوف : **نفس المرجع**، ج2 ، ص20 ؛ يوسف بن أحمد حوالة : **نفس المرجع** ، ج1 ، ص404 ؛

(6) حسن إبراهيم حسن : **مرجع سابق** ، ج4 ، ص440 .

بحكم أنّ موضوعه كلمات القرآن الكريم وطُرق ضبطها عن الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، كما أنّه أصل علوم القرآن كلّها [1].

نشأ علم القراءات في بلاد المغرب والأندلس مشابها لما كان عليه في بلاد المشرق الإسلامي ، وكان تأثير المشرق واضحا على بلاد المغرب والأندلس ، واستمرّ الحال على حاله إلى أن إكتسب هذا العلم شخصية مستقلّة ومميّزة بمرور الزّمن [2] ، إلى أواخر القرن الرّابع الهجري، حيث إزدهر علم القراءات بين سكان المنطقة عندما رحل من أهل المغرب والأندلس من روى القراءات بمصر ودخل بها إلى الأندلس وهذا ما يؤكّده إبن الجزري في كتابه "**النّشر في القراءات العشر**" بقوله : "وكان أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله الطّلمنكي[3] مؤلف الرّوضة أوّل من أدخل القراءات إلى الأندلس، توفيّ سنة 429ه/1038م ، ثمّ تبعه أبو محمد مكّي بن أبي طالب القيسي [4] مؤلف التّبصرة [5] والكشف [6]، توفيّ سنة 437ه/1046م"[7].

---

(1) محمد مخلوف : **نفس المرجع** ، ج2 ، ص20 .

(2) العريني : **مرجع سابق** ، ص213 ؛ حيدر علي : **مرجع سابق** ، ص67 .

(3) أحمد بن محمد بن عبد الله بن لبّ بن يحي بن قرلمان الطّلمنكي المعافري، الأندلسي، ولد سنة 340ه/952م، رحل إلى المشرق وأخذ العلم عن عدّة علماء ، ثمّ عاد إلى الأندلس بعلم غزير ، وكان أوّل من أدخل القراءات إلى الأندلس ، كان عالما بالتّفسير والحديث، له عدّة مؤلّفات منها (الدّليل على معرفة الجليل) و (الرّوضة في معرفة القراءات)، توفيّ سنة 429ه/1038م . انظر ، الضّبي : **مصدر سابق** ، ج1 ، ص205 ؛ الذّهبي : **تذكرة الحُفاظ** : ج3 ، ص1098 ؛ ابن فرحون : **مصدر سابق** ، ص101 ؛ ابن الجزري : **غاية النّهاية** : ج1 ، ص110 ، 111 .

(4) مكّي بن أبي طالب حيوس بن محمد بن مختار أبو محمد القيسّي القيرواني، ثمّ الأندلسي القرطبي، ولد سنة355ه/966م ، إمّام، محققّ، أستاذ القُرّاء والمُجودين ، رحل إلى المشرق وأخذ عن كثير من العلماء، كان من أهل التّبحر في علوم القرآن والعربيّة، كثير التّأليف في علوم القرآن، مُجوِدا عالما بمعاني القراءات له، حوالي ثمانين تأليفا منها ، (التّبصرة في القراءات) و (مشكل إعراب القرآن)، توفيّ 437ه/1046م. انظر، الحميدي: **مصدر سابق** ، ص519 ؛ الضّبي : **نفس المصدر** ، ج2 ، ص627 ؛ علي القفطي : **مصدر سابق** ، ج3 ، ص313 ؛ الحموي : **معجم الأدباء** ، ج5 ، ص2712 ؛ ابن الجزري : **غاية النّهاية** ، ج2 ، ص270 .

(5) طُبع الكتاب ، حقّقه ، محمد غوث النّدوي ، الدّار السّلفيّة 1412ه/1982م .

(6) طُبع الكتاب تحت عنوان : الكشف عن وجوه القراءات السّبع وعللها وحُججها : تحقيق، محيّ الدّين رمضان ، مؤسسّة الرّسالة بيروت 1404ه/1984م .

(7) ابن الجزري : **النّشر في القراءات العشر** ، ص34 .

وازدهر علم القراءات في المغرب والأندلس فظهر عدد كبير من علماء والأئمّة القُرّاء ، ألّفوا فيه كُتبا إشتهرة في مختلف أنحاء العالم الإسلامي[1]، فبرز في هذا العلم وإعتنى به الحافظ أبو عمرو عثمان بن سعيد[2] الدّاني[3] ت444ه/1052م مؤلف كتاب التّيسير[4]، وجامع البّيان [5] الّذي دوّن فيه القراءات السّبعة وأكثر من خمسمائة رواية وطريقة [6] ، والّذي بلغ الغاية في علم القراءات وإنتهت إلى روايته أسانيدها [7].

وظهر بعد ذلك من الّذين برزوا في هذا العلم أبو القاسم بن فيرة ت590ه/1193م [8]، من أهل شاطبة الّذي عمد إلى تهذيب ما دونه أبو عمرو الدّاني وتلخيصه، فنظّم ذلك كلّه في قصيدة، لخصّ فيها أسماء القُرّاء أبجديا على ترتيب أحْكمه؛ ليتيسّر عليه ما قصده من الإختصار، حتّى يكون أسهل للحفظ ،

(1) ابن خلدون : **المقدمة** ، ص783 .

(2) عثمان بن سعيد بن عثمان أبو عمرو الدّاني ويقال له: ابن الصّيرفي، من دانيّة بالأندلس ، أحد حُفّاظ الحديث من الأئمّة في علم القرآن ورواياته وتفسيره، رحل إلى المشرق وأخذ العلم عن عدّة علماء وعاد إلى الأندلس، ينشر علمه ، له أكثر من مائة تصنيف منها، (التّيسير)= =و(الإشارة في القراءات) و (التّجديد في الإتقان والتّجويد) إلخ.، توفيّ سنة 444ه/1052م . انظر ، الضّبي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص538 ؛ ابن بشكوال : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص49 ؛ الحموي : **معجم الأدباء** ، ج4 ، ص1603 ؛ ابن تغري جمال الدّين : **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** ، تقديم وتعليق ، محمد حسين شمس الدّين ، ط1 ، دار الكتب العلميّة بيروت 1413ه/1992م ، ج5 ، ص56 .

(3) نسبة إلى دانيّة ، مدينة في الأندلس، من أعمال بلنسيّة على ضفّة البّحر شرقا ، أهلها أَقْرأ أهل الأندلس . انظر، الحموي : **معجم البلدان** ، ج2 ، ص434 .

(4) الكتاب مطبوع تحت عنوان : التّيسير في القراءات السّبع، تحقيق ، حاتم صالح ضامن ، مكتبة الصّحابة الشّارقة الإمارات1434ه /2007م

(5) وهو مطبوع تحت عنوان : جامع البّيان في القراءات السّبع المشهورة ، تحقيق ، محمد صدوق الجزائري ، دار الكتب العلميّة بيروت 1426ه/2005م.

(6) ابن الجزري : **النّشر في القراءات العشر** ، ص35 .

(7) ريبيرا خوليا : **مرجع سابق** ، ص52 .

(8) أبو القاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد الرّعيني، الأندلسي، الشّاطبي الضّرير، ناظم الشّاطبيّة، ولد سنة 538ه/1144م ، أخذ العلم عن عدّة علماء ورحل إلى المشرق وحجّ وأخذ العلم هناك ، كان يتوقّد ذكاءً، له البآّع الأطْول في فنّ القراءات والرّسم والنّحو والفقه والحديث ، رحل إلى مصر وذاع صيته، توفيّ بمصر سنة 590ه/1194م . انظر ، ابن الأبار : **التّكملة** ، ج4 ، ص73 ؛ الحموي : **معجم الأدباء** ، ج5 ، ص2216 ،2217 ؛ ابن كثير عماد الدّين إسماعيل : **البداية والنّهاية** ، ط1 ، مركز البّحوث والدّراسات العربيّة والإسلاميّة بدار هجر ، 1419ه/1998م ، ج16 ، ص665 ،666 ؛ ابن خلّكان : **مصدر سابق** ، ج4 ، ص71 – 73 ؛ الذّهبي : **سيّر أعلام النّبلاء** ، ج21، ص261 - 263 .

كما استوعب فيها الفنّ إستيعابا حسنا ، وإهتمّ النّاس بحفظها وتلقينها لأبنائهم المتعلّمين ، وبذلك جرى العمل في أمصار المغرب والأندلس [1].

وقد بلغ علم القراءات ذروة مجده في بلاد الـــأندلس، وتمثلّ هذا المجد على بلاد المغرب وذلك نتيجة للوحدة السّياسيّة ، إذ أسهم علماء الأندلس في تدريس علم القراءات [2] ، وما تضمنّه من علوم تابعة له مثل ، علم الشّواذ ، وعلم مخارج الحروف ، ومخارج الألفاظ ، والوقف ، وعِلل القرآن ، وكتابة القرآن ، وآداب كتابة المصحف ، وفي كلّ هذه العلوم قواعد وكتب [3].

وإنتشرت وإشتهرت القراءات السّبع في كلّ من المغرب والأندلس في حلقات التّدريس [4] ، وقد يعود ذلك إلى إلتزام القُرّاء المغاربة والأندلسيّين بما صنّفه لهم القُرّاء الأوائل، مكّي بن أبي طالب، وأبوعمرو الدّاني[5] وجرى التّركيز على القراءات السّبع دون الثّلاثة؛ لأنّ إهتمام علماء المغرب والأندلس، إنصبّ على هذه القراءات دون غيرها [6] .

وكان الإهتمام أكثر في هذه المنطقة من العالم الإسلامي بقراءة نافع المدني ت169ه/786م[7]، وهي

(1) ابن خلدون :**المقدمة** ، ص784 .

(2) ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س5 ، ق2 ، ص570 ، 571 ؛ الذّهبي : **معرفة القُرّاء الكبار** ، ص299 .

(3) محمد مخلوف : **مرجع سابق** ، ج2 ، ص20 .

(4) الرّعيني : **مصدر سابق** ، ص11 .

(5) ابن الجزري : **مُنجد المُقْرئين** ، ص27.

(6) ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س5 ، ق2 ، ص482، 483 ؛ ابن الجزري : **غاية النّهاية** ، ج2 ، ص225 .

(7) نافع بن عبد الرّحمن بن أبي نعيم اللّيثي ، أصله من أصبهان ، جوَّدَ القرآن على عدّة تابعين ، إنتهت إليه إمّامة القراءة في المدينة ، وهو أحد القُرّاء السّبعة ، قال عنه مالك : "نافع إمّام النّاس في القراءة ، وقراءة نافع سُنّة ، وكان إذا تكلّم، خرج مِن فيه ريح المسك"، توفيّ سنة 169ه/786م . انظر ، الدّاني أبو عمرو : **مصدر سابق**، ص98 ؛ الذّهبي : **طبقات القُرّاء** ، تحقيق ، أحمد خان ، ط1 ، مركز الملك فيصل للبحوث والدّراسات 1418ه/1997م ، ج1 ، ص104 وما بعدها ؛ ابن الجزري : **غاية النّهاية** ، ج2 ، ص289 -291 ؛ الذّهبي : **سيّر أعلام النّبلاء** ، ج7 ، ص336 -338 .

قراءة أهل المدينة الّتي إنتشرت في إقليم المغرب والأندلس والمستخدمة في تدريس القرآن الكريم للصبيان[1] ولعلّ السّبب في ذلك أنّ مالك رحمه الله، كان يُحبّذ هذه القراءة، إذ رُوي عنه قوله:"نافع إمّام النّاس في القراءة"[2]وقوله:"قراءة نافع سُنّة " [3] ، والإمّام مالك، إمّام دار الهجرة الّذي إلتزم بمذهبه الفقهي أهل المغرب والأندلس ، وسأتحدث عن ذلك في موضعه ، كمّا أنّ سكان منطقة المغرب والأندلس يحِنّون إلى ساكن المدينة المنوّرة ، مدينة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ لذلك كانوا أشدّ النّاس حِرصًا على إقتفاء أثره وإتّباع مذهب أهل المدينة، مثل الإمام مالك في الفقه ، ونافع في القراءات، والمعروف أنّ هذه القراءة رُوِيت عن نافع بعدّة طرق وبواسطة روّاة متعدّدين، إلاّ أنّها إشتهرت عند المغاربة والأندلسيّين برواية ورش[4]وقالون [5] وبالخصّوص قراءة ورش [6] ، حيث كانت الأكثر إنتشارا لديهم [7] .

وقد خصّت رواية ورش بالذّات ببعض الدّراسات، الّتي قام بها عدد من علماء المغرب والأندلس، أمثال أبي العبّاس أحمد منذر الأزدي المُقريء ت610ه/1213م [8]وأبو العبّاس أحمد بن يوسف الأنصاري

---

(1) الرّعيني : **نفس المصدر** ، ص7 .

(2)الذّهبي : **سيّر أعلام النّبلاء** ، ج7 ، ص337 ؛ الذّهبي : **طبقات القُرّاء** ، ج1 ، ص105.

(3) الذّهبي : **سيّر أعلام النّبلاء** ، ج7 ، ص337 .

(4) عثمان بن سعيد أبو عمرو، القَرَشي بالولاّء، أصله قبطي من مصر، إشتهر بلقب ورش، لقبّه به شيخُه نافع وذلك لشدّة بياضه ، كان أحد الرُوّاة المشهورين عن نافع،إنتهت إليه ريّاسة الأقراء في مصر في زمانه، توفيّ سنة 197ه/813م . انظر ، أبوعمرو الدّاني: **مصدر سابق،** ص98؛ الحموي : **معجم الأدباء** ، ج4 ، ص1601 ؛ الذّهبي : **طبقات القُرّاء** ، ص 171 ، 172 ؛ ابن تغري : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص197 ؛ ابن الجزري : **غاية النّهاية** ، ج1 ، ص446 ،447 .

(5) عيسى بن ميناء بن وردان بن عيسى الإمام أبو موسى الزّرقي ، قاريء أهل المدينة ونَحْويهم في زمانه ، قيل: أنّه كان ربيب نافع ، وهو الّذي لقبّه قالون؛ لجودة قراءته ومعناها، جيِّد بالرّوميّة ، وأصله من الرّوم، توفيّ سنة220ه/835م . انظر، أبو عمرو الدّاني : **نفس المصدر** ، ص 98 ؛ الحموي : **معجم الأدباء** ، ج5 ، ص2144 ؛ الذّهبي : **طبقات القُرّاء** ، ص174 ؛ الذّهبي : **سيّر أعلام النّبلاء** ، ج10 ، ص326 وما بعدها ؛ ابن الجزري : **غاية النّهاية** ، ج1 ، ص542 ، 543 .

(6) الذّهبي : **معرفة القُرّاء** ، ص107 .

(7) الرّعيني : **مصدر سابق** ، ص15 ،ص19ومابعدها ؛ ابن الأبار : **التّكملة** ، ج1 ، ص98 ؛ الذّهبي : **معرفة القُرّاء** ، ص289 ؛ الذّهبي : **طبقات القُرّاء** ، ج3 ، ص1155 ؛ ابن فرحون : **مصدر سابق** ، ص126 .

(8) أحمد بن منذر بن جهور بن أحمد الأزدي المُقريء ، من أهل إشبيليّة ، أخذ القراءات عن أبي بكر بن صاف ، له تأليف في قراءة ورش ، له معرفة بالأداء ، فقيها على مذهب مالك ، توفيّ بإشبيليّة سنة 610ه/1213م ، وعند ابن الأبار سنة618 ه/1221م . انظر ، الرّعيني :=

ت 646ه/1248م[1] وأبوعبد الله محمد بن حسن بن محمد بن يوسف المغربي الفاّسي ت656ه/1258م[2]الّذي صنّف شرحًا للشّاطبيّة [3] .

كما شهد علم القراءات والتّجويد في عهد الموحدين تطورا كبيرا، لم يُشهَد له مثيل من قبل ، ويمكن أن يُعزى ذلك إلى عدّة أسباب، منها أنّ أغلب أولئك الخلفاء في الدّولة الموحديّة كانوا من المهتمين بدراسة هذا العلم حتّى عُدّوا من كبار الحُفّاظ والخطّاطين [4] ؛ ولذلك فقد كان العلماء يدرِّسون علم القراءات في حلقاهم العلميّة كباقي العلوم؛ نظرا لأهميّته في إتقان النُّطق بألفاظ القرآن الكريم ، ومن المؤلّفات الّتي كانت تُدّرس في هذا العلم كتاب"القراءات"[5] لأبي عبيد القاسم بن سلام ت 224ه/839م[6] الّذي يُعدُّ من أقدم الكتب في هذا العلم ، وكتاب " إختلاف القراءات وتصريف وُجوهها " لأبي بكر بن مجاهد ت

=**نفس المصدر** ، ص19 ؛ ابن الأبار : **التّكملة** ، ج1 ، ص98 ،99 ؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س1 ، ق2 ، ص551 ؛ ابن فرحون: **نفس المصدر** ، ص126 ؛ محمد مخلوف : **مصدر سابق** ، ج1 ، ص252 .

(1) أحمد بن يوسف بن أحمد الأنصاري ، من أهل إشبيليّة ، يُعرف بابن النّجار ، أخذ القراءات على ابن صاف ، وتصدّر للإقراء ببلده ، شارك في العربيّة والفرائض وله مجموع في رواية ورش، توفيّ سنة 646ه/1248م . انظر ، ابن الأبار : **التّكملة** ، ج1 ، ص109 .

(2) محمد بن حسين بن محمد بن يوسف المغربي الفاسي المُقريء ، ولد بفاس سنة580ه/1185م ، أخذ القراءات بمصر ، كان إماما، ذكيّا متفنّنا، واسع العلم، بصير بالقراءات وعللها وشهورها وشاذّها ، خبيرا باللّغة ، أخذ عنه خلْق كثير ، قام بشرح الشّاطبيّة، توفيّ سنة 656ه/1258م بحلب . انظر ، الذّهبي : **طبقات القُرّاء** ، ج3 ، ص1155 ؛ الذّهبي : **سيّر أعلام النّبلاء** ، ج23 ، ص361 ؛ ابن الجزري: **غاية النّهاية** ، ج2 ، ص109 ؛ ابن عماد : **مصدر سابق** ، ج7 ، ص390 .

(3) ابن عماد : **نفس المصدر** ، ج7 ، ص390 .

(4) ابن صاحب الصّلاة : **مصدر سابق** ،ص 233 ؛ ابن عذارى : **مصدر سابق (قسم الموحدين)** ، ص164 .

(5) طُبع الكتاب ، قام بجمعه ودراسته ، جاسم الحاج جاسم محمد الدّيلمي ، مركز البحوث والدّراسات الإسلاميّة العراق 1428ه/2007م.

(6) القاسم بن سلام، أبو عبيد الأنصاري، من أهل هراة ، ولد وتعلّم فيها، ثمّ رحل إلى مصر، ثمّ بغداد وأخذ عن علمائها ، صنّف عدّة كتب منها في القراءات والفقه واللّغة والحديث، توفي سنة 224ه/839م بمكّة . انظر ، الخطيب البغدادي : **تاريخ مدينة السّلام**، ج14، ص392 وما بعدها ؛ الذّهبي : **تذكرة الحُفّاظ** ، ج2 ، ص417 ؛ ابن الجزري : **غاية النّهاية** ، ج2 ، ص18 ، 19 ؛ السّيوطي : **بُغية الوُعاة** ، ج2، ص253 .

324 ه/936م[1] وكتاب "المُرشد في القراءات السّبع " ، وكتاب " التّذكرة في القراءات "[2] لأبي الحسن بن غلبون ت399ه/ 1009م[3]،كما اعتنى علماء القراءات بالدّراسة والتّدريس في المغرب والأندلس بكتاب " التّبصرة في القراءات السّبع" [4] لمكّي بن أبي طالب ، و كتاب " التّيسير " لأبي عمرو الدّاني.

وبرز في بلاد المغرب والأندلس الكثير من العلماء الّذين إختصّوا في علم القراءات وأحسنوا فيه، نقتصر على ذكر أشهرهم وهم :

1) أحمد بن الحطيّة اللّخمي ت560ه/1164م ، أصله من مدينة فاس[5]، ومن مشاهير علمائها وأعيانها [6]، حيث كان رأسا في القراءات السّبع [7] وإنتقل إلى المشرق لأدّاء فريضة الحجّ ، زار خلالها

---

(1) أحمد بن موسى بن العبّاس بن مجاهد التّميمي، البّغدادي، شيخ عصره ، ولد سنة245ه/860م ببغداد ، أصبح عالما في القراءات ، تصدّر للأقْراء وإزدحم عليه أهل الأداء ، له عدّة مصنّفات، منها كتاب "القراءات الكبرى " و "القراءات الصّغرى " الخ ، توفيّ سنة 324 ه/839م . انظر ، الخطيب البّغدادي : **مصدر سابق** ، ج5 ، ص353 وما بعدها ؛ ابن الجوزي : **مصدر سابق** ، ج13 ، ص357 ،358 ؛ الذّهبي : **طبقات القُرّاء** ، ج1 ، ص333وما بعدها ؛ الذّهبي : **سيّر أعلام النّبلاء** ، ج15 ، ص272 – 274 ؛ ابن الجزري : **غاية النّهاية** ، ج1 ، ص128 -130 .

(2) طُبع تحت عنوان : **التّذكرة في القراءات الثّمان** ، تحقيق ، أيمن رشيد سويد ، برعاية ، الجماعة الخيريّة لتحفيظ القرآن الكريم جدّة السّعوديّة 1412ه/1991م .

(3) طاهر بن عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون الحلبي، ثمّ المصري ، المُقرىء ، أخذ القراءات عن والده ، كان من كبار المُقرئين ، صنّف كتاب " التّذكرة في القراءات "، توفيّ سنة 399ه/1009م . انظر ، الذّهبي : طبقات القُرّاء ، ج1 ، ص467 ؛ الذّهبي : **تاريخ الإسلام** ، ج27 ، ص372؛ ابن الجزري : **غاية النّهاية** ، ج1 ، ص307 ؛ الصّفدي : **مصدر سابق** ، ج16 ، ص232 ، 233 .

(4) طُبع وحقّقه : محمد غوْث النّدوي ، نشر وتوزيع ، الدّار السّلفيّة الهند 1402ه/1982م .

(5) القفطي : **مصدر سابق** : ج1 ، ص74 ؛ ابن خلّكان : **مصدر سابق** ، ج1 ، ص170 ؛ الذّهبي : **معرفة القُرّاء** ، ص228 ؛ الذّهبي : **سيّر أعلام النّبلاء** ، ج20 ، ص344 ؛ أحمد المكناسي : **مصدر سابق** ، ص116 ؛ السّيوطي : **حُسن المحاضرة في تارخ مصر والقاهرة** ، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط1 ، دار إحياء الكتب العربيّة سوريا 1387ه/1967م ، ج1 ، ص453.

(6) ابن خلّكان : **نفس المصدر** ، ج1 ، ص170 ؛ أحمد المكناسي : **نفس المصدر** ، ص116 .

(7) ابن خلّكان : **نفس المصدر** ، ج1 ، ص170 ؛ الذّهبي : **سيّر أعلام النّبلاء** ، ج20 ، ص345 ؛ أحمد المكناسي : **نفس المصدر** ، ص116 ؛ السّيوطي : **حسن المحاضرة** ، ج1 ، ص453 .

الشّام ومصر [1] ، قرأ بمصر وإستقرّ بخارجها (القاهرة) إلى أن توفيّ بها [2]، كما كان يُحسن الخطّ ،

وتشابه خطُّه بخطّ ابنه وزوجته ويصعُب التّفريق بين خطوطهم [3] .

2) محمد بن خير اللّمتوني ت575ه/1179م، من مدينة فاس ، وهو من علماء المغرب في الإقراء [4]

يُعدّ من الأئمّة المُقرئين، المُجَودين ، مُشبّع الروّاية، أخذ عن النّظير والكبير والصّغير، حتّى إجتمع له في

القراءات ما لم يجتمع لغيره من نُظرائه [5].

كما أنّه تجاوز شيوخه، الّذين أخذ عنهم العلم وقد وضع فهرسا لهم [6]، ومن أبرزهم أبي الحسن

شُرَيح ت 535ه/1140م ، الّذي لازمه وإختصّ به إلى حين وفاته ، وعنده برع في الإقراء وعليه عوّل

[7] وتصدّر للإقراء في إشبيليّة وأخذ عنه[8] ، وله مصنّفات كثيرة وأصول نادرة، وُصفت بأنّها نهاية

الإتقان؛ لاهتمامه بمقابلتها وعُكوفه على تصحيحها والإعتناء بها [9]، ولمّا انتقل إلى قرطبة، تولّى الصّلاة

بجامعها سنة 573ه/1177م وبقي بها إلى أن توفيّ فيها [10].

---

(1) القفطي : **مصدر سابق** : ج1 ، ص74 ؛ ابن خلّكان : **نفس المصدر** ، ج1 ، ص170 ؛ الذّهبي : **سيّر أعلام النّبلاء** ، ج20 ، ص345 ؛ أحمد المكناسي : **نفس المصدر** ، ص116 .

(2) ابن خلّكان : **نفس المصدر** ، ج1 ، ص170 ؛ الذّهبي : **سيّر أعلام النّبلاء** ، ج20 ، ص345 ؛ أحمد المكناسي ، **نفس المصدر** ، ص116 .

(3) القفطي : **نفس المصدر:** ج1 ، ص74 ؛ الذّهبي : **معرفة القُرّاء** ، ص228 .

(4) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص49 ؛ ابن عبد الملك ، **مصدر سابق** ، س8 ، ق1 ، ص299 .

(5) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س8 ، ق1 ، ص301 .

(6)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص50 ؛ ابن عبد الملك ، **نفس المصدر** ، س8 ، ق1 ، ص300.

(7)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص49 .

(8)ابن الأبار : **نفس المصدر** ، ج2 ، ص50.

(9) **نفسه** ؛ ابن عبد الملك ، **نفس المصدر** ، س8 ، ق1 ، ص301، 302 .

(10) ابن الأبار : **التكملة** ، ج2 ، ص50 ؛ ابن عبد الملك ، **نفس المصدر** ، س8 ، ق1 ، ص302 ؛ الذّهبي : **سيّر أعلام النّبلاء** ، ج21 ، ص86 .

3) أحمد بن عبد الرّحمن اليّافعي ت575ه/1179م من أهل سبتة[1]، يعتبر من كبار الأساتذة المُجودين والمُقرئين[2]، قصد الأندلس؛ ليأخذ عن علمائها وقُرّائها [3]، منهم علماء بلنسيّة [4] وأبرز من أخذ عنهم أبو الحسن شُرَيح ت544ه/1149م [5] وقد تصدّر للإقراء زمنًا طويلا [6] ، كما أخذ عنه العلم نخبة أمثال، الخطّاب عمر بن الحسين الكّلبي ت633ه/1235 م [7].

4) يحي بن محمد بن علي الأنصاري ت 600ه/1203م، من مدينة سبتة، تصدَّر للإقراء في بلاد المغرب ، وبرع في علم القراءات [8]، إذ كان بارعًا وعارفا بها، مُجَودًا للقرآن، حسنَ التّأديّة له [9]، أخذ القراءات عن علماء سبتة [10] ،ثمّ إرتحل إلى فاس وأخذ عن علمائها [11]، كما إرتحل إلى بلاد الأندلس ودخل قرطبة وأخذ عن علمائها الأعلام[12] أمثال، أبي القاسم بن بشكوال ت578ه/1184م الّذي أخذ

---

(1) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج1 ، ص112 ؛ ابن عبد الملك ، **نفس المصدر** ، س1 ، ق2 ، ص462 .

(2)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج1 ، ص112 .

(3)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج1 ، ص112 ؛ ابن عبد الملك ، **نفس المصدر** ، س1 ، ق2 ، ص462 .

(4) ابن الأبار : **التكملة** ، ج1 ، ص112.

(5)ابن الأبار : **التكملة** ، ج1 ، ص112..

(6)ابن عبد الملك ، **مصدر سابق** ، س1 ، ق2 ، ص462 .

(7)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج1 ، ص112 .

(8) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج4 ، ص195 ؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س8 ، ق2 ، 413 وما بعدها ؛ ابن الزّبير : **مصدر سابق** ، ص420 .

(9)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س8 ، ق2 ، 414 .

(10) ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص420 .

(11) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج4 ، ص195

(12) **نفسه** .

عليه الصّلة وبرنامجه الأوسط [1] ، وأبي عبد الله بن زرقون ت586ه/1190م[2]، كما كان كثير التّنقل بين فاس وسبتة للأخذ عن علمائها [3] .

هذا بالإضافة إلى علماء آخرين، برزوا في المغرب، نكتفي بذكر البعض منهم أمثال، عبدالرّحمن بن علي الجُذامي ت581ه/1185م ، من أهل سبتة، كان مُقرءًا ومُجوِّدًا، تصدّر للإقراء[4].

وعبد الرّحمن بن القاسم المَغيلي ت619ه/1222م، من مدينة فاس، برع في القراءات وتصدّر لتدريسها[5].

أمّا الّذين برزوا بالأندلس في علم القراءات نذكر منهم :

1. _ عيسى بن محمد الهاشمي بن المرابط ت551 أو552ه/1157 أو1158م[6]، من مُونْتُشُون[7] نشأ وسكن ببلنسيّة وهو من المتقدّمين في صناعة الإقراء [8]؛ بل هو أحد الرّؤساء فيها والعلماء المُتحقّقين بها[9] ، برع وتصدّر للإقراء في بلنسيّة [10] في قراءة قالون وورش [11] ،

---

(1) **نفسه** .

(2) **نفسه** ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س8 ، ق2 ، ص414.

(3) ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص420 .

(4) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص51 ،52 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س8 ، ق2 ، ص541 ؛ ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص155 ؛ ابن الجزري : **غاية النّهاية** ، ج1 ، ص339 .

(5) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج54، 55 ؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س8 ، ق 2 ، ص541 ؛ ابن الزّبير : **مصدر سابق** ، ص157 ؛ السّيوطي : **بُغية الوُعاة** ، ج2 ، ص85 ؛ أحمد المكناسي : **مصدر سابق** ، ص397 .

(6) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج4 ، ص11 ؛ابن الأبار : **المُعجم في أصحاب القاضي الصَّدفي** ، تحقيق ، إبراهيم الأبياري ، ط1 ، دار الكتاب اللّبناني بيروت 1410ه/1989م، ص296 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5 ، ق2 ، ص510 .

(7) منت شون ، هو أحد حصون لاردة المنيعة بالأندلس ، وتبعد عن لاردة عشرة فراسخ (أي حوالي 49كلم). انظر، الحموي : **معجم البلدا**، ج4 ، ص207 .

(8) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج4 ، ص11 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5 ق2 ، ص510 .

(9)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج4 ، ص11 .

(10) **نفسه** ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5 ق2 ، ص510 .

(11) ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص225 .

بالإضافة إلى معرفته بالأدب[1] والوثائق وعِللها، مع حُسن الخطّ، إلاّ أنّه برع وأجاد في الإقراء [2]، حيث واضب على تعليمه في بلنسيّة حتّى وفاته[3] أخذ عن علماء مشهورين أمثال، أبي بكر الصّاع الهدهد ت508ه/1140م ، وأبي علي الصّدفي ت514ه/1120م ، وأبي زيد الورّاق ت522ه/1128م [4] ، أمّا تلاميذه الّذين أخذوا عنه، أبرزهم أبو عبد الله بن سعادة المُعمّر ت614ه/1217م [5].

ألّف كتابا في قراءة ورش [6]، سمّاه " التّقريب والحرش المتضمّن لقراءة قالون وورش " [7]

2) عبد العزيز بن علي الطحان ت560ه/1164م من مدينة اشبيلية [8] ، أحد العلماء المجودين ممن وصفوا بالإتقان والمعرفة بوجوه القراءات [9] ، بلغ في الاقراء درجة رفيعة وانتشر صيته في مناطق كثيرة الى أن قيل فيه ليس بالغرب أعلم بالقراءات من ابن الطحان [10]، ألف عدة تصانيف كان منها وأشهرها " مرشد القاريء الى تحقيق معالم المقاريء "[11]ذكره ابن الجزري وقال عنه : (لايعرف قدره إلاّ من وقف عليه)[12] .

---

(1) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5 ق2 ، ص510 .
(2) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج4 ، ص11 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5 ق2 ، ص510 .
(3) ابن الابار : **التّكملة** ، ج4 ، ص11 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5 ق2 ، ص510 .
(4) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج4 ، ص11 .
(5) ابن الأبار : **التكملة**، ص12 ؛ ابن الأبار : **المُعجم** ، ص296 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5 ق2 ، ص510.
(6) طُبع الكتاب ، حققّه حسن حميتو ، نشر ضمن سلسلة نوادر التّراث ، مركز الدّراسات والأبحاث المغرب 2010م الرّابطة المحمديّة للعلماء
(7)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج4 ، ص11 ؛ ابن الأبار : **المُعجم** ، ص296 ؛ ابن الزّبير : **مصدر سابق** ، ص225 .
(8) ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص177 ؛ ابن الجزري : **غاية النّهاية** ، ج1 ، ص355 ؛ المقرّي : **نفح الطيب** ، ج2 ، ص.634
(9) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص94 ؛ ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص177 ؛ المقرّي : **نفس المصدر** ،ج2 ، ص634 .
(10) ابن الجزري : **غاية النّهاية** ، ج1 ، ص355 ؛ المقرّي : **نفس المصدر** ، ج2 ، ص634 .
(11) طُبع الكتاب ، تحقيق، حاتم صالح الضّامن ، ط1 ، مكتبة الصّحابة الشّارقة الإمارات 2007 .
(12) ابن الجزري :**غاية النّهاية** ، ج1 ، ص355 .

وكتاب "نظم الأداء في الوَقف والابتداء "[1]وله مقدّمة في أصول القراءات ومقدّمة في مخارج الحروف [2]، وله أيضا "الإنباء في تجويد القرآن "، تحدّث فيه عن الحركات وتفصيل أصول المدّ وأحكام النّون السّاكنة والتّنوين والوقف[3] .

تمكّن من الذّهاب إلى المشرق؛ للبّحث عن العلم والعلماء [4]، حتّى وصل إلى العراق، حيث مدينة واسط[5] وتصدّر الإقراء فيها ، ثمّ إنتقل إلى مصر[6]، ثمّ الشام واستقر في حلب، فذاع صيتُه [7]إلى أن توفيّ[8] ، وكان لأساتذته دور في صقل مواهبه ، حيث تتلمذّ على أيدي كبار شّيوخ الإقراء أمثال، أبي علي الصّدفي[9]، وأبي الحسن شُرَيح بن محمد [10] ، وأبي الحسن مُغيث [11]، وقام بتدريس مجموعة من العلماء أمثال عبد الحقّ الإشبيلي ت582ه/1186م [12] .

3) علي بن أحمد المحاربي بن كوثر ت 589ه/1193م ، من أهل غرناطة [13]، من

---

(1) المقرّي : **نفح الطيب** ، ج2 ، ص634 ؛ الكتاب مطبوع ، حققّه ، علي حسين البّوّاب ، ط1 ، مكتبة المعارف الرّياض .

(2) المقرّي : **نفح الطيب** ، ج2 ، ص634 .

(3) ابن الطّحّان عبد العزيز بن علي: **نظام الأداء في الوقف والإبتداء** ، تحقيق، علي حسن البّوّاب ، ط1 ، مكتبة المعارف الرّياض (د.ت)، ص10، 11 .

(4) ابن الجزري : **غاية النّهاية** ، ج 1 ، ص355 .

(5) واسط ، مدينة في العراق تقع بين الكوفة والبصرة . انظر ، الحموي : **معجم البلدان** ،ج5 ، ص347 .

(6) المقرّي : **نفس المصدر** ، ج2 ، ص634 .

(7) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص94 ؛ المقرّي : **نفح الطيب** ، ج2 ، ص634 .

(8) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص94 ؛ المقرّي : **نفح الطيب** ، ج2 ، ص634 ؛ ابن الزّبير : **مصدر سابق** ، ص178 .

(9) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص94 .

(10) ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص178 ؛ ابن الجزري : **غاية النّهاية** ، ج 1 ، ص355 ؛ المقرّي : **نفح الطيب** ، ج2 ، ص634 .

(11) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص94 .

(12) **نفسه** ؛ المقرّي : **نفس المصدر** ، ج2 ، ص634 .

(13) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص217 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5 ، ق1 ، ص173 .

أشهرالْمُقْرئين وكبار الْمُجودين [1]، إشتهر بحُسن النّغمة في قراءة القرآن [2] ، كما عُرف عنه حُسن الأداء والضّبط[3] تصدّر للإقراء في عدّة بلدان ، منها مكّة ومصر وبلدُه غرناطة[4]،فقصده النّاس وأخذوا عنه[5] ، وقد أثرّ في تكوينه العلماء الّذين أخذ عنهم علم القراءات، أبرزهم والدُه أحمد بن محمد الْمُحاربي[6] ، وعندما كان في غرناطة، تصدّر للإقراء لمدّة طويلة من سنة 556ه/1161م إلى وفاته وهذا بعد عودته من الرّحلة الطويلة الّتي استمرّت إثنتي عشرة سنة [7] ، ألّف كتابا في القراءات، سمّاه " العروس" [8] .

4)قاسم بن فيرة الرّعيني أبو القاسم المقرّي ت 590ه/1193م، من شاطبة، وهومن مفاخر الأندلسيّين في علم القراءات، سكن في القاهرة [9] ، ويعدّ من أبرز أئمّة الْمُقرئين [10] والْمُحققّين فيها، من أهل التّجويد والتّعليل ومعرفة واسعة بعلم القراءات والقيّام عليها والحِفظ لها، وممّن إنتهت إليه رئاسة الإقراء في وقته[11] ، فقد كان موسوعة علميّة، لايُغفل شأنها في الحركة الفكريّة على مستوى المناطق الّتي حكمها الموحدون ووُصف بأنّه كان كثير المحفوظات، جامعا لفنون العلم بالتّفسير، مُحَدّثًا ، راوية ثقة ، فقيها، مُتبّحرا، مُتحقّقا بالعربيّة، مُبرّزًا فيها، بارع الأدب، شاعرا مجيدا ، عارفا بالرّؤيا وعباراتها [12] .

(1) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5 ، ق1 ، ص174 .

(2) ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص279 .

(3)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص218 .

(4)ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص279 .

(5) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص218 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5 ، ق1 ، ص174 ؛ ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص279 ؛ ابن الجزري : **غاية النّهاية** ، ج1 ، ص464 .

(6)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص218 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5 ، ق1 ، ص173 ؛ ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص279

(7)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5 ، ق1 ، ص174 .

(8)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص218 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5 ، ق1 ، ص174 .

(9) ابن عبد الملك ، **مصدر سابق** ، س5 ق2 ، ص548 .

(10) **نفسه** .

(11) ابن الأبار ، **التّكملة** ، ج4 ، ص74 .

(12)ابن عبد الملك ، **نفس المصدر** ، س5 ق2 ، ص549 .

ولّما كان مُحبّا للعلم وأهله، فقد رحل إلى المشرق الإسلامي لأداء فريضة الحجّ ولقاء العلماء؛ كي يرتوي من العلوم، فزار مصر وإلتقى بعلمائها وتصدّر للإقراء في القاهرة، واستقرّ بها سنة572ه ، فذاع صيتُه وقصده النّاس وهو يُعلِّمهم إلى أن تُوفيّ هناك [1]، و اشتهر أكثر نَظْمه قصيدتَه "الشّاطبيّة" المشهورة في القراءات السّبع [2]المسمّاة بـــــ "حرز الأماني ووجه التّهاني "[3]، حيث أظهر فيها براعته النّادرة حتّى لهج بها النّاس واستعملوها ، فكانت أنفع شيء وأيسر لمن فهمها، فهي عبارة عن تهذيب وإختصار لكتاب " التّيسير " لأبي عمرو الدّاني، تتكون من ألف ومائة وثلاثة وسبعين بيتا [4]، جمع فيها خلاف القراءات السّبعة مع الشُبُهات،كما ضمنّها إشارات إلى اختلاف الأئمّة وانفرادهم بشيء دون غيرهم.

وقد أسهمت جزالة ألفاظها وغرابة مقاصدها في شيوعها وإلى نباهة وعِلْم مُؤلّفها [5] ، كما وصفها إبن خلّكان بقوله :"عُمدة قُرّاء هذا الزّمان في نقلهم ، فقلَّ من يشتغل بالقراءات، إلاَّ ويقدِّم حفظها ومعرفتها وهي مشتملة على رموز عجيبة وإشارات خفيّة لطيفة وما أظنّه سبق إلى أسلوبها"[6] ، وعلّق الشّاطبي على قصيدته بقوله :" أنّه لايقرأ أحد قصيدتي هذه، إلاّ نفّعه الله عزّ وجل بها؛ لأنّي نظمتُها لله تعالى، مُخلصًا في ذلك" [7] .

و لم تبلغ قصيدة مبلغًا حسنًا مثلما بلغته القصيدة الشّاطبية من الشُهرة ، وقد عبّر إبن الجزري عن شهرتها بقوله:" لاأحسب أنّ بلدا من بلاد الإسلام ،يخلو منه؛ بل لا أظنّ أنّ بيتَ طالب علم، يخلو من

---

(1) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج4 ،ص73 .

(2) ابن الجزري : **غاية النّهاية** ،ج2 ، ص22.

(3) ابن خلّكان : **مصدر سابق** ، ج4 ، ص71 ؛ ابن عبد الملك ، **نفس المصدر** ، س5 ، ق2 ، ص551 ؛ ابن الزّبير : **مصدر سابق** ، ص347 ؛ ابن الجزري : **غاية النّهاية** ،ج2 ، ص22.

(4) ابن خلّكان : **نفس المصدر** ، ج4 ، ص71.

(5) ابن الزّبير : **مصدر سابق** ، ص347 .

(6) ابن خلّكان : **مصدر سابق** ، ج4 ، ص71.

(7) **نفسه** ؛ ابن عبد الملك: **مصدر سابق** ،س5 ، ق2 ، ص551 ؛ الذّهبي : **طبقات القُرّاء** ، ص886 .

نُسخة به" [1]، ولذلك حرص النّاس على اقتنائها في بيوهم ؛ بل غالَوْا في أثماها ، وكان لابن الجزري نسخة خطيّة منها [2]،كما قام الشّاطبي بنَظْم عدّة قصائد، منها قصيدة أسماها " عقيلة القصائد في أسْنى المقاصد "، ضمنّها رسْم المُصحف، لكنّها لم تبلغ ما بلغته قصيدته الشّاطبيّة [3] الّتي إهتمّ بها العلماء وأخذوا يدُرِّسونها في حلقاتهم العلميّة وتناولوها بالشّرح والتّعليق [4]،كما قام بعضهم باختصارها بهدف تيسير حِفظها للمتعلّمين[5] ، وقام آخرون بوضع تتّمة لها [6] .

هذا وقد حفلت منطقة المغرب والأندلس بعلماء وقُرّاء كثيرين، لايسع المجال لذكرهم الآن، ونكتفي بذكر أسماء بعضهم ، منهم محمد بن الحسين بن غلام بن الفرس ت547ه/1152 [7]وعلي بن محمد بن

(1)ابن الجزري : **غاية النّهاية** ،ج2 ، ص21.

(2)ابن الجزري : **غاية النّهاية** ، ج2، ص22 ؛ ساومه بعضهم بوزنها فضّة، فلم يقبل. انظر، **نفسه.**

(3) ابن عبد الملك ، **نفس المصدر** ، س5 ، ق2 ، ص551 .

(4) قام بشرح هذه القصيدة عدّة علماء، أهمّهم أبو العبّاس أحمد بن علي بن سكن ت640ه/1243م . انظر ، ابن عبد الملك ، **نفس المصدر** ، س1 ، ق1 ، ص320 ؛ ومنهم شهاب الدّين عبد الرّحمن بن إسماعيل الدّمشقي ت665ه/1267م ، وشهاب الدّين بن جبارة ت728 ه/1328م وابن القاصد البّغدادي ت801ه/1399م ، وأبو العبّاس القسطلاني المصري ت 923ه/1515م ، وأحسنها وأدّقها شرح برهان الدّين إبراهيم بن عمر الجّعْبري ت732ه/1332م بعنوان " كتر المعاني ". انظر ، حاجّي خليفة :**مرجع سابق** ، ج1 ، ص646 ، 647 ؛ هذا وقد تواصل الإهتمام بهذه القصيدة وشرحها إلى عصرنا هذا، حيث قام بشرحها عبد الفتّاح، قاضي ت1403ه/1983م ، بعنوان " الوّافي في شرح الشّاطبيّة في القراءات السّبع " طُبع في مكتبة السّوادي للتّوزيع جدّة 1420ه/1999م .

(5) منها مختصر جمال الدّين محمد بن عبد الله بن مالك النّحوي ت672ه/1274م، سمّاها " حوْز المعاني في إختصار حرز الأماني " ، ومختصر أمين الدّين عبد الوهاب بن أحمد الدّمشقي ت768ه/1368م، سمّاها "نَظْم درّ الجلا في قراءة السّبعة الملا " . انظر ، حاجّي خليفة : **مرجع سابق** ،ج1 ، ص649.

(6) ومن أشهرهم الُمقريء أبي الحسن علي بن إبراهيم الكنّاني ت720ه/1321م، حيث زاد عليه مائة بيت . انظر ، حاجّي خليفة ، **نفس المرجع** ، ج1 ، ص649 .

(7) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص10 ، 11 ؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س6 ، ص163 ؛ ابن الجزري ، **غاية النّهاية** ، ج2 ، ص108 ، 109 .

هُذَيل ن564ه/1168م [1]، ومحمد بن عبد العزيز بن سعادة أبو عبد الله ت614ه /1217م[2] ، ومحمد بن إبراهيم بن عبد الملك الأزدي ت 643ه/1245م [3].

II) علم التّفسيـــر:

التّفسير[4] في اللّغة، معناه الإبانة والكشف وإظهار المعنى المعقول ، يقال: أسفرت المرأة عن وجهها إذا كشفته ، وفَسّر الشّيء، أي أبانه وأظهره ، وفَسَّرْتُ الذِّراع، إذا كشفتها ، وفسّرت الحديث، إذا بينته [5] أمّا اصطلاحا، فهو " العلم الّذي يُعرف به نزول الآيات وشؤونها وقصصها والأسباب النّازلة فيها، ثمّ ترتيبمكّيِها ومدنيِّها ومُحَكَمِها ومُتَشَابَهِهَا وناسخها ومنسوخَها ، وخاصِّها وعامِّها ، ومُطْلَقها ومُقيّدها، ومُجملها ومفسّرها وحلاّلها وحرامها ووَعْدِها ووعيدِها وأمرِها ونهيِّها وأمثالها" [6].

وقد أدرك المسلمون الأوائل معاني القرآن الكريم ووقفوا على أسباب نزوله وناسخه ومنسوخه، ولم يواجهوا صعوبة في فهم تلك الجوانب من علم التّفسير [7]، حيث كانوا يرجعون إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في كلّ ما أشْكَل عليهم فهمُه وهو الّذي عليه نزل ، فكان أوّل شارح لكتاب الله، يبيّن للنّاس ما نزل على قلبه [8]، ولم يجرؤ أحد من الصّحابة على تفسير القرآن الكريم في حياة الرّسول صلّى الله عليه

(1) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص201 ؛ ابن عبد الملك ، **مصدر سابق** ، س5 ، ق1 ، ص369 -371 ؛ ابن الزّبير : **مصدر سابق** ، ص269 .

(2) ابن الأبار : **التّكملة** ،ج2،ص111،110 ؛ ابن عبد الملك: **نفس المصدر**، س6، ص383؛ ابن الجزري:**غاية النّهاية** ، ج2 ، ص152.

(3) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص148 ؛ ابن عبد الملك ، **نفس المصدر** ، س6 ، ص 97 ، 98 .

(4) تدور مادة " **فَسَرَ** " في لغة العرب على معنى البّيان والكَشف والوضوح . انظر: أحمد بن فارس : **مرجع سابق** ، ج4 ، ص504 .

(5) منّاع القطّان : **مرجع سابق** ، ص334 ؛ ساعد بن سليمان بن ناصر الطّيّار : **التّفسير والتّأويل والاستنباط والتّدبر والمفسّر** ، ط2 ، دار ابن الجوزي الرّياض 1427ه/2006م ص54 ؛ محمد حسين الذّهبي : **مرجع سابق** ، ج1 ، ص12 .

(6) التّهناوي : **مصدر سابق** ، ج1 ، ص31 .

(7) حسن إبراهيم حسن : **مرجع سابق** ، ج4 ، ص442 ؛ العرّيني : **مرجع سابق** ، ص221 .

(8) ابن خلدون : **المقدّمة** ، ص785 ؛ صبحي صالح : **مباحث في علوم القرآن** ، ط10 ، دار العلم للملايّين بيروت1397ه/1977م ، ص289 .

وسلّم [1]، وبعد وفاته عليه الصّلاة والسّلام، ظهر مجموعة من الصّحابة، يُبينون للنّاس ما أشْكَل عليهم في القرآن، منهم عبد الله بن عبّاس رضيّ الله عنه الّذي لقبّه الرّسول صلّى الله عليه وسلّم بتُرجمان القرآن [2]، إلاّ أنّ الأمّم الّتي جاءت من بعدهم، وجدت صعوبة في إدراك معانيه [3] .

ولّما انتشر الإسلام في مختلف أصقاع العالم ، وبَعُد النّاس عن عصر النّبوة ، ودخلت أمّم في الإسلام تحمل لغات وثقافات مختلفة ، وُجدت الحاجة إلى تدوين الآثار الواردة عن الصّحابة والتّابعين حول تلك المباحث الّتي أُدرجت تحت علم التّفسير[4]، فعرف المسلمون التّصنيف في التّفسير مُبكرا وذلك منذ القرن الثّاني الهجري[5]، حيث اتّجه العلماء المسلمون في تفاسيرهم للقرآن الكريم إتّجاهات متباينة ، فمنهم من إقتصر على التّفسير بالمنقول عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّ والصحابة والتّابعين ، وأسباب النّزول ووجوه البلاغة والإعراب وغيره وسُمّي ذلك " التّفسير بالمأثور "[6]، وهناك من أخذ بالإستنباط واستعمل علمه وقدراته العقليّة الّتي وهبه الله ، وسّمّي " التّفسير بالرّأي "[7]، وفيه تعدّدت المناهج وتضاربت

(1) صبحي صالح : **نفس المرجع** ، ص 289.

(2) صبحي صالح :**نفس المرجع** ، ص290 .

(3) محمد الفاضل بن عاشور : **التّفسير والمفسّرون** ، منشورات اللّغات دار الكتب الشّرقيّة تونس 1386ه/1966 م ، ص 8 ،9 ؛ حسن إبراهيم حسن : **مرجع سابق** ، ج4 ، ص442 .

(4) العرّيني : **مرجع سابق** ، ص221 .

(5) الدّاودي شمس الدّين : **طبقات المفسّرين** ، تحقيق ، علي محمد عمر ، ط1 ، مكتبة وهبة القاهرة مصر 1392ه/1972م ، ج2 ، ص299.

(6) التّفسير بالمأثور، هو ماجاء في القرآن نفسه من البّيان والتّفصيل لبعض آياته وما ورد عن النّبي صلّى الله عليه وسلّم، وما نُقل عن الصّحابة والتّابعين رضوان الله عنهم . انظر، ابن تيميّة : **مقدّمة في أصول التّفسير** ، تحقيق ، عدنان زرزور ، ط2 ، مؤسّسة الرّسالة بيروت 1392ه/1972م ، ص93 وما بعدها ؛ منّاع القطّان : **مرجع سابق** ، ص337 ؛ محمد حسين الذّهبي : **مرجع سابق** ،ج1 ، ص112 .

(7) صبحي صالح : **مباحث في علوم القرآن** ، ص290 ،291 ؛ حسن إبراهيم حسن : **مرجع سابق** ، ج4 ، ص442 .

الأفكار، فحُمد بعضُه وذُمَّ بعضه وقد تعرّض التّفسير بالمأثور للنّقد؛ لإختلاط الصّحيح من الرّوايات بغير الصّحيح ، بسبب دسّ اليهود وغيرهم من أعداء الإسلام والمسلمين لرّوايات غير صحيحة [1].

وإختلف العلماء في التّفسير بالرّأي[2] ، فمن مُحرّم له [3] ومن مُجوِّز [4]؛ لذلك وضع العلماء شروطا للمفسّر بالرّأي، ذكرها السّيوطي نقلا عن الزّركشي في كتابه " البرهان " [5]، وممّن تميّزوا بالتّفسير بالرّأي المعتزلة والمتصوّفة والبّاطنيّة ، حيث يغلب على تفسير المعتزلة الطّابع العقلي و المذهب الكلامي ولا ترِد النّصوص النّبويّة فيها، إلاّ نادرا على أنّها شيء ثانوي [6] ، مثل تفسير الزّمخشري [7]ت537ه/1143م "الكشّاف " بينما يغلُب على تفاسير المتصوّفة الشّطحات الّتي تُبعدهم عن النّسق القرآني وتجعل كلامهم غامضا، إلاّعلى المشتغل بالشّؤون الرّوحيّة [8] مثل، التّفسير المنسوب إلى محيّ الدّين بن عربي ت638ه ، وإن كان كثير من العلماء، لاينسبونه إليه [9].

أمّا تفسير البّاطنيّة الّذين يقتصرون على الأخذ بباطن القرآن ويُهملون ظاهره ، تفاسيرهم أشدّ بُعدًا عن النّسق القرآني من تفاسير التّصوف والإشاريّة وهو الّذي تُؤَوَّل به الآيات عن غير ظاهرها، مع محاولة

---

(1) صبحي صالح : **مباحث في علوم القرآن** ، ص290.

(2) التّفسير بالرّأي، هو تفسير القرآن بالإجتهاد المبْني على معرفة كلام العرب ووجوه دلالته والوقوف على أسباب النّزول ومعرفة النّاسخ والمنسوخ من آيات الكتاب العزيز . انظر ، محمد حسين الذّهبي : **نفس المرجع** ، ج1 ، ص183 ؛ منّا ع القطّان ، **مرجع سابق** ، ص342 .

(3) مثل، ابن تيميّة. انظر ، ابن تيميّة : **نفس المصدر** ، ص105.

(4) صبحي صالح ، **مباحث في علوم القرآن** ، ص291 .

(5) الزّركشي : **البرهان** ،ج2 ، ص156وما بعدها ؛ السّيوطي : **الإتقان في علوم القرآن** ، ج6 ، 2274 .

(6) صبحي صّالح : **مباحث في علوم القرآن** ، ص294 ، حسن إبراهيم حسن : **نفس المرجع** ، ج4 ، ص444 .

(7) أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمران الخوارزمي الزّمخشري، ولد سنة 467ه /1074م ،كان إمّام عصره، تُشدّ إليه الرّحال في فنونه إمّام في التّفسير والحديث والنّحو واللّغة وعلم البيان ، له عدّة مؤلّفات، منها " الكشّاف في التّفسير" و "الفائق في تفسير الحديث " ، معتزلي الإعتقاد ، توفيّ سنة 538ه/1144م بخوارزم . انظر ، القفطي : **مصدر سابق** ، ج3 ، ص265 ؛ ابن خلّكان : **مصدر سابق** ، ج5 ، ص168 ؛ الدّاودي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص314 ؛ السّيوطي : **طبقات المفسّرين** : ص120 ؛ حاجّي خليفة : **مرجع سابق** ، ج2 ، ص1475 .

(8) صبحي صالح : **مباحث في علوم القرآن** ، ص295 .

(9) **نفسه** .

الجمع بين الظّاهر والخّفيّ[1] مثل، تفسير الأُلوسي[2]ت1270ه/1854م " روح المعني " ، وقد إنتشرت هذه الاتّجاهات في التّفسير في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وكان المغرب والأندلس مثل باقي مناطق العالم الإسلامي، قدظهر به علم التّفسير، الّذي لم ينشأ كعلم مستقلّ، إلاّ في القرن الثّالث الهجري ، حيث تذكر بعض كتب التّراجم أنّ أبا عبد الله بقي بن مَخلد ن276ه/889م [3] هو أوّل عَلَم من أعلام المفسّرين بالأندلس [4] وصاحب كتاب"تفسير القرآن"، الّذي قال عنه علي بن أحمد بن حزم[5]ت 456ه/1064م: "هو الكتاب الّذي أَقْطع قَطْعًا، لا أستثني فيه أنّه لم يُؤَلّف في الإسلام مثله "[6] ، وفي عهد الدّولة الموحديّة إهتمّ العلماء بعلم التّفسير وزاد الإقبال على دراسة القرآن الكريم باعتباره مصدر التّشريع في الدّولة [7]، وأُفْسِح لعلم التّفسير مجالا أرحب في أنشطة العلماء وطلبة العلم [8]، حتّى يمكن القول: أنّه أينعت ثماره في تلك الحقبة و لم يقتصر دور العلماء في ميدان علم التّفسير على تدريسه في الحلقات العلميّة؛ بل قاموا إلى

---

(1) صبحي صالح: **نفس المرجع:** ، ص296 ؛ حسن إبراهيم حسن ، **مرجع سابق** ، ج4 ، ص445 .

(2) محمود شهاب الدّين بن عبد الله الحسيني الآلوسي ، مفسّر ومحدّث، من أهل بغداد، سلفي الإعتقاد، مجتهدا ، له عدّة مؤلّفات منها "روح المعني "في التّفسير ومقامات والتّصوف والأخلاق وغيرها، توفيّ ببغداد سنة 1270ه/1858م . انظر ، محمد بهجت الأثري : **مرجع سابق** ، ص21 وما بعدها ؛ الزّركلي : **مرجع سابق** ، ج7 ، ص177 ، 178 .

(3) بقيّ بن مخلد أبو عبد الرّحمن ، ولد بقرطبة سنة 201ه/817م ، من الحُفّاظ والمُحدّثين ، رحل إلى المشرق وأخذ عن العلماء، منهم أحمد بن حنبل، ثمّ رجع إلى الأندلس، فملأها علمًا وألّف كتبا حِسان، منها " تفسير القرآن " وفي الحديث " مصنّفه الكبير " ، توفيّ سنة 276ه/889م بالأندلس . انظر ، الحميدي : **مصدر سابق** ، ص251 وما بعدها ؛ الضّبي : **مصدر سابق** ، ج1 ، ص301 ؛ ابن بشكوال : **مصدر سابق** ، ج1 ، ص143 ؛ ابن الجوزي : **مصدر سابق** ، ج12 ، ص274 .

(4) العرّيني : **مرجع سابق** ، ص222 .

(5) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظّاهري، عالم الأندلس في عصره ، ولد سنة 384ه/994م ، زهد في الدّنيا واتّجه نحو العلم والتّأليف فكان فقيها، حافظا ، له عدّة مؤلّفات، منها " الفِصل في المِلل والأهواء والنِّحل " و " المُحلّى " و" جمهرة أنساب العرب " ...روي عن ابنه الفضل قوله : "أنّه إجتمع عنده بخطّ أبيه من تآليف نحو 400مجلد، توفيّ بلبلة بالأندلس سنة456ه/1064م . انظر ، الحميدي : **نفس المصدر** ، ص444 ؛ الضّبي : **نفس المصدر** ، ج2 ، ص543 ؛ ابن بشكوال :**نفس المصدر** ، ج2 ، ص57 – 59 ؛ ابن خلّكان : **مصدر سابق** ، ج3 ، ص325 وما بعدها ؛ الحموي : **معجم الأدباء** ، ج4 ، ص1650 .

(6) الحميدي : **مصدرسابق** ، ص251 ؛ الضّبي : **مصدر سابق** ، ج1 ، ص301 ؛ ابن بشكوال : **مصدر سابق** ، ج1 ، ص143 ؛ المقرّي : **مصدر سابق** ، ج3 ، ص168 .

(7) حسن علي حسن : **مرجع سابق** ، ص483 .

(8) العرّيني ، **مرجع سابق** ، ص222 .

التّصنيف في هذا المجال ، وبرزت عدّة شخصيات في علم التّفسير وذا ع صيتهم إلى درجة أنّ خلفاء الدّولة الموحديّة، قاموا باستدعاء بعض علماء التّفسير إلى حاضرة الدّولة بمراكش [1].

ويعود إهتمام الموحدين بعلم التّفسير على غير ما كان عليه أيّام المرابطين إلى ما أولاه الموحدون من إهتمام بالمُتشابه من الآيّات والحديث النّبوي الشّريف إهتماما كبيرا [2]، ويُذكر أنّ المنصور الموّحدي، جعل النّاس يُقلّلون من الإكباب على النّظر في علم الفروع المُجرد، وينصرفون إلى دراسة الفقه في أصلَيْه الكتاب والسّنّة ، فظهر الإشتغال بعلم التّفسير وعكف النّاس على تفّهم كلام الله عزّ وجلّ ، ودراسته دراسةً علميّة صحيحة ، ونبغ المفسّرون العديدون [3]، وكان هذا الإهتمام من قِبَل الدّولة الموحديّة عاملاً، مُشجعا لكثير من العلماء وطلبة العلم إلى الإهتمام بعلم التّفسير في بلاد المغرب والأندلس .

وقد اتّجه التّصنيف في بلاد المغرب والأندلس عدّة إتّجاهات أهمّها :

أ)– الدّراسات النّقديّة أو المقارنة لما سبق من مؤلّفات أهل المشرق الإسلامي خاصّة [4] ، وذلك بعد أن نقل بعض العلماء الّذين عادوا من المشرق كُتبا في هذا المجال مثل " الكشّاف عن حقائق التّتريل " للزّمخشري، الّذي جلبه أبو العبّاس أحمد الحضرمي ت643ه/1245م [5] ، وقد إهتمّ العلماء بدراسته ونقْده والرّدّ عليه في بعض آرائه ، منهم أبي بكر يحي بن أحمد السّكوني ت626ه/1228م [6]، في كتابه "

(1) محمد المنّوني : **حضارة الموحدين** ، ص33 .

(2) ابن تومرت : **مصدر سابق** ، ص302 –304 .

(3) عبد الله كنون : **النّبوغ المغربي** ، ج1 ، ص120.

(4) العرّيني :**مرجع سابق** ، ص223 .

(5) حول دخول كتاب الكشّاف إلى الأندلس. انظر ، ابن الأبار: **التّكملة،** س1، ق1، الهامش رقم 4، ص30 ،31.

(6) يحي بن أحمد بن خليل بن إسماعيل بن عبد الملك بن خلف بن محمد السّكوني ، من أهل لبلة ، نزل بإشبيليّة ، من أهل دار علم، تقدّم في علم الكلام وأصول الفقه وعلم الخلافيّات والأدب والشّعر والبلاغة ، كان من أجلّ الطلبة ، عمل له تفسير الزّمخشري كتابا، سمّاه " الحسنات والسّيئات"نقد فيه آراء الزّمخشري، توفيّ سنة 626ه/1228 م. انظر ، ابن الأبار : **التّكملة** ،ج4 ، ص190 ؛ ابن الزّبير : **مصدر سابق،** ص414،413.

الحسنات والسّيئات " وأبْرز فيه مميّزات الكشّاف وغرائبه البّيانيّة ، وردّ على ما تضمّنه من آراء إعتزاليّة [1]،كما ألّف أحد أقرباء يحي السّكوني، وهوعمر بن محمد السّكوني ت717ه/1317م [2] في الرّدّ على الكشّاف كتابا، سمّاه "التّمييز لما أودعه الزّمخشري من الإعتزال في الكتاب العزيز " [3].

وقام بعض العلماء في عهد الموحدين بتأليف كتب للمقارنة بين الكشّاف للزّمخشري و" المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز " في عشر مجلدات [4] الّذي ألّفه بن عطيّة عبد الحقّ الغرناطي ت 542ه/1142م[5] والذي يشبه كتاب الكشّاف من حيث إهتمامه على الجانب اللّغوي والبياني ، إلاّ أنّه يختلف عنه في قضايا العقيدة والغيبيات ، إذ يعتمد على رأي أهل السّنّة والجماعة [6]، بينما الكشّاف كان مشبعا بأراء المذهب المعتزلي، وممّن ألّف في هذا المجال عبد الكبير بن بقي الغافقي ت 617ه/1220م [7]، له زوائد أشبع بها القول خاصّة في آيات الأحكام [8]، وعبد الله بن محمد بن الكمّاد

(1)ابن الزّبير : **مصدر سابق**، ص414،413.

(2) عمر بن محمد بن حمد بن خليل السّكوني أبو علي، مُقريء من فقهاء المالكيّة ، إشبيلي، نزل بتونس، له عدّة مؤلّفات منها " التّمييز لما أودعه الزّمخشري من الإعتزال في الكتاب العزيز " و "لحن العوام فيما يتعلّق بعلم الكلام "، توفيّ سنة 717ه/1317م. انظر ، التّنبكتي :**نيل الابتهاج**، ص301 ؛ الزّركلي : **مرجع سابق** ، ج5 ، ص63 .

(3) التّنبكتي : **نيل الابتهاج** ، ص301 ؛ حاجّي خليفة : **مرجع سابق** ، ج1 ، ص485 .

(4) الكتاب مطبوع، حقّقه، عبد السّلام عبد الشّافي ، دار الكتب العلميّة بيروت 2007م .

(5) عبد الحقّ بن غالب بن عبد الرّحمن بن عطيّة المحاربي، مُفسّر، فقيه أندلسي، من أهل غرناطة، عارف بالأحكام والحديث، وليّ قضاء ألمرية، توفيّ سنة 542ه/1148م . انظر ، الضّبي : **مصدر سابق** ، ص506 ؛ ابن بشكوال : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص31 ؛ ابن الأبار : **المُعجم**، ص265 وما بعدها ؛ أبو الحسن النّباهي : **مصدر سابق** ، ص109 .

(6) عبد الوهاب فايد : **منهج ابن عطيّة في تفسير القرآن الكريم** ، ط1 ، المطبعة الأميريّة القاهرة 1393ه/1973م، ص300 .

(7) عبد الكبير بن محمد بن عيسى بن محمد بن بقي الغافقي، من أهل مرسيّة، سكن إشبيليّة ، كان فقيها، حافظا، حسن الهدي ، مشاركا في علم الحديث، قائما على مذهب مالك، مُتقدّمًا في الفُتيا وله مختصر في الحديث، ألّف تفسيرا، نحا فيه إلى الجمع بين تفسير ابن عطيّة والزّمخشري توفيّ سنة 617ه/1220م . انظر ، الرّعيني : **مصدر سابق** ، ص37 وما بعدها ؛ ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص144 .

(8) الرّعيني : **نفس المصدر** ، ص39 .

[1]ت619ه/1222م [2] ، وأبو الحسن علي بن محمد الجيّاني [3]ت663ه [4]، كما قام بعض العلماء باختصار الكشّاف؛ نظرا لأهميته ، وأزالوا عنه الإعتزال تسهيلا لدراسته، كان منهم أبي عبد الله محمد بن العابد [5]الفاسي ت662ه [6].

ب) – بينما برز إتّجاه ثاني، تميّز بالإستقلاليّة والموضوعيّة، إذ لم يكن أصحابه مرتبطين بغيرهم ممّن سبقهم من المفسّرين ، حيث برز في هذا الإتّجاه مجموعة من العلماء أهمهم، علي بن عبد الله الأنصاري بن النّعمة ت567ه [7]، الّذي ألف كتابا، سمّاه " ريّ الضّمآن في تفسير القرآن "، حيث أمضى مدّة طويلة في تأليفه ، إذ قُدّر عدد مجلداته بسبعة وخمسين مجلدا، انتهى منه سنة 567ه/1172م[8] ، ويبدو أنّ هذا

---

(1) عبد الله بن محمد بن الكماد، من أهل إشبيليّة ، أخذ العلم عن عدّة علماء في الحديث وعلم الكلام ، كان متحقّقا بالعلوم، مُتفنّنا، ناقدا في غامضها، جمع بين تأليفي ابن عطيّة والزّمخشري في التّفسير ، توفيّ سنة 619ه/1222م . انظر ، ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص290 .

(2) ابن الأبار : **نفس المصدر** ، ج2 ، ص291 .

(3) علي بن محمد بن الحسن الأنصاري، إشبيلي، جيّاني الأصل ، نزل مراكش ، أديبا، كاتبا، بليغا، شاعرا مجيدا، نحويّا ماهرا ، شرع في الجمع بين تفسير الزّمخشري وابن عطيّة، لكنّه توفيّ قبل إتمامه، توفيّ سنة 663ه/1265م بتامطريت . انظر ، ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س5 ، ق1، ص288 وما بعدها ؛ عادل نويهض : **معجم المفسّرين من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر** ، ط3 ، مؤسّسة نويهض الثّقافيّة للتّأليف والتّرجمة والنّشر 1409ه/ 1988م ، ص378 .

(4) ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س5 ، ق1 ، ص288 .

(5) محمد بن علي بن العابد الأنصاري الفّاسي ، كان إماما في الكتابة والأدب واللّغة والإعراب والتّاريخ والفرائض والحساب والبرهان، عارفا بالسّجلات والتّوثيق ، إختصر الكشّاف للزّمخشري وأزال عنه الإعتزال، لم يفتر قطّ من قراءة، أو درْس، أو نسخ، أو مطالعة ليله ونهاره ، توفيّ سنة 662ه/1264م . انظر ، أحمد المكناسي : **مصدر سابق** ، ج1 ، ص231 ؛ ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج2 ، ص287 ؛ السّيوطي : **بُغية الوُعاة** ، ج1 ، ص181 ، 182 ؛ التّنبكتي : **نيل الابتهاج** ، ص428 .

(6)أحمد المكناسي : **نفس المصدر** ، ج1 ، ص231 ؛ ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج2 ، ص287 ؛ السّيوطي : **بغية الوعاة** ، ج1 ، ص181، 182.

(7) علي بن عبد الله بن خلف بن محمد بن عبد الرّحمن بن عبد الملك الأنصاري بن النّعمة ، سكن بلنسيّة ، أخذ العلم عن عدّة علماء ، كان خاتمة العلماء في عصره بشرق الإندلس ، متفنّنا في معرف جمّة ، راسخا في العلم، مُقرءا، مُجَودا، مفسّرا، مُحَدّثا، راوية، حافظا، فقيها، مِشوارا بارعا في علوم اللّسان، عاكفا على تدريس العلم ، له عدّة مصنّفات منها " ريّ الضّمآن في تفسير القرآن " ، توفيّ سنة 567ه/1172م . انظر، الضّبي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص552 ؛ ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص206 ؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س5 ، ق1 ، ص229 ؛ الذّهبي ، **طبقات القُرّاء** ، ص818 ؛ التّنبكتي : **مصدر سابق** ، ص314 .

(8) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5 ، ق1 ، 228 ، 229 .

المؤلّف إشتمل على مجموعة من العلوم، كما يذكر ذلك الضّبي: "كتاب كبير جمع علومًا جمّة " [1].

وكذلك أبا جعفر أحمد بن عبد الصّمد الأنصاري ت582ه/1186م[2] ،

له مؤلّف سمّاه" نفس الصّباح "في غريب القرآن ناسخه ومنسوخه [3]، وعبد الجليل بن موسى الأنصاري القصري [4] ت608ه/1211م، من قرطبة، ألّف في التّفسير كتابا، سمّاه " تفسير الكتاب العزيز "، يقع في ستين مجلدا حيث فسّر في كلّ مجلد حزبا من القرآن[5]، كما نجد شيخ المفسّرين الأندلسيّين الإمام القرطبي محمد بن أحمد بن فرج الأنصاري ت671ه/1273م[6]، قد ألّف في التّفسير مؤلّفًا، جمع فيه بين عدّة إتّجاهات، منها العناية بالمأثور من أحاديث نبويّة وأقوال الصّحابة والتّابعين الصّحيحة، والإهتمام بعلم اللّغة والنّحو والبيان وتميّز أكثر باستخراج الأحكام وعرْض آراء المذاهب الفقهيّة والمسائل الخلافيّة، وأسقط منه

---

(1) الضّبي : **نفس المصدر** ، ج2 ، ص552 .

(2)أحمد بن عبد الصّمد بن أبي عبيدة الأنصاري الخزرجي، قرطبي، سكن غرناطة، ثمّ بجاية، ثمّ إستوطن فاس ، عُرف بالذّكاء وسُرعة الحفظ للحديث، ذاكرا للتّواريخ والقصص ، كفّ بصره و لم يُنقص من حفظه وذكائه شيئا، له عدّة مؤلّفات، منها " نفس الصّباح " في غريب القرآن وناسخه ومنسوخه و "مقام المُدرك في إفحام المُشرك "وغيرهما ، توفيّ سنة 582ه/1186م . انظر، ابن الأبار : **التّكملة** ، ج1 ، ص76 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س1 ،ق1 ، ص239 ، 240 ؛ أحمد المكناسي : **مصدر سابق**، ص141 ؛ الصّفدي : **مصدر سابق** ، ج7 ، ص43 .

(3)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س1 ،ق1 ، ص239 ، 240 .

(4) عبد الجليل بن موسى بن عبد الجليل الأنصاري، من أحواز قرطبة، يُعرف بالقصري؛ لنزوله قصر كُتامة ، كان من العلماء العاملين ، آثر التّفرد والإنقطاع عن النّاس، ألّف كتاب " تفسير الكتاب العزيز " و " شرح الأسماء الحسنى " و " شُعب الإيمان "، تآليفه كلّها جليلة، مفيدة، لم يُسبق إليها ، توفيّ سنة 608ه/1211م . انظر ، ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص132 ، 133 ؛ ابن الزّبير : **مصدر سابق** ، ص205 ،206 ؛ الغبريني : **مصدر سابق** ، ص192 ؛ الذّهبي : **سيّر أعلام النّبلاء** ، ج21 ، ص420 ؛ التّنبكتي : **نيل الابتهاج** ، ص278 .

(5) ابن الزّبير: **نفس المصدر** ؛ محمد المنّوني : **حضارة الموحدين** ، ص33؛ إسماعيل الخطيب : **الحركة العلميّة في سبتة خلال القرن السّابع**، ط1 ، جمعية البّعث الإسلامي تطوان المغرب 1406ه/1986م ، ص128 .

(6) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري، القرطبي ، كان من عباد الله الصّالحين والعلماء العارفين ، أوقاته بين العبادة والعلم والتّدريس والتّأليف ، له عدّة مصنّفات منها " جامع أحكام القرآن " من أجَلّ التّفاسير ، أسقط منه القصص والتّواريخ وأثبت عِوضها أحكام القرآن واستنباط الأدّلة وذكر القرآن والأحكام والنّاسخ والمنسوخ ، وله أيضا " شرح أسماء الله الحسنى "، توفيّ سنة 671ه/1273م بمصر . انظر ، الذّهبي : **تاريخ الإسلام** ، ج50 ، ص74 ؛ الصّفدي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص87 ؛ ابن فرحون : **مصدر سابق** ، ص406 ؛ الدّاودي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص69 ؛ المقرّي :**مصدر سابق** ، ج2 ، ص210 وما بعدها .

القَصص والتّواريخ [1] سمّاه"جامع أحكام القرآن المبيّن لِما تضمّنه من السّنّ وآي الفرقان"[2]، يُعرف بتفسير القرطبي، يتكون من خمسة عشر مجلدا [3].

كما له عدّة مؤلّفات أخرى [4]، و لم يذكر المؤرخون، هل كتب المؤلف هذا التّفسير عندما كان في الأندلس، أم بعدما رحل إلى مصر؟، حيث استقرّ في المنيّة (مُنية إبن الخطيب) [5] وبها توفيّ سنة 671ه/1273م [6]، ونظرا لمولد ونشأة القرطبي بالأندلس، فيعتبر من أهلها وخاصّة أنّه أخذ مُعظم العلوم ودرس على علماء الأندلس وتأثرّ بهم وبأفكارهم، فكان ذلك واضحا في تفسيره [7]،كما ظهر العديد من العلماء، إهتمّوا بالتّفسير وعلم التّفسير نذكر منهم :

1) – علي بن أحمد التّجيبي الحرّالي[8]المراكشي ت637ه/1241م [9]الّذي أقرأ سورة الفاتحة في مدّة ستّة أشهر [10]، كما أنّه إبتدع علمًا جديدا [11] لقواعد التّفسير، يتنزّل منزلة أصول الفقه

(1) ابن فرحون : **نفس المصدر** ، ص406 ؛ الدّاودي : **نفس المصدر** ، ج2 ، ص69 .

(2) الكتاب طُبع العديد من المرّات؛ نظرا لتّهافت طلبة العلم على إقتنائه، لما فيه من علم واسع وأحكام فقهيّة هامّة، قام بتحقيقه ، عبد الله بن عبد المحسن الترّكي ، طبع بمؤسسة الرّسالة بيروت ، كمّا حقّقه أيضا هشام سمير النّجاري، طُبع في دار عالم الكتب الرّياض السّعوديّة ، وغيره

(3) الدّاوودي : **نفس المصدر** ، ج2 ، ص69 ؛ المقرّي : **نفس المصدر**، ج2 ، ص210 .

(4) المقرّي: **نفح الطّيب** ،ج2 ، ص211 .

(5) مُنية الخطيب، تقع في الضّفّة الشّرقيّة من نهر النّيل ، وهي عامرة، كثيرة الأسواق والحمّامات وسائر مرافق المدن ، وصفها ابن بطوطة بأنّها مدينة كبيرة السّاحة على شاطيء النّيل، بها المدارس والزّوايا والمساجد . انظر ، الحميري : **مصدر سابق** ، ص548 ؛ ابن بطوطة شمس الدّين محمد بن عبد الله اللّواتي : **رحلة ابن بطوطة (تُحفة النّظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)** ، تحقيق ، محمد عبد المنعم العريان ، ط1 ، دار إحياء العلوم بيروت 1407ه/1987م ، ج1 ، ص66 .

(6) الدّاوودي : **نفس المصدر** ، ج2 ، ص70 .

(7) ابن خلدون : **المقدّمة** ، ص787 ؛ القصبي محمد زلط : **القرطبي ومنهجه في التّفسير** ، ط1 ، دار الأنصار القاهرة 1399ه/1979 م، ص328 وما بعدها .

(8) حرالة، قرية في أعمال مرسيّة بالأندلس ، انظر، المقرّي : **نفح الطيب** ، ج2 ، ص187 .

(9) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص251 .

(10) الغبريني : **مصدر سابق** ، ص144 ؛ المقرّي : **نفح الطيب** ، ج2 ، ص187 ؛ التّنبكتي : **نيل الإبتهاج** ، ص318 .

(11) قال الذّهبي : "وعمل تفسيرا عجيبا، ملأه باحتمالات، لايحتملها الخِطاب العربي ، وتكلّم في علم الحروف والأعداد" .انظر، **سيّر أعلام النّبلاء** ، ج23 ، ص47 .

من الأحكام[1] وعلى أساسها ألّف كتابا، سمّاه " مفتاح اللّب المُقفل على فهم القرآن المُنَزل " [2]، جعله قوانين كقوانين أصول الفقه وأُغرق في إستعمال رموزات الحروف وإشاراتها [3]، حيث كان يورد الآي ويناسقها نسقًا بديعا ويتكلّم فيها بما لم يُسبق اليه، كما سلك في هذا المؤلّف سبيل التّحرير، ويتكلّم عليه لفظة لفظة وحرفا حرفا[4] ، وكان من أعلم النّاس بالأصليْن والمنطق والطبيعيّات والإلهيّات، وصنّف فيها تآليف[5]، توفيّ بحماه ببلاد الشّام[6]

2)- أبو العبّاس أحمد بن يوسف بن أحمد بن فرتون السُّلمي ت660ه/1262م، من أهل مدينة فاس ونزيل سبتة ، ألّف في الأعلام المبهمة في القرآن، كتابه "الإستدراك والإتمام"، إستدرك فيه على السّهيلي في كتابه "التّعريف والإعلام بما أُبهم في القرآن العزيز من الأسماء والأعلام" [7].

3)– أبو العبّاس، أحمد بن مسعود بن محمد القرطبي الخزرجي ن601ه/1205م ، كان إماما في التّفسير والفقه والحساب والفرائض والنّحو واللّغة والعروض والطبّ، له عدّة مؤلّفات[8]، وقد سار على نهج إبن عطيّة في التّفسير، حيث ألّف تفسيرا [9]، مازالت له شهرة كبيرة في المشرق [10].

---

(1) الغبريني : **نفس المصدر** ، ص144 ؛ المقرّي : **نفح الطيب** ، ج2 ، ص187 ؛ التّنبكتي : **نيل الإبتهاج** ، ص318 .
(2)الغبريني : **نفس المصدر** ، ص144 ؛ المقرّي : **نفح الطيب** ، ج2 ، ص187 ؛ التّنبكتي : **نيل الإبتهاج** ، ص318 .
(3) الدّاودي : **مصدر سابق** ، ج1 ، ص393 .
(4) الغبريني : **نفس المصدر** ، ص 145 ؛ التّنبكتي : **نيل الإبتهاج** ، ص319 .
(5) التّنبكتي : **نيل الابتهاج** ، ص318 .
(6) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص251 ؛ المقرّي : **نفح الطيب** ، ج2 ، ص189 .
(7) أحمد المكناسي : **مصدر سابق** ، ص118 ؛ محمد بن مخلوف : **مصدر سابق** ، ج1 ، ص286 ؛ المنّوني : **حركة الموحدين** ، ص34.
(8) المقرّي : **نفح الطيب** ، ج2 ، ص614 .
(9) لم نعثر على عنوانه .
(10) ريبيرا : **التّربيّة الإسلاميّة** ، ص54 ؛ بالنثيا آنخيل : **مرجع سابق** ، ص409 .

4) – عبد الرّحمن بن عبد الله بن أحمد بن أصبغ، أبو القاسم السّهيلي [1]ت581ه/1185م [2]

عالم بالعربيّة والسيّر ، من حفاظ الحديث النّبوي الشّريف، جمع بين الرّواية والدّراية، له باع في التّفسير والقراءات[3] ، كفّ بصره وعمره 17سنة .

تصدّر للإقراء والتّدريس والحديث، فبعُد صيتُه [4]، فاتّصل خبره بالخليفة الموّحدي أبي يعقوب يوسف صاحب مراكش ، فطلبه إليها وأكرمه [5]، له عدّة مصنّفات، منها " التّعريف والأعلام فيما أُبهم في القرآن من الأسماء والأعلام "[6] و كتاب " الإيضاح والتّبيّين لِما أُبهم من تفسير الكتاب المبين "[7] و "تفسير سورة يوسف "، كما وُصف بأنّه غزير العلم، عارفا بالرّجال والأنساب وعلم الكلام وأصول الفقه، حافظا للتّاريخ القديم والحديث[8].

---

(1) سهيل، قرية بالقرب من مالقة بالأندلس . انظر، الحموي : **معجم البلدان** ، ج3 ، ص291 .

(2) القفطي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص162 – 164 ؛ ابن سعيد : **المُغرب** ، ج1 ، ص448 ؛ ابن خلّكان : **مصدر سابق** ، ج3 ، ص143 ،144 ؛ الذّهبي : **طبقات القُرّاء** ، ص856 ؛ الذّهبي : **تذكرة الحُفّاظ** ، ج4 ، ص 1348 – 1350 ؛ ابن فرحون : **مصدر سابق** ، ص246 – 248؛ ابن الجزري : **غاية النّهاية** ، ج1 ، ص335 ،336 ؛ الدّاودي : **مصدر سابق** ، ج1 ، ص266 ،267 ؛ ابن الموقت : **السّعادة الأبديّة في التّعريف بمشاهير الحضرة المراكشيّة** ، مراجعة وتعليق ، أحمد متفكر ، ط3 ، المطبعة الوطنيّة مراكش المغرب 1432ه/ 2011م ، ص181 ،182 .

(3) القفطي : **نفس المصدر** ، ج2 ، ص162 ؛ الذّهبي : **تذكرة الحفاظ** ، ج4 ، ص 1349 ؛ ابن الجزري : **غاية النّهاية** ، ج1، ص336؛ الدّاودي : **نفس المصدر** ، ج1 ، ص272 ؛ ابن عماد : **مصدر سابق** ، ج6 ، ص405 ؛ ابن الموقت : **نفس المصدر** ، ص182.

(4)الذّهبي : **تذكرة الحفاظ** ، ج4 ، ص1349 ؛ ابن الجزري : **غاية النّهاية** ، ج1 ، ص336 ؛ الدّاودي : **نفس المصدر**، ج1 ، ص272.

(5)الذّهبي : **تذكرة الحفاظ** ، ج4 ، ص1349 ؛ ابن خلّكان : **نفس المصدر** ، ج3 ، ص144 ؛ ابن فرحون : **نفس المصدر** ، ص247 ؛ ابن الجزري : **غاية النّهاية** ، ج1 ، ص336 ؛ الدّاودي : **نفس المصدر** ، ج1 ، ص272 ؛ ابن عماد : **نفس المصدر** ، ج6 ، ص405.

(6)ابن خلّكان : **مصدر سابق** ، ج3 ، ص143 ؛ الذّهبي : **تذكرة الحفّاظ** ،ج4 ، ص 1349 ؛ الدّاودي : **مصدر سابق** ، ج1 ، ص272 ؛ ابن عماد : **مصدر سابق** ، ج6 ، ص405.

(7) عادل نويهض : **معجم المفسرين** ، ج1 ، ص267 .

(8)الذّهبي : **تذكرة الحفّاظ** ،ج4 ، ص1349 ؛ الدّاودي : **نفس المصدر** ، ج1 ، ص272 .

أمّا كُتب التّفسير الّتي كانت رائجة ومتداولة بكثرة في بلاد المغرب والأندلس خلال فترة الموحدين، هي ذاتها الكُتب الّتي كانت في المشرق الإسلامي بحكم التّأثر والتّأثير [1] ، مع الإعتماد على الكُتب الّتي ألّفها أهل المغرب والأندلس من قبل [2]، وخلال فترة الدّولة الموحديّة مثل، "ريّ الضّمآن في تفسير القرآن " لإبن النّعمة ، و "التّعريف والإعلام بما أُبهم في القرآن العزيز من الأسماء والأعلام " للسّهيلي و" تفسير الكتاب العزيز " لعبد الجليل الإدريسي و تفسير الغافقي و " الجامع لأحكام القرآن "للقرطبي .

و إهتمام علماء المغرب والأندلس بالتّفسير وعلومه كان واضحا؛ لِما لهذا العلم من أهمية وضرورة ، إذ يرتبط مباشرة بكتاب الله العزيز الحكيم وأحكام التّشريع ، لذا كان هؤلاء العلماء يلجؤون في كثير من الأحيان إلى الرّحلة نحو المشرق الإسلامي للحصول على الجديد في هذا العلم والأخْذ عن أفواه العلماء في كلّ من مكّة والعراق والكوفة والبصرة والشّام وخراسان ومصر وتونس وغيرها .

III) علم الحديث وخصوصيّة الإهتمام به في عهد الموحدين:

علم الحديث، هو العلم الّذي يُعنى بدراسة القواعد والمهمّات الّتي يُعلَم بها حال الحديث الشّريف من جهة الصحّة أو الضعف على إختلاف أقسام الصحّة وعلى إختلاف أقسام الضعف [3]، والحديث والسّنّة

---

(1) ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س1 ق1 ، ص29 وما بعدها .

(2) لمين بلغيث : **الحركة الفكريّة** ، ص208 .

(3) عمرو عبد المنعم سليم : **المُعلم في معرفة علوم الحديث** ، ط1 ، دار التّدمريّة الرّياض 1425ه/2005م ، ص9 ؛ مصطفى سعيد الخن وبديع السّيد اللّحام : **الإيضاح في علوم الحديث والإصطلاح** ، ط5 ، دار الكلم الطّيّب بيروت 1425ه/2004م ، ص17 ؛ سيد عبد الماجد الغوري : **موسوعة علوم الحديث وفنونه** ، ط1 ، دار ابن كثير دمشق 1428ه/2007م ، ج1 ، ص18 ؛ وهناك عدّة تعريفات لاتختلف عن بعضها. انظر ، محمد بن أحمد الخوارزمي: **مفتاح العلوم** ، تقديم ، عبد اللّطيف محمد العبد ، دار النّهضة المصريّة القاهرة (د.ت)، ص28،29 .

كلمتان مترادفتان عند علماء الحديث وكلاّهما، يعني (كل ماورد عن النّبي محمد صلّى الله عليه وسلّم، من قول أو فعل أو تقرير أو صفة)[1].

ولذلك فقد إحتلّ علم الحديث مكانة هامة عند علماء الإسلام، حتّى وصفه السّمعاني بأنّه (أشرف العلوم بعد العلم بكتاب الله سبحانه وتعالى، إذ الأحكام مبنية عليها ، ومستنبطة منها) [2]. وقد قال الله تعالى ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ سورة النّجم . ويقول عن الحديث إبن عبد البرّ القرطبي ت462ه/1070م: " إنّ أوّل مانظر فيه الطّالب وعنِيّ به العالم بعد كتاب الله عزّ وجلّ، سنّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فهي المُنبئة لمراد الله عزّ وجلّ من مجملات كتابه والدّالة على حدوده، والمُفسّرة له والهادية إلى الصراط المستقيم)[3]، كما ذكر السّمعاني بأنّ " ألفاظ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم وأفعاله وتقريراته وأخبار ذلك لابدّ لها من النّقل ، ولا تُعرف صحّتها إلاّ بالإسناد الصحيح ، والصحّة في الإسناد لاتُعرف إلاّ برواية الثّقة عن الثقة ، والعدل عن العدل " [4].

وبذلك يمكن أن ندرك أهمية علم الحديث بوصفه ثاني مصدر من مصادر التّشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، حيث يُفسّر النّصوص القرآنية ويُفَصل أحكامه العامّة ، ولذلك إهتمّ به جيل الصّحابة والتّابعين بالحفظ والشرّح المُثْبت من صحّته [5]، إذ لولاه لتعطّل العمل بالقرآن ، ولما أمكن استنباط حُكم واحد

---

(1) صبحي صالح : **علوم الحديث ومصطلحه** ، ط15 ، دار العلم للملاّيين بيروت1404ه/ 1984 ، ص3 ؛ محمد الصّبّاغ : **الحديث النّبوي مصطلحه بلاغته كتبه** ، ط5 ، المكتب الإسلامي دمشق بيروت 1401ه/1981م ، ص 147، 148 .

(2) عبد الكريم بن محمد بن منصور التّميمي السّمعاني : **أدب الإملاء والإستملاء** ، دار الكتب العلميّة بيروت (د.ت) ، ص3 .

(3) ابن عبد البرّ القرطبي : **الإستيعاب في معرفة الأصحاب** ، صحّحه وخرّج أحاديثه ، عادل مرشد، ط1 ، دار الإعلام الأردن 1423ه/2002م ، ص15 .

(4) السّمعاني : **مصدر سابق** ، ص3 ، 4 .

(5) سعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون : **دراسات في تاريخ الحضارة الإسلاميّة** ، منشورات ذات السّلاسل الكويت1406ه/ 1986م، ص49 ، 50 ؛ الخربوطلي حلي حسين : **الحضارة العربيّة الإسلاميّة** ، مكتبة الخانجي القاهرة 1395ه/1975م ، ص252 .

بكلّ ما له من شرائط وموانع [1] ؛ لأنّ القرآن الكريم لم يُشَرّع لكلّ شيء من ناحية، وفيه الكثير ممّا يحتاج إلى بيان من ناحية أخرى، سواء في مجال العبادات أو المعاملات ، ولايمكن تبيان ذلك إلّا من خلال قيام الرّسول صلّى الله عليه وسلّم بهذا العمل، بحُكم رسالته وطبيعتها التّبليغيّة [2] ، كما كان للصّحابة رضوان الله عليهم دور كبير في نقل هدي النّبي صلّى الله عليه وسلّم إلى أسلافهم ، فقد حفظوه ووعَوْه وطبّقوه وحدّثوا به من جاء بعدهم من التّابعين [3]، إلاّ أنّه بعد الفتوحات الإسلاميّة ودخول الشعوب المختلفة بلغاتها وعاداتها في الإسلام وخوفا على السّنّة النّبويّة من التّحريف، دعّت الضرورة إلى تدوين الحديث ، حيث بدأ التّدوين للحديث مع نهاية القرن الأوّل الهجري وذلك في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز رضيّ الله عنه [4]، وقد تكفّل عدد من العلماء بتدوين السّنّة، ووُضعت له قواعد ثابتة متينة، حفظت السّنّة من تحريف الزّائفين وأعداء الإسلام، رغم المحاولات العديدة في ذلك[5] .

وأصبح علم الحديث علما مستقلاّ بذاته وظهرت فيه مدارس [6]، وقامت إلى جانب علم الحديث علوم أخرى مساعدة له، منها علم الرّجال والنّاسخ والمنسوخ وعلم الإسناد، واتّجه بعض العلماء الّذين

---

(1) الحكيم محمد تقي : **الأصول العامّة للفقه المقارن** ، دار الأندلس بيروت1382ه/ 1963م ، ص124 ؛ الحكيم حسن عيسى : **مذاهب الإسلاميين في علوم الحديث** ،ط2 ، المكتبة الحيدريّة النّجف العراق1431ه/ 2010م ، ص9 .

(2) الحكيم حسين عيسى : **نفس المرجع** ، ص9 .

(3) العرّيني : **مرجع سابق** ، ص229 ؛ مصطفى الخن : **مرجع سابق** ، ص17 .

(4) ظهرت عدّة محاولات فردية من الصّحابة رضوان الله عليهم لتّدوين الحديث ، رغم نهيّ النّبي صلّى الله عليه وسلّم عن تدوين الحديث بناء على حديث أبي سعد الخدري، الّذي رواه مسلم "لاتكتبوا عنّي إلاّ القرآن ، ومن كتب عنّي شيئا غير القرآن، فليمحه "، إلاّ أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سمح في السّنوات الأخيرة من حياته بكتابة الحديث بعد أن تمكّن القرآن من صدور الصّحابة رضوان الله عليهم ، واستمرّ الحال كذلك في عهد الخلفاء الرّاشدين و لم يكتب الحديث ويُدون في المسانيد بشكل واضح، إلاّ في عهد عمر بن عبد العزيز الّذي أمر بذلك . انظر ، محمد الصّبّاغ : **مرجع سابق** ، ص32 وما بعدها .

(5) حول تدوين السّنة وتوثيقها. انظر ، ابن خلدون : **المقدّمة** ، ص789 وما بعدها ؛ محمد الصّباغ : **نفس المرجع** ، ص44 وما بعدها ؛ سيد عبد الماجد الغوري : **مرجع سابق** ، ص23 وما بعدها ؛ مصطفى الخن : **مرجع سابق** ، ص11 وما بعدها .

(6) يعتبر القرن الثّالث الهجري العصر الذّهبي لتدوين السّنّة ، حيث ظهر علماء وطلبة علم، يُسخرون حياتهم وجهودهم لطلب الحديث النّبوي والرّحلة من أجله ، أمثال، البخاري ومسلم والترمذي وأبو داوود والنّسّائي وأحمد بن حنبل . انظر، محمد الصّباغ : **مرجع سابق** ، ص44 ،45.

برزوا في علم الحديث إلى نقد الإسناد، وانصرف آخرون إلى العناية بتصحيح الأمّهات المكتوبة [1]وضبْطها بالرّوايات عن مُصنفيها [2] ، والتّمكن من هذه العلوم، تطلّب من طلبة العلم الرّحلة في طلب الحديث وملازمة الشّيوخ والتّثبت من الإسناد ، ولذا فقد كان أصحاب الحديث من أنشط طلبة العلم في الرّحلة لطلب العلم وأصبرِهم على عنائها [3].

عرفت البداية الأولى لعلم الحديث في بلاد المغرب ضعفا قياسا ببلاد الأندلس[4]، ويمكن أن يكون هذا الضعف نابع من عدم إهتمام المرابطين به أكثر من إهتمامهم بالفقه [5]، ولايعني هذا عدم وجود علماء إهتمّوا بهذا العلم؛ بل بالعكس فقد كان هناك عدد كبير منهم ، ويعود ذلك الإهتمام إلى دور العلماء الأندلسيّين الّذين كان لهم السَّبْق في هذا العلم ، وكانت بداية إنطلاق علماء المغرب هو أخذهم عن علماء الأندلس، ثمّ قاموا بنشره في المغرب وخاصّة في مراحل الإستقرار السّياسي، حيث حملوا الأحاديث ونقلوها إلى العامّة والخاصّة [6] .

---

(1) الأمّهات المكتوبة، هي كتب الحديث الّتي تُعرف بالصّحاح السّتة وهي ، صحيح البخاري ومصنّفه، محمد بن إسماعيل البخاري ت256ه/869م ، وصحيح مسلم ومصنّفه مسلم بن الحجاّج القسيري ت261ه/874م ، والجامع الصحيح "سنن التّرمذي " لأبي عيسى محمد بن عيسى التّرمذي ت267ه/880م ، وسنن ابن ماجه ومصنّفه عبد الله بن محمد بن يزيد الغزنوي ت273ه/886م ، وسنن أبي داود ومصنّفه سليمان بن الأشعث بن شدّاد بن عمرو بن إسحاق السّجستاني ت275ه/888م ، وسنن النّسائي، مصنّفه أحمد بن شعيب الخراساني النّسائي ت303ه/915م. انظر ، كارل بروكلمان : **تاريخ الأدب العربي** ، ترجمة، عبد الحليم النّجار ،ط4 ، دار المعارف مصر (د.ت) ج2 ، ص163 وما بعدها ؛ محمد عجاج الخطيب: **السّنّة قبل التّدوين** ، ط2 ، مكتبة وهبة القاهرة 1408ه/1988م ، ص339 ،340 .

(2) الحكيم حسن عيسى : **مرجع سابق** ، ص19 وما بعدها .

(3) مصطفى السّباعي : **السّنّة ومكانتها في التّشريع الإسلامي** ، مطبعة المدني القاهرة 1380ه/1961م ، ص107 ، 108 .

(4) لمين بلغيث : **الحركة الفكريّة** ، ص234.

(5) جمال أحمد طه : **مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين** (448ه – 668ه/ 1056م – 1269م): **دراسة سياسيّة حضاريّة** ، دار الوفاء لدّنيا الطّباعة والنّشر الإسكندريّة مصر1424ه/2002م، ص281 ؛ محمد عادل عبد العزيز : **التّربيّة الإسلاميّة في المغرب أصوله المشرقيّة وتأثيراتها الأندلسيّة** ، ط1، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب مصر1407ه/1987م ،ص87 .

(6) جمال طه : **مرجع سابق** ، ص280 ،281 ، كما ذكر عدد من علماء الحديث الّذين رحلوا من الأندلس إلى المغرب وخاصّة فاس، حيث أقاموا بها يدرسون الحديث . انظر ، محمد عادل عبد العزيز : **مرجع سابق** ، ص88 ، 89 .

وفي عصر الموحدين إزدهر علم الحديث مثل بقية العلوم الأخرى في كلّ من المغرب والأندلس، وقد أُعتبر من أزهى عصور العناية بعلم الحديث [1]، و لم يكن ذلك غريبا خاصّة إذا علمنا أنّ الدّولة الموحديّة قامت على أساس ديني [2] ، حيث كان إبن تومرت منذ بداية دعوته يستشهد بالأحاديث الّتي تُدّعم موقفه ودعوته؛ بل قام بجمع هذه الأحاديث[3]، والخليفة عبد المؤمن بن علي أمر بحرق كُتب الفروع، وردّ النّاس إلى قراءة الحديث وإستنباط الأحكام منها سنة550ه/1155م [4]، بينما الخليفة يوسف بن عبد المؤمن فقد أمر بأن تُجمع أحاديث الجهاد في كتاب واحد ، ثمّ أخذ يمليها بنفسه على كبار رجال الدّولة [5]، وهو الّذي كان يحفظ أحد الصّحيحين البخاري أو مسلم [6]، ويقول عنه إبن صاحب الصّلاة : "عالما بحديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بصحيحه مختلفه وحَسَنه وغَريبه وبإسناده "[7].

وفي عهد المنصور أصبع لعلماء الحديث مترلة وصيتا كبيرين في الدّولة[8]، كما أمر بجمع أحاديث الرّسول صلّى الله عليه وسلّم المتعلقة بالصّلاة في كتاب واحد [9]، وكان هذا الفعل يُفَكر فيه والده وجدّه يوسف وعبد المؤمن [10]، وقد وزّع الكتاب على الأمصار،كما أشرف بنفسه، يُمليه على النّاس ويأمرهم

(1) العريني : **مرجع سابق** ، ص232 ؛ حسن علي حسن : **مرجع سابق** ، ص484 ،485 .

(2) محمد عادل عبد العزيز : **مرجع سابق** ، ص89 ؛ عبد المجيد النّجار : **مرجع سابق** ، ص386 وما بعدها .

(3) المراكشي : **مصدر سابق** ، ص254 .

(4) ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص195 ؛ السّلاوي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص112.

(5) المراكشي : **نفس المصدر** ، ص328 .

(6) المراكشي : **مصدر سابق** : ص309 .

(7) ابن صاحب الصّلاة : **مصدر سابق** ، ص233 .

(8) المراكشي ، **نفس المصدر** ، ص356 .

(9) المراكشي: **نفس المصدر** ، ص355 ؛ المقرّي : **نفح الطيب** ، ج3 ، ص102 ، وهي أحاديث صحيحة، جُمعت من كتب الحديث العشرة وهي البخاري ومسلم والتّرمذي والموطأ لمالك ، وسنّن أبي دود وسنّن النّسائي وسنّن البّزّار ومسند ابن أبي شيبة ، وسنّن الدّار قطني وسنّن البيهقي في الصّلاة وما يتعلّق بها . انظر، المراكشي : **نفس المصدر** ، ص355.

(10) المراكشي : **نفس المصدر** ، ص355 .

بحفظه[1] وكان الخليفة المأمون بن المنصور الموّحدي فقيها، حافظا لحديث النّبي صلّى الله عليه وسلّم ضابطا للرّوايات[2].

وقد استغلّت الدّولة الموحديّة المؤلّفات الّتي تخدم دعوتها ومنها مُوطأ إبن تومرت [3] الّذي ألّفه باللّغة العربيّة ، وهو عبارة عن مُختصر لموّطأ مالك بن أنس، وقد جُرّدت منه الأسانيد بهدف تسهيل حفظ الأحاديث وله أيضا كتاب آخر عبارة عن مختصر لصحيح مسلم مُجرّد من الأسانيد [4]، ذكره إبن الأبار بقوله : "ومن تأليفه أحمد بن عتيق بن الحسن بن زياد بن فرد، يُعرف بالذّهبي ت601ه/1205م،كتاب" الإعلام بفوائد مسلم للمهدي الامّام " [5].

و ذُكرت مجموعة من الأحاديث في كتاب أعزّ ما يُطلب تحت عنوان " إختصار مسلم " [6]وهي عبارة عن أحاديث مُختصرة من صحيح مسلم [7]، هذه المؤلّفات كانت تُدَّرس في حلقات العلم وخاصّة منها مجالس الخلفاء والأمراء والولاّة للدّولة الموحديّة [8]، وتُدرَس على الجند [9]والصِّبية الّذين يُراد تربيتهم

(1) المراكشي : **نفس المصدر** ، ص355 .

(2) ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص249 .

(3) وهوعبارة عن كتاب، إختصر فيه ابن تومرت موطأ الإمّام مالك، من رواية يحي بن عبد الله وإقتصر على الرّاوي الأخير بعد حذف بقية السّند ويسمّى " محاذي الموطأ " ، وطُبع بالجزائر سنة 1905م بعناية ليفي بروفنسال . انظر، عبد المجيد النّجار : **مرجع سابق** ، ص154 .

(4) ابن القطّان : **مصدر سابق** ، ص179 ؛ عبد المجيد النّجار : **نفس المرجع** ، ص155،156 ، ويقول عنه عبد المجيد النّجار : موجود منه نسخة فريدة بمكتبة ابن يوسف بمراكش، رقم 403 وتشتمل على 405 صفحة ، وتاريخ نسخها سنة569ه/1173م بسجلماسة . انظر، **نفسه.**

(5) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج1 ، ص85 .

(6) ابن تومرت : **أعزّ مايُطلب** ، ص299 .

(7) عبد المجيد النّجار : **نفس المرجع**، ص156 .

(8) المراكشي : **مصدر سابق** ، ص 328 ، ص355 ؛ ابن القطّان : نفس **المصدر** ، ص 173 ، ص179 .

(9) المراكشي : **نفس المصدر** ، ص328 .

وتنشأهم على أسس الدّعوة الموحديّة [1]، بهدف القيّام بمهمّة الدّعوة للفكر الموّحدي في مختلف أنحاء الدّولة [2]، أو أن يكونوا مستشارين لدى الولاّة وحكّام المقاطعات، أو أن يُعَيّنوا ولاّةً [3].

كما خصّت تحفيزات لمن يحفظ كتاب التّرغيب في الصّلاة، الّذي أمر بجمعه الخليفة يعقوب المنصور حيث خصّص لهم الكساء والأموال وغيرها [4]، وقد ظهر في هذا العصر عدّة علماء، برزوا في علم الحديث وألّفوا عدّة مؤلّفات في هذا العلم ، وكتب التّراجم تزخر بهم، لا يمكننا أن نتحدث عنهم كلّهم ، ولكن سوف نتطرق إلى أبرزهم في هذا العلم ولهم مؤلّفات .

1)– علي بن محمد بن عبد الملك بن يحي بن إبراهيم بن يحيى الكتامي الحِميري، من أهل فاس ، أصله من قرطبة، يُعرف بابن القطّان ت 628ه/1230م [5]، أخذ العلوم عن عدّة علماء عصره ، كان من أبصر النّاس بصناعة الحديث وأحفظهم لأسماء رجاله وأشدّهم عناية بالرّواية مع التّفنّن في المعرفة والدّراية[6] يقول عنه صاحب الذّيل والتّكملة : "كان ذاكرا للحديث، مستبحرا في علومه ، بصيرا بطُرقه ، عارفا برجاله عاكفا على خدمته ، ناقدا مميّزا صحيحه من سقيمه " [7]، قام بنسخ صحيح مسلم وسنّن أبي داود

(1) مجهول : **الحلل الموشيّة** ، ص150.

(2) مجهول: **نفس المصدر** ، ص151.

(3) **نفسه** . ؛ عبد الهادي الحسيسن : **مظاهر النّهضة الحديثة في عهد يعقوب المنصور الموّحدي** ، اللّجنة المشتركة لإحياء التّراث الإسلامي الرّباط المغرب 1402ه/1982م ، ج2 ، ص112.

(4) المراكشي : **نفس المصدر** ، 355 .

(5) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص250 ؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س8 ، ق1 ، ص165 ؛ ابن الزّبير : **مصدر سابق** ، ص297؛ الذّهبي : **تاريخ الإسلام** ، ج45 ، ص321 ؛ أحمد المكناسي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص470 ؛ التّنبكتي : **نيل الإبتهاج** ، ص 317 .

(6) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص250 ؛ الذّهبي : **تاريخ الإسلام** ، ج45 ، ص322 ؛ أحمد المكناسي : **نفس المصدر** ، ج2 ، ص470

(7) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س8 ، ق1 ، ص167 .

بيده [1] إلى جانب ذلك قام بتأليف كتاب، ردّ فيه على أبي محمد بن حزم في كتابه "المُحلّى" فيما يتعلّق به من علم الحديث[2].

صنّف في الحديث ورجاله والفقه وأصوله منها " نقْع الغِلل ونفْع العِلل في الكلام على أحاديث السّنَن لأبي داود " و "بيان الوهم والإبهام الواقعين في كتاب الأحكام " وهو ردّ على كتاب الأحكام لعبد الحقّ الإشبيلي ت [3]، وقد تفرّد إبن عبد الملك في ذكر مؤلّفاته ومنها " كتاب في أحكام الجِنان " في مجلّدين متوسطين ، وآخر "شيوخ الدّار قطني " مجلد متوسط ، و "النّظر في أحكام النّظر " مجلد صغير، كما له كتاب حافل، جمع فيه الحديث الصّحيح، محذوف السّند ، حيث وقع من المُسْندات والمصنّفات، كمّل منه كتاب الطّهارة والصّلاة والجنائز والزّكاة في نحو عشر مجلدات[4] ، ومسائل في أصول الفقه [5] ، وله عدّة مقالات متنوعة المقاصد، نذكر منها، مقالة في الإمامة الكبرى ، ومقالة في القراءة خلف الإمام ، ومقالة في الوصيّة للوارث، ومقالة في منْع المجتهد من تقليد المُحْدث في تصحيح الحديث لدى العمل ، ومقالة في الطّلاق بالثلاث ومقالة في معاملة الكُفار ،جمعها للنّاصر الموّحدي ، ومقالة في فضل عاشوراء وما ورد في الإنفاق فيه على الأهل ، ومقالة في حثّ الإمام على القعود لسماع مظالم الرّعيّة إلى غير ذلك من المُعَلّقات والفوائد في التّفسير والحديث والفقه وأصوله والكلام والآداب والتّواريخ والأخبار [6].

(1) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س8 ، ق1 ، ص167 .

(2) **نفسه** .

(3)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س8 ، ق1 ، ص167 ؛ ابن الزّبير : **مصدر سابق** ، ص297 .

(4) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س8 ، ق1 ، ص167 ،168 .

(5) **نفسه** .

(6)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س8 ، ق1 ، ص168 ، 169 .

ونظرا لكونه عالما، مُتفنّنا، فإنّه حظيّ عند خلفاء الدّولة الموحديّة باحترام وتقدير كبيرين بالإضافة إلى تعظيم العامّة له (1)، وكان يعقوب المنصور أوّل المهتمّين به، وقد استمرّ هذا التّقدير والإهتمام إلى بقية الخلفاء الى أن توفيّ سنة628ه/1231م ، كما أنّه عُيّن رئيسا للطّلبة، وهي مرتبة هامّة عند الموحدين والعلماء وكانت الفتاوى لاتصدُر إلاّ بمراجعته (2) ، كما كان يُستشار في أمور الدّولة خاصّة منها الخلافة (3)؛ ولذلك إعتبره بعض المؤرخين من أكبر دعاة الموحدين وأبرز رجال دولتهم (4)، ووصفه الذّهبي بأنّه:"شيخ شيوخ أهل العلم في الدّولة المؤمنيّة، فتمكّن من الكتب وبلغ غاية الأمنيّة " (5)، أخذ عن جلّة من العلماء وقد وضع لهم برنامجا، ذكر فيه شيوخه، كتبه في أواخر عمره بعد سنة ستمائة وخمسا وعشرون (6) ، وأمّا الّذين أخذوا عنه، فهُم خلق لا يُحْصون لكثرتهم (7).

إمتُحِن بالفتنة الّتي وقعت بالمغرب أوّل سنة إحدى وعشرين وستمائة، فخرج من مراكش ، ثمّ عاد إليها وإضطرب أمره إلى أن توفيّ بسجلماسة وهو مُتوَلي قضاءها، من علّة في بطنه أصابته سنة 628ه/1230م(8) وهذ بعد أن نُهبت ممتلكاته وخاصّة منها الكُتب الّتي قُدّرت بسبعة عشر حملا، منها حملان بخطّ يدّه بالإضافة إلى أمواله وذخائره(9).

2)– محمد بن قاسم بن عبد الكريم التّميمي ت603ه/1206م، من المُحَدّثين البّارزين في مدينة

---

(1) **نفسه** .

(2)**نفسه** .

(3) خاصّة في أيّام الفتنة الّتي وقعت بين بنّي عبد المؤمن حول الخلافة أيّام العادل ، إدريس المأمون ، فكان حاضرا في الإستشارة وأخيار الخليف . انظر ، ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س8 ، ق1 ، ص191 .

(4) ابن القطّان : **مصدر سابق** ، ص20 .

(5) الذّهبي : **تذكرة الحُفاظ** ، ج4 ، ص1407 .

(6) ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س8 ، ق1 ، ص167 .

(7) ذكر بعضا منهم ابن عبد الملك . انظر ، ابن عبد الملك: **نفس المصدر** ، س8 ، ق1 ، ص168 .

(8) ابن الأبار: **التّكملة** ، ج3 ، ص251 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س8 ، ق1 ، ص195 ؛ ابن الزّبير : **مصدر سابق** ، ص297.

(9) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س8 ، ق1 ، ص194 .

فاس[1]، كان مُحَدّثا حافظا، ذاكرا للحديث ورجاله وتواريخهم وطبقاتهم [2]، قام برحلة إلى المشرق والأندلس بحثا عن العلم والعلماء للأخذ عنهم، ومن المناطق الّتي زارها مكّة والمدينة ودمشق ودمياط والإسكندريّة والقاهرة، كما زار طرابلس وتونس وبجاية[3]، ودامت رحلته هذه أكثر من خمسة عشر عاما، لقيّ خلال هذه المدّة عدّة علماء[4] ، ذكرهم في برنامجه الّذي سمّاه " النّجوم المُشرقة في ذكر من أخذ عنه من كلّ ثَبْت وثِقة " وقدّرهم بأكثر من مئة شيخ [5] ، له عدّة مؤلّفات في مختلف الفنون، نخصّ بالذّكر منها في الحديث "الأربعون حديثا " و "الأغذية ممّا جاء في الحديث " وكتاب "تُحفة الطّالب ومَشية الرّاغب في الأحاديث النّبويّة العليّة السّنّية "[6].

3)– محمد بن أبي يحي بن خلف بن فرج بن صاف المُواقي المراكشي ت642ه/1244م [7]، قرطبي الأصل قديما ، فاسيّا حديثا، كان فقيها حافظا، مُحَدّثا، مُقَيّدا، ضابطا، مُتْقنا، نبيل الخطّ، بارعُه ، ناقدا مُحَقّقا ذاكرا أسماء الرّجال وتواريخهم وأحوالهم [8]، أخذ العلم عن عدّة علماء عصره من الّذين برزوا في مختلف العلوم خاصّة منها الحديث، كما أخذ عنه ثلّة من العلماء وطلبة العلم [9] .

(1) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص161 ؛ ابن عبد الملك ، **نفس المصدر** ، س8 ، ق1 ، ص352 ؛ محمد بن مخلوف : **مصدر سابق** ، ج1 ، ص263 ؛ الكتاني عبد الحيّ بن عبد الكبير : **فهرس الفهارس والإثبات ومُعجم المعاجم والمشْيخات والمسلسلات** ، ط2 ، دار الغرب الإسلامي بيروت 1402ه/1982م ، ج2 ، ص685 ، 686 .

(2) ابن عبد الملك ، **نفس المصدر** ، س8 ، ق1 ، ص355 .

(3)ابن عبد الملك ، **نفس المصدر** ، س8 ، ق1 ، ص353 – 355 .

(4) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص161 .

(5)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص161 .؛ ابن عبد الملك ، **نفس المصدر** ، س8 ، ق1 ، ص355 ؛ محمد بن مخلوف : **مرجع سابق** ، ج1 ، ص263.

(6) ابن عبد الملك ، **نفس المصدر** ، س8 ، ق1 ، ص356 .

(7) ابن عبد الملك: **نفس المصدر** ، س8 ، ق1 ، ص272 ؛ عبّاس السّملالي : **مصدر سابق** ،ج4 ، ص231 .

(8)ابن عبد الملك ، **نفس المصدر**: س8 ، ق1 ، ص273 .

(9) ذكرهم ابن عبد الملك. انظر، ابن عبد الملك: **نفس المصدر** ، س8 ، ق1، ص273 .

وقد وضع تعقيبا على كتاب شيخِهِ أبي الحسن بن القطّان، المعروف بـــ "بيان الوهم والإيهام الواقعيْن في كتاب الأحكام " لأبي محمد عبد الحقّ بن الخرّاط، تحت عنوان " الأحكام الكبرى " ، وقد ظهر عليه في هذا المؤلّف إدراكه ونُبلِه ومعرفته بصناعة الحديث ، واستقلاله بعلومه ، وإشرافه على علله وأطرافه وتيّقظه وبراعة نقده وإستدراكه [1]، وقد قام إبن عبد الملك صاحب كتاب الذّيل والتّكملة بالجمع بين هذين الكتابين مضافين غلى سائر أحاديث الأحكام إلى أن يقول: "فصار كتابي هذا من أنفع المصنّفات وأغزرها فائدة "[2].

كما له عدّة مؤلّفات أخرى، منها شيوخ الدّار قطني ، وشرح مقدمة صحيح مسلم ومقالات عديدة في مختلف الفنون والعلوم خاصّة علم الحديث والفقه ، وله كتاب في شرح المُوطأ للإمام مالك بن أنس، في غاية النّبل وحُسن الوَضْع ،كما يقول إبن عبد الملك [3]: "و لم كان عالما مُتَمكّنا من العلوم الشّرعيّة، فقد عينّه الموحدون قاضيا في بلنسيّة، ثمّ فاس "[4]، توفيّ بمراكش .

4)– عبد الحقّ بن عبد الرّحمن الأزدي الإشبيلي بن الخرّاط [5]، ولد بإشبيليّة سنة510ه/1116م[6] بدأ بها تعليمه، حيث أخذ العلم عن عدّة علماء إشبيليّة ، ثمّ إنتقل إلى لبلة [7] وأخذ العلم على علمائها[8]

---

(1) ابن عبد الملك: **نفس المصدر** : س8 ، ق1 ، ص273 .

(2) **نفسه** .

(3) **نفسه** .

(4) ابن عبد الملك: **نفس المصدر**، س8 ، ق1 ، ص274 ؛ عبّاس السّملالي : **مصدر سابق** ،ج4 ، ص232 .

(5) الضّبي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص508 ؛ ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص120 ؛ ابن الزّبير : **مصدر سابق** ، ص184 ؛ الذّهبي : **تذكرة الحُفاظ** ، ج4،ص1350 ؛ الذّهبي : **سيّر أعلام النّبلاء** ، ج21 ، ص198 ؛ محمد بن شاكر الكُتبي : **فوات الوفيات** ، تحقيق، إحسان عبّاس ، دار صادر بيروت1393ه/1973م ج2 ، ص256 .

(6) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص121 .

(7) لبلة (Niblai)، مدينة صغيرة، تقع جنوب غرب الأندلس بين إشبيليّة وقرطبة . انظر، الحموي : **معجم البلدان** ،ج5 ، ص10 .

(8)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص120 ؛ ابن الزّبير : **مصدر سابق** ، ص184 .

ثمّ إنتقل إلى بجاية بالمغرب الأوسط الّتي إستوطن بها إلى وفاته سنة 582ه/1186م [1] .

يُعتبر من أهمّ علماء الحديث في عصره [2]، وهو من أهل العلم والعمل [3]، وقد واصل نشاطه التّعليمي ببجاية من تدريس وتأليف [4]، فهو فقيه، حافظ، عالم بالحديث وعلله ، متمكّن من أسماء رجاله ونقَلَته وأوهامه، لايخلو من مثلها الحُفّاظ [5]، وكانت معظم مصنّفاته في الحديث وعلومه منها "الأحكام الكبرى " وكتاب " الأحكام الصُّغرى " وكتاب "الجمع بين الصّحيحين " [6] الّذي كتبه بلا إسناد على ترتيب مسلم وأتقنه وجوَّده [7].

بينما كتابه " الجامع الكبير في الحديث " فقد جمع فيه كتب الحديث السّتّة الصِّحاح وأضاف إليها أحاديث حسّانًا وصِّحاحا من بعض المسانيد المشهورة [8]، كما له كتاب " المُعْتل من الحديث " و كتاب "الرّقائق " المُخَرّجَة من الصِّحاح وكتاب " الكفاية في علم الرّواية للخطيب " [9]، إلاَّ أنّ أشهر مؤلّفاته في الحديث والّتي إنتشرت في مختلف أنحاء العالم الإسلامي ودُرِّست في مجالس العلم وإعتنى بها علماء الحديث كتب "الأحكام" الّذي يتكون من الأحكام الكبرى والوسطى والصُّغرى [10] ، حيث تقع الكبرى في ستّة مجلّدات[11] ، إختار أحاديثها من الكتب الصّحاح وأوردها بأسانيدها ، أمّا الوسطى فتقع في مجلّدين ، في

---

(1)ابن الأبار : **نفس المصدر** ، ج3 ، ص121 ؛ ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص184 ؛ الذّهبي : **سيّر أعلام النّبلاء** ، ج21 ، ص199 .

(2)ابن الأبار : **نفس المصدر** ، ج3 ، ص121 ؛ ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص184.

(3) **نفسه** .

(4)ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص184 ؛ الغبريني : **مصدر سابق** ، ص41 ؛ الذّهبي: **سيّر أعلام النّبلاء** ، ج21 ، ص198 .

(5) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص121 ؛ الكتبي : **مصدر سابق** ،ج2 ، ص257 .

(6)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص120 ؛ ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص184 ؛ الذّهبي ، **تذكرة الحُفاظ** ،ج4، ص1350 .

(7) الذّهبي : **سيّر أعلام النّبلاء** ، ج21 ، ص199 .

(8) ابن الأبار : **مصدر سابق** ، ج3 ، ص121 ؛ الذّهبي ، **تذكرة الحُفاظ** ، ج4 ، ص1350.

(9) ابن الأبار : **نفس المصدر** ، ج3 ، ص121،120 ؛ الكتبي : **نفس المصدر** ،ج2 ، ص257 .

(10) المقرّي : **مصدر سابق** ،ج2 ، ص164 ، ج3 ، ص180 .

(11) العرّيني : **مرجع سابق** ، ص239 .

حين الصُّغرى في مجلّد واحد [1]، وقد كانت تُدَّرَس مؤلّفاته في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، منها في المشرق وفي المغرب [2] ، كما وضع عليه بعض العلماء إستدراكا وشرحا [3].

5) – أحمد بن هارون بن عات بن عمر النّفزي ، ولد بشاطبة سنة 542ه/1147م[4] ، وأخذ العلم بها، ثمّ تنقلّ في مدن الأندلس طلبا للعلم [5]، ثمّ رحل إلى المشرق الإسلامي لأداء فريضة الحجّ وهناك أخذ العلم عن عدّة علماء [6]إلتقى بهم، ذكرهم في مؤلّفه " النُّزهة في التّعريف بشيوخ الوجهة " [7]، يُعتبر من كبار علماء الحديث في شاطبة [8]، يسرد الأسانيد والُمتون ظاهرا، فلا يخلّ بحفظ شيء منها، موصوفا بالدّراية والرّواية[9] ، يقول عنه أحد تلامذته أبو عامر بن نذير :"لازمتُه مدّة ستّة أشهر، فلم أر أحفظ منه وحضرت لسماع الُموّطأ والبخاري منه ، فكان يقرأ من كلّ واحد من الكتابين نحو عشرة أوراق عرضًا بلفظه كلّ يوم، لايتوقف في شيء من ذلك " [10] .

أمّا مصنّفاته فقد ذكر المترجمون له عدّة تآليف [11] لكن لم يذكروا منها سوى مصنفين هما "النّزهة

---

(1) العرّيني : **مرجع سابق** ، ص239 .

(2) الرّعيني : **مصدر سابق** ، ص 73 ومابعدها .

(3) ابن الزّبير : **نفس المصدر**، ص297 .

(4) ابن الأبار : **التّكملة** ،ج1 ، ص90 ؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س1 ، ق2 ، ص556 .

(5)ابن الأبار : **التّكملة** ،ج1 ، ص90 .

(6)ابن الأبار : **نفس المصدر** ،ج1 ، ص90 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س1 ، ق2 ، ص557؛ ابن فرحون : **مصدر سابق** ص127 ؛ المقرّي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص601 .

(7)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س1، ق2 ، ص559؛ ابن فرحون : **نفس المصدر**، ص128 ؛ المقرّي : **نفس المصدر** ، ج2 ، ص601

(8)ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س1، ق2 ، ص560؛ ابن فرحون : **نفس المصدر** ، ص127 .

(9) ابن الأبار : **التّكملة** ،ج1 ، ص90 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س1 ، ق2 ، ص560؛ ابن فرحون : **نفس المصدر**، ص127

(10)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س1، ق2 ، ص560؛ ابن فرحون : **نفس المصدر**، ص127 ؛ المقرّي : **نفس المصدر** ، ج2، ص601.

(11)ابن الأبار : **التّكملة** ،ج1 ، ص90 .

في التّعريف بشيوخ الوجهة " و "ريحانة النّفس وراحة الأنفس في ذكر شيوخ الأندلس " [1]وهي مؤلّفات ضمّنها شيوخه الّذين أخذ عنهم العلم في المشرق والأندلس، وقد فُقد وهو يجاهد في معركة حصن العقاب سنة 609ه/1212م، و لم يُعثر عليه [2].

6) – عبد الله بن الحسن الأنصاري القرطبي، ولد بمالقة ينة556ه/1161م، إلاّ أنّه نُسب إلى قرطبة لأنّ أصله منها [3]، أخذ العلم أوّلا بمالقة عن أعلامها ، ثمّ رحل في طلب العلم في مختلف المدن الأندلسيّة وأخذ عن مشاهير علمائها [4]، ولّما كان محبّا للعلم والعلماء، فقد كثُر شيوخه واتّسع رُوّاته وبرز في أكثر من علم ، حيث أصبح من الُمقْرئين وكبار المسندين والُمحَدّثين ؛ بل كان إمامهم وعالمهم ومُتقنهم [5]، ويعتبر من أهل المعرفة بالحديث والتّبصرة به و الإتقان له [6]، مكين الدّراية، ذاكرا أسماء رجال الحديث وطبقاتهم وتواريخهم وجرحهم وتعديلهم[7]،كما كان له بجامع مالقة الأعظم مجلس عام غير مجلس تدريسه ، يتكلّم فيه على الحديث إسنادا ومَتْناً بطُرُقة، أعجز عنها الكثير من أكابر أهل زمانه[8]، وصفه إبن عسكر

---

(1)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س1، ق2 ، ص559، 560 .

(2)ابن الأبار : **التّكملة** ،ج1 ، ص90 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س1 ، ق2 ، ص562 .

(3) ابن الأبار : **التّكملة** ، 2 ، ص286 ؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س4 ، ص191 ؛ الذّهبي : **تذكرة الحُفاظ** ، ج4 ، ص1396 ؛ الذّهبي : **سيّر أعلام النّبلاء** ، ج22 ، ص69 ؛ السّيوطي : **طبقات الحُفاظ** ، ص494 .

(4)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س4 ، ص192 .

(5) ابن عسكر أبي عبد الله و ابن خميس (أبي بكر : **أعلام مالقة** ، تحقيق ، عبد الله المرابط التّرغي ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي بيروت ، 1420ه/1999م ، ص236.

(6)ابن الأبار : **التّكملة** ، 2 ، ص286 ؛ الذّهبي : **تذكرة الحُفاظ** ، ج4 ، ص1396 ؛ ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج3 ، ص405 .

(7)ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س4 ، ص195 ؛ ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج3 ، ص406 .

(8)ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج3 ، ص406.

بأنّه "عَلَمٌ من أعلام الدّيانة والمعارف "[1]، ومن مصنّفاته كتاب " تلخيص أسانيد الموطأ " من رواية يحي بن يحي الّذي دلّ فيه على سعة فقهه وحُسن ضبطه [2]، وله كتاب "أربعين حديثا "[3].

7) –سليمان بن موسى بن سالم بن حسّان بن سليمان بن أحمد الحميري الكلاعي، أبو الرّبيع [4]، ولد سنة565ه/1170م [5]، أخذ العلم عن علماء بلدته بلنسيّة [6]، ثمّ تنقّل في مختلف مناطق الأندلس بحثا عن العلم والعلماء للأخذ عنهم[7]. منهم عثمان بن يوسف[8] ،وعبد الحقّ بن الخرّاط وأيوب بن غالب [9] وعبد الرّحمن بن الرّبيع [10]وإبن زرقون أبو عبد الله [11]وغيرهم .

وأبرز من أخذ عنه إبن الأبار [12] أبوعبد الله وأبو الحسن الرّعيني [13]، وغيرهم، وهم كُثُر [14]، وصفه المؤرخون بأنّه إماما في صناعة الحديث [15]وعالما ورئيسا [16] يقول عنه تلميذه إبن الأبار: "بصيرٌ بالحديث، حافظا، حافلا، عارفا بالجرح والتّعديل ، ذاكرا للمواليد والوفيات، يتقدّم أهل زمانه في ذلك وفي

(1) ابن عسكر : **نفس المصدر** ، ص235 .
(2)ابن الأبار : **التّكملة** ، 2 ، ص287 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س4 ، ص208 .
(3)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س4 ، ص196 .
(4) الرّعيني : **مصدر سابق** ، ص66 ؛ ابن الأبار : **التّكملة** ، ج4 ، ص100 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س4 ، ص83 ؛ ابن الزّبير : **مصدر سابق** ، ص360 ؛ النّباهي : **مصدر سابق** ، ص119 .
(5)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج4 ، ص103؛ النّباهي : **مصدر سابق** ، ص121 .
(6)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج4 ، ص101 .
(7) نفس المصدر ، ج4 ، ص101.
(8) ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س4 ، ص84 .
(9)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج4 ، ص101؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س4 ، ص83 ،84 ؛ ابن الزّبير : **مصدر سابق** ، ص360.
(10)ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س4 ، ص83.
(11)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج4 ، ص101 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س4 ، ص 84 ؛ ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص360.
(12)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج4 ، ص100 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س4 ، ص84 ؛ ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص360 .
(13) الرّعيني : **مصدر سابق** ، ص69 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س4 ، ص84 .
(14) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج4 ، ص101 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س4 ، ص84.
(15)ابن الأبار : **نفس المصدر** ، ج4 ، ص101.
(16)الرّعيني : **نفس المصدر** ، ص67 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س4 ، ص85 .

حفظ أسماء الرّجال خصوصا من تأخرّ زمانه أو عاصره"[1]،و كان طلبة العلم يسعوْن ويحرِصون للتّتلمذ عليه،حيث كانوا يكتبون إليه للإجازة منه [2]، كما كان لايبخل في إرسال مصنّفات على طُلابه وكان منهم أبي الحسن الرّعيني[3] .

وقد إعتُبر آخر المُحَدّثين بالأندلس؛ بل ربّما بالمغرب عامّة [4]، وبقية الأكابر من أهل العلم في بلاد الأندلس الشّرقي [5]. ورغم إنشغاله بالقضاء في بلنسيّة والخطابة في جامعها الكبير والتّدريس به [6]، إلاّ أنّ ذلك لم يمنعه من التّأليف خاصّة في علم الحديث ، ومن أهمّ مصنّفاته " الإعلام بأخبار البخاري الإمام ومن بلغت روايته عنه من الأغفال والأعلام " و " مصباح الظّلم من حديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم " و " الأربعون حديثا عن الأربعين شيخًا لأربعين من الصّحابة في أربعين معنى " في جزء واحد وكتاب "المسلسلات من الأحاديث والآثار والإنشادات " جزء واحد ، وكتاب " تُحفة الرّواد في العوالي البّديلة الإسناد "في أربعة مجلّدات وكتاب " السّبعيات المُخَرّجَة من أحاديث أبي علي الصّدفي " ثلاثة أجزاء وكتاب " الإكتفاء بما تضمّنه من مغازي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومغازي الثّلاثة الخلفاء " أربعة مجلّدات [7]، وكتاب " روّاة البخاري " في أربعة أجزاء[8] وغيرها من التّآليف ، كما له مؤلّفات في

(1)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج4 ، ص101.

(2)الرّعيني : **نفس المصدر** ، ص67 ؛ ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج4 ، ص299 .

(3)الرّعيني : **نفس المصدر** ، ص67 .

(4) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج4 ، ص101 ؛ ابن الزّبير ، **نفس المصدر** ، ص361 .

(5)الرّعيني : **مصدر سابق** ، ص66 ، 67 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س4 ، ص85 .

(6) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج4 ، ص101.

(7)الرّعيني : **نفس المصدر** ، ص67 ، 68 ؛ ابن الأبار : **التّكملة** ، ج4 ، ص101؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س4 ، ص101 .

(8)الرّعيني : **نفس المصدر** ، ص68 .

أبواب أخرى، كالشّعر والخطابة [1] إستُشهد سليمان أبو الرّبيع سنة 634ه/1236م وهو يجاهد النّصارى في إحدى المعارك بمنطقة أنيشة من أعمال بلنسيّة بالأندلس [2] .

8) محمد بن إسماعيل بن محمد بن عبد الرّحمن بن مروان بن خلفون الأزدي[3]، من أهل أونبة[4] وسكن إشبيليّة [5]، ولد سنة 555ه/1160م، أخذ العلم عن عدّة علماء، أمثال أبي بكر بن الجدّ وإبن زرقون أبي عبد الله [6] وأبي الوليد سعد بن السّعود بن عقير [7]وأبي محمد بن حوط الله [8]وأبي الحسن بن الصّايغ [9] وأبي البّقاء بن يعيش [10] ، وأخذ عنه عدّة طلبة وعلماء، منهم وأشهرهم أبي محمد طلحة ، وأبي العبّاس بن علي الماردي[11]وأبي الحسن الرّعيني [12] ، وأبي جعفر الطّباع [13]، كان بصيرا بصناعة الحديث[14] من متقنيه[15]ومن الحُفّاظ النّقاد الضابطين له[16] كما كان مُتقدّما في معرفة روّاة الحديث

(1)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج4 ، ص101، 102 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س4 ، ص86 .

(2)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج4 ، ص103؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س4 ، ص89 .

(3)الرّعيني : **نفس المصدر** ، ص54 ؛ ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص141 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص128 ؛ الذّهبي: **تذكرة الحُفاظ** ، ج4 ، ص1400 ؛ الذّهبي : **سيّر أعلام النّبلاء** ، ج23 ، ص71 .

(4) أونبة ، قرية في غربي الأندلس على خليج البّحر المحيط. انظر، الحموي : **معجم البلدان** ، ج1 ، ص283 .

(5)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص141 .

(6) **نفسه** ؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س6 ، ص129 ؛ الذّهبي :**تذكرة الحُفاظ** ، ج4 ، ص1400.

(7)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص141 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص129.

(8) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص129 .

(9)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص141 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص129.

(10) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص141 ؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س6 ، ص129.

(11) ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س6 ، ص129.

(12) الرّعيني : **مصدر سابق**، ص54 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص129.

(13) **نفسه** .

(14) الرّعيني : **نفس المصدر**، ص54 ؛ ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص141؛ الذّهبي : **تذكرة الحُفاظ** ، ج4 ، ص1400.

(15) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص129؛ الذّهبي : **تذكرة الحُفاظ** ، ج4 ، ص1400.

(16) الرّعيني : **نفس المصدر** ، ص54 ؛ ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص141؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص129.

وطبقاتهم وأحوالهم[1]، فقد إعتنى بالرّوايات والنّقل وقضى عمره في سبيل ذلك [2]، وقد استمرّ في نشر العلم وتدريسه رغم كفاف بصره في آخر عمره [3]إلى أن توفّي سنة 636ه/1238م بأونبة [4].

له العديد من المؤلفات نذكر منها كتاب " المنتقى في رجال الحديث " في خمسة مجلّدات ، وكتاب " المفهم في شيوخ البخاري ومسلم " [5]وكتاب " المعلم في شيوخ البخاري ومسلم " في مجلّد واحد [6]، وكتاب " المنتقى في أسماء الأئمّة المرضيين والثّقاة المُحَدّثين والرّواة المشتهرين من تابعين ومن بعدهم" وهو في أربعة أسفار" [7] ، وكتاب " مُسند حديث مالك بن أنس " في سفر واحد [8]، وكتاب " تلخيص حديث المّوطأ " في سفر واحد وكتاب [9] "التّعريف بأسماء أصحاب النّبي صلّى الله عليه وسلّم، المُخَرج حديثهم في كتاب الجامع للبخاري والمُسند الصّحيح لمسلم بن الحجّاج " في سفر واحد [10]وكتاب " التّقريب في علوم الحديث وشروطه وصفات روّاته " في سفر واحد [11] ، وكتاب " شيوخ أبي داود " في سفر واحد وكتاب "شيوخ عبد الرّحمن السّنوي " في سفر واحد ، وكتاب " شيوخ أبي عيسى التّرميذي " في سفر واحد ، وكتاب " شيوخ أبي المجد الجارود "في جزء واحد كبير، وكتاب "شيوخ مالك بن أنس

(1) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص129.
(2) الذّهبي :**تذكرة الحُفاظ** ، ج4 ، ص1400.
(3) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص131 .
(4) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص141 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص131 .
(5) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص141 ؛ الذّهبي :**تذكرة الحُفاظ** ، ج4 ، ص1400.
(6) ابن عبد الملك : **نفس مصدر** ، س6 ، ص130 .
(7) الرّعيني : **مصدر سابق** ، ص54 .
(8) **نفسه** ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص130 .
(9) الرّعيني : **مصدر سابق** ، ص54 ؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س6 ، ص131 .
(10)الرّعيني : **نفس المصدر** ، ص54 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص130 .
(11)الرّعيني : **نفس المصدر** ، ص54 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص130 .

الّذين روى عنهم الحديث في كتاب الموّطأ "في سفر واحد[1]، وكتاب أغاليط يحي بن يحي الأندلسي في موّطأ مالك روايته عنه " وهو كرّاسة [2]، وكتاب " مشيخة إبن زرقون " وهو كرّاس كبيرة [3]، وله غير هذه المؤلّفات، كما يقول الرّعيني [4].

هذه مجموعة من علماء الحديث الّذين كان لهم دور بارز في نشر علوم الحديث والتّأليف فيه، في عهد الموحدين ، ولم يقتصر الدّور على هؤلاء فقط، بل هناك العديد من علماء الحديث الّذين شغلهم التّدريس أو الخطابة أو القضاء على التّأليف أمثال ، محمد بن عبد الله بن سفيان ت561ه/1165م، كان مُحَدّثا بارزا ذو معرفة بصناعة الحديث [5] ، ومحمد بن عبد العزيز الغافقي الشّقوري ت579ه/1183م، من أهل قرطبة،كان مُحَدّثا حافظا، ثقة، عدلا ، ذو عناية بصناعة الحديث ، نافذا، عارفا بعلله ورجاله وثُقاتهم وضعفائهم وأنسابهم وطبقاتهم ، كما عُرف عليه عنايته الشّديدة في طلب الحديث وسماعه والسّفر من أجله الى أن قيل عنه: "من أضبط النّاس لأحكام الأسانيد" [6]، ومحمد بن إبراهيم بن خلف المالقي، المعرف بابن الفخّار ت590ه/1194م بمراكش، كان من أهمّ المُحَدّثين المشهورين ، عُرف بسرده للمُتون والأسانيد مع معرفته بالرّجال وذِكر الغريب ، رُويّ أنّه كان يحفظ صحيح مسلم وسنّن أبي داود وموّطأ الإمام مالك [7] وقد إستدعاه أبو يعقوب يوسف لإسماع الحديث في مراكش ، فكان يُجلّه كثيرا ويُقرّبه ويرفع

(1)الرّعيني : **نفس المصدر** ، ص54، 55 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص130 .
(2)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص129 .
(3)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص130 .
(4)الرّعيني : **نفس المصدر** ، ص 55.
(5)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص29 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص242 .
(6)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص53 ؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س6 ، ص388 .
(7)ابن الأبار : **نفس المصدر** ، ج2 ، ص69 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص88 ،89 .

من شأنه ويُوجب له حقّه [1].

ممّا سبق يمكن أن نلاحظ أنّ علم الحديث إنتشر بشكل واسع وسريع وتناوله العلماء بالدّراسة والنّقد والبّحث والتّدريس والحفظ ، بحيث لم يعرف علم الحديث إنتعاشا ولا إنتشارا وإقبالا من طلبة العلم، مثلما عرفه في عهد الموحدين، و يعود ذلك إلى طبيعة الدّولة الموحديّة الّتي شجعّت هذا العلم وغيره ، وكذا دعوة خلفاء الدّولة الموحديّة لنّبذ كُتب الفروع وتشعباته والإهتمام بكتب الحديث وإلزام النّاس بالعودة إلى الكتاب والسّنّة كما سنبين ذلك في باب الفقه .

IV ــ الفقه وأصوله :

1- الفقه :

يُطلق على الفقه علم الدّراية [2]، وهو (معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المُكلّفين بالوجوب والحضر والنّدب والكراهة والإباحة ، وهي مُتلقاة من الكتاب والسّنّة وما نصّ به الشّارع لمعرفتها من الأدّلة ، فإذا إستُخرجت الأحكام من تلك الأدّلة قيل لها فقه " [3].

عندما قامت الدّولة الموحديّة كان أكثر بلاد المغرب والأندلس يتبعون مذهب الإمّام مالك بن أنس[4]

(1)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص90 .

(2) التّهانوي محمد علي : **مرجع سابق** ، ج1 ، ص40 .

(3) ابن خلدون : **المقدّمة** ، ص798 .

(4) يرجح دخول المذهب المالكي إلى بلاد الأندلس والمغرب في القرن الأول الهجري عن طريق أهل بلاد الشّام ، إلاّ أنّه ما لبث أن أصبح المذهب الرّسمي للدّول الّتي تعاقبت على حكم بلاد المغرب والأندلس خاصّة ؛ بل أصبحوا من أحرص النّاس على التّفقه به . انظر ، ابن الخطيب :**اللّمحة البدرية في الدّولة النّصريّة** ، تحقيق، محمد مسعود جبران ، ط1 ، دار المدار الإسلامي1430ه/ 2009م ص63 ؛ محمد بن مخلوف :**مصدر سابق** ،ج1 ، ص635 ،636 .

ويُجمع المؤرخون أنّ زياد بن عبد الرّحمن، المعروف بشبطون [1]ت204ه/820م هو أوّل من أدخل هذا المذهب إلى الأندلس [2] .

وبمرور الأيّام والسّنوات أصبح المذهب المالكي هو المذهب الرّسمي لبلاد المغرب والأندلس[3]؛ بل أصبح دعامة أساسيّة في الحياة العلميّة والفكريّة [4] وحتّى السّياسية ، ولذلك إستحوذت الأبحاث والدّراسات لمعظم علماء المغرب والأندلس في المجال الفقهي على المذهب المالكي [5] ، و تبوّأ المذهب المالكي والفقهاء المالكيّة المكانة الهامّة في نفوس المغاربة والأندلسيّين بسبب تشجييع الحكّام له[6] خاصّة في عهد الدّولة المرابطيّة[7] الّتي أصبح المذهب الفقهي المالكي هو المذهب الرّسمي للدّولة [8]، حتى يقول

(1) زياد بن عبد الرّحمن بن زياد اللّخمي، المعروف بشبطون، توفيّ سنة820ه/204م ، سمع المُوطأ من الإمام مالك ، حيث يعرف سماعه بسماع زياد ، فقيه أهل الأندلس على مذهب مالك، أوّل من أدخل المذهب المالكي إلى الأندلس ، وكانوا قبل ذلك على مذهب الأوزاعي . انظر ، الضّبي : **مصدر سابق** ، ج1 ، ص372 ؛ المقرّي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص45 ؛ محمد بن مخلوف : **نفس المصدر** ، ج1 ، ص94

(2) الضّبي : **نفس المصدر** ،ج1 ، ص372 ؛ المقرّي : **نفس المصدر** ، ج2 ، ص45 ،46 ؛ محمد بن مخلوف: **نفس المصدر** ، ج1 ، ص635 ،636 ؛ السّيد عبد العزيز سالم : **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس** ، دار النّهضة العربيّة بيروت1401ه/ 1981م ،ص218 -219 .

(3) ابن خلدون : **المقدّمة** ، ص805 ،806 .لقد توسّع ابن خلدون في الشّرح حول إنتشار مذهب الإمام مالك في المغرب والأندلس للتّوسع انظر ، ابن خلدون : **المقدمة**، ص 806 وما بعدها .

(4)العرّيني : **مرجع سابق** ، ص273 ؛ حسن علي حسن : **مرجع سابق** ، 464 ،465 .

(5) رغم إنتشار وسيطرة المذهب المالكي في المغرب والأندلس إلاّ أنّ ذلك لم يمنع من ظهور مذاهب أخرى ،كالمذهب الشّافعي والمذهب الظّاهري. انظر ، بالنثيا جانثالث : **مرجع سابق** ، ص414 وما بعدها.

(6) أصبح للفقهاء المالكيّة مكانة خاصة عند أمراء الدّولة المرابطيّة ، فلا يقطعون أمرا حتّى يستشيروهم ، حيث يقول المراكشي :" فبلغ الفقهاء في أيامه – يقصد علي بن يوسف بن تاشفين – مبلغا عظيما، لم يبلغوا مثله في الصّدر الأوّل من فتح الأندلس" . انظر ، المراكشي : **مصدر سابق** ، ص235 .

(7) عادل عبد العزيز : **مرجع سابق** ، ص92 ؛ محمد محمود عبد الله بن بيه : **الأثر السّياسي للعلماء في عصر المرابطين** ، أطروحة مقدمة لنّيل درجة دكتوراه ، كليّة الشّريعة ، قسم الدّراسات العليا في التّاريخ والحضارة ، جامعة أمّ القرى ، المملكة العربيّة السّعوديّة 1418ه/1997م (غير مطبوعة)، ص80 ؛ حسين مؤنس : **نصوص سياسيّة عن فترة الإنتقال من المرابطين إلى الموحدين** ، مجلّة المهد المصري للدّراسات الإسلاميّة في مدريد ، ع3 ، سنة 1374ه/1955م ، ص112 ، 113 .

(8) محمد عبد الله بن بيه : **مرجع سابق** ، ص80 .

المراكشي في المُعجب: "و لم يكن يقْرُب من أمير المسلمين ويحظى عنده، إلاّ من عَلِمَ عِلْم الفروع، أعني فروع مذهب مالك ، فنفقت في ذلك الزّمان كتب المذهب وعمل بمقتضاها ونُبذ ما سواها" [1] .

ورغم محاولات خلفاء الدّولة الموحديّة العديدة لمحاصرة فقهاء المالكيّة والقضاء على الفقه المالكي[2]، إلاّ أنّه إستمرّ في الإنتشار ، و بدأت هذه المضايقات منذ أيام الخليفة الموّحدي عبد المؤمن بن علي[3] وإبنه يوسف أبي يعقوب[4] ،إلاّ أنّهما لم يُنَفذا هذه الرّغبة [5] ونفذّ رغبتهما يعقوب المنصور الّذي أمر بإحراق كتب الفروع للمذهب المالكي وهذا بعد أن تجرّد من الآيّات والأحاديث ، ودعى النّاس لأخذ الأحكام مباشرة من القرآن والسّنّة النّبويّة [6]. ومن الكتب الفقهية المالكيّة الّتي تعرّضت للحرْق، كتاب الواضحة لإبن حبيب[7]ت258ه/852م وكتاب المُدّونة لسحنون[8] ت240ه/854م ،

(1) المراكشي : **مصدر سابق** ، ص236 .

(2) إبراهيم حركات : **مرجع سابق** ، ص374 .

(3) ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص195 ؛ السّلاوي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص112 .

(4) المراكشي : **نفس المصدر** ، ص355 ،356 .

(5) لم يُنفذ عبد المؤمن وابنه يوسف رغبتهما في القضاء على مذهب مالك في المغرب والأندلس، لتأصيل المذهب وتجذُره في نفوس المغاربة والأندلسيّين ، وخوفا من ردّ فعل الفقهاء والعلماء و الشّعب القوي الّذي قد يقضي على أركان الدّولة ، وعندما أصبحت الدّولة قوية منتشرة متمكنة، نفذّ يعقوب المنصور رغبة أبيه وجدّه ، وأشرف على ذلك بنفسه،كما يروي ذلك المراكشي. انظر ، المراكشي: **نفس المصدر**، ص354- 355 .

(6)المراكشي: **مصدر سابق** ، ص354 -355 .

(7) أبو مروان بن عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن جاهمة بن الصّحابي عباس بن مرداس الأندلسي القرطبي المالكي، له عدّة تصانيف منها " طبقات الفقهاء والتّابعين " و "تفسير مُوطا مالك " و " الواضحة في السّنن و الفقه " ، توفيّ سنة 238ه/853م . انظر ، ابن الفرضي عبد الله بن محمد : **تاريخ العلماء والرّواة للعلم بالأندلس** ، تحقيق ، عزّ العطّار الحسيني ، ط2 ، مطبعة المدني القاهرة 1408ه /1988م ، ج1 ، ص312 -313 ؛ الضّبي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص490 -491 ؛ الشّيرازي أبو إسحاق : **طبقات الفقهاء** ، تحقيق ، إحسان عبّاس ، دار الرّائد العربي بيروت (د .ت) ، ص162 ؛ ابن فرحون : **مصدر سابق** ، ص252 وما بعدها .

(8) سحنون، أبو سعيد عبد السّلام بن حبيب بن حسّان التّنوخي الحمصي الأصل القيرواني المالكي، قاضي القيروان، يُلقب بسحنون ، إنتهت إليه رئاسة العلم في المغرب، وُصف بالورع والدّيانة، قدم إلى القيروان سنة 191ه/807م، فأظهر بها علم أهل المدينة ، صاحب " المُدونَة "، توفيّ سنة 240ه/854م . انظر ، عبد الله بن محمد المالكي : **رياض النّفوس في طبقات علماء القيروان وإفرقيّة** ، تحقيق ، بشير البكوش =،

وكتاب النّوادر ومُختصره لأبي زيد[1]ت386ه/996م وكتاب التّهذيب للبراذعي [2]ت438ه/1047م ، حتّى إنقطع علم الفروع وخاف النّاس وبعض الفقهاء من وعيد الخليفة الّذي توَعّد بمعاقبة من يتكلّم ويفتي بالفروع [3]، ويعلّق المراكشي على موقف المنصور بقوله : " وكان قصده في الجملة محْو مذهب مالك وإزالته من المغرب مرّة واحدة وحمْل النّاس على الظّاهر من القرآن والحديث وهذا المَقصد بعينه كان مقْصِد أبيه وجدّه، إلاّ أنّهما لم يُظهراه وأظهره يعقوب هذا" [4] .

وكأيّ دعوة مستندة إلى قوّة سياسية، فقد لقيّت التّأييد من بعض العلماء، إمّا خوفا أو قناعة [5] وانصبّت جهود الدّولة الموحديّة لإيجاد مذهب مغاير للمذهب المالكي لجعله مذهبا الدّولة، كما كان الأمر

=ط2 ، دار الغرب الإسلامي بيروت 1414ه/1994م ، ج1 ، ص345 وما بعدها ؛ أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم : **كتاب طبقات علماء إفريقيّة** ، دار الكتاب اللبناني بيروت (د .ت) ص101 ومابعدها ؛ القاضي عياض بن موسى : **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك** ، تحقيق ، عبد القادر الصّحراوي ، ط2 ، مطبعة الفضالة المحمديّة المغرب 1403ه/1983م ، ج4 ، ص45 ومابعدها ؛ عبد الرحمن بن محمد الدّباغ : **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان** ، تحقيق، محمد الأحمدي عبد النّور ومحمد ماضور، مكتبة الخانجي مصر، 1388ه/ 1968م ، ج2 ، ص77 ومابعدها.

(1) عبد الله بن أبي زيد عبد الرّحمن النّفزي القيرواني، إمام المالكيّة في وقته ، واسع العلم ،كثير الحفظ والرّواية، ذابًّا على مذهب مالك ، يقال له مالك الصّغير ، لخصّ المذهب وملأ البلاد من تآليفه ، منها " النّوادر والزّيادات على المدونة " في نحو مائة جزء ، و"مختصر المدونة " و كتاب" الرّسالة" الّتي تنافس في اقتنائها النّاس وتُرجمت إلى عدّة لغات ولها شروح كثيرة، توفيّ سنة 386ه/996م . انظر ، الشّيرازي : **نفس المصدر** ، ص160؛ القاضي عياض: **ترتيب المدارك** ، ج6 ، ص 215 وما بعدها ؛ الدّباغ : **نفس المصدر** ، ج3 ، ص109 وما بعدها ؛ ابن فرحون: **مصدر سابق** ، ص222 – 223 ؛ الذّهبي: **سيّر أعلام النّبلاء**، ج17، ص10؛ محمد بن مخلوف: **مرجع سابق** ،ج1، ص143- 144

(2) البراذعي، خلف بن أبي القاسم محمد الأزدي القيرواني الشّهير بالبراذعي، من كبار حُفاظ المذهب المالكي والمؤلّفين فيه ، له كتاب " التّهذيب في إختصار المدونة "، أي مدونة سحنون عليه، عوّل أهل المغرب والأندلس في دراسة فقه مالك وله أيضا " إختصار الواضحة " و " تمهيد مسائل

المدونة "، توفيّ سنة 438ه/1047م . انظر ، القاضي عياض : **ترتيب المدارك** ، ج7 ، ص257 ؛ الدّباغ : **نفس المصدر** ، ج3 ، ص146 وما بعده ؛ الذّهبي : **سيّر أعلام النّبلاء** ، ج17 ، ص523 ؛ ابن فرحون : **نفس المصدر** ، ص182 -183 .

(3) المراكشي : **نفس المصدر** ، ص355 ،356 ؛ إبراهيم حركات : **مرجع سابق** ، ص319 .

(4) المراكشي : **مصدر سابق** ، ص355 .

(5) العرّيني : **مرجع سابق** ، ص274 .

بالنسبة لباقي الدّول، خاصّة الدّولة المرابطيّة [1]، ويُرجح بعض المؤرخين[2]ميْل الموحدين إلى المذهب الظّاهري رغم أنّهم لم يُصَرحوا بذلك [3]، ويظهر ذلك فيما صرّح به صاحب المُعجب، أنّ مذهب المهدي إبن تومرت وملوك الموحدين على العموم هو مذهب إبن حزم الظّاهري [4] ت 456ه/1064م ، إلاّ أنّ ذلك لم يكن مُقنعا حسب بعض المؤرخين الّذين إعتبروا أنّ المنهج الّذي سار عليه خلفاء الدّولة الموحديّة بما فيهم مؤسّس الدّولة إبن تومرت ، إنّما كان ثورة على على ماكان، يسود أنذاك [5]من إهتمام النّاس بالفروع الفقهيّة على مذهب الإمّام مالك ، وترْك الأصول وهي الكتاب والسّنّة ، كما أنّ خلفاء الدّولة أو حتّى علمائها لم تذكر المصادر أنّهم يُقدِّسون، أو يذكرون حتّى إبن حزم الظّاهري ، أو غيره من الظّاهريّة في جلساتهم ونقاشاتهم وحتّى كتبهم[6]؛ بل نجد الموحدين قاموا ضدّ الركود [7] الّذي أصاب التّشريع

---

(1) للتّوسع أكثر انظر ، بولطيف لخضرمحمد : **فقهاء المالكيّة والتّجربة السّياسيّة الموحديّة في الغرب الإسلامي** ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي (د.ت)؛ حسن علي حسن : **مرجع سابق** ، ص464 ،465 ؛ حسن مؤنس : **نصوص سياسيّة** ، ص112 ، 113.

(2)من بين المؤرخين الّذين ذهبوا هذا المذهب المراكشي. انظر: المراكشي: **المعجب**، ص355 ؛ أبو زيد عبد الرحمن: **بيوتات فاس الكبرى** ، طبعة دار المنصور للطّباعة الورقيّة الرّباط 1392 ه/ 1972م، ص19 ؛ محمد المنّوني: **حضارة الموحدين**، ص38،37 ، عبد الله عنّان: **عصر المرابطين والموحدين**، ج2، ص240 .

(3) المراكشي : **نفس المصدر** ، ص355 ؛ إبراهيم حركات : **مرجع سابق** ، ص318 ؛ محمد المنّوني : **حضارة الموحدين** ، ص37 ، 38.

(4) المراكشي : **نفس المصدر** ، ص355 – 389 ؛ أبو زيد عبد الرّحمن: **بيوتات فاس**، ص19 ؛ أبو عبد الله محمد أحمد عليش : **فتح العلّي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك** ، دار المعرفة للطّباعة والنّشر بيروت (د. ت) ، ج1، ص102 ،103؛ محمد المنّوني : **حضارة الموحدين** ، ص37 .

(5) بوزورث كليفورد : **الأسرات الحاكمة في التّاريخ الإسلامي** ، ترجمة ، سليمان إبراهيم العسكري ، ط2 ، مؤسّسة الشّراع العربي الكويت 1445ه/1995 م، ص56 .

(6) لقد تناول عبد المجيد النّجار هذه القضيّة بالتّفصيل. انظر ، عبد المجيد النّجار: **المهدي ابن تومرت**، ص487 وما بعدها ؛ عبد المجيد النّجار: **تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت**، ط2 ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي فرجينيا 1415ه/1995م ، ص94 وما بعدها؛ ومن المؤيدين لنّفي ظاهرية الدّولة الموحديّة. انظر، عبد الله علاّم: **الدّولة الموحديّة** ، ط1 ، دار المعارف القاهرة 1971 ، ص312 ؛ العرّيني: **مرجع سابق** ، ص280 .

(7) حسن علي حسن : **نفس المرجع** ، ص338 ،339 .

الإسلامي في المغرب والأندلس وأصبح الفقهاء يجترون أقوال الفقهاء السّابقين من علماء المذهب وكأنّها نصوص يُستدّل بها على الأحكام دون إقامة دليل من الكتاب والسّنّة [1].

وقد إختلف الدّراسات في مصير فقهاء المالكيّة وحتّى المذهب المالكي في حدّ ذاته بالمغرب والأندلس في عهد الموحدين ، فهناك من ذهب إلى أنّ الموحدين قاموا بطرد الفقهاء والتّضيّيق عليهم ومنْعهم من التّدخل في الشّؤون العامّة[2]، وقد يكون هذا الحكم متشدّدا نوعا ما، وهناك من له وجهة نظر أقلّ تشدّدا وأكثر إعتدالا[3]، حيث يرى أنّ مكانة الفقهاء المالكيّة تراجعت في عهد الموحدين [4] ، إذ عمد منذ البداية محمد بن تومرت إلى توزيع السّلطات والمسؤوليّات على هيئة الطّبقات الّتي شكلّها[5]، وبذلك لم يدعْ فرصة للعلماء والفقهاء أو غيرهم من الإنفراد بالدّعوة أو السّيطرة عليها[6]، إلاّ أنّ ذلك الموقف الموّحدي من فقهاء المالكيّة والفقه المالكي، لم يمنع العلماء والفقهاء من التّمتع بمكانة هامّة في ظلّ حكم الدّولة الموحديّة[7]، إذ سجّل فقهاء المالكيّة حضورهم مُبكّرا عند خلفاء الدّولة الموحديّة[8]في مجالسهم ضمن من

---

(1) العريبي : **نفس المرجع** ، ص280 ؛ عبد الهادي أحمد الحسيسني : **مرجع سابق** ج1 ، ص137 ، ص 140 .

(2) المراكشي : **مصدر سابق** ، ص354 ؛ إبراهيم حركات : **مرجع سابق** ، ص319 ؛ الأوسي حكمة علي : **الأدب الأندلسي في عصر الموحدين** ، مكتبة الخانجي القاهرة 1976م ، ص35 .

(3) ابن خلّكان : **مصدر سابق** ، ج7 ،ص 11 ؛ الثّعالبي محمد بن الحسن الحجوي : **الفكر السّامي في تاريخ الفقه الإسلامي** ، إعتنى به ، أيمن صالح شعبان ، ط1، دار الكتب العلميّة بيروت 1416ه/1995م ، ق2 ، ج4، ص198 ؛ بولطيف: **مرجع سابق** ، ص185؛ العريبي: **مرجع سابق** ، ص274 ؛ عبد المجيد النّجار : **المهدي ابن تومرت** ، ص487 وما بعدها ؛ عبد الله علاّم : **الدّعوة الموحديّة** ، ص304 .

(4) بولطيف : **نفس المرجع** ، ص185 .

(5) عمد ابن تومرت إلى تنظيم أتباعه وتفسيمهم إلى طبقات ، كلّ طبقة لها مهمّتها، لا تتعدّاها وهم ، أهل العشرة ، وأهل الخمسين ، وأهل السّبعين ، وطبقة الطّلبة وهم أهل العلم ، ثمّ طبقة الحُفّاظ ، وهم صغار الطّلبة ، ثمّ أهل الدّار . انظر ، ابن القطّان : **مصدر سابق** ، ص128 ؛ المراكشي : **نفس المصدر** ، ص255 ؛ مجهول : **الحلل الموشية** ، ص108 ،109 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص176 ،177

(6) حسن علي حسن : **نفس المرجع** ، ص339 .

(7)حسن علي حسن : **نفس المرجع** ، ص339 .

(8) بولطيف : **مرجع سابق** ، ص187 ؛ يونس بحري : **الفقه المالكي في عصر الموحدين دراسة تاريخيّة وإجتماعيّة** ، مذكرة لنّيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلاميّة (غير منشورة)، تحت إشراف ، صالح بن قربة ، قسم اللّغة والحضارة ، كليّة العلوم الإسلاميّة جامعة الجزائر 1، 1433ه/2012م ، ص 54 .

كان يحضر مجالس العلم الملازمين له [1]، وكان منهم الفقيه أحمد بن عبد الرّحمن بن الصّقر ت569ه/1173م ، الّذي بالغ الخليفة عبد المؤمن في الإحسان إليه والتّحفي به ، ثمّ ولاّه قضاء غرناطة وإشبيليّة، ثمّ تولّى خطّة الخزانة العالية، الّتي لايتولاّها إلاّ كبار العلماء[2] .

كذا الفقيه أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن ميمون[3] ت567ه/1172م ، نزيل مراكش الّذي كان يحضر مجالس عبد المؤمن العلميّة مع جملة من العلماء ، ويُبدي ما عنده من المعارف [4]، والفقيه عيسى بن عمران أبو موسى التّلمساني[5] ت578ه/1182م ، الّذي لقيّ إحتراما وإهتماما من قِبل الخليفة الموّحدي أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن[6]، حيث ولاّه قضاء إشبيليّة، ثمّ عُيّن في مراكش قاضي الجماعة ، فكان معروفا بالعدالة والنّزاهة [7]، ومن الفقهاء المالكيّة الّذين قرّبهم خلفاء الدّولة الموحديّة أبا بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن الجدّ ت586ه/1190م، والّذي يعتبر من كبار فقاء المالكيّة في عصره[8]، إذ كان الخليفة الموّحدي يوسف يُكرّمه ويُؤْثره على غيره ويُقرّبه كثيرا ويَعْرف حقّه عندما كان أميرا في إشبيليّة ، ولمّا أصبح خليفة في مراكش إستدعاه إليها، حيث يقول عنه إبن عبد الملك في الذّيل والتّكملة :"فحظيّ عنده

---

(1) يونس بحري : **نفس المرجع** ، ص 56 وما بعدها .

(2) ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س1 ، ق1 ، ص228 .

(3)محمد بن عبد الله بن ميمون العبدري ، كان عالما بالقراءات، ذاكرا للتّفسير، حافظا للفقه ، أخذ العلم عن عدّة علماء عصره كابن العربي ، له عدّة مؤلّفات منها " مشاحذ الأفكار في مآخذ النُظّار "و "شرحيه الكبير والصّغير على جمُل الزّجّاج "، توفيّ بمراكش سنة 567ه/1172م. انظر، ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص49 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص319 وما بعدها ؛ ابن فرحون : **مصدر سابق** ، ص394؛ الدّاودي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص176 .

(4)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص320 ؛ الدّاودي : **نفس المصدر** ، ج2 ، ص177 .

(5) عيسى بن عمران بن دافال أبو موسى التّلمساني ، من أهل مكناسة، سكن مراكش ، أخذ العلم عن عدّة علماء ، وكان فقيها جليلا حافظا، قائما على الفقه وأصوله، راسخ القدم في فنون العلم، أصبح قاضي الجماعة في مراكش ، توفيّ سنة578ه/1182م . انظر، ابن الأبار: **التّكملة** ، ج4 ، ص17 ؛ المراكشي : **مصدر سابق** ، ص318 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س8 ، ق1 ، ص256 ؛ ابن الزّبير : **مصدر سابق** ، ص230 .

(6) المراكشي : **مصدر سابق** ، ص318 .

(7)ابن الأبار: **التّكملة** ، ج4 ، ص17 ؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س8 ، ق1 ، ص256 ؛ ابن الزّبير : **مصدر سابق** ، ص230 .

(8)ابن الأبار: **التّكملة** ، ج2 ، ص65 .

وعظُم جاهه وأثْرى وإتّسعت أحواله ، وكان يصغي إلى حديثه ويستحسن كلامه ويستطرف ما يأتي به في جميع ما يشفع فيه من أمور أهل بلده القول وسواهم" [1] ، ثمّ أصبحت له مكانة أكبر في عهد الخليفة يعقوب المنصور جليل المكانة، كبير القدر، مسموع، مقبول الشّفاعة إلى أن توفيّ"[2] .

ومنهم الفقيه أبي العبّاس أحمد بن عتيق بن الحسن البّلنسي[3] ت601ه/1205م ، الّذي استدعاه المنصور إلى مراكش فحظيّ عنده وجلّت منزلته ونال عنده وعند إبنه النّاصر بعده جاهًا عريضا، فكان من أهمّ العلماء الّذين يحضرون مجلسهما العلمي [4] ، ولّما كان ثاقب الذّهن مُتَوَقد الخاطر، غوّاصًا على دقائق المعاني بارع الإستنباط [5] ، عيّنه المنصور للشّورى والفتوى [6]ونال بخدمة المنصور وإبنه دنيا عريضة وترّأس نُظَرائه الطّلبة [7].

وكذلك الفقيه المالكي أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميري ت628ه/1231م، من أهل فاس، يُعرف بابن القطّان [8]، الّذي كان مُعظّما عند الخاصّة والعامّة، من آل دولة بنّي عبد المؤمن[9] كما كان مُقرّبا عند خلفاء الدّولة الموحديّة، من المنصور إلى ابنه النّاصر، ثمّ المستنصر،ثمّ عبد

(1)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س 6 ، ص325 .

(2) **نفسه** .

(3)ابن الأبار: **التّكملة** ، ج1 ، ص85 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س1 ، ق1 ، ص279 .

(4)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س1 ، ق1 ، ص280.

(5)ابن الأبار: **التّكملة** ، ج1 ، ص85 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س1 ، ق1 ، ص280 ؛ ابن فرحون : **مصدر سابق** ، ص120 .

(6) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س1 ، ق1 ، ص280.

(7) ابن الأبار: **التّكملة** ، ج1 ، ص85 .

(8) ابن الأبار: **التّكملة** ، ج3 ، ص250 ؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س8 ، ق1 ، ص165 .

(9) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س8 ، ق1 ، ص169 .

الواحد، ثمّ أبي زكرياء المعتصم[1] وكان الموحدون يعودون إليه في الفتوى وأصبح رئيس الطّلبة، مصروفة إليه الخِطط النّبيهة[2]

هذه بعض الأمثلة الّتي سُقناها في هذا المقام لبعض الفقهاء المالكيّة الّذين قرّبهم وإعتنى بهم خلفاء الدّولة الموحديّة ، ومن خلال تواجد الفقهاء المالكيّة في القصور ومختلف الوظائف الحكوميّة، تمكّنوا لاشكّ من توظيف المذهب المالكي بطريقة أو أخرى، مثل القضاء والفرائض والتّوثيق والفتوى والصّلاة الخ ، وبذلك حافظوا على المذهب من الإندثار ؛ بل أكثر من ذلك، فقد واصل فقهاء المالكيّة التّأليف رغم التّضيّيق والتّشديد عليهم، منها الشّروح والحواشي والتّعليقات والإختصار والرّدود على بعض العلماء والفقهاء أو التّأليف الجديد [3]، ومن هؤلاء الفقهاء :

أ) –الفقيه المالكي، محمد بن جعفر بن أحمد القيسّي، المعروف بابن الرّمامة [4]ت567ه/1172مــ أصله من قلعة بنّي حمّاد، سكن مدينة فاس، وإستقضي بها زمن المرابطين، ثمّ تفرّغ منذ سنة 535ه/1141مــ لتدريس الفقه المالكي بفاس[5] ولقد أخذ عنه الكثير من المغاربة والأندلسيّين، من مصّنفاته:"التّبيّين في شرح التّلقين"للقاضي عبد الوهاب[6]ت 422هــ/1050م في الفقه المالكي، وكتاب

(1) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س8 ، ق1 ، ص169 .

(2) **نفسه** .

(3) يونس بحري : **مرجع سابق** ، ص56 .

(4)ابن الأبار: **التّكملة** ، ج2 ، ص158 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س8 ، ق1 ، ص325 ؛ ابن الزّبير : **مصدر سابق** ، ص8،7 .

(5)ابن الأبار: **التّكملة** ، ج2 ، ص158 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س8 ، ق1 ، ص325.

(6) عبد الوهاب بن علي بن نصر التّغلبي شيخ المالكيّة، صاحب التّصانيف الكثيرة في الفقه المالكي، عاش في العراق، ثمّ رحل إلى مصر ، ووليّ بها قضاء المالكيّة إلى أن توفيّ بها سنة 422ه/1031م، من مؤلّفاته " الأدّلة في مسائل الخلاف " و "شرح رسالة ابن أبي زيد " وشرح المُدونة والتّلقين وغيرها من المؤلّفات . انظر ، ابن فرحون : **مصدر سابق** ، ص261 ؛ محمد بن مخلوف : **مرجع سابق** ، ج1 ، ص154 ،155 .

"التّفصي في فوائد التّقصّي" لإبن عبد البرّ القرطبي[1] ت 463هـــ/1072م في الفقه المالكي أيضا، كما له كتابا في المذهب المالكي أطلق عليه اسم "تسهيل المَطْلب في تحصيل المذهب" [2] .

ب) – ومن أحواز مدينة "سبتة" نجد الفقيه علي بن عبد الله المتيوي ت669هـــ/1271م، كان حافظ المغرب لمذهب مالك في وقته، حيث تذكر المصادر عنه أنّه عرض "المُدونة" في يوم واحد، كما شرح كتاب "الرّسالة" لإبن أبي زيد القيرواني شرحا، نقل فيه أقوال الأئمّة المشهورين الّذين تدور عليهم الفتوى في المذهب المالكي دون التّعرض لألفاظها [3] .

جـــ) – الفقيه الحافظ المتمكّن، عبد الله بن محمد بن عيسى التّادلي الفاسي [4] ت623هـــ/1226م الّذي يذكر المترجمون له أنّ "المُدونة" كُتبت من حِفظه بعد أن أحرقها الموّحدون [5] ، إذ كما هو معلوم أنّ الحفظ والإستظهار كان الإعتماد عليهما في ذلك العهد؛ لذلك لم يصعب على الفقهاء أن يكتبوا من جديد أمّهات كتب المالكيّة الّتي تعرضّت للحرْق باللّفظ .

---

(1) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البرّ القرطبي المالكي ، من كبار حُفاظ الحديث، فقيه، عالم بالخلاف في الفقه وعلوم الحديث ، تنقلّ كثيار في الأندلس ، تولىّ قضاء لشبونة وشنترين ، يقال له: "حافظ المغرب"، له عدّة مؤلّفات منها "الإنتقاء في فضائل الثّلاثة الفقهاء " و " التّمهيد لما في المُوطأ من المعاني والأسانيد " و "الإنصاف فيما بين العلماء من الإختلاف "، توفيّ سنة 463ه/1071م. انظر ، الضّبي : **مصدر سابق** : ج2 ، ص659 ، 660 ؛ ابن فرحون : **نفس المصدر** ، ص440 وما بعدها ؛ الذّهبي : **سيّر أعلام النّبلاء** ، ج18 ، ص153 وما بعدها ؛ الكتّاني : **مصدر سابق** ، ج3 ، ص842 .

(2)ابن الأبار: **التّكملة** ، ج2 ، ص188 ؛ ابن عبد الملك : مصدر سابق، س8 ، ق1 ، ص326 ؛ ابن الزّبير : **مصدر سابق** ، ص8 .

(3)التّنبكتي : **نيل الإبتهاج** ، ص 323 ؛ التّنبكتي : **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الدّيباج** ، تحقيق ، محمد مطيع ، ط1 ، مطبعة فضالة المحمديّة المغرب 1421ه/2000م ج1 ، ص 343،344 .

(4)ابن الأبار: **التّكملة** ، ج2 ، ص306 ؛ ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص112؛ أحمد المكناسي : **مصدر سابق** ، ص421 .

(5)التّنبكتي : **نيل الإبتهاج** ، ص 214 ؛ التّنبكتي : **كفاية المحتاج** ، ج1 ، ص236.

د-) – كما أنّ الفقيه علي بن سعيد الرّجراجي[1] نزيل "جزولة" بجبل الكست والّذي كان حيا سنة 663هـــ/1265م، ألّف كتابا مشهورا عن "المُدونة" سمّاه"مناهج التّحصيل ونتائج التّأويل على كشف أسرار المُدونة"[2].

هـــ) – كما نبغ فقهاء مغاربة مالكية، دَوّنوا أو شرحوا المُدونة الكبرى للإمام سحنون التّنوخي منهم: الفقيه الصالح الصّوفي أبي محمد يسكر بن موسى الجراوي الفاسي [3]ت598هـــ/1202م، إمّام مسجد القرويّين بمدينة فاس، كان عالما ضليعا في الفقه المالكي [4] له "حواشي على المُدونة " [5].

ومن أبرز هؤلاء الفقهاء المالكيّة في الأندلس الّذين برزوا على السّاحة وكانت لهم مصنّفات فقهيّة مالكيّة:

أ) – الفقيه عبد الله بن أيوب الأنصاري بن خيروج ت562هـــ/1167م، فقيها حافظا، له مصنّف، مفيد أتقنه، سمّاه "المَنوطة على مذهب مالك" في ثمانية مجلّدات [6].

ب)– والفقيه المبرز عاشر بن محمد عاشر بن خلف الأنصاري [7] ت567هـــ/1172م، كان فقيها بصيرا بالفتوى، حافظا للمسائل، رأس المُفتين [8]أنذاك كما يوصف، فقد سكن مدينة "شاطبة" بعد سنة 539هـــ/1145م ودرس بها الفقه المالكي، وكان أحفظ أهل زمانه للمسائل، وأسمع للحديث النّبوي

---

(1) علي بن سعيد الرّجراجي، يُعرف بابن تامسريت ، الفقيه الحافظ ، كان ماهرا في العربية والأصلين، لقيّ بالمشرق عدّة علماء ، لخصّ في شرح المدّونة تأويلات الأئمّة وإعتمد على كلام ابن رشد وعياض،كان حيّا سنة 663ه/1265م . انظر ، التّنبكتي: **كفاية المحتاج** ، ج1 ، ص336.

(2)التّنبكتي : **نيل الإبتهاج** ، ص 316 ؛ التّنبكتي : **كفاية المحتاج** ، ج1 ،ص336.

(3)التّادلي : **مصدر سابق** ، ص337 ؛ أحمد المكناسي : **مصدر سابق** ، ص 562 ؛ علي الجزنائي : **مصدر سابق** ، ص56 وما بعدها .

(4) أحمد المكناسي : **نفس المصدر** ، ص 562 ؛ علي الجزنائي : **نفس المصدر** ، ص56 وما بعدها .

(5) ابن قنفد أحمد القسنطيني : **الوفيات** ، تحقيق ، عادل نويهض ، ط4 ، دار الآفاق الجديدة بيروت1403ه/ 1983م ، ص300 .

(6) ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س4 ، ص184 ؛ ابن الزّبير : **مصدر سابق** ، ص79 .

(7) ابن الأبار: **التّكملة** ، ج4 ، ص44 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5 ، ق1 ،ص99 ؛ ابن الزّبير : **مصدر سابق** ، ص329 .

(8)ابن الأبار: **التّكملة** ، ج4 ، ص45 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5، ق1 ، ص100 .

الشّريف[1]، شرح المُدونة مسألة مسألة بشرح كبير، أَنْجز منه مائة جزء في كتاب سمّاه: "الجامع البّسيط وبُغية الطّالب النّشيط"، بلغ منه إلى كتاب الشّهادات، ووافته المنيّة قبل إكماله [2] .

جــ) – وممّن ألّف في الفقه المالكي في العصر الموّحدي غير مكترث بالدّعوة الموحديّة لترك فقه الفروع، الفقيه الحافظ سليمان بن عبد الواحد بن عيسى الهمداني الغرناطي [3]ت599ه/1203مـــ ، صنّف كتابا، سمّاه: "المسائل المجموعة على كتاب التّهذيب للبّرادعي" في تسعة أسفار [4] .

د)– الفقيه محمد بن عبد الملك، المعروف بابن أبي جمرة [5]ت599ه/1203م، نشأ بمدينة "مرسية" ودرس فقه مالك على أقطاب عصره، وكان بارعا بصيرا بمذهب مالك ، عاكفا على تدريسه [6]، تولّى قضاء مدن أندلسيّة منها "مرسيّة" و"بلنسيّة" و"شاطبة" و"أريولة"، ألّف كتابا في المذهب المالكي، أطلق عليه إسم "نتائج الأبكار ومناهج النّظّار في معاني الآثار"، ألّفه بعد الثّمانين وخمسمائة، تذكر المصادر أنّه كان من بين كتب المالكيّة الّتي أحرقها المنصور الموّحدي [7] ، وكتاب " إقليد التّقليد المؤدي إلى النّظر السّديد " [8] .

ورغم محاولات الموحدين إلزام النّاس على ترْك كُتب فروع المذهب المالكي وإتّباع المذهب الموّحدي في الفقه، إلاَّ أنّ ذلك لم يُمكّنهم من محو مذهب الإمّام مالك، إمام دار الهجرة من نفوس المغاربة

---

(1) ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س5، ق1 ، ص100 .

(2) ابن الأبار: **التّكملة** ، ج4 ، ص45 ؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س5 ، ق1 ،ص101 ؛ ابن الزّبير : **مصدر سابق** ، ص329 .

(3) ابن الأبار: **التّكملة** ، ج4 ، ص97 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س4 ،ص75 ؛ ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص375.

(4)ابن الأبار: **التّكملة** ، ج4 ، ص97 .

(5) ابن الأبار: **التّكملة** ، ج2 ، ص79 ، ص81 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ،ص5 ؛ ابن الجزري : **غاية النّهاية** ، ج2 ، ص63.

(6) ابن الأبار: **التّكملة** ، ج2 ، ص80 ،81 ؛ الذّهبي : **سيّر أعلام النّبلاء** ، ج21 ، ص399 .

(7) ابن الأبار: **التّكملة** ، ج2 ، ص 81 .

(8) **نفسه** ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص5 .

والأندلسيّين وهذ لتأصله في نفوسهم وحبّهم له، ممّا جعل العديد من علماء المذهب المالكي، يستمرون في تدريسه والمحافظة عليه رغم ماتعرّض له بعضهم من مضايقات ومِحن [1] ، أمثال ، محمد بن علي بن خلف التّجيبي الإشبيلي بعد إمتحان المنصور الموّحدي له سنة 596ه/1199 على إثر وشاية، بلغت المنصور عنه حينما أمر بترْك التّقليد والعمل بالحديث [2]، وكذلك أبي الحسن بن زرقون ت 621ه/1224م ،محمد بن محمد بن سعيد الأنصاري الإشبيلي[3] الّذي تعرّض للسّجن أيّام يعقوب بسبتة؛ بسبب تدريسه للفروع [4]، وأبو محمد عبد الكبير بن محمد بن عيسى الغافقي [5]ت617ه/1220م

الّذي إمْتُحن هو الآخر مع صاحبيه بن زرقون ومحمد التّجيبي، إلاَّ أنّه توارى عن الأنظار عندما سُجن صاحبيه [6] .

وممّن استمّر في تدريس الفقه المالكي أبي محمد عبد الله بن محمد الجُذامي الشّلطيشي [7] ت624ه/م الّذي يقول عنه الرّعيني : "مُحَصِلا للمذهب المالكي تحصيل حفظ وإتقان ، مُجَوِدًا لتوجيه أقوال أصحابه مستقلا بترجيح مايجري على أصوله" [8] ، أخذ عنه الرّعيني ولازمه مدّة [9].

---

(1) ليلى أحمد نجار : **المغرب والأندلس في عهد المنصور الموّحدي (دراسة تاريخيّة وحضاريّة)**، بحث مقدّم لنّيل درجة الدّكتوراه في التّاريخ الإسلامي ، تحت إشراف، أحمد السّيد درّاج ، قسم الدّراسات العليا التّاريخيّة والحضاريّة ، كليّة الشّريعة والدّراسات الإسلاميّة ، جامعة أمّ القرى مكّة المكرّمة السّعوديّة (غير منشورة) 1409ه/1989م ، ج2، ص473 .

(2) ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س6 ، ص444 ؛ الذّهبي : **المستلمح من كتاب التّكملة** ، تحقيق ، بشار عوّاد معروف ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي تونس1429ه/2008 م، ص88 ؛ المقرّي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص57، 58 .

(3) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص123 .

(4)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص124 ؛ الذّهبي ، **سيّر أعلام النّبلاء** ، ج22 ، ص311 .؛ الذّهبي : **المستلمح** ، ص88.

(5) الرّعيني : **مصدر سابق** ، ص37 .

(6) **نفس المصدر** : 38 .

(7) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص290 ؛ الرّعيني : **نفس المصدر** ، ص41 .

(8)الرّعيني : **نفس المصدر** ، ص41 .

(9) **نفسه** .

كما قام بعضهم بالرّد على إبن حزم الظّاهري، مثل إبن زرقون في كتابه " المُعَلّى في الرّد على المُحَلّى" لإبن حزم[1]، وأيضا عبد الحقّ بن عبد الله الأنصاري المهدوي ت631ه/1234م، تقلّد القضاء في غرناطة، ثمّ مراكش، ثمّ إشبيليّة، قال عنه إبن الأبار:" فقيها على مذهب مالك، حافظًا، نظّارًا، ذاكرا للخلاف، مشاركا في أصول الفقه ... له كتاب في الرّد على إبن حزم، دلّ على حفظه وعلمه" [2].

كما نلاحظ أنّ أسلوب الموحدين خاصّة منهم، المنصور ومنهجه العنيف في فرض الرّأي بالقوّة والتّهديد والقيّام بحرْق بعض كُتب الفروع للمذهب المالكي، ترك أثرا سيّئا في نفوس فقهاء المغرب والأندلس ، ممّا زادهم تشبثا بالمذهب المالكي وإعتبرو الحفاظ والإلتزام به ضرْبا من الجهاد والبطولة الّتي يُتَقرّب بها إلى الله ، وكان عبد الله بن محمد بن عيسى التّادلي الفّاسي ت597ه/1201م الحافظ المُحَصّل، الفقيه، خير مثال في ذلك حيث قام بإعادة كتابة كتاب المُدونة من حفظه بعد أن أحرقه الموّحدون [3].

كما أنّ تمسُّك أهل الأندلس بالمذهب المالكي؛ يعود إلى رسوخه عندهم، حيث أصبح جزءا من حياتهم أمّا في المغرب فقد شهد عدّة تقلّبات سياسية ومذهبيّة وعدم إستقرار منذ البدايّة خاصّة بعد سقوط الخلافة الأمويّة بدمشق سنة132ه/749م ، بالإضافة إلى أنّ أسلوب فرض الفقه الجديد الّذي جاء به الموّحدون ومحاولة القضاء على المذهب المالكي بالقوّة، كانت نتائجه عكسية، حيث إنتهى بانتهاء الدّولة؛ لأنّه لم يعتمد التّدرج في الإنتشار ، فقد حدث له ما حدث لبقيّة المذاهب، خاصّة منها الشّيعي بالمغرب الأوسط الّذي جاءت به الدّولة الفّاطميّة .

كما إستفاد المذهب المالكي من هذه المعركة وخرج منها منتصرا وقويّا أكثر ممّا كان عليه؛ بل زاد إنتشارا في مناطق أخرى ، وهذا بفضل علماء المذهب الّذين دعّموه بالأدّلة من الأصلين الكتاب والسّنّة ،

(1)ابن الأبار : **التكملة** ، ج2 ، ص124.

(2)ابن الأبار : **التكملة** ، ج3 ، ص125 ،126 ؛ التّنبكتي : **نيل الإبتهاج** ، ص279 .

(3) التّنبكتي : **نيل الإبتهاج** ، ص214 .

و لم يبق ذلك الفقه البسيط الّذي يقارن أقوال أئمّة المذهب بعضها ببعض ويرجعها في النّهاية إلى رواية إبن القاسم عن الإمام مالك ؛ بل أصبح يعتمد على الأدلة وينظر في الخلاف العالي [1] وأصبح بذلك أقوى ممّا كان عليه وأخذ خير ما في الدّعوة الموّحديّة وأحرز كيانه .

2 ــ علم أصول الفقه :

يعدّ علم أصول الفقه من أعظم العلوم الشّرعيّة وأجلّها قدرًا وأكثرها فائدة [2]، ومعناه في اللّغة (ماينشأ عنه الفهم وينبني عليه) [3] ، وأما إصطلاحا (فهو النّظر في الأدلة الشّرعيّة من حيث تُؤخذ منها الأحكام والتّكاليف) [4] .

لم يكن هذا العلم مُتداولا ولاشائعا بالمغرب والأندلس قبل مجيء الموّحدين [5]، حيث أنّ علماء المالكيّة في القرون الأولى لم يُؤلّفوا في أصول الفقه ، حتّى أنّ الإمام مالك نفسه، لم يكتب في هذا البّاب [6]، إلاَّ أنّ المنهج الأصولي الّذي جاءت به الدّعوة الموّحديّة وحاول خلفاء الدّولة تعميمه أتى بثماره ، حيث توجّه النّاس لدراسة علم أصول الفقه ،الّذي يفرض على من يريد إستنباط الأحكام من النّصوص،

(1) عبد الله كنون : **النّبوغ** ، ج1 ، ص124 .

(2) ابن خلدون : **المقدمة** ، ص812 .

(3) مصطفى سعيد الخن : **دراسات تاريخيّة للفقه وأصوله والإتّجاهات الّتي ظهرت فيها** ، ط1 ، الشرّكة المتحدة للتّوزيع سوريا 1404ه/1984م ، ص146 .

(4)ابن خلدون : **المقدمة** ، ص812 ؛ أحمد بن مصطفى : **مفتاح السّعادة ومصباح السّيادة في موضوعات العلوم** ، ط1 ، دار الكتب العلميّة بيروت 1405ه/1985م ، ج2 ، ص163 .

(5) عبد المجيد النّجار : **المهدي ابن تومرت** ، ص 485 ؛ محمد المّنوني : **حضارة الموحدين** ، ص41 ، رغم أنّ علم أصول الفقه لم يكن منتشرا في المغرب والأندلس إلاّ أنّ هناك من كان يُدَّرسه قبل مجيء الموحدين، أمثال الإمّام أبي الفضل يوسف بن محمد النّحوي ت513ه/1119م ، الّذي كان يُدّرس أصول الفقه في سجلماسة . انظر ، الحسن اليوسي : **المحاضرات في اللّغة والأدب** ، تحقيق ، محمد حجّي ، دار المغرب للتّأليف والتّرجمة والنّشر الرّباط1396ه/1976م ، ص74.

(6) محمد المختار ولد أباه : **مدخل إلى أصول الفقه المالكي** ، ط1 ، الدّار العربيّة للكتاب طرابلس ليبيا1407ه/1987م، ص74.

أي القرآن الكريم والسّنّة النّبويّة الشّريفة ، أن يُتقن هذا العلم ويتعمّق في خباياه [1] ، ولقد لقيت جهود الموّحدين في نشر هذا العلم القبول من العديد من العلماء ، وحاول الكثير منهم إثبات أنّ الفقه المالكي بُنيّ على قواعد أصوليّة كتلك الّتي قامت عليها المذاهب السّنيّة الأخرى [2] ، ولذلك يمكن القول أنّ عهد الموّحدين هو عهد بداية إنتشار وإهتمام علماء المغرب والأندلس بعلم أصول الفقه، حيث شهد بعدها ظهور علماء ومؤلّفين أغنَوا عن السّؤال في هذ المجال .

وللتّمكن من هذا العلم، رحل العديد من العلماء وطلبة العلم المغاربة والأندلسيّين إلى المشرق الإسلامي للدّراسة والتّعمق والأخذ عن كبار علماء هذا الفنّ من العلوم الشّرعيّة ، وكان أوّلهم مؤسّس الدّولة الموحديّة محمد بن تومرت الّذي أخذ على الكيا الهراسي[3]ت504ه/1110م وأبو بكر الشّاشي ت507ه/ 1113م[4] علم أصول الفقه ، كما رحل إلى المشرق الإسلامي للتّحصيل في علم أصول الفقه محمد بن إبراهيم الفهري [5] ت612ه/1215م، يقول عنه الغبريني : " رحل إلى المشرق ولقيّ العلِّية والجليّة من أهل العلم " [6]وتبحّر في العلم واختصّ وبرز في علم أصول الفقه حتّى عُرف واشتُهر بالأصولي"[7] .

---

(1) عبد المجيد النّجار : **المهدي ابن تومرت** ، ص485 .

(2) العريني : **مرجع سابق** ، ص270 .

(3)ابن الأثير : **الكامل** ، ج8 ، ص294 ؛ ابن خلّكان : **مصدر سابق** ، ج5 ، ص46 .

(4) المراكشي : **مصدر سابق** ، ص245 .

(5) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص163 ؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س8 ، ق1 ، ص271 .

(6) الغبريني : **مصدر سابق** ، ص208 .

(7)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص163 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س8 ، ق1 ، ص271 .

ومنهم الحافظ بن دحية عمر بن الحسن ت633ه/1235م [1]، الّذي رحل إلى المشرق للبّحث عن العلم والعلماء ،حيث اتّصل بعدّة علماء، أخذ عنهم [2] واستقرّ بمصر بعد أن تجوّل في أصفهان وبغداد ودمشق وبيت المقدس وغيرها [3].

ومنهم أيضا محمد بن أحمد الخزرجي ت546ه/1151م [4]الّذي قام بزيارة المشرق الإسلامي وأخذ من عدّة علماء، منهم أبي بكر الطّرطوشي والكيا الهراسي [5] الّذي تفقّه علي يديه وأخذ عنه تآليفه الّتي جلبها معه إلى الأندلس، مثل كتاب " أحكام القرآن " وكتاب في أصول الفقه [6]، كما أخذ عن أبي بكر الشّاشي الأصول [7]، ثمّ عاد المغرب في حدود 515ه/1121م، يقول عنه إبن عبد الملك :"كان فقيها، حافظا مِشوارا، عارفا بأصول الفقه " [8].

وكان من أثار هذه الرّحلات إلى المشرق الإسلامي، أن أثارت الرّغبة في نفوس العلماء المغاربة والأندلسيّين لدراسة أصول الفقه والتّأليف فيه، وكان من أهمّ المؤلّفات الّتي كانت تُدَّرس في المغرب والأندلس في هذا العهد في الأصول كتاب " البرهان " لأبي المعالي الجُويني [9]ت478ه/1085م ، وكتاب

(1)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج1 ، ص164 ؛ ابن الزّبير : **مصدر سابق** ، ص248 ؛ ابن خلّكان : **نفس المصدر** ، ج3 ، ص448 .

(2)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص165 .

(3)ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س8 ، ق1 ، ص217 .

(4) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص9 ؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س5 ، ص582 .

(5) **نفسه** .؛ أحمد المكناسي : **مصدر سابق** ، ص262 .

(6) أحمد المكناسي : **نفس المصدر** ، ص262.

(7) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5 ، ص582 ؛ أحمد المكناسي : **نفس المصدر** ، ص262 .

(8) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5 ، ص583 .

(9) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني النّيسابوري، الشّافعي، الأشعري، المعروف بإمّام الحرّمين ضيّاء الدّين أبو المعالي ، فقيه أصولي، مُفسّر، أديب، مُتكلّم، جاور مكّة ، له عدّة مصنّفات منها "نهاية المَطلب في دراية المذهب " و " الشّامل " في أصول الدّين و "البُرهان " في أصول الفقه ...توفيّ بنيسابور سنة 478ه/1085م . انظر ، ابن الجوزي : **مصدر سابق** ، ج16 ، ص244 ،245 ؛ ابن خلّكان : **نفس المصدر** ، ج3 ، ص167 ،168 ؛ السّبكي تاج الدّين عبد الوهاب : **طبقات الشّافعيّة الكبرى** ، تحقيق ، محمود محمد الطّناحي و عبد الفتّاح محمد الجلو ، ط1 ، دار إحياء الكتب العربيّة بيروت 1383ه/1964م ج5 ، ص165 وما بعدها .

" المُستصفى " لأبي حامد الغزّالي ت 505ه/1111م ، وكتاب " المُلّخص في أصول الفقه "[1] لأبي نصر المالكي ت 422ه/1031م .

أمّا مؤلفات المغاربة والأندلسيّين في علم أصول الفقه في هذا العصر فهي كثيرة، يمكن أن نذكر منها كتاب "مدارك الحقائق في أصول الفقه " لأبي الحسن علي بن إبراهيم بن الضّحاك الغرناطي ت557ه/1162م ، في خمسة عشر جزءًا [2]، وكتاب " نتائج الإبكار ومناهج النّظّار في معاني الآثار" وكتاب " إقليد التّقليد المُؤدي إلى النّظر السّديد " [3] ، كلاهما لأبي بكر محمد بن أحمد بن أبي جمرة [4]ت 599ه /1202م ، الّذي عُدّ من كبار فقهاء المالكيّة [5].

كما قام محمد بن أحمد أبو الوليد بن رُشد الحفيد [6]ت595ه/1199م باختصار كتاب المُستصفى

لأبي حامد الغزّالي في الأصول وسمّاه "الضروري في أصول الفقه " [7]بالإضافة إلى كتابه " بداية المُجتهد ونهاية المقتصد"[8] .

وعليه فإنّ دعوة الموحدين أهل المغرب والأندلس إلى الرّجوع إلى الكتاب والسّنّة لإستنباط الأحكام ، كان ذلك دافعا لإزدهار العلوم المرتبطة بهذين الأصلين ، ومنها علم أصول الفقه الّذي دفع العلماء إلى الإجتهاد واستخراج الأحكام من أصولها؛ لذلك فإنّ العديد من الفقهاء استطاع أن يتأقلم مع الوضع

---

(1) محمد بن خير الإشبيلي : **فهرسة ابن خير الإشبيلي** ، وضع حواشيه ، محمد فؤاد منصور ، ط1 ، دار الكتب العلميّة بيروت 1419ه /1998م ، ص222 -224 ؛ الرّعيني : **مصدر سابق** ، ص61.

(2) ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج4 ، ص175 .

(3) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص81 ؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س6 ، ص6 .

(4)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص79 وما بعدها ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5 ،6 .

(5)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص81 ؛ الذّهبي : **سيّر أعلام النّبلاء** :ج21 ، ص399 .

(6)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص73 وما بعدها ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص21 وما بعدها .

(7) الكتاب حقّقه جمال الدّين العلوي ، طُبع في دار الغرب الإسلامي بيروت 1994 .

(8) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص74 .

الجديد [1]، بل هناك من أخذ يدعو إلى استنباط الأحكام من القرآن الكريم والسّنّة النّبويّة، أمثال أبو محمد عبد الله بن حوط الله ت612ه/1215م ،الفقيه الأصولي الّذي يعدّ من المُحَدّثين، ممّن كانت الدّراية تغلُب عليه من الرّواية [2] ويميل إلى الاجتهاد في استنباط الأحكام من أدّلتها دون أن يلتزم بمذهب معين [3].

ومنهم من اتّجه إلى التّأصيل للفقه واستخراج الأحكام من القرآن والسّنّة، مثل عبد الحقّ الإشبيلي ت582ه/1186م، ألّف في الحديث عن الأحكام ثلاثة كتب هي " الأحكام الكبرى والأحكام المتوسطة والأحكام الصّغرى " [4]، كما ظهر من العلماء من اتّجه نحو الاجتهاد والسّعي للخروج عن تقليد الفقهاء المالكيّة رغم أنّه تربّى في أحضانهم وأخذ عنهم وهو محمد أبو الوليد بن رشد الحفيد الّذي ألّف كتابه المشهور " بداية المجتهد ونهاية المقتصد " [5]، حيث مزج فيه بين القواعد الأصوليّة والقضايا الفقهيّة ، كما تعرّض لمسائل الخلاف بين الفقهاء وأسباب هذا الإختلاف الّذي يعود أصلا إلى نظرة كلّ فريق لأدّلته في القضيّةالمعروضة ، وكان أبو الوليد يُدلي في كثير من الأحيان برأيه في المسائل دون أن يلتزم بمذهب الإمّام مالك [6].

وخلال فترة عهد الموحدين برز عدّة علماء في الفقه وأصول الفقه، نذكر بعضا منهم ممّن برز وألّف في هذا العلم:

---

(1) للتّوسع أكثر. انظر ، بولطيف : **مرجع سابق** ، ص157 وما بعدها .
(2) الرّعيني : **مصدر سابق** ، ص56 ؛ ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص288 .
(3) ابن فرحون : **مصدر سابق** ، ص231 .
(4) الغبريني : **مصدر سابق** ، ص42 .
(5)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص74 .
(6) العريني : **مرجع سابق** ص275 ، 276 .

1) علي بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرّحمن بن الضّحاك الفزاري [1]، يُعرف بابن البقري [2]، أخذ العلم عن عدّة علماء عصره، أمثال أبي بكر بن العربي والحسن شرح وأبي الفضل عيّاض [3]، كما روى سماعا وقراءة على أبي أحمد رزق، وإبن حبيش وإبن رشيق[4] وغيرهم، كان فقيها، مشوارا، مُحَدّثا، متكلّما بغرناطة [5] حافظا لتواريخ وطبقات الرّواة وتعديلهم وتجريحهم، يميّز بين صحيح الحديث وسقيمه ، وقام بهذا العلم وقتا طويلا ، ماهرا في علم الكلام وأصول الفقه [6]، له عدّة مصنّفات في مختلف العلوم، منها " نزهة الأصفياء وسلوة الأولياء في فضل الصّلاة على خاتم الرّسل وصفوة الأنبياء "من إثني عشرة جزءا [7]، وكتاب " منهاج السّداد في شرح الإرشاد " وكتاب " مدارك الحقائق في أصول الفقه "[8] خمسة عشر جزءا [9] ، وكتاب "تنبيه المتعلّمين على المقدّمات والفصول وشرح المُبهمات منها في الأصول " [10] وغيرها من المؤلّفات[11]، توفي سنة 557ه/1162م[12]عندما كان متّجها من غرناطة إلى وادي آش [13]

---

(1)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3، ص195 ؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س5 ، ص282 ؛ ابن الزّبير : **مصدر سابق** ، ص267 .

(2) وفي الإحاطة علي بن إبراهيم بن عبد الرّحمن، يُعرف بابن النّفزي . انظر ، ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج4 ، ص175 .

(3)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3، ص195 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5 ، ص282 .

(4)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** .

(5)ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص267 ؛ ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج4 ، ص175 .

(6)ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س5 ، ص284 .

(7)ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج4 ، ص175 ؛ ابن فرحون : **مصدر سابق** ، ص303 .

(8)ابن الزّبير : **مصدر سابق** ، ص268 ؛ ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج4 ، ص175 .

(9)ابن فرحون : **نفس المصدر** ،ص303 ؛ ابن الخطيب : **الاحاطة** ، ج4 ، ص175 .

(10)ابن فرحون : **نفس المصدر** ، ص303

(11) ابن الخطيب : **الإحاطة**، ج4، ص175 ، 176 .

(12) إختلف المترجمون له في تحديد تاريخ وفاته ، حيث يذكر ابن الأبار وابن عبد الملك سنة 552ه/1185م، بينما يحدّدها كلّ من ابن الزّبير وابن الخطيب وابن فرحون بـــ 557ه/1190م .

(13) وادي آش Guadix، مدينة بالأندلس، قريبة من غرناطة، حولها الأنهار الّتي تنزل مياهها من جبل تشلير. انظر، الحميري : **مصدر سابق** ، ص604 .

إذ فُقد قبل أن يصل إليها [1] .

2) ـــ علي بن صالح بن أبي اللّيث الأسعد بن الفرج [2]العبدري ت 566ه/1170م، من أهل طرطوشة [3]، نشأ في ميورقة [4]وسكن في دانيّة [5]، أخذ العلم عن عدّة علماء عصره، مثل أبي الوليد بن رشد[6] وأبي بكر بن العربي، وأبي القاسم بن ورد وأبي محمد بن الصّيقل [7]، صار عالما بالفقه وحافظا لمسائله [8] وكان له علم بالأصول والفروع، إلاّ أنّه برز في علم الأصول [9] ، كما كان ثاقب الذّهن، بارع الاستنباط، مُتَوقد الخاطر [10] ، وعندما إنتقل إلى دانيّة في شرق الأندلس، أصبح من كبار فقهائها، رأس مفتيها وقد جلس لتدريس الفقه والحديث [11]، وأخذ عنه عدّة طلبة وعلماء، منهم أبي بكر أسّامة بن

(1) ابن الزّبير : **نفس المصدر**، ص268 .

(2) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص204 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5 ، ق1 ، ص218 ؛ ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص268 ؛ ابن الخطيب : **الغحاطة** ، ج4 ، ص183 ؛ ابن فرحون : **نفس المصدر** ، ص305 .

(3) طرطوشة، مدينة بالأندلس، تتّصل بكور بلنسيّة من شرقها ، قريبة من البّحر المتوسط، تقع على سفح جبل . انظر، الحموي : **معجم البلدان** ، ج4، ص30 ؛ الحميري : **نفس المصدر** ، ص391 .

(4) ميورقة، جزيرة في البّحر في شرقي الأندلس، دخلها المسلمون سنة 290ه/903م، بالقرب منها جزيرة تسمّى منورقة . انظر، الحموي : **معجم البلدان** ، ج5 ، ص246 ؛ الحميري : **نفس المصدر** ، ص567 .

(5) دانية ، مدينة في الأندلس، من أعمال بلنسيّة على ضفّة البّحر شرقا ، تقع شرق الأندلس. انظر، الحموي: **معجم البلدان** ، ج2 ، ص434؛ الحميري : **نفس المصدر** ، ص231 ،232 .

(6)ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س5 ، ق1 ، ص219 ؛ ابن فرحون : **مصدر سابق** ، ص305 .

(7)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص204 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر**، س5 ، ق1 ، ص219 ؛ ابن فرحون : **نفس المصدر** ، ص305.

(8)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5 ، ق1 ، ص219 ؛ ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص269 ؛ ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج4 ، ص183.

(9)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص205 ؛ ابن فرحون : **نفس المصدر** ، ص305 .

(10)ابن عبد الملك: **نفس المصدر**، س5 ، ق1، ص219 ؛ ابن الخطيب: **الإحاطة** ، ج4 ،ص183 ؛ ابن فرحون : **نفس المصدر** ، ص305

(11)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص205 .

سليمان وأبي عمر بن عياد وسليمان بن محمد بن خلف وأبي القاسم بن سمجون [1]، له عدّة مؤلّفات، منها كتاب " العزلة " و كتاب "شرح معاني التّحيّة"[2] .

3) علي بن عبد الرّحمن التّلمساني ت577ه/1181م ، أصله من تلمسان [3]، يُعرف بابن أبي حنّون ويُكنّى بأبي الحسن [4]، أخذ العلم عن عدّة علماء، منهم أبي عبد الله الخولاني ت508ه/1114م ، وأبي عمران بن أبي علي بن سكرة [5]، وأبي علي الصّدفي ت517ه/1123م [6]، يُعتبر من الفقهاء الّذين كان لهم باع طويل في الفقه، مُستبحرا في حفظه، مُتحقّقا في أصوله [7]، عالما، حافظا، سيّدا، جوادا [8]،أخذ عنه عدّة طلبة، منهم أبي طالب عُقيل بن عطيّة ت608ه/1211م وأبي الخطّاب بن الجميل[9]، وأبي محمد بن قاسم الحشا [10]الّذي عُيّن قاضي الجماعة بمراكش[11]، ألّف في أصول الفقه كتابا، سمّاه "المُقتضب الأشفى في اختصار المُستصفى"[12]، قال عنه إبن عبد الملك: "كتاب نبيلٌ مستجاد " [13].

---

(1)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5 ، ق1 ، ص219

(2)ابن الأبار : **نفس المصدر** ، ج3 ، ص205 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر**، س5 ، ق1 ، ص219 ؛ ابن فرحون : **نفس المصدر**، ص305.

(3)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، 246 ؛ ابن الأبار : **المعجم** ، ص294 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س8 ، ق1 ، ص159 ؛ ابن الزّبير : **نفس المصدر**، ص311 .

(4)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، 246 .

(5) **نفسه** ؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س8 ، ق1 ، ص159

(6)**نفسه** ؛ ابن الزّبير : **مصدر سابق** ، ص311 .

(7)ابن عبد الملك : **نفس المصدر**، س8 ، ق1 ، ص160.

(8)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص 246 .

(9) **نفسه** ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س8 ، ق1 ، ص159.

(10)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** .

(11)ابن الأبار : **التكملة** ، ج3 ، 246 ؛ ابن الأبار ، **المعجم** ، ص294 ؛ ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص311.

(12)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص 246 ؛ ابن الأبار ، **المعجم** ، ص294 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر**، س8 ، ق1 ، ص160.

(13)ابن عبد الملك : **نفس المصدر**.

4) عبد الرّحيم بن عمر بن عكيس الحضرمي ت580ه/1180م وهو من فاس [1]، عُرف بأنّه أحد حُفّاظ المذهب المالكي ، كما وُصف بالمعرفة والرّسوخ بالفقه [2]، حافظا للخلاف [3] ، أخذ العلم عن عدّة علماء عصره منهم ، أبي بكر بن العربي وأبي عبد الله محمد بن مُغيث [4]، وعبد الله بن المناصف [5]، كما أخذ عنه عدّة طلبة، منهم ولده أبي حفص عمر [6]، وكذلك أبي بكر محمد بن علي بن هود[7]وغيرهما.

ألّف في الفقه المالكي [8]، إلاّ أنّ المصادر لم تذكر لنا مؤلّفاته .

5) محمد بن عبد الكريم الفندلاوي، من أهل مدينة فاس، يُعرف بابن الكتّاني ت596ه/1200م [9]من أئمّة المغرب في العلم، زاهدا في الدّنيا [10]، إمّاما في علم الكلام وأصول الفقه،

---

(1) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص 63 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س8 ، ق2 ، ص543 ؛ ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص163؛ أحمد المكناسي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص414 .

(2) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س8 ، ق2 ، ص543 ؛ ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص163.

(3) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص 63 ؛ أحمد المكناسي : **نفس المصدر** ، ج2 ، ص414.

(4) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص 63 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س8 ، ق2 ، ص543 ؛ ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص163؛ أحمد المكناسي : **نفس المصدر** ، ج2 ، ص414.

(5) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س8 ، ق2 ، ص543 ؛ ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص163.

(6) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص63 ؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س8 ، ق2 ، ص543 ؛ أحمد المكناسي : **مصدر سابق** ، ج2، ص414.

(7) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س8 ، ق2 ، ص543 ؛ ابن الزّبير : **مصدر سابق** ، ص163؛ أحمد المكناسي : **نفس المصدر** ، ج2 ، ص414.

(8) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص63 ؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س8 ، ق2 ، ص543 ؛ ابن الزّبير : **مصدر سابق** ، ص1 .

(9) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، 161 ؛ التادلي : **مصدر سابق** ، ص335 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص270 ؛ محمد الكتّاني : **مرجع سابق** ، ج3، ص211 .

(10) أحمد المكناسي : **نفس المصدر** ، ج1 ، ص220 .

خاصّة مُدّرسا له حياته كلّها [1]، ىأخذ عن أبي عمرو الأصولي علوم الإعتقاد، ألّف رُجَزًا في أصول الفقه [2]، وأخذ عنه أبو محمد النّاميسي وأبو الحسن الشّاري [3]، له عدّة مؤلّفات، منها " المُستفاد من مناقب الصّالحين والعباد من أهل مدينة فاس وما والاها من البلاد " [4] .

6)علي بن أحمد بن مروان الغسّاني، أبو الحسن ت609ه/1212م [5] ، من أهل وادي آش، أخذ العلم عن أبي إسحاق بن عبد الرّحمن القيسّي وأبي العبّاس الخروبي وأبي القاسم بن حبيش [6] وأبي محمد عبد المنعم بن الفرس وغيرهم [7]، كان فقيها، حافظا، مستبحرا، حَسن النّظر، كاتبا، بليغا[8]، له عدّة مؤلّفات منها كتاب في شرح موطأ مالك بن أنس، سمّاه "نهج المسالك للتّفقه في مذهب مالك " في عشرة مجلّدات وآخر في شرح صحيح مسلم " إقتباس الدُّرّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجّاج "وآخر في شرح تفريع بن الجلاّب[9] وسمّاه " التّصريع في تأصيل مسائل التّفريع "ومنها منظومات، سمّاها " الوسيلة لإصابة المعنى في شرح أسماء الله الحسنى"[10] ، ضمن كلّ قطعة أو قصيدة منها إسما من أسماء الله الحسنى[11]، أخذ عنه

(1) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص161 .
(2) التادلي : **نفس المصدر** ، ص335 .
(3) ابن الابار : **التكملة** ، ج2 ، 161 .
(4) أحمد المكناسي : **نفس المصدر** ، ج1 ، ص220 .
(5) ابن الأبار : **التّكملة** ،ج3 ، ص225 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر**، س5، ق1 ، ص176 ؛ ابن فرحون: **مصدر سابق** ، ص304 .
(6) ابن الأبار: **التّكملة** ، ج3، ص 225 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر**، س5، ق1 ، ص176 ؛ ابن فرحون: **نفس المصدر**، ص304.
(7)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، 225 ؛ ابن فرحون : **مصدر سابق** ، ص304 .
(8) ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س5، ق1 ، ص176 ؛ ابن فرحون : **نفس المصدر** ، ص304 .
(9) أبو القاسم عبيد الله بن الحسين بن الجلاّب ، من كبار فقهاء المالكيّة في بغداد ، له كتاب في مسائل الخلاف ، وكتاب "التّفريع في المذاهب " وهومشهور ، توفيّ سنة 378ه/989م . انظر، القاضي عيّاض : **ترتيب المدارك** ، ج7 ، ص76 ؛ ابن فرحون : **نفس المصدر** ، ص237 ؛ محمدبن مخلوف : **مرجع سابق** ، ج1 ، ص137 .
(10)ابن الأبار: **التّكملة** ، ج3 ، ص 225 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر**، س5، ق1، ص177 ؛ ابن فرحون : **نفس المصدر**، ص304.
(11)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5، ق1 ، ص177 .

7) العلم عدّة علماء، منهم أبي جعفر بن الدّلال[1]وأبي بكر بن عبد النّور وأبي سعيد الطّراز وأبي القاسم بن الطّيلسان[2] .

8)علي بن محمد بن الخزرجي ت610ه/1213م[3]، أصله من إشبيليّة، لكنّه وُلد وسكن في سبتة[4]، درس العلم على أبي القاسم بن حبيش وإبن رشد الورّاق والسّهيلي وإبن زرقون وإبن الفخّار وغيرهم [5]، كما روي عنه بمراكش محمدين عبد الله عبد العزيز الخروف وأحمد بن عبد الله بن العزّام ، وبسبتة أبو عبد الله الأدي [6] ، رحل إلى المشرق، حيث أدّى فريضة الحجّ وجالس العلماء وأخذ عنهم، مثل أبي شُجاع زاهر بن رستم، وإبن أبي الرّجاء الأصبهاني ، كما أخذ عنه في المدينة بعض العلماء أمثال، أبي عبد الكريم الجُريشي وعبد العظيم بن عبد القوي المنذري، فعظُم صيته وجلّ قدرُه وعُرف فضله هناك [7]، كان عالما، فقيها مُحَدّثا، عارفا بأصول الفقه، مُتحقّقا بعلم الكلام [8].

دخل الأندلس ودرَّس فيها أصول الفقه[9]، له عدّة مصنّفات هامّة، أفاد بها، مثل"مقالة في إعجاز القرآن"[10]و "النّاسخ والمنسوخ" و"تقريب المدارك في وصل المقطوع من حديث مالك" و"بيان البيان في

(1)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، 225 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5، ق1 ، ص176 .
(2) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5، ق1 ، ص 176 ، 177.
(3)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص 248 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س8، ق1 ، ص209 ؛ ابن الزّبير: **مصدر سابق** ، ص286؛ أحمد المكناسي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص470 .
(4)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص248 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س8، ق1 ، ص209.
(5)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** .
(6) **نفسه.**
(7) ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س8، ق1 ، ص209 ،210 .
(8) **نفسه.**
(9) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص248 .
(10) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س8، ق1 ، ص210 .

شرح البرهان"[1] ومقاله في النّسخ على مآخذ الأصوليّين و "تقريب المرام في تهذيب أدّلة الاحكام " في أصول الفقه ومصنّف في علم الكلام ، وغيرها من المصنّفات الّتي جلّ مغزاها وعظُمت جدواها ودلّت على غزارة علمه وإدراكه [2].

9)عبد الكبير بن محمد بن عيسى بن محمد بن بقي الغافقي ت617ه/1220م، من أهل مرسيّة وسكن إشبيليّة [3]، أخذ العلم عن أبيه أبي بكر وأبي عبد الله بن سعادة ، وعبد الله بن عبد الرّحيم وأبي بكر بن أبي جمرة وأبي بكر بن الجدّ وأبي الوليد بن رشد [4]، أمّا طلبته فهم كُثر منهم، أبي الحسن الرّعيني الّذي قال عنه : "لَزمتُه في عنفوان الشّبيبة، فتلّقاني أحسن تلّقٍ وأقعدني في حانوتِ توليفه إلى جانبه ، وكان الطلبة يتنافسون في القعود عنده ... قرأت عليه كثيرا من الموّطأ والتّلقين تفقها" [5].

كان فقيها ،حافظا [6]، مستبحرا في الفقه وأصوله [7] حتّى وُصف بشيخ فقهاء وقته [8]، قائما على مذهب مالك [9] ، متقدّما في عقد الشّروط؛ بل إنّه أمهر أهل زمانه فيها [10]، يذهب في كتبها إلى الإختصار لقوّة ملَكته وتبحُره في الفقه [11]، توفيّ بإشبيليّة [12]، وله العديد من المؤلّفات منها، في التّفسير

---

(1)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص248 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر**، س8، ق1 ، ص210 ؛ ابن الزّبير : **مصدر سابق** ، ص286؛ أحمد المكناسي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص470 .

(2)ابن عبد الملك : **نفس المصدر**، س8، ق1 ، ص210 .

(3)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص144 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س4 ، ص232 ؛ ابن الزّبير :**نفس المصدر** ، ص219 .

(4)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص144 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س4 ، ص233 .

(5) الرّعيني : **مصدر سابق** ، ص38 .

(6)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص144 .

(7)ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س4 ، ص233 .

(8)ابن الزّبير : **مصدر سابق** ، ص219 .

(9)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص144 .

(10)الرّعيني : **مصدر سابق** ، ص39 ؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س4 ، ص233 .

(11)الرّعيني : **نفس المصدر** ، ص39 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س4 ، ص233 .

(12)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص144 ؛ ابن الزّبير : **نفس المصدر**، ص219 .

الّذي جمع فيه بين تفسير الزّمخشري وتفسير إبن عطيّة [1] ومنها الجمع بين صحيح مسلم وسنّن أبي داود وجامع التّرمذي[2] ومنها "شرح المُوّطأ " [3].

هذه جملة من العلماء الّذين برزوا في الفقه وأصوله والّذين ألّفوا في هذا العلم في عهد الموحدين .

V ــ علم الكلام[4]:

عرفه إبن خلدون بقوله :" هو علم يتضمّن الحِجاج عن العقائد الإيمانيّة بالأدّلة العقليّة ، والرّدّ على المبتدعين المنحرفين في الإعتقادات عن مذاهب السّلف وأهل السّنّة " [5] ، كما عرّفه التّهانوي بأنّه "العلم الّذي يُقْتدر معه على إثبات العقائد الدّينيّة على الغير بإيراد الحُجج ودفْع الشّبه " [6]؛ لهذ فإنّ علم الكلام هو العلم المتعلّق بالأحكام الأصليّة والإعتقاديّة [7].

وسميّ الّذي يشتغل بهذا العلم بالمتكلّم [8]، حيث أنّه يتّخذ العقائد الدّينيّة قضايا مُسَلّمًا بها، ثمّ يستدّل عليها بأدّلة العقل، حتّى وإن أمكن الإهتداء إلى هذه العقائد بالعقل، مُستقلاً عنها [9]، وقيل لهذا النّوع من العلم

---

(1) الرّعيني : **نفس المصدر** ، ص39 ؛ ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص144 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س4 ، ص233 .

(2) الرّعيني : **نفس المصدر** ، ص39 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س4 ، ص233 .

(3) ابن عبد الملك : **نفس المصدر**.

(4) إختلف علماء الإسلام في تسميته ، فهناك من سمّاه بأصول الدّين ، وسمّاه أبو حنيفة النّعمان ت150ه/767م بالفقه الأكبر ، وسمّاه سعد الدّين الخير أبادي ت882ه/1477م في مجمع السّلوك بعلم النّظر والإستدلال ، وعرّفه آخر بأنّه علم التّوحيد والصّفات ، وسمّاه التّفتزاني ت792ه/1389م في شرح العقائد بالعلم المُتعلق بالأحكام الفرعيّة، أي العمليّة ، يسمّى علم الشّرائع والأحكام، والمُتعلّق بالأحكام الأصليّة أي الإعتقادية ويسمّى علم التّوحيد. انظر ، التّهانوي : **مصدر سابق** ، ج1، ص29 .

(5) ابن خلدون : **المقدمة** ، ص821 .

(6) التّهانوي : **مصدر سابق** ، ج1 ص29 ؛ أحمد بن مصطفى : **مرجع سابق،** ج3 ، ص132 .

(7) العرّيني : **مصدر سابق** ، ص252 .

(8) أحمد محمود صبحي : **في علم الكلام دراسة فلسفيّة لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدّين** ، ط5 ، دار النّهضة العربيّة بيروت ، 1405ه/1985م ، ج1 ، ص16 ؛ حسن محمود الشّافعي : **المدخل إلى دراسة علم الكلام** ، ط2 ، منشورات إدارة القرآن والعلوم الإسلاميّة كراتشي باكستان 1422ه/2001م ، ص9 ؛ حسن إبراهيم حسن : **مرجع سابق** ، ج2 ، ص274 ؛ أحمد أمين : **ضحى الإسلام** ، ط7 ، مكتبة النّهضة المصريّة1383ه/ 1963م ، ج3 ، ص9 .

(9) أحمد صبحي : **مرجع سابق** ، ج1 ، ص16 .

(الكلام)، لأنّ أوّل خلاف وقع، إنّما وقع في كلام الله، مخلوق هو أم غير مخلوق، فتكلّم فيه النّاس[1]، وقد كان السّلف الصّالح يقرؤون الآيّات الّتي تتّحدّث عن العقيدة، خاصّة منها الّتي تتناول صفات الله عزّ وجلّ، دون أن يتعرّضوا لتّأويلها أو تفسيرها فكانوا يقولون في حقّ هذه الآيّات " إقرؤوها كما جاءت، أي آمنوا بها من عند الله " [2].

ولذلك كانوا بعيدين عن الخوض في الأمور الغيبيّة، منشغلين بأهمّ من ذلك وهو نشر الإسلام وتعليمه للأمّم الحديثة العهد بالإسلام ، ولّما اتّسعت رقعة الدّولة الإسلاميّة ودخل في الإسلام مختلف الشّعوب الّتي جلبت معها ثقافتها وعاداتها وعقائدها وأفكارها والجدل ، فظهرت الفرق المختلفة ، فلجأت كلّ فرقة إلى تأويل الآيّات المتشابهة؛ لتدعيم وجهة نظرها [3]، وبذلك ظهر علم الكلام ، وظهرت المناظرات الكلاميّة الّتي أدّت إلى حدوث الفتن ، ونتج عن ذلك تشكيك وحيرة عند المسلمين ، وتدّخل كبار العلماء الّذين إعتبروا علم الكلام من البدع الّتي تُقرِب إلى الشِّرك ، ورفضوا الخوْض فيه وهاجموا المتكلّمين وحاصروهم[4] .

ونشأ علم الكلام عند المسلمين لحاجتهم للدّفاع عن الإسلام، وذلك بالفلسفة الّتي تسلّح بها أعداؤهم وبالعلم الّذي أصبح السّبيل الوحيد للإقناع[5]، ولّما كان علم الكلام متداخلا مع المسائل الفقهيّة، إستطاع

(1) أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي: **الأنساب** ، إشراف ، رياض مراد و مطيع الحافظ ، ط1 ، مكتبة ابن تيميّة القاهرة 1405ه/1984م ، ص121 .

(2) ابن خلدون : **المقدمة** ، ص831 .

(3) ابن خلدون : **المقدمة** ، ص832 ، 833 ؛ فيصل بدير عون : **علم الكلام ومدارسه** ، ط2 ، دار الثّقافة للنّشر والتّوزيع القاهرة (د.ت)، ص19 ، 20.

(4) فيصل عون : **نفس المرجع** ، ص51 .

(5)أحمد أمين : **ظهر الإسلام** ، ط1 ، شركة نوابغ الفكر القاهرة 1430ه/2009م ، ج2 ، ص49 .

المعتزلة [1] أن يجعلوه علما مستقلاّ بذاته [2] ، فأُطلق على المعتزلة، "أصحاب العدل والتّوحيد"، كما يُلقبون بالقَدَريّة [3]، إعتمد المعتزلة في الإستدلال على العقل، فسُمُّوا ب"أهل الرّأي" [4]،بينما يتمسّك أهل الحديث[5] بظاهر النّصوص، ظهر وسط بينهما وهم الأشعريّة [6]الّذين حاولوا الجمع بين أمور الشّريعة والنّصوص والعقل[7] ، رغم وقوف كبار علماء الإسلام في وجه المتكلّمين، إلاّ أنّ التّيار كان أقوى ، حيث غزت العالم الإسلامي نتيجة لحركة التّرجمة الّتي عرفها العصر العبّاسي الأوّل، تيارات فكريّة عديدة، أدّت غلى نشاط الصراع الكلامي بين مختلف الفرق وإنشقاق بعض الفرق عن نفسها [8].

وإنتشار الفرق المذهبيّة الكلامية في المشرق الإسلامي، لم يُؤَثر كثيرا عن المغرب الإسلامي، إذ لم نجد من إستطاع أن يتأصّل في المنطقة ويمدُّ جذوره؛ ليجمع حوله مجموعة عريضة [9] ،

(1) هم أصحاب واصل بن عطاء الغزّال ت131ه/749م، الّذي إعتزل مجلس الحسن البّصري، يُقرّر أنّ مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولاكافر ويثبت المترلة بين المترلتين ، أتباعه يسمّون المعتزلة ، ويسمّون أصحاب العدل والتّوحيد والقدريّة . انظر ، الشّهرستاني محمد بن عبد الكريم : **المِلل والنِّحل** ، صحّحه ، أحمد فهمي محمد ، ط2 ، دار الكتب العلميّة بيروت 1413ه/1992م ، ج1 ، ص38 .

(2) لمين بلغيث : **الحركة الفكريّة** ، ص241 .

(3) الشّهرستاني : **نفس المصدر** ، ج1 ، ص38 .

(4) أهل الرّأي، هم أهل العراق، مثل أصحاب أبي حنيفة النّعمان بن ثابت ومن أصحابه محمدبن الحسن الشّيباني ، والقاضي أبي يوسف ويعقوب بن محمد . انظر ، الشّهرستاني : **نفس المصدر** ، ج1 ، ص219 ،220 .

(5) أهل الحديث ، هم أهل الحجاز، مثل مالك بن أنس وأصحاب الشّافعي محمد بن إدريس ، وسفيان الثّوري ، وأصحاب أحمد بن حنبل وأصحاب داود بن علي بن محمد الأصفهاني . وقد سُمّوا بذلك لأنّ عنايتهم بتحصيل الحديث ونقل الأخبار وبناء الأحكام على النّصوص . انظر ، الشّهرستاني : **نفس المصدر** ، ج1 ، ص217 .

(6) الأشعرية، هم أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، المنتسب إلى أبي موسى الأشعري رضيّ الله عنه . انظر ، الشّهرستاني : **نفس المصدر** ، ج1 ، ص81 .

(7) ابن خلدون : **المقدمة** ، ص833 .

(8)حسن إبراهيم حسن :**مرجع سابق** ، ج4 ، ص433 ؛ العريني : **مرجع سابق** ، ص253 ، 254 .

(9) عبد المجيد النّجار :**المهدي ابن تومرت** ، ص48 .

رغم ظهور بعض المحاولات من طرف بعض الأفراد، كالشيعة [1] الّذين استطاعوا ان يُكوِنوا دولة في المغرب الأوسط وهي الدّولة العبيديّة، إلاّ أنّها زالت من المنطقة مُبكرا وزالت معها آثارها [2]، وكذلك الخوارج [3]الّذين تمكّنوا من تكوين دولتين في المغرب، هما دولة بنّي مدرار الّتي أسّسها الصُّفريّة بسجلماسة سنة140ه/757م والدّولة الرّستميّة الّتي أقامها الإباضيّة بتيهرت سنة161ه/777م، إلاّ أنّها إندثرت في القرن الخامس وخاصّة في المغرب الأقصى[4] .

كما حاول بعض الأفراد نقْل مذهب المعتزلة إلى الأندلس [5]ونشْره بين أوساط الأندلسيّين، لكن فشلت المحاولة [6]، ويعود ذلك إلى عدّة أسباب، نذكر منها، أنّ أهل المغرب والأندلس سلفيُّو،ن مُتأصلة فيهم عقيدة السّلف من الصّحابة والتّابعين [7]،

---

(1) الشّيعة، هم الّذين شايعوا عليّا رضيّ الله عنه على الخصوص وقالوا بإمّامته وخلافته نصّا ووصيّة ، وإعتقدوا أنّ الإمّامة لا تخرج من أولاده . انظر ، الشّهرستاني : **نفس المصدر** ، ج1 ، ص144 .

(2)عبد المجيد النّجار :**المهدي ابن تومرت** ، ص48 ، 49 .

(3) الخوارج ، هم الّذين خرجوا على علي بن أبي طالب رضيّ الله عنه في موقعة صفّين ، وينقسمون إلى ستّ فرق : الأزارقة ،والنّجدات ، والصُفريّة ،والعجاردة، والإباضيّة ، والثّعالبية . انظر ، الشّهرستاني : **نفس المصدر** ، ج1 ، ص106 وما بعدها .

(4) عبد المجيد النّجار : المهدي ابن تومرت ، ص49 ، للتّوسع في هاتين الدّولتين. انظر : محمود إسماعيل عبد الرّزاق : **الخوارج في بلاد المغرب حتّى منتصف القرن الرّابع الهجري** ، ط2 ، دار الثّقافة الدّار البيضاء 1406 ه/1985م ، ص109 وما بعدها ، موسى لقبال : **المغرب الإسلامي** : ط2 ، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع الجزائر1401ه/1981م ، ص158 وما بعدها .

(5)ظهر المذهب الإعتزالي في الأندلس منذ القرن الثّالث الهجري ، وممّن إعتنقه عبد الأعلى بن عبد الرّحمن ت261ه/875م محمد بن عبد الله بن مسّرة ت319ه/م ويحي بن يحي بن السّمينة ت315ه/م وخليل بن عبد الملك بن وهب ت323ه/935م ، إلاّ أنّه إنحصر في بعض الأفراد دون أن ينتشر بين كافة النّاس بالمغرب والأندلس . انظر، ابن الفَرضي : **مصدر سابق** ، ج1، ص176 ، ص324 ،ج2 ، ص41 – ص185 .

(6) عبد المجيد النّجار : **المهدي** ، ص49 ، وعندما أُدخل الكشّاف للزّمخشري الّذي يُمثل رأي المعتزلة في التّفسير إلى الأندلس في أواخر القرن السّادس الهجري، رفضه علماء الأندلس وألّفوا في الرّد عليه . انظر ، ابن الزّبير : **مصدر سابق** ، ص414 ؛ ابن فرحون : **مصدر سابق** ، ص301 -632 .

(7) حسن إبراهيم حسن : **مرجع سابق** ، ج4 ، ص441 ؛ عبد المجيد النّجار : **المهدي** ، ص50 .

مالكيون والإمّام مالك بن أنس من الرّافضين للكلام والإشتغال به ومُعتبرًا المشتغلين بذلك من أهل الأهواء والّذين لا تُقبل شهادتهم ويجب أن يُستتابوا (1) .

ولذلك فقد اتّخذ أهل المغرب والأندلس موقفا عدائيّا من المتكلّمين ، فشمل هذا الموقف العامّة، خاصّة لسيطرة الفقهاء عليهم ، ويتّضح ذلك من خلال ماذكره إبن عبد البّر يوسف ت463ه/1071م بقوله : " أجْمع أهل الفقه والآثار في جميع الأمصار أنّ أهل الكلام أهلُ بدع وزَيْغ، ولايُعَدُون عند الجميع في طبقات الفقهاء ، وإنّما العلماء أهل الأثر والتّفقه فيه بالإتقان والَميز والفهم " (2).

ويمكن أن نتبيّن مدى خطورة الموقف الّذي اتّخذه العلماء خاصّة الإمام مالك من المتكلّمين، سواء في بلد المغرب والأندلس أو بقية الأمصار ، ويزداد الموقف شدّة وخطورة لسيطرة الفقهاء المالكيّة أنذاك على المدرسة الفقهيّة بالمنطقة، خاصّة في عهد الدّولة المرابطيّة الّتي أصبح فيها الفقهاء المالكيّة أصحاب الحلّ والعقد (3) وقاموا بمحاربة علم الكلام ومن يشتغل به، حيث يقول المراكشي :" و دانَ أهل ذلك الزّمان بتكفير كلّ من ظهر منه الخَوْض في شيء من علوم الكلام وقرر الفقهاء عند أمير المسلمين تقبيح علم الكلام وكراهة السلف له، وهجرهم من ظهر عليه شيء منه ، وأنّه بدعة في الدّين وربّما أدّى أكثرُه إلى إختلال في العقائد ، في أشباه لهذه الأقوال ، حتّى استحكم في نفسه بعضُ علم الكلام وأهله ، فكان يكتب عنه في كلّ وقت إلى البلاد بالتّشديد في نبْذ الخوْض في شيء منه ، وتوَعّد من وجد عنده شيء من كُتبه "(4).

---

(1)يوسف بن عبد البرّ : **جامع بيان العلم وفضله** ، تحقيق ، أبي الأشبال الزّهيري ، ط1 ، دار ابن الجوزي للنّشر والتّوزيع الرّياض 1414ه/ 1994م ، ج2 ، ص943 ؛ الذّهبي : **سيّر أعلام النّبلاء** ، ج8 ، ص100 وما بعدها .

(2) يوسف بن عبد البّر : **نفس المصدر** ، ج2 ، ص942 ؛ الشّاطبي إبراهيم بن موسى : **الإعتصام** ، ط1 ، دار المعرفة بيروت 1405ه/1985م ، ج2 ، ص333.

(3) المراكشي : **مصدر سابق** ، ص235 .

(4) المراكشي: **نفس المصدر** ، ص236، 237 .

كما أنّ خُلُوَ المنطقة من الفرق الكلاميّة المتعارضة الّتي يؤدّي إحتكاكها ببعضها إلى حركة من الجدل والصّراع الفكري الّذي ينتقل إلى مواضيع العقيدة ، فيظهر فيها التّأويل والبراهين والجدل، مثلما حدث في المشرق الإسلامي ، وأشار إلى ذلك إبن حزم الظّاهري، عندما تحدّث عن ضعف علم الكلام بالأندلس بقوله: "وأمّا علم الكلام فإنّ بلادنا وإن كانت لم تتجاذب فيها الخصوم ولا أُختلفت فيها النِّحل ، فقلّ لذلك تصرُّفهم في هذا البّاب، فهي على كلّ حال غير عدية عنه ...قد كان فيها قوم يذهبون إلى الإعتزال ، نُظّار على أصوله "[1] ، وهكذا فإنّ أهل المغرب والأندلس كانوا بعيدين عن الكلام الّذي لا ينبني عليه عمل[2]، فكانوا يهتمُّون بما يفيدهم علما وعملا، مثل علوم القرآن والحديث والفقه والسّيرة ...

واستمرّ الحال على ذلك إلى أن رحل بعض علماء المغرب والأندلس إلى المشرق وتتّلمذوا على أئمّة المذهب الأشعري [3] وجلبوا معهم بعض كتبهم الكلاميّة الّتي قاموا بتدريسها في المغرب والأندلس ، وبذلك بدأ ينتشر المذهب الأشعري في المنطقة [4]، إلاّ أنّ الاشعريّة في عهد المرابطين ظلّت حبيسة الأوساط العلميّة لأنّهم كانوا شديدي التّحفُظ، ممّا يمكن أن يُزعزع الوحدة الدّينيّة والمذهبيّة للمجتمع ، وكانت نزعة

(1) المقرّي : **مصدر سابق** ، ج3 ، ص176 .

(2) يوسف بن عبد البّر : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص938 ، الشّاطبي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص332 . قال ابن عبد البّر : " قد بيّن مالك رحمه الله أنّ الكلام فيما تحته عملٌ هو المُباح عنده وعند أهل بلده ، ـــــ يعني العلماء رضيّ الله عنهم ـــــ وأخبر أنّ الكلام في الدّين نحو القوْل في صفات الله وأسمائه ، وضرب مثلا، فقال : "نحو رأي جهم والقدَر ، والّذي قاله مالك عليه جماعة الفقهاء والعلماء قديما وحديثا ، من أهل الحديث والفتوى ، وإنّما خالف ذلك أهل البِدع ـــــ المعتزلة وسائر الفرق ـــــ ، وأمّا الجماعة على ما قال مالك، إلاّ أن يضطّر أحد إلى الكلام، فلا

يسعه السّكوت إذا طمع بردِّ البّاطل وصرف صاحبه عن مذهبه ، أو خشيّ ضلال عامّة أو نحو هذا". انظر ، يوسف بن عبد البّر : **نفس المصدر** ، ج2 ، ص938 .

(3) المذهب الأشعري ، يُنسب إلى أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، الّذي عاش ما بين 260ه- 330ه/874 م -942م، نشأ في بداية عمره على مذهب المعتزلة؛ نظرا لدراسته عند زوْج أمّه أبي علي الجِبائي المعتزلي، ثمّ إنشقّ عليه وأسّس المذهب الأشعري، الّذي يتميّز بالتّقليل من شأن العقل في فهم أصول الدّين . انظر، الذّهبي : **سيّر أعلام النّبلاء** ،ج15، ص85 وما بعدها ؛ فيصل عون: **مرجع سابق** ، ص 265،266

(4) العربي : **مرجع سابق** ، ص255 .

المحافظة هذه عند طائفة من العلماء المُقرّبين من أمراء المرابطين وحِرص طائفة أخرى على إرضائهم من أسباب هذا الوضع .

إلاّ أنّ ذلك لم يمنع من وجود بعض العلماء الّذين إهتمُّوا بعلم الكلام ودرسوه وخاصّة المذهب الأشعري في الإعتقاد ، فقد أورد محمد بن تاويت الطّنجي في تقديمه لكتاب " ترتيب المدارك " عن المدرسة الأشعريّة أيّام المرابطين قوله: " هذه المدرسة المغربيّة كانت على علم، قام بالجدل والمناظرة وأصول الدّين والكلام على مذهب أبي الحسن الأشعري ، وإنّ كُتب الأشاعرة في علم الكلام كانت معروفة بين رجال المغرب، يتدارسونها في كافة أنحاء المغرب) (1) ، ويمكن أن نجد في كلام السّلاوي ما يدْعم هذا الرّأي في كتابه الإستبصار بقوله : " وإن كان – المذهب الأشعري – قد ظهر بالمغرب قبل إبن تومرت، ظهور ما "(2)، إلاّ أنّنا في هذا المُقام لابدّ أن نطرح عدّة تساؤلات منها، من أوّل من أدخل المذهب الأشعري إلى المغرب والأندلس ؟ ومتى كان ذلك ؟ وللإجابة على ذلك نقول :

لقد إختلفت الآراء حول أوّل من أدخل مباديء المذهب الأشعري إلى المغرب والأندلس ، إلاّ أنّها جميعها تكاد تُجمع أنّ بداية هذا المذهب ظهرت في القرن الرّابع الهجري (3)،

---

(1) القاضي عيّاض : **ترتيب المدارك** ، ج1 ، ص، ط .

(2) السّلاوي : **مصدر سابق** ، ج1 ، ص140.

(3) في هذا الموضوع. انظر ، دندش عصمت عبد اللّطيف : **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا** ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي بيروت 1408ه/1988م ص143 ؛ إبراهيم التّهامي : **الأشعريّة في المغرب دخولها رجالها تطورها وموقف النّاس منها** ، ط1 ، دار قرطبة للنّشر والتّوزيع الجزائر 1427ه/2006م ، ص10 ،11 ؛ الطّيّب بن عمر بن الحسين : **السّلفيّة وأعلامها في موريتانيا** (شنقيط) ، ط1 ، دار ابن حزم بيروت 1416ه/1995م ، 220 ؛ عبد المجيد النّجار : **المهدي** ، ص438 وما بعدها ؛ العربيني : **نفس المرجع** ، ص256 .

حيث أنّ الفقيه أبا عمران الفّاسي [1] ت430ه/1039م رحل إلى المشرق ومن المدن الّتي زارها بغداد سنة 399ه/1009م، حيث تلّقى هناك أصول المذهب الأشعري [2] عن القاضي أبي بكر البّاقلاني [3] ت403ه/1013م وعاد به إلى المغرب يُدَّرسه.

وكذلك رحل أبي الوليد البّاجي [4] ت 474ه/1081م [5]إلى المشرق سنة 426ه/1035م وتردّد على كثير من مراكز العلم وجلس بالموصل سنة كاملة، أخذ فيها عن أبي جعفر السّمناني [6]ت444ه/1052م الأصول على المذهب الأشعري[7]، ولمّا عاد إلى الأندلس، أخذ يُدَّرس ما تلّقاه من علم، مع بعض الإضافات من عنده ، وقد تصدّى لإبن حزم في الفقه والعقيدة [8]على طريقة الأشعريّة [9]وخلفه إبنه أبو

---

(1) أبو عمران، موسى بن عيسى الفّاسي، الغفجومي، أصله من فاس، إستوطن القيروان، حصلت له بها رئاسة العلم، أخذ العلم عن عدّة علماء رحل إلى المشرق وحجّ، ثمّ زار بغداد وأخذ العلم عن علمائها والأصول عن البّاقلاني، ثمّ تنقّل بين العديد من المدن، منها القاهرة ومكّة والمدينة ثمّ رجع إلى القيروان فاستوطنها، ودرس بها العلم وأخذ عنه العديد من العلماء الّذين رحلوا إليه من المغرب والأندلس ، توفيّ بالقيروان سنة 430

ه/1039م. انظر ، القاضي عيّاض : : **ترتيب المدارك** ، ، ج7 ، ص243 وما بعدها .

(2) القاضي عيّاض: **نفس المصدر** ، ج7 ، ص244 .

(3) أبو بكر محمد بن الطّيب بن محمد البغدادي بن البّاقلاني ، كان ثقة، إمّاما بارعا ، صنّف في الرّدّ على الرّافضة والمعتزلة والخوارج والجهميّة لُقبّ بشيخ وسيف السّنّة ولسان الأمّة المتكلّم على لسان أهل الحديث وطريقة أبي الحسن الأشعري وإليه إنتهت رئاسة المالكيّة في وقته ، أخذ عنه خلق كثير، توفيّ ببغداد سنة403ه/1013م . انظر ، القاضي عيّاض ، **نفس المصدر** ، ج7، ص44 وما بعدها ؛ الذّهبي: **سيّر أعلام النّبلاء**، ج17 ، ص190 وما بعدها .

(4) باجة، مدينة قديمة بالأندلس، بينها وبين قرطبة مائة فرسخ، ومعناها الصّلح في لغة العجم . انظر ، الحميري : **مصدر سابق** ، ص75 .

(5)أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث البّاجي ، أصله من بطليوس ، أخذ العلم عن عدّة علماء بالأندلس، ثمّ رحل إلى المشرق وأقام نحو ثلاثة عشر عاما، لقيّ هناك عدّة علماء، أخذ عنهم الفقه والحديث والأصول ، ثمّ عاد إلى الأندلس حيث حاز على رئاسة العلماء فكان فقيها، نظّارا، مُحقّقا، راوية، مُحدّثا، مُتكلّما، أصوليا، له عدّة تصانيف منها " التّسديد في معرفة التّوحيد "، توفيّ سنة 474ه/1082م . انظر ، القاضي عيّاض : **ترتيب المدارك** ، ج8 ، ص117 وما بعدها ؛ الضّبي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص385 ،386 ؛ ابن بشكوال : **مصدر سابق** ،ج1 ، 228 وما بعدها ؛ ابن خلّكان : **مصدر سابق** ،ج2 ، ص408 وما بعدها .

(6) محمد بن أحمد بن محمد السّمناني، ولد سنة 361ه/972م ، أصله من سمنان العراق، كان إمّاما في الأشعريّة في وقته، توفيّ سنة 444ه / 1052م . انظر ، الخطيب البّغدادي : **تاريخ بغداد** ، ج2، ص217 ؛ ابن الجوزي : **مصدر سابق** ، ج15 ، ص338 ؛ الذّهبي : **سيّر أعلام النّبلاء** ، ج17 ، ص651 .

(7) القاضي عيّاض :: **نفس المصدر** ،ج 8 ، ص118 ؛ ابن فرحون : **مصدر سابق** ، ص197 .

(8) القاضي عيّاض :: **ترتيب المدارك** ،ج 8 ، ص122 ؛ ابن فرحون : **نفس المصدر** ، ص198 ، 199 .

(9) عبد المجيد النّجار : **مرجع سابق** ، ص438 ؛ إبراهيم التّهامي : **مرجع سابق** ، ص25 .

القاسم أحمد بن سليمان[1]ت493ه/1100م في التّدريس والّذي ألّف كتابا" العقيدة في المذاهب السّديدة"[2] .

أمّا أوّل من أدخل المذهب الأشعري إلى المغرب والأندلس ، فتذكر بعض المصادر أنّ أبا بكر محمد بن الحسن الحضرمي، المعروف بالمُرادي [3] ت489ه/1096م هو أوّل من أدخل علوم الإعتقاد [4]إلى المغرب الأقصى ، الّذي كان مختصّا بعلوم الإعتقاد ، وخلفه في هذا العلم بعد رحلته إلى الصّحراء المغربيّة تلميذه أبو الحجّاج يوسف بن موسى الكلبي الضّرير [5] ت520ه/1126م ، الّذي كان يتنّقل بين مراكش وأغمات وبعض المدن المغربيّة، يُدَّرس علوم الإعتقاد، أي علم الكلام على المذهب الأشعري وغيرها من العلوم[6]وكان ممّن أخذ عنه علم الكلام القاضي عيّاض [7]ت 544 ه/1149م الّذي يقول عن شيخه :"

(1) أحمد بن سليمان بن خلف البّاجي، أبو القاسم ، سكن سرقسطة وغيرها ، روى عن أبيه معظم علمه وعن الهراوي ، غلب عليه علم الأصول والنّظر ، له تآليف منها " العقيدة في المذاهب السّديدة " و رسالة "الإستعداد للخلاص من الميعاد "، توفيّ سنة 493ه/1100م .
انظر : ابن بشكوال : **مصدر سابق** ،ج1 ، ص65 ، 66 ؛ ابن فرحون : **مصدر سابق** ، ص103 ؛ المقرّي : **نفح الطّيب** ، ج2 ، ص656 ،657 .

(2) ابن فرحون : **نفس المصدر** ، ص103 ؛ المقرّي : **نفح الطيب** ، ج2 ، ص656 .

(3) محمد بن الحسن المُرادي الحضرمي ، كان رجلا نبيها، عالما ، إمّاما في أصول الدّين، له نهوض في الإعتقادات والأصول ، له تآليف حسّان في أصول الدّين، منها " التّجريد "، نزل مراكش، ثمّ أغمات وريكة، توفيّ قاضيّا بأزكى من صحراء المغرب سنة489ه/1096م . انظر ، ابن بشكوال : **نفس المصدر**،ج2 ، ص238 ؛ التادلي : **مصدر سابق** ، ص106 ؛ المقرّي : **أزهار الرّياض** ، ج3 ، ص161 .

(4) ابن الزّيّات :**نفس المصدر** ، ص106 ؛ المقرّي : **أزهار الرّياض** ، ج3 ، ص161 ؛ دندش : **دور المرابطين**، ص143؛ الطّيب بن عمر: **مرجع سابق** ، ص222 .

(5) يوسف بن موسى الكلبي الضّرير، أبو الحجّاج، أصله من سرقسطة وسكن مراكش ، أخذ العلم عن عدّة علماء، منهم محمد بن الحسن المُرادي كان آخر أئمّة المغرب فيما أخذه عن المُرادي من علوم الإعتقادات ، كان عالما، زاهدا في الدّنيا ، من المشتغلين بعلم الكلام على مذهب الأشعريّة ونُظّار أهل السّنّة، توفيّ سنة 520ه/1126م بمراكش . انظر ، القاضي عيّاض : **الغنيّة (فهرست شيوخ القاضي عيّاض)** ، تحقيق ، ماهر زهير جرّار ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي بيروت 1402ه/ 1982م، ص226 ؛ ابن بشكوال: **مصدر سابق** ،ج2، ص314 ؛ الضّبي: **مصدر سابق** ، ج2 ، ص663 ؛ ابن الزّيّات : **نفس المصدر** ، ص105، 106 ؛ المقرّي : **أزهار الرّياض** ، ج3 ، ص161 .

(6) القاضي عيّاض : **الغنيّة** ، ص 226.

(7) القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي الأندلسي المالكي ، أخذ العلم عن عدّة علماء، ما أهلّ العلم والتّفنّن والذّكاء والفهم إمام في الحديث وأعرف النّاس بعلومه ، استُقضيّ بسبتة مدّة طويلة، فحُمدت سيرته ، له عدّة تآليف منها : "الشّفا في شرف المُصطفى " مجلّد و "تلاتيب المدارك وتقريب المسالك في ذكر فقهاء مذهب مالك " و" العقيدة " وغيرهم، توفيّ سنة 544ه/1149م بمراكش . انظر: ابن بشكوال: **مصدر سابق** ، ج2 ، ص94 ؛ ابن الأبار : **المعجم** ، ص301 ؛ الذّهبي : **سيّر أعلام النّبلاء** ، ج20 ، ص212 وما بعدها .

قرأتُ عليه أرجوزته الصّغرى الّتي أُلِّفت في الإعتقادات ، وحدّثني بالكبرى وبكتاب التّجريد لأبي بكر المُرادي شيخه وعنه كان أكثر أخْذه "[1]، و عبد الغالب بن يوسف السّالمي [2] ت516ه/1122م صاحبه ، الّذي كان عالما بالأصول والإعتقادات على مذهب الأشعريّة [3].

كما قام أبو بكر بن العربي ت546ه/1148م برحلة إلى المشرق ودرس ببغداد في المدرسة النّظاميّة وأخذ العقيدة الأشعريّة عن أبي حامد الغزّالي وإسماعيل الطّوسي وعاد إلى المغرب سنة 494ه/1101م بعلم غزير[4] ، كما جلب معه أمّهات كتب الأشعريّة وإنتصب لتّدريس الفقه المالكي والعقيدة الأشعريّة في الأندلس وألّف على طريقة هذه العقيدة كتابه"العواصم من القواصم "، فظهر في مؤلّفاته روح الإبتكار والتّطوير في الأشعريّة[5]، إلاّ أنّ هذا الظّهور للمذهب الأشعري لم يتعد بعض الأفراد و العلماء أو حتّى المناطق ، و لم يكن له طريق للإنتشار نحو العامّة [6]، ممّا يجعله مذهبا معتنَقا كما هو الحال في المشرق .

ظلّ الأمر كذلك إلى أن ظهر محمد بن تومرت الّذي رحل إلى المشرق الإسلامي ودرس على كبار علماء الكلام الأشاعرة [7]إلى أن تشبّع؛ بل أخذ مختلف العلوم الدّينيّة ، وعاد إلى المغرب كما يقول عنه إبن خلدون: "بحرا مُتفَجرا من العلم وشِهابا واريًا من الدّين " [8]، وأعلن حربه على جمود علماء المرابطين

(1) القاضي عيّاض : **الغنيّة** ، ص 226 ؛ المقرّي : **أزهار الرّياض** ، ج3 ، ص161 .

(2) عبد الغالب بن يوسف أبو محمد السّالمي ، المتكلّم على مذاهب أهل السّنّة من الأشعريّة ، كان عالما بالأصول والإعتقادات، له فيها تصانيف كثيرة ، سكن سبتة وخطب بها، ثمّ إنتقل إلى مراكش الّتي توفيّ بها سنة 516ه/1122م . انظر ، القاضي عيّاض : **الغنيّة** ، ص196 ، 170 ؛ ابن بشكوال : **نفس المصدر** ،ج 2 ، ص32 ،33 .

(3)القاضي عيّاض : **الغنيّة** ، ص196 – 170 ؛ ابن بشكوال : **نفس المصدر** ،ج 2 ، ص32 ،33 .

(4)ابن بشكوال : **نفس المصدر** ،ج 2 ، ص226 ؛ ابن خلّكان : **مصدر سابق** ، ج4 ، ص296 .

(5) عبد المجيد النّجار : **مرجع سابق** ، ص 438 ؛ إبراهيم التّهامي : **مرجع سابق** ، ص33 .

(6) عبد المجيد النّجار : **نفس المرجع** ، ص439 .

(7) ابن خلدون : **العبر**، ج6 ، ص466 ؛ السّلاوي : **مصدر سابق** ،ج1، ص140 .

(8)ابن خلدون : **العبر**، ج6 ، ص466 .

ودعى إلى دراسة علم الكلام [1]، وسمّى أتباعه الموحدين [2]، وألّف لهم كُتُبا في التّوحيد وأخرى في العقيدة [3]، وألزم أصحابه بقراءة هذه المؤلّفات؛ بل حِفظها، وتسهيلا للحفظ قسّم لهم كتاب التّوحيد إلى أحزاب، وأن يقرأ أتباعه حِزبًا منه كلّ يوم بعد قراءة حزبٍ من القرآن الكريم بعد صلاة الصُّبح [4]والّذي يحتوي على معرفة الله تعالى وسائر العقائد، كالعلم بحقيقة القضاء والقدر والإيمان بما يجب لله تعالى ومايستحيل عليه ، وما يجوز وما يجب على المسلم من الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر [5] وغيرها من مواضيع العقيدة .

وبذلك إنتعش علم الكلام في المغرب والأندلس وأصبح له رواده وعلماؤه المهتمّين به ، ويمكن أن نقول الفضل يعود إلى محمد بن تومرت وخلفائه في الدّولة الموحديّة في إنتشار المذهب الأشعري الّذي إعتنقه أهل المغرب والأندلس إلى اليوم ، وساعده في ذلك عدّة أسباب أهمها ، وجود علماء كبار، كانوا قد إعتنقوا المذهب الأشعري وألّفوا فيه [6]قبل مجيء الموحدين ،كما لم يجدوا معارضة شديدة من علماء المذهب المالكي إلاّ نادرا [7] ، ما أنشأ في نفوس المغاربة والأندلسيّين إستعدادا لتقبُّله [8] ، خاصة أنّ المذهب الأشعري ماهو في الحقيقة إلاّ مذهب السّلّف في الإعتقاد، أُضيف إليه الجانب العقلي في الإحتجاج

---

(1) حسن علي حسن : **مرجع سابق** ، ص487 .

(2) النّويري شهاب الدّين أحمد : **نهاية الأرب في فنون الأدب** ، تحقيق ، عبد المجيد ترحيني ، ط1 ، دار الكتب العلميّة بيروت ، 1323ه/2004م ، ج24 ، ص154 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص177 ؛ السّلاوي ، **مصدر سابق** ،ج1، ص140 .

(3) النّويري : **نفس المصدر** ، ج24 ، ص155 ، ألّف ابن تومرت مجموعة رسائل أهمّها ، المرشدة ، العقيدة ، رسالة في توحيد البّاري ، وكتاب في التّوحيد باللّسان البربري . انظر ، ابن صاحب الصّلاة : **مصدر سابق** ، ص229 ؛ ابن القطّان : **مصدر سابق** ، ص81 ؛ مجهول : **الحلل الموشية** ، ص109 ،110 ؛ المراكشي :**مصدر سابق** ، ص255 ؛ ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص466 ؛ الذّهبي : **سيّر أعلام النّبلاء** ، ج19 ، ص540 ،541 .

(4) ابن القطّان : **نفس المصدر** ، ص81 ؛ مجهول : **الحلل الموشية** ، ص109 .

(5) ابن القطّان : **نفس المصدر** ، ص81 ؛ مجهول : **الحلل الموشية** ، ص110 .

(6) إبراهيم التّهامي : **مرجع سابق** ، ص26 .

(7) لم تكن ظاهرة عامّة، كما حدث للشّيعة أو المذهب الظّاهري .

(8) عبد المجيد النّجار : **مرجع سابق**، ص441 .

والتّأويل [1]، إلاّ أنّ السّؤال المطروح والّذي أرهق الكثير من البّاحثين هو ، هل العقيدة الّتي جاء بها محمد بن تومرت عقيدة أشعريّة بحتّة ؟ .

إنّ الدّارس لهذه العقيدة بشكل دقيق يمكنه أن يستنتج أن العقيدة الّتي قدِم بها إبن تومرت، لم تكن عقيدة أشعريّة صَرْفة [2]، وإنّما هي خليط من المذاهب العَقَدِيّة الكلاميّة، يقول حسن إبراهيم حسن : " فالعقيدة التّومرتيّة تعتبر مزيجا من المذاهب الكلاميّة ، فهي ليست أشعريّة بحتّة، كما ذكر المراكشي وإبن خلدون ، ولاخارجية كما أدركها علماء المرابطين ، كما أنّها ليست معتزليّة تقوم على الأدّلة العقليّة وحدها ولاسلفيّة تنأى عن الرّأي والتّأويل ، وليست غزّاليّة كما توهّمها " أندريه جوليان" ؛ بل هي مزيج من أغلب المذاهب المذكورة وغيرها" [3]فابن تومرت لم يدعُ إلى مذهب عَقَدِي أو كلامي بعينه، لذلك حريّ أن نسمّي العقيدة الّتي جاء بها بالعقيدة التّومرتيّة نسبة إليه، فابن تومرت إقتبس فقط من الأشاعرة ، حيث لم نجد في مؤلّفاته وأقواله ولاحتّى في آثار خلفائه إعلان بإمّامة الأشعريّة ولاحتّى دعوة إليها بإستقلال [4] .

وهكذا فإنّ أهل المغرب والأندلس كانوا في الجانب العقدي على طريقة أهل السّنّة والجماعة ، ولّما جاء إبنتومرت حوّلهم إلى طريقة أهل الكلام وحمَلهم عليها حمْلا بعدما كانت منحصرة في بعض النّاس [5] ، ومنذ ذلك الوقت أصبح لعلم الكلام منزلة هامّة في الدّولة ، وإهتمّ به الخلفاء والأمراء والعلماء [6]،

(1) عبد المجيد النّجار : **مرجع سابق**، ص441 .

(2) السّلاوي : **مصدر سابق** ، ج1 ، ص140 ؛ حسن إبراهيم حسن : **مرجع سابق** ، ج4 ، ص442 .

(3)حسن إبراهيم حسن : **نفس المرجع** .

(4) عبد المجيد النّجار : **مرجع سابق** ، ص442 .

(5) إبراهيم التّهامي : **مرجع سابق** ، ص7 .

(6) السّلاوي : **مصدر سابق** ، ج1 ، ص140.

وتداول النّاس مؤلّفات إبن تومرت وخاصّة منها المُرشدة [1] ، ودرسّها العلماء وشرحوها [2]للنّاس في مختلف المناطق، من العالم الإسلامي ، يقول صاحب الحلل الموشيّة : "وألّف لهم كتابًا، سمّاه بالقواعد وآخر سمّاه بالإمّامة، هما موجودان بأيدي النّاس لهذا العهد " [3]، ويقول عبد المجيد النّجار : "من خلال ماعثرنا عليه من شروح للمُرشدة، تَبيّن لنا أنّها كانت تُمثل محورا دراسيّا في مختلف الأزمان وفي مختلف المراكز العلميّة بالمغرب؛ بل وفي بعض مراكز المشرق أيضا" [4]، ونستنتج من ذلك أنّ المُرشدة في العقيدة لم تكن مرفوضة من قِبَل كافة العلماء؛ بل كانت مُستصاغة، سهلة القراءة والفهم على العامّة والخاصّة، ليس فيها شبهات عقديّة، ممّا جعلها متداولة بين النّاس ، وإلاّ رفضوها كما رفضوا غيرها من الكتب .

إزدهر علم الكلام في عهد الموحدين وشجّع حكّامها العلماء [5]الّذين خاضوا في هذا العلم ، ولما لا فإن محمد بن تومرت كان عالما بالجدل، أوحد عصره في علم الكلام [6]، حيث تمكّن بجدارة مناظرة كبار علماء وفقهاء الدّولة المرابطيّة في مجلس أميرهم وعلى مسمع ومرآى الجميع وأفحمهم [7]، ولّما كانت دعوة الموحدين تتطّلب الجدل والنّقاش للدّفاع عنها، فقد غنتشر الجدل والمناظرات واستُخدم العلم والعقل فيها ولذلك تميّز حكّام الدّولة بإتقان مختلف العلوم خاصّة منها الجدل وعلم الأصول [8] وحتّى أبناءهم [9].

(1) المرشدة، هي عبارة عن رسالة صغيرة الحجم، لا تتجاوز الصفحتين، فيها عرض للمسائل العقيديّة، خال من البراهين . انظر ، عبد المجيد النّجار : **نفس المرجع** ، ص447 ؛ الملحق رقم :1.

(2) ذاع صيتها وإنتشر خبرها وأقبل عليها الشُّراح بالدّراسة والشّرح والتّعليق . انظر ، عبد المجيد النّجار ، **نفس المرجع** ، ص450 وما بعدها ؛ ومن بين الّذين شرحوا المرشدة أبي عبد الله محمد بن خليل السّكوني الإشبيلي، توفيّ في أواخر القرن السّابع الهجري ، تحقيق ، يوسف أحنانا ،ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت1413ه/1993م .

(3)مجهول : **الحلل الموشية** ، ص110 .

(4) عبد المجيد النّجار : **نفس المرجع ،** ص450 .

(5) المراكشي : **مصدر سابق** ، ص269 .

(6) ابن أبي دينار : **مصدر سابق** ، ص107 .

(7) المراكشي : **نفس المصدر** ، ص252 .

(8) المراكشي: **نفس المصدر** ، ص309 ،310 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص203 .

(9) ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س8 ، ق2 ، ص468 .

ولايفوتني في هذا المقام أن أشير إلى مظاهر الجدل والمناظرات والحوار الجّاد بين المسلمين والنّصارى [1] الّذي كان قائما خاصّة في الأندلس الّتي إنتشر فيها القسّاوسة ورجال الدّين النّصارى الّذين استغّلوا ظروف ضعف المسلمين وتراجع ثغورهم؛ بسبب الفتن والحروب الدّاخلية بينهم ، فأخذوا ينشرون الشّكوك بين أوساط المسلمين في المدن الّتي سيطر عليها النّصارى، مُحاولة منهم عبَثًا لتنصير من بقيّ من المسلمين في هذه المدن[2] فانبرى لهؤلاء علماء مسلمون بالرّدّ عليهم ، وكان منهم أبي جعفر أحمد بن عبد الصّمد بن أبي عبيدة ت582ه/1185م الّذي ألّف كتابين في الرّدّ على هؤلاء النّصارى ، وهذان الكتابان هما "مقام المدرك في إفحام المشرك "[3] .

وكتاب " مقامع هامات الصُّلبان ورواتع رياض الإيمان "[4]، وقد ذكرإبن عبد الملك المراكشي ظروف تأليف أبي عُبيدة لكتابه مقامع الصّلبان ، حيث عندما وقع في أسيرا عند المسيحيّين في إحدى المعارك بين المسلمين والمسيحيّين سنة540ه/1146م ،حُمِل إلى طُليطلة، وبقيّ هناك أسيرا لمدّة سنتين كان خلالهما المسلمون المقيمون في طليطلة يستمدون إجاباتهم على أسئلة أحد القساوسة عن الإسلام وتعاليمه من أبي عبيدة [5]، الّذي ألّف لهم هذا الكتاب وتركه بأيدي المسلمين في طليطلة بعدما تخلّص من الأسْر [6] ، فهذا أنموذج من النّماذج الكثيرة الّتي قامت، تُدافع عن الإسلام وتعاليمه ضدّ أصحاب العقائد المخالفة، خاصّة

(1) أبو عبيدة الخزرجي : **بين الإسلام والمسيحيّة** ، تحقيق ، محمد شامة ، ط2 ، مكتبة وهبة القاهرة 1395ه/1975م ص6 ؛ خالد عبد الحليم السّيوطي : **الجدل الدّيني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس** ، ط1، دار قباء للطّباعة والنّشر والتّوزيع القاهرة1422ه/2001م، ص61 ومابعدها.

(2)أبو عبيدة الخزرجي : **نفس المصدر** ، ص34 ؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س1 ، ق1 ، ص239 .

(3) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س1 ، ق1 ، ص240 وما بعده ؛ ابن فرحون : **مصدر سابق** ، ص119 .

(4) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج1 ، ص76 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س1 ، ق1 ، ص240 ؛ ابن فرحون : **نفس المصدر** ، ص119؛ طُبع الكتاب بعناية الدّكتور محمد شامة ، مكتبة وهبة القاهرة 1395ه/1975م، إلاّ أنّه تصرّف في العنوان وأصدره تحت عنوان : بين الإسلام والمسيحيّة .

(5) أبو عبيدة الخزرجي : **نفس المصدر**، ص53 ؛ ابن عبد الملك ، **نفس المصدر** ، س1 ، ق1 ، ص240 .

(6) ابن عبد الملك ، **مصدر سابق** ، س1 ، ق1 ، ص240 ؛ خالد عبد الحليم السّيوطي : **مرجع سابق** ، ص 50،51 .

اليهود والنّصارى، وقد بذل هؤلاء العلماء أقصى ما في وُسعهم في التّعرُف على عقائد أهل الكتاب وبيان مواطن الإختلاف بينها وبين الإسلام وتوضيح أفضليّة العقيدة الإسلاميّة واتّفاقها مع العقل السّليم ، والرّدّ على إعتراضات علماء أهل الكتاب ضدّ الإسلام ، وقد دفعهم ذلك للدّخول في جدل، يطول في كثير من الأحيان مع أهل هاتين الملّتين ، والأندلس من المناطق الّتي كان يكْثُر فيها الجدل؛ لإلتقاء أتْباع الدّيانات الثّلاث، الإسلام والمسيحيّة واليهوديّة ، كما إلتزم المسلمون في حواراتهم وجدالهم لأهل الكتاب بآداب النّقاش والحوار والتّسامح الدّيني، دون فرض رأيّهم أو إجبار الطّرف الآخر على الإعتراف بآرائهم أو الإلتزام بها [1].

كما كانت تُقام مناظرات داخلية، أي بين المسلمين أنفسهم وخاصّة بين أنصار المذهب الفقهي المالكي وبين أنصار المذهب التّومرتي الّذي جاء ليُلغي التّعصُب المذهبي المالكي لبعض علماء المالكيّة ودفْعهم لترك كتب الفروع الّتي أصبحت منتشرة كثيرا كما يقول المراكشي: " فنفقت في ذلك الزّمان كتب المذهب ــ المذهب المالكي ـــ وعُمل بمقتضاها ونُبذ ما سواها، وكثر ذلك حتّى نُسيّ النّظر في كتاب الله وحديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم"[2].

وحاول المالكيّة الدّفاع عن موقفهم في الحوار الّذي قام بين يوسف بن عبد المؤمن والحافظ أبي بكر بن الجدّ[3] ، إلاَّ أنّ ذلك لم يُقنع الخليفة الّذي وجد في كتب الفروع للمذهب المالكي خروجا عن الأصل وهو كتاب الله وسنّة رسوله صلّى الله عليه وسلّم ، وتشعُبًا في المسألة الواحدة في المذهب الواحد [4].

(1) للتّوسع أكثر انظر ، خالد عبد الحليم : **مرجع سابق** ، ص62 وما بعدها .
(2) المراكشي : **مصدر سابق** ، ص236 .
(3) المراكشي : **نفس المصدر**، ص355 ،356 .
(4) **نفسه.**

وهكذا فقد أخذ علم الكلام حظّه الكامل في الإنتشار في عهد الموحدين [1]، و برز في وسط هذا التّشجيع لعلم الكلام في عهد الموحدين عدد من العلماء نذكر منهم :

1) عثمان بن عبد الله القيسي السّلالجي [2]ت564ه/1168م ، من أهل فاس [3]، إمّام أهل المغرب في علم الإعتقاد [4] ، أخذ العلم عن علماء مراكش في بداية عهده [5] ، اتّجه نحو المشرق الإسلامي وفي طريقه تعرّض للإعتقال في بجاية مع بعض أصحابه ، غير أنّه تمكّن من الهروب ليلا وعاد إلى فاس[6]

أخذ العلم عن أبي الحسن بن حرزهم وغيره [7]، ثمّ إنتقل إلى مراكش حيث إلتقى بالعالم الأصولي علي بن محمد بن خليد الإشبيلي ت567ه/1172م ولازمه طويلا إلى أن حفظ عليه كتاب "الإرشاد "[8]للجُويني في علم الكلام ، كما أخذ عنه أصول الفقه وغيره [9].

أصبح عالما عاملا مُحَصِّلاً ، حيث عدّه بعض العلماء في العلم بمرتبة أبي المعالي الجُويني إمّام الحرمين، وعنه نشأ في المغرب علم أصول الدّين [10]، وإنتصب لتعليم العلم محتسبا، متواضعا، صالحا، زاهدًا

(1) دندش عصمت : **الأندلس في نهاية المرابطين** ، ص403 ؛ حسن علي حسن : **مرجع سابق** ، ص487.

(2)التادلي : **مصدر سابق** ، ص198 ؛ ابن الأبار : **التّكملة** ،ج3 ، ص171 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص266 ؛ أحمد المكناسي: **مصدر سابق** ، ج2 ، ص458 ؛ محمد الكتّاني : **مرجع سابق** ، ج2 ، ص241 ؛ كنون عبد الله : **ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والسّياسة والأدب** ،ط1 ، دار ابن حزم بيروت 1430ه/2010م ، ص248 .

(3) ابن الأبار : **التّكملة** ،ج3 ، ص171 .

(4)التادلي : **نفس المصدر** ، ص198 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص266 ؛ أحمد المكناسي : **نفس المصدر**، ج2 ، ص458.

(5)محمد الكتّاني : **نفس المرجع** ، ج2 ، ص242 .

(6)أحمد المكناسي : **نفس المصدر** ، ج2 ، ص458 ؛ محمد الكتّاني : **نفس المرجع** ، ج2 ، ص242 .

(7)التادلي : **نفس المصدر** ، ص199 ؛ أحمد المكناسي : **نفس المصدر**، ج2 ، ص458 ؛ محمد الكتّاني : **نفس المرجع** ، ج2 ، ص242

(8)ابن الأبار : **التّكملة** ،ج3 ، ص172 ؛ أحمد المكناسي : **نفس المصدر** ، ج2 ، ص458 ؛ محمد الكتّاني : **نفس المرجع** ، ج2 ، ص242 .

(9)ابن الأبار : **التّكملة** ،ج3 ، ص172 ؛ أحمد المكناسي : **نفس المصدر** ، ج2 ، ص458 .

(10) أحمد المكناسي : **نفس المصدر** ، ج2 ، ص458 ؛ محمد الكتّاني : **نفس المرجع** ، ج2 ، ص242 .

في الدّنيا[1]، له كتاب سمّاه " البّرهانيّة " [2]في الإعتقاد الّتي إشتهرت بالسّلالقيّة [3]، وضعها لإمرأة أندلسيّة فقيهة اسمها خيرونة وهي من الصّالحات، تخرّج على يده عدّة علماء في علم الكلام وأصول الفقه، منهم أبي عبد الله بن عبد الكريم الكتّاني وعبد الحقّ بن خليل السّكوني [4]وأبي الحجّاج بن نموي [5]، توفيّ بمدينة فاس .

2) محمد بن خلف بن موسى الألبيري الأنصاري [6] ت 537ه/1142م، سكن قرطبة، يُكنّى أبا عبد الله ويُعرف بالألبيري [7]، أخذ العلم عن أبي جعفر محمد بن حكم بن باق وأبي حفص بن خلف بن اليتيم [8] وغيرهم ، بينما أخذ علم الكلام عن أبي بكر بن محمد بن الحسن المُرادي ت489ه/1096م وأبي الحجّاج يوسف بن موسى الكلبي [9]ت520ه/1126م ، المتخصّصين في علم الكلام على المذهب الأشعري ، فكان حافظا لكتب الأصول والإعتقادات [10] ، عالما، متكلّما، واقفا على مذاهب المتكلّمين متحقّقا برأي لأبي الحسن الأشعري ، مُشاركا في الأدب، مُتقدّم في الطبّ [11]، أخذ عنه عدّة طلبة منهم أبي إسحاق بن قرقول وأبي خالد المرواني وأبي عبد الله بن الصّيقل المرسي وأبي الوليد بن خيرة [12]، له

---

(1)التادلي : **مصدر سابق** ، ص199 ؛ أحمد المكناسي : **مصدر سابق**، ج2 ، ص458 ؛ محمد الكتّاني : **مرجع سابق**، ج2، ص242 .

(2)أحمد المكناسي : **نفس المصدر** ، ج2 ، ص458 ؛ محمد الكتّاني : **نفس المرجع** ، ج2 ، ص242 .

(3) نسبة لعثمان السّلاجي الّذي يُسّميه ابن الأبار بالسّلالقي . انظر، ابن الأبار : **التّكملة** ، ج3 ، ص171 .

(4) محمد الكتّاني : **نفس المرجع** ، ج2 ، ص242 .

(5) ابن الأبار : **التّكملة** ،ج3 ، ص173 .

(6) ابن الأبار : **التّكملة** ،ج1 ، ص358 ؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س6 ، ص193 ؛ ابن فرحون ،: **مصدر سابق** ، ص402-403 .

(7)ابن الأبار : **التّكملة** ،ج1 ، ص358 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص193 .

(8)ابن عبد الملك : **نفس المصدر**.

(9)ابن الأبار : **التّكملة** ،ج1 ، ص ؛ 358 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص193.

(10)ابن الأبار : **التّكملة** ،ج1 ، ص358 .

(11)ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س6 ، ص193 ؛ ابن فرحون ،: **نفس المصدر**، ص403 .

(12)ابن الأبار : **التّكملة** ،ج1 ، ص ، 358 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص194.

عدّة مؤلّفات أهمّها " النّكت والأمالي في الرّدّ على الغزّالي " [1] وكتاب "البيان في الكلام على القرآن " ، وكتاب " الأصول إلى معرفة الله ونبوّة الرّسول"[2] و " رسالة الإنتصار على مذاهب الأئمّة الأخيار " و" رسالة البيان عن حقيقة الإيمان "[3] وغيرها.

2) محمد بن حكم بن محمد بن أحمد بن باق الجُذامي [4]ت 538ه/1144م، من أهل سرقسطة يُكنّى أبا جعفر[5]، أخذ العلم عن عدّة علماء عصره، منهم أبي الوليد الباجي ، وأبي عبد الله محمد بن يحي بن هشام ، والقاضي بن الأصبغ وإبن الفوارس بن عاصم [6]وغيرهم، إنتقل إلى فاس واستقرّ بها [7]، وتولّى أحكامها، يقول عنه إبن عبد الملك: " كان مُقْرِءًا، مُجَوِدًا، مُتحقّقًا بعلم الكلام وأصول الفقه، مُحَصّلاً لهما مُتقدّمًا في النّحو، حافظًا للّغة، حاضر الذّكر لأقوال أهل تلك العلوم ، جيّد النّظر، مُتَوقد الذّهن، ذكيّ القلب، فصيح الكلام " [8].

جلس للتّدريس والفتوى بفاس [9]، أخذ عنه عدّة طلبة العلم منهم، أبي الوليد بن خيرة [10]وأبي

(1)ابن الأبار : **التّكملة** ،ج1 ، ص ، 358 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص194.

(2)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص194 .

(3) ابن الأبار : **التّكملة** ،ج1 ، ص ، 358 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص194.

(4) ابن الأبار : **التّكملة** ،ج1 ، ص 360 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص177 ؛ ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج3 ، ص72 ؛ أحمد المكناسي : **مصدر سابق** ، ج1 ، ص255 ؛ ابن فرحون : **مصدر سابق** ، ص392 ، 393 ؛ السّيوطي : **بُغية الوُعاة** ،ج1 ، ص96

(5)ابن الأبار : **التّكملة** ،ج1 ، ص ،360 ؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س6 ، ص177.

(6)ابن الأبار : **التّكملة** ،ج1 ، ص ،360 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص177؛ أحمد المكناسي : **نفس المصدر** ، ج1 ، ص255 .

(7)ابن الأبار : **التّكملة** ،ج1 ، ص360 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص177 ؛ السّيوطي : **بُغية الوعاة** ، ج1، ص96 .

(8) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص177 .

(9) **نفس المصدر** ، س6 ، ص178 .

(10) ابن الأبار : **التّكملة** ،ج1 ، ص 360 .

مروان الصّيقل وأبي محمد القاسم بن دحمان وأبي الحسن اللّواتي[1]، وأبي إسحاق بن فرفول وإبن حسن السّبتي[2] وعُرف بأنّه كان قيّمًا على كتبه ، وقد صنّف في الجدل مُصنفين، كبيرا وصغيرا، إلاّ أنّ المصادر لم تذكر أسماء مؤلّفاته وله عقيدة جيّدة، شرَح "إيضاح الفارسي"[3] واستمرّ في التّدريس بفاس إلى أن توفيّ بها [4].

3) – علي بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن عبد الرّحمن بن الضّحاك الفزاري [5]ت552ه/1157م من أهل غرناطة، يُعرف بابن البقري [6]، كان فقيها، مُحَدّثًا، مُشاورًا [7]، مُتكلّمًا [8]ماهرا [9]، من المُبَرَزين في حفظ التّواريخ وطبقات الرّواة وتعديلهم وتجريحهم ، ومن المُبَرزين في علم الحديث، المُميزين لصحيحه من سقيمه، ذو باع طويل في هذا الشّأن ومع ذلك كان أديبًا [10]كما كان حسن الخطّ، معروفا بصحّة النّقل وجودة الضّبط [11] ، ورغم تمكُنه من علوم شتّى إلاّ أنّه برز في علم الكلام وأصول الفقه [12].

(1) **نفسه** ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص177؛ ابن الخطيب : **الاحاطة** ،ج3 ، ص73 .

(2)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص177؛ ابن الخطيب : **الإحاطة** ،ج3 ، ص73 .

(3)ابن الأبار : **التّكملة** ،ج1 ، ص ،360 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص177؛ ابن الخطيب : **الإحاطة** ،ج3 ، ص73؛ أحمد المكناسي : **مصدر سابق** ، ج1 ، ص255 ؛ السّيوطي ؛ **بُغية الوعاة** ،ج1، ص96 .

(4) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص177 ؛ ابن فرحون : **مصدر سابق** ، ص393 .

(5) ذكر ابن الزّبير وفاته سنة 577ه/1161م . انظر: ابن الزّبير: **مصدر سابق** ، ص268 .

(6)ابن الأبار : **التّكملة** ،ج3 ، ص ،195؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5، ق1 ، ص282 ؛ ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص267 .

(7) ابن عبد الملك : **نفس المصدر**، س5، ق1 ، ص284 ؛ ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص268 .

(8)ابن الزّبير : **نفس المصدر**،ص268.

(9)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5 ، ق1 ، ص282 ؛ ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص268 .

(10)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، ، س5 ، ق1 ، ص284 .

(11)ابن الأبار : **التّكملة** ،ج3 ، ص196 .

(12)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، ، س5 ، ق1 ، ص284 .

أخذ العلم عن عدّة علماء عصره الّذين وضع لهم برنامجا، أوضح فيه كيفيّة أخْذِه عنهم للعلم وقد لخصّ إبن عبد الملك أسماء شيوخه [1]ومن أبرزهم ، ابن البّاذيش [2] ، وأبي حسين يونس بن مغيث ، وأبي الحسن شُريح بن محمد [3]وأبي محمد عبد الحقّ بن عطيّة [4] وأبي بكر بن العربي [5]، وأبي عبد الله بن أبي الفضل عيّاض [6] وأبو بكر بن العزيز بن مدْيرة ، وأبي الحسن بن النّعمة وأبي العبّاس الزّنقي الّذي أخذ عنه علم الكلام [7].

أمّا تلاميذه أبرزهم، إبنه أبو محمد عبد المنعم بن علي الفزاري [8]، وأبو جعفر بن شُرحبيل بن أخت المترجم له وأبو بكر بن زمين[9] وأبو الحسن بن فتح بن جابر[10]وأبو عبد الله بن أحمد بن الصّقر[11]، له العديد من المؤلّفات الّتي دلّت على سعة علمه وثقافته، حيث يقول إبن الزّبير :" ألّف في أنواع من العلوم تواليف كثيرة "[12]، فجاءت مؤلّفاته في الحديث والفقه وعلم الكلام وكان من أبرزها "شرح إرشاد أبي

(1)عبد الملك : **المصدرالسابق** ، ، س5 ، ق1 ، ص284 .

(2) **نفسه** ؛ ابن الزّبير ، **نفس المصدر** ، ص267 .

(3)ابن الأبار : **التّكملة** ،ج3 ، ص195؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5 ، ق1 ، ص283 ؛ ابن الزّبير: **مصدر سابق** ، ص267 .

(4)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5 ، ق1 ، ص283 ؛ ابن الزّبير ، **نفس المصدر** ، ص267 .

(5)ابن الأبار : **التّكملة** ،ج3 ، ص195؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5 ، ق1 ، ص282.

(6)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ؛ ابن الزّبير ، **نفس المصدر** ، ص267 .

(7) ابن الأبار : **التّكملة** ،ج3 ، ص195؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5 ، ق1 ، ص284 ؛ ابن الزّبير ، **نفس المصدر** ، ص267.

(8)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5 ، ق1 ، ص284؛ ابن الزّبير ، **نفس المصدر** ، ص268 .

(9)ابن الأبار : **التّكملة** ،ج3 ، ص196؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5 ، ق1 ، ص284 .

(10)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5 ، ق1 ، ص284 ؛ ابن الزّبير ، **نفس المصدر**، ص268 .

(11)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5 ، ق1 ، ص284.

(12) ابن الزّبير ، **نفس المصدر** ، ص268 .

المعالي"[1] الّذي سمّاه منهاج السّداد في شرح الإرشاد "ثلاثون جزءا [2] ، " وكتاب "أجوبة على مسائل إقتضى منّا الجواب عليها " [3]، و" مدارك الحقائق " في أصول الفقه [4]خمسة عشر جزءا ، و "تحقيق المقصد السّنّي في معرفة الصّمد العلّي " كتاب واحد، و"تنبيه المتعلّمين على المقدّمات والفصول وشرح المُبهمات منها والأصول"[5] وغيرها ، توفيّ فقيدا في حادثة بالقرب من غرناطة عندما كان متّجها إلى وادي آش [6].

5) إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق الأوسي ت611ه/1214م، أصله من مالقة واستقرّ بمرسيّة [7] يعتبر من المتبحرين في علم الكلام [8]، حيث ترّأسه واشتهر به [9]قال عنه إبن الخطيب :" كان مُتقدِّمًا في علم الكلام ،حافظا، ذاكرًا للحديث والتّفسير والفقه والتّاريخ وغير ذلك"[10]،كما كان مُشاركًا في الأدب[11]. تَنقلّ ودرَّس في أكثر من بلد وكانت العامّة حِزْبه [12] ولم يزل في مرسيّة يُناظر عليه ويُتَحلّق إليه إلى أن توفيّ بها [13]،أخذ العلم عن عدّة علماء منهم ، أبي الحسن علي بن إسماعيل بن حرزهم ،

(1)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5 ، ق1 ، ص284 .
(2) ابن الزّبير ، **نفس المصدر**، ص268 ، ابن فرحون : **مصدر سابق** ، ص303 .
(3) ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س5 ، ق1 ، ص284 .
(4)ابن الزّبير ، **نفس المصدر**، ص268 ؛ ابن فرحون : **نفس المصدر** ، ص303 .
(5)ابن فرحون : **نفس المصدر**.
(6)ابن الزّبير ، **نفس المصدر** ، ص268 .
(7) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج1 ، ص140 ؛ الصّفدي : **مصدر سابق** ، ج6 ، ص110 ؛ ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج1 ، ص325 ؛ ابن فرحون : **نفس المصدر** ، ص147 .
(8)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج1 ، ص140 .
(9) **نفسه** ؛ الصّفدي : **نفس المصدر** ، ج6 ، ص110 .
(10)ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج1 ، ص325 .
(11)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج1 ، ص140 .
(12)**نفسه** ؛ الصّفدي : **نفس المصدر** ، ج6 ، ص110 .
(13)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج1 ، ص 140 ؛ ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج1 ، ص326 .

وأبي الحسن بن حنين [1] ، وتتلمذ على يديه أبي عبد الله بن أحلى وأبي محمد عبد الرّحمن بن وصلة ، [2]له عدّة مؤلّفات وصفها إبن الخطيب بقوله :" نافعة في أبوابها، حسنة الرّصيف والمباني "[3]منها :

"شرْح الإرشاد للجُويني"[4] الّذي كان يُعلِقه من حِفْظِه من غير زيادة وامتداد [5]، له كتاب " في مسائل الإجماع " [6] و "شرح محاسن المجالس لأبي العبّاس أحمد بن العرّيف "[7].

6)- يوسف بن محمد بن المعزّ المكلاتي، أصله من فاس، يُكنّى أبا الحجّاج الأحدب[8]ت626ه/ /1228م أحد المهرَةِ في علم الكلام وأصول الفقه، مُشاركًا في غيرهما من العلوم ، مُنْقطعًا إلى النّظر [9]، أخذ علم الكلام وأصول الفقه عن أبي الحجّاج بن نموي السّابق الذّكر ، وأبي عبد الله الكتّاني الفندلاوي، قرّبه المنصور الموّحدي عندما تعرّف إليه أوّل دخوله إلى الأندلس 591ه/1195م، فألزمه مجلسه مع الطّلبة وأحسن إليه واستمرّ على حاله مُقرّبًا ومُكرمًا لدى الموحدين ، وصاحب النّاصر بن المنصور عندما قدم إلى الأندلس[10] سنة607ه/1210م، قال عنه إبن عبد الملك:"لم يستخلص لنفسه نظيرًا فيما كان ينتحلُه من العلوم "[11] درس وأخذ عنه العلم عدّة علماء أبرزهم أبو إسحاق بن قسّوم وأبو بكر بن الجدّ

---

(1)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج1 ، ص 140 .

(2) ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج1 ، ص326 .

(3) **نفسه** .

(4) ابن الخطيب: **نفس المصدر** ، ج1 ، ص 140 ؛ ابن الخطيب : **الإحاطة**، ج1، ص326 ؛ ابن فرحون : **نفس المصدر** ، ص147 .

(5)ابن الخطيب : **الإحاطة**، ج1، ص326 .

(6)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج1 ، ص 140 ؛ الصّفدي : **نفس المصدر** ، ج6 ، ص110 .

(7)ابن الخطيب : **الإحاطة**، ج1، ص326 ؛ ابن فرحون : **نفس المصدر** ، ص147 .

(8) ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س8 ، ق2 ، ص432 ؛ عبّاس السّملالي : **مصدر سابق** ، ج10 ، ص420 .

(9)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س8 ، ق2 ، ص432 ؛ عبّاس السّملالي ، **نفس المصدر** ، ج10 ، ص420 .

(10)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س8 ،ق2 ، ص432 ،433 ؛ عبّاس السّملالي : **نفس المصدر** ،ج10، ص420.

(11)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س8 ،ق2 ، ص 433.

وأبو العبّاس بن هارون وأبو الحسن بن القطّان [1]وغيرهم ، له عدّة مصنّفات ومقالات وجيزة ومتوسطة في علم الكلام وأصول الفقه من أشهرها " لُباب المعقول في علم الأصول " [2].

7) يحي بن عبد الرّحمن بن ربيع الأشعري [3]ت640ه/1242م، من أهل قرطبة [4]ومن بيوتات علم مشهورة في قرطبة [5]، أحد أهمّ أئمّة علم الكلام وأصول الفقه، ماهرًا في المعقولات وقد نُوظر عليه في كتابي أبي المعالي الجُويني الشّامل ، والإرشاد [6]وغيرها .

كما كان مُتقنًا للفنون[7]،وصفه إبن الزّبير بأنّه "من العلماء الجُلّة، ذو المشاركة في فنون من المعارف"[8] وأشاد به النّباهي بأنّه "صدر علماء زمانه بالأندلس" [9]، أخذ العلم عن عدّة علماء، ذكرهم في برنامجه [10]أهمهم ، أبي القاسم بن بشكوال [11] وأبي الحسن بن كوثر [12] ، وأبي الحسن عبد الرّحمن الأشعري ت585ه/1189م والد المترجم له [13] .

---

(1)ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س8 ،ق2 ، ص 433 ؛ عبّاس السّملالي : **مصدر سابق** ،ج10، ص420.

(2)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س8 ،ق2 ، ص 433 ؛ الكتاب نشر سنة 1977م بعناية: فوقية حسين، مصر .

(3) الرّعيني : **مصدر سابق** ، ص72 ؛ ابن الأبار : **التّكملة** ، ج4 ، ص192 ؛ النّباهي : **مصدر سابق** ، ص124 ؛ ابن الزّبير: **مصدر سابق**، ص415 ؛ ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج3 ، ص373 (جعل وفاته سنة 637ه/1240م). انظر، التّنبكتي : **نيل الإبتهاج**،ص632.

(4)الرّعيني : **نفس المصدر** ، ص72 ؛ ابن الأبار : **التّكملة** ، ج4 ، ص192؛ ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص415 .

(5)ابن الزّبير : **نفس المصدر** ،ص415.

(6) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج4 ، ص192 .

(7) ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص415 .

(8) **نفسه .**

(9) النّباهي : **مصدر سابق** ، ص124 .

(10) الرّعيني : **نفس المصدر** ، ص73 ؛ ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص415 .

(11) الرّعيني : **نفس المصدر** ، ص73 ؛ ابن الأبار : **التّكملة** ، ج4 ، ص192 ؛ النّباهي : **نفس المصدر** ، ص124 ؛ ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص415 .

(12) الرّعيني : **نفس المصدر** ، ص73 ؛ ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص415 .

(13)الرّعيني : **نفس المصدر** ، ص73 ؛ ابن الأبار : **التّكملة** ، ج4 ، ص192 ؛ النّباهي : **نفس المصدر** ، ص124 ؛ ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص415 ؛ ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج3 ، ص374.

وأبي بكر بن الجدّ وأبي عبد الله بن زرقون [1]وأبي محمد بن جهور وأبي القاسم محمد بن علي الهمداني البرّاق وأبي محمد عبد الرّحيم بن الفرّ[2] وأبي عبد الله محمد بن عبد الرّحمن الرّعيني، ركن الدّين[3]،وأبي الحجّاج بن الشّيخ[4].

أمّا تلاميذه الّذين أخذوا عنه العلم، أبرزهم أبو الحسن الرّعيني [5] وأبو القاسم عبد الله وأبو سليمان بن الرّبيع و أولاده منهم أبي الحسن محمد [6]، تصدَّر لتدريس علم الكلام طوال حياته في كلّ من قرطبة وإشبيليّة وغرناطة ومالقة ، كما درّس الفقه وأصوله [7].

وقد أشاد بعلمه شيخه ابو الحجاج بن الشيخ بقوله : (لم ألق أوسع في معارفه ولاأكثر ذكرا للفقه وغيره من ابي عامر بن ربيع .) [8]وفي آخر ايامه استقر في مالقة بعد مرض أصابه منعه من الحركة الى ان توفي بها [9] له عدة مصنفات وصفها ابن الابار بالجليلة [10]من ابرزها : " تحقيق الأدلة في قواعد الملة " وكتاب " دفع الشبه المضلة والاقوال المضمحلة "وكتاب " الحجة البالغة والحجة الدامغة " وكتاب " تحرير البرهان الجلي في إبطال الفعل الطبيعي" وكتاب " الوحدانية " و" رسالة الاستيفاء لرسالة الإيماء في مسائل

---

(1)الرّعيني : **مصدر سابق** ، ص73 ؛ ابن الأبار : **التّكملة** ، ج4 ، ص192 ؛ النّباهي : **مصدر سابق** ، ص124 ؛ ابن الزّبير : **مصدر سابق**، ص415 .

(2)الرّعيني : **نفس المصدر** ، ص73 ؛ ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص415 .

(3)الرّعيني : **نفس المصدر** ، ص73 .

(4))**نفسه** ؛ ابن الأبار : **التّكملة** ، ج4 ، ص192 ؛ ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص415 .

(5) الرّعيني : **نفس المصدر** ، ص73 .

(6)ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص415 .

(7)**نفسه** ؛ النّباهي : **مصدر سابق** ، ص124؛ ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج3 ، ص374 .

(8)ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص415 .

(9) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج4 ، ص192 ؛ ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص .415 ؛ النّباهي : **نفس المصدر** ، ص124 .

(10)ابن الأبار :**التّكملة** ،ج4 ، ص192 .

الاستواء " و"الرد على من زعم أن العالم لايقال فيه لاقديم ولامحدث " و "رسالة النجم الثاقب في استحالة تغير الواجب " و" الرد على كتاب البرهان القديم " [1].

هذه مجوعة من العلماء الّذين برزوا في علم الكلام في عهد الدّولة الموحديّة ، والملاحظ هو أنّ علم الكلام إزدهر بشكل كبير في هذه الفترة ممّا أدّى إلى ظهور علماء مهرة، قاموا بالرّدّ على أباطيل الفِرق الضّالّة وكذا أهل الكتاب من اليهود والنّصارى وظهور مُصنّفات عديدة، لم يكن يعرفها المغرب والأندلس قبل ذلك وقد إرتبط هذا العلم بالعقل والمنطق، ممّا جعله في بعض الأحيان يتداخل مع علم الفلسفة ، كما أنّ علماء الكلام وجدوا صعوبة في بداية الأمر في تدريس ونُشر هذا العلم بسبب وقوف فقهاء المالكيّة في وجههم والتّضيّيق عليهم، ممّا جعلهم يُقبلون على دراسته سريًّا ، إلاّ أنّه في عهد الدّولة الموحديّة وجد علماء الكلام حرية مطلقة في دراسة وتدريس هذا العلم وخاصّة في الأندلس، حيث كانت حاجة المسلمين للجدل والمنطق والحوار والمناقشة بالأدّلة لإحباط مكايد أعداء الإسلام والمضلّلين وإدّعاءات بعض الفِرق الضّالّة، فشجّع حكّام الدّولة الموحديّة علم الكلام واستقبلوا وقرّبوا في قصورهم علماء الكلام المشهود لهم في هذا العلم، وكُتب التّراجم حافلة بعلماء الكلام وخاصّة منهم الّذين برزوا في عدد من العلوم، كعلم أصول الفقه والحديث والكلام وغيرها من العلوم .

(1) الرّعيني : **مصدر سابق** ، ص73 .

الفصل الرّابع

الـعـلـوم الإنـسـانـيـّة

I– التّاريخ والمؤرخون.

II– الجغرافيّة والرّحلات.

III– الفلسفة والمنطق.

IV– التّصوف وأقطابه.

I– التّاريخ والمؤرخون :

لقيّ علم التّاريخ[1] ونظرياته إهتماما خاصّا عند المؤرخين المسلمين؛ لأهمّيّته الكبرى في البّحث التّاريخي وفي اتّجاهاته، فقال عنه ابن خلدون : "فنّ عزيز المذهب ، جمّ الفوائد ، شريف الغاية"[2]، كما أنّ النّقاش حول أهمية التّاريخ كموضوع حيوي لذّاته، له أُسُسه وطرائقه البحتة وأهدافه وخطورته الخاصّة بين حقول المعرفة [3]، فهو"محتاج إلى مآخذ متعدّدة ومعارف متنوعة، وحُسن نظر وتثَبُّت يفيضان بصاحبهما إلى الحقّ" [4].

وإذاكان التّاريخ هو الزّمان وما وقع فيه من حوادث، فلا عبرة إذاً بطول الزّمان أو قِصره ولاعبرة بضآلة الحادثة أو ضخامتها ، ذلك أنّ الزّمن الطويل إنّما يتكوّن من السّاعات القصيرة ، والحوادث الكبيرة إنّما تتكونّ من تجمُع الحوادث الصّغيرة بعضها إلى بعض في نطاق زماني ومكاني محدود [5].

فالتّاريخ إذاً كما وصفه وعرّفه ابن خلدون: " فنّ من الفنّون الّتي تتّداولها الأمّم والأجيال وتُشدّ إليها الركائب والرّحال ، وتسمو إلى معرفته السُّوقة والأغفال ، وتتّنافس فيه الملوك والأقيّال ، ويتساوى في فهمه العلماء والجُهّال ، إذ هو في ظاهره لايزيد عن أخبار عن الأيّام والدُّول والسّوابق من القرون الأُوَّل ، تنمو فيها الأقوال ، وتُضرب فيها الأمثال ، وتُطرف بها الأنديّة إذا غصّها الإحتفال وتُؤدّي إلينا شأن الخليقة

(1) تدّل كلمة التّاريخ على الإعلام بالوقت، مضافا إليه ما وقع في ذلك الوقت من حوادث وأخبار . انظر، عبد العليم عبد الرّحيم خضر : **المسلمون وكتابة التّاريخ** ، ط1 ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي 1415ه/1995م ، ص22 ؛ أحمد خليل شال : **علم التّاريخ عند المسلمين**، ط1 ، دار السّقيفة بور سعيد مصر 1433ه/2012م، ص9 وما بعدها ؛ السّيد عبد العزيز سالم : **التّاريخ والمؤرخون العرب** ، ط1 ، دار النهضة العربية بيروت 1401ه/1981م ، ص17 وما بعدها .

(2) ابن خلدون : **المقدمة** ، ص12 .

(3) عبد العزيز الدّوري : **نشأة علم التّاريخ عند العرب** ، ط1 ، مركز زايد للترّاث والتّاريخ الإمارات العربيّة المتّحدة 1420ه/2000م ، ص7 .

(4)ابن خلدون : **المقدمة** ، ص12 .

(5)عبد العليم خضر : **نفس المرجع** ، ص23 .

كيف تقلّبت بها الأحوال واتّسع للدّول فيها النّطاق والمجال وعمروا الأرض حتّى نادى بهم الإرتحال ، وحان لهم الزّوال ، وفي باطنه نظرٌ وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق وعلم بكيفيّات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لهذا أصيل في الحكمة عريق" [1].

وعلى العموم فإنّ علم التّاريخ الإسلامي قد أدخل آلاف الكتب الّتي إعتبرها المسلمون في فترة من تاريخهم الفكري كُتُبًا تاريخيّة فكان فيها قدْر عظيم من المادة التّاريخيّة الّتي رسّخت المفاهيم العلميّة للكتابة التّاريخيّة [2]، وعلى هذا الأساس قال ابن خلدون: "أنّ الأخبار إذا إعْتُمد فيها على مُجرَد النّقل و لم تُحكَم أصول العادة وقواعد السّياسة وطبيعة العمران والأصول في الإجتماع الإنساني ، ولا قِيسَ الغائب منها بالشّاهد والحاضر بالذّاهب ، فربّما لم يُؤمن فيها من العثور ، ومزلّة القدّم والحِيد عن جادّة الصدق" [3].

أسهم المؤرخون المسلمون كثيرا في تدوين الأحداث التّاريخيّة العربيّة منها أو الأعجميّة، وغصّت بهم المكتبات في مختلف المناطق العالميّة [4]،وأسهمت عدّة عوامل في إزدهار الدّراسات التّاريخيّة عند المسلمين[5] كان منها اهتمام المسلمين بالنّسب والمفاخرة والأمجاد ، وحثّ القرآن الكريم على إطّلاع العرب المسلمين على أخبار الأمّم السّالفة ونوَّهَ ببعض أعمال ابنائها وصُلَحائها وملوكها وطُغاتها على سبيل العِضة والإعتبار والاهتمام بالسّيرة النّبويّة ورغبة الخلفاء والوزراء والأمراء لمعرفة أخبار الملوك والأمّم الأوّلين [6].

و نشأ التّاريخ المكتوب من الرّوايات المسموعة والأخبار الّتي يتناقلها النّاس وتتردّد على الأسماع، حيث

---

(1) ابن خلدون : **المقدمة** ، ص2 .

(2) عبد العليم خضر : **مرجع سابق** ، ص25 .

(3) ابن خلدون : **المقدمة** ، ص12 .

(4) يقول ابن خلدون في ذلك : " إنّ فُحول المؤرخين في الإسلام قد استوعبوا أخبار الأيّام وجمعوها وسطّروها في صفحات الدّفاتر وأَوْدعوها". انظر، ابن خلدون : **المقدمة** ، ص3 .

(5) لقد تناول بعض المهتمين بفلسفة التّاريخ ونشأته عند المسلمين العوامل الّتي ساعدت على أنّ يصبح التّاريخ علما عند المسلمين بشيء من التّفصيل . انظر ، أحمد خليل شال :**مرجع سابق** ، ص53 وما بعدها .

(6) الغلامي عبد المنعم : **مآثر العرب في القرون الوسطى** ، مطبعة أمّ الرّبيعين الموصل العراق (د. ت) ، ص 165- 166 .

بذل الحفاظ جهدا مشكورا في الحفاظ على هذه الروايات والاخبار [1] . ونظرا للتوسعات التي عرفها المسلمون في المغرب والاندلس فقد ظهرت الحاجة الى كتابة تاريخ هذه المنطقة وتدوين الأحداث [2]. واهتم الموحدون كباقي الشعوب والدول بكتابة التاريخ ، وظهر عدة مؤرخين قاموا بتدوين الاحداث التاريخية [3] . وأثر إهتمام الموحدين هذا بالتدوين التاريخي والاخبار في ازدهار علم التاريخ ، حيث كان عبد المؤمن من ذوي المشاركة في التاريخ [4]، أما ولده يوسف فكان أحفظهم لأيام العرب ومآثرهم وجميع أخبارهم في الجاهلية والاسلام [5].هذا الاهتمام من قبل الحكام أدى الى تطور الدراسات التاريخية ، حيث ازدهرت كتابة التاريخ ازدهارا يتناسب ومقام الدولة الموحدية العلمي ، إذ ظهرت مجموعة كبيرة من المؤرخين الذين تناولوا فنون التاريخ وألفو في السير والانساب والتراجم وتاريخ الملوك والامراء والبلدان [6]وغيرها ، كما سلك المصنفون المغاربة والاندلسيين في هذا الباب مسلك إخوانهم المشارقة [7]. إلاّأن الملاحظ هو طغيان مؤلفات التراجم على باقي المؤلفات في هذا العصر بشكل كبير خاصة تراجم الشخصيات الهامة [8].

ورغم ما ألفه علماء المغرب والاندلس من كتب ومجلدات في مختلف العلوم وخاصة كتب التاريخ التي أرخت للمنطقة ، إلاّ أن معظم هذه المؤلفات لم نعثر لها في المكتبات عن أثر ، وقد يعود ذلك الى عدة

(1) محمد الأمين بلغيث : **الحركة الفكرية** ، ص372 .

(2) اعتبر المؤرخون ابن حبيب عبد الملك السلمي ت238ه/852م من أوائل مؤرخي الاندلس ، وقد ألف كتابا سماه " التاريخ "يشبه كتاب الطبري . انظر : أحمد أمين : **ظهر الاسلام** ، ج3 ، ص280 ؛ عبد الواحد ذنون طه : **نشأة تدوين التاريخ العربي في الاندلس** ، ط1 ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد1408ه/ 1988 م، ص7، 8 .

(3) أمثال، ابن صاحب الصّلاة ، ابن القطّان ، ابن عُذارى وغيرهم .

(4) ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص203 ؛ ابن أبي دينار : **المؤنس** ، ص117 .

(5) المراكشي ، **مصدر سابق** ، ص309 .

(6) محمد المنّوني : **حضارة الموحدين** ، ص47 ؛ محمد عادل :**مرجع سابق** ، ص115 .

(7) أحمد مختار العبّادي : **الإسلام في أرض الأندلس** ، دار الحياة مصر 1995م ، ص356 .

(8) عمر رضا كحالة : **التّاريخ والجغرافيا في العصور الإسلاميّة** ، ط1 ، المكتبة العربيّة دمشق 1372ه/1972م ، ص60 .

أسباب منها الفتن والإضطرابات السّياسيّة الّتي تعرّضت لها المنطقة؛ بسبب سقوط دول وظهور أخرى ، والّتي كان من نتائجها إحراق الكُتب [1]، أو إتلافها، أو نهبها؛ لسبب أو لأخر.

وهذه الظاهرة لم تكن شاملة، إنّما حصلت بشكل محدود بسبب سياسي، يتعلّق عموما بخلافات خاصّة بين الحُكّام، والمُثقفين، أي المؤلّفين وأحيانا يغلُب عليها طابع الإنتقام الشّخصي أو حسَدِ بعض الفقهاء الّذين يطلبون من الحكّام أن يقوموا بحرْق هذه المؤلّفات بعينها ، كإحراق كُتب الغزّالي، خاصّة إحياء علوم الدّين في عهد المرابطين بأمر من علي بن يوسف بن تاشفين [2]، أو إحراق كُتب الفروع للمذهب المالكي من قِبَل الخليفة الموّحدي يعقوب المنصور [3] ، أو المضايقات الّتي تعرّض لها بعض العلماء بين الحين والآخر بسبب مواقفهم من السّلطة، أو معارضتهم لبعض علماء البّلاط المُقربين من السّلطان، أو آرائهم الفكريّة والفقهيّة أمثال، محمد بن حزم الظّاهري الّذي تعرّض للمضايقات وإنتهى به الأمر إلى الإنعزال وتمّ إحراق كتُبه [4]، أو ما تعرّض له ابن رشد الحفيد سنة 593ه /1197م من قِبل يعقوب المنصور الّذي كان من المُقَرَبين له و أمر بمضايقته ومقاطعته و لم يشفع له في ذلك علمه الغزير ولا صداقته للخليفة ، فانتهى به الأمر إلى وفاته بعد سنة مهجورا من قِبل النّاس [5].

أمّا أكبر جريمة في حقّ التّراث الثّقافي الإنساني هو ما تعرّض له إرث المسلمين من الكتب في الأندلس، من نهب وحرق وإتلاف خلال سقوط الثّغور الإسلاميّة بين الفترة والأخرى بيدّ المسيحيّين الصّليبيّين المُتعصبين أو بعد خروج المسلمين من الأندلس سنة 897ه/ 1492م ، إذ كان الحرْق مُنظّما وهادفا؛ لمحو

(1) خوليو ريبيرا : **المكتبات وهُواة الكتب في إسبانيا الإسلاميّة** ، ترجمة ، جمال محرز ، مجلّة معهد المخطوطات العربيّة ، مجلّد 4 ، ماي 1958 ، القسم الثّاني ، ص97 وما بعدها .

(2) المراكشي : **مصدر سابق** ، ص237.

(3) المراكشي: **نفس المصدر** : ص354 .

(4) الذّهبي : **سيّر أعلام النّبلاء** ، ج18 ، ص198 .

(5) المراكشي : **نفس المصدر** ، ص384 ، 385 ؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س6 ، ص25 وما بعدها ؛ الذّهبي : **سيّر أعلام النّبلاء** ، ج21 ، ص309 .

آثار التّواجد الإسلامي من الأندلس ، وكان أشهرها ما تعرّضت له الكتب والمجلّدات العربيّة في مختلف العلوم، بما فيها القرآن الكريم وكتب السّنّة النّبويّة الشّريفة سنة907ه/1502م [1]، بأمر من الكاردينال "جيمِينْث سِيسْنِيرُوس"(F. jimenez de Cisneros) الّذي أمر بجمع الكتب العربيّة من السّكان المسلمين فتكدّست في ساحة المدينة غرناطة، في باب الرّملة وأُشعلت فيها النّيران، قدّرها بعض البّاحثين بـــ 500 ألف مخطوط وآخرون بـــ مليون مخطوط [2]، ومهما يكن العدد الّذي أُحرق وأُتلف ، فالّذي يهمّنا هو الحدث في حدّ ذاته، إذ يُوَضح مدى حقد وهمجية الموقف المسيحي الصّليبي، كما يجيبنا عن التّساؤلات الكثيرة، منها أين ذهبت كُتب ثماني قرون من الحضارة والتّواجد الإسلامي في الأندلس؟ .

وأهمّ ماتميزّت به الكتابة التّاريخيّة في الأندلس هو دقّة الأخبار الّتي دوّنها المؤرخون الأندلسيون عن الممالیك المسيحيّة في شمال إسبانيا وما وراءها؛ ممّا يُوضح أنّ هؤلاء المؤرخين كانوا قد إطّلعوا على كتب لاتينية، مسيحية قديمة ، أو أنّهم أخذوا هذه الأخبار من النّصارى واليهود المقيمين في الأندلس، العارفين بأخبار هذه الممالیك المسيحية الموجودة في الشّمال [3].

كما عُرف على الأندلسيّين شغفُهم بعلم التّاريخ إلى درجة أنّهم كانوا يعتبرونه أنبل علم عندهم على حدّ قول ابن سعيد المغربي ت ه/م؛ لهذا أقبلوا عليه بحماسة، يتقصّوْن الأخبار والحقائق لمعرفة تاريخ وحضارة الأمّم المجاورة منذ أقدم العصور [4]، هذا بالإضافة إلى أنّ المؤرخين الأندلسيّين متأثرين بشكل واضح بعلم الفقه والحديث والتّفسير وغيره من العلوم الدّينيّة ، حيث نجد معظمهم فقهاء أو مُحَدّثين،

---

(1) أخطأ عبد الواحد ذنون طه في تحديد التّاريخ بالضّبط لحُرقة باب الرّملة بغرناطة للكتب العربيّة والإسلاميّة وجعله سنة 950ه/1499م ، فإذا إعتمدنا التّاريخ الهجري 950ه فيقابله 1543م وليس 1499م ، وإذا إعتمدنا 1499م فيقابلها 904ه . انظر ، ذنون طه : **مرجع سابق** ، ص26 .

(2) ذنون طه : **نفس المرجع** ، ص26 ؛ ريبيرا : **المكتبات** ، ق1 ،ص77وما بعدها ، قسم2 ، ص99 .

(3) محمد عادل : **مرجع سابق** ، ص115 .

(4) محمد عادل: **نفس المرجع** ، ص116 .

ويعود ذلك إلى المنهج التّعليمي الّذي كان يُطَبَق في المنطقة، وهناك من المؤرخين من يغْلُب عليهم الطّابع الأدبي أكثر ، فهم بالإضافة إلى أنّهم مؤرخين فقهاء، نجدهم يجيدون الشّعر والنّثر والخَطابة والخطّ والكتابة ، ويظهر ذلك في الرّثاء الّذي دوَّنه المؤرخون عند سقوط المدن الأندلسيّة، ممّا يبيّن قوّة عواطفهم إرتباطهم بأوطانهم ومَسْقطِ رؤوسهم [1] مثل قرطبة وطليطلة وإشبيليّة وغيرها من المدن الأندلسيّة، وحقَّ علينا تسميّة الأندلس بالفردوس المفقود .

وقد ظهر في العصر الموّحدي عدد من المؤرخين، كتبوا في مختلف الجوانب التّاريخيّة نذكر منهم :

1) يحي بن محمد الصّيرفي الأنصاري ت557ه/1161م [2]، من أهل غرناطة [3]، أخذ العلم عن عدّة علماء عصره، أبرزهم أبو الحسن بن مُغيث [4]وأبو بكر بن العربي وأبو مروان بن بونة[5]، إعتُبر من أهل المعرفة بالتّاريخ والعربيّة والأدب واللّغة ، ومن الكُتّاب المُجيدين والشّعراء المُكثِرين"كان نسيجًا وحدًّا في البّلاغة والجزالة والتّبريز في أسلوب التّاريخ والتّملي من الأدب والمعرفة باللّغة والخبر" [6].

استقرّ في آخر عمره بمدينة أريولة [7] إلى أن توفيّ بها [8]، له عدّة مؤلّفات تاريخيّة أهمها، كتاب " الأنوار الجليّة في أخبار الدّولة المرابطيّة " [9] يقول عنه ابن الزّبير :" ألّف كتابا في تاريخ الأندلس وأُمرائها،

(1) أحمد أمين : **ظهر الإسلام** ، ج3، ص291 .

(2) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج4 ، ص173 ؛ ويُذكر تاريخ وفاته سنة 570ه/1175م. انظر، ابن الزّبير : **مصدر سابق** ، ص404؛ ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج4 ، ص407 .

(3)ابن الأبار : **التكملة** ، ج4 ، ص173 ؛ ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج4 ، ص407 .

(4)ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص404 .

(5) ابن الزّبير: **نفس المصدر** ، ص405 ؛ ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج4 ، ص407 .

(6)ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص405 .

(7) مدينة بشرق الأندلس من ناحية تدمير. انظر، الحموي : **معجم البلدان** ، ج1 ، ص167 .

(8)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج4 ، ص173 ؛ ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص405 ؛ ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج4 ، ص415 .

(9) ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج4 ، ص407 .

ضمنّه عجائب وأجاد فيه كلّ الإجادة" [1]، لعلّه كتاب الأنوار الجليّة ، بلغ فيه إلى سنة ثلاثين [2]، أي 530ه/1135م ، وله مُؤلّف آخر سمّاه " تقصّي الأنباء وسياسة الرّؤساء " [3] ، وكان قد خدم لدى أمراء الدّولة المرابطيّة في الأندلس [4].

2)محمد بن أحمدبن عامر البلوي ت559ه/1164م [5]، من أهل طرطوشة، يسمّى بالسّالمي[6]، أخذ العلم عن أبيه وعن أبي جعفر بن مسعدَة وأبي عبد الله بن أحمد بن سليمان الأوريولي [7]، أخذ عنه عبد المنعم بن الفرس بن البرّاق [8]، كان من أهل الأدب والعلم والتّاريخ [9]واللّغة، له فيها كُتبٌ كثيرة مفيدة [10] ، إلاّ أنّه إهتمّ أكثر بالتّاريخ، إذ َصَد حوادثا عايَشَها وصنّف في ذلك كتابا في الفتنة الّتي وقعت أيّام اللّمتونيّين بالأندلس 540ه/1145م وما يليها قبلها وبعدها ، ثمّ إختصر هذا الكتاب في آخر سمّاه "عِبرة العِبَر وعجائب القَدَر في ذِكْر الفتن الأندلسيّة والعَدَوِية بعد فساد الدولة المرابطيّة " [11]، له عدّة مؤلّفات أخرى منها " دُرّر القلائد وغُرّر الفوائد في أخبار الأندلس وأُمَرائها وطبقات عُلَمائها وشُعَرائها "، أطْلَعَ ابن

(1)ابن الزبير : **نفس المصدر** ، ص405 .

(2) **نفسه.**

(3)ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج4 ، ص407 .

(4)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج4 ، ص173 ؛ ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص405 ؛ ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج4 ، ص415 .

(5)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص26 ؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س6 ، ص7 ، 8 ؛ الصّفدي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص80 ؛ السّيوطي ،**بُغية الوُعاة** ، ج1 ، ص28 .

(6)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص26 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص7 ،8 .

(7) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص7 ، 8 .

(8)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص27 .

(9)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص26 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص 8 .

(10)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص26 ؛ الصّفدي : **نفس المصدر** ، ج2 ، ص80 ؛ السّيوطي : **بغية الوعاة** ، ج1 ، ص28 .

(11)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص 9 .

عبد الملك على السّفرين الأوّل والثّاني [1]وأخذ منه ابن الأبار في التّكملة [2] ، إضافة إلى مؤلّفات أخرى في مختلف الفنون [3].

3) خَلَفْ بن عبد الملك بن مسعود بن موسى الأنصاري، المعروف بابن بشكوال ت578ه/ 1182م[4] ، من أهل قرطبة [5] ، أخذ العلم عن أبيه وأبا محمد عتّاب الّذي أكثر عنه في الرّواية ، وأبا الوليد بن رشد وأبا بحر الأسدي ، وأبا الوليد بن طُرَيف[6]وغيرهم، ذكر معظمهم ابن الأبار [7]، ألّف في ذلك مُعجما لمشيخته، قال عنه ابن الأبار: "مُفيدا، أكمل ما أغفله ابن بشكوال" [8]، وقد أثنى عليه ابن الأبار بقوله:"كان رحمه الله مُتّسع الرّواية، شديد العناية بها، عارفا بوجوهها، حُجّة فيما يرويه ويُسنده ، مُقَدَّمًا على أهل وقته، حافظا، حافلا، إخباريا ممتعا، تاريخيّا مفيدا، ذاكرا لأخبار الأندلس القديمة والحديثة خصوصا لِما كان بقرطبة، حاشدا مُكْثِرا" [9] ، يُعدّ حافظ الأندلس في عصره ومُؤَرخها ومُسْندها [10]، حيث أسْند عن شيوخه أكثر من أربعمائة كتاب بين كبير وصغير [11].

تولّى منصب القضاء في إشبيليّة حيث تولاّه أبي بكر بن العربي وعقدَ الشّروط، ثمّ ترك ذلك وإكتف بإسْماع العلم ونشْره، فوُصف"بصالح الدِّخلة وسلامة البّاطن وصِحّة التّواضع وصِدْقِ الصَّبر

(1) ابن عبد الملك: **نفسه المصدر** ، س6 ، ص9 .

(2)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص26 .

(3)ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س6 ، ص8 ،9 .

(4)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج1 ، ص248 ؛ ابن الأبار : **المُعجم** ، ص91 ؛ ابن خلّكان : **مصدر سابق** ،ج2 ، ص240 ؛ الصّفدي : **مصدر سابق** ، ج13 ، ص229 ،230 .

(5)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج1 ، ص248 ؛ ابن خلّكان : **نفس المصدر** ،ج2 ، ص240 ؛ الصّفدي : **نفس المصدر** ، ج13 ، ص230.

(6)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج1 ، ص248 ؛ الذّهبي : **تذكرة الحُفّاظ** ،ج4 ، ص1340 .

(7)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج1 ، ص248 ، 249 .

(8)**نفسه** ؛ ابن الأبار : **المُعجم** ، ص91 .

(9) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج1، ص249 .

(10)الصّفدي : **نفس المصدر** ، ج13 ، ص230.

(11)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج1، ص249 ؛ الصّفدي : **نفس المصدر** ، ج13 ، ص230.

للرّاحلين إليه ولِينِ الجانبِ وطُول الإحتمال"[1]ونظرا لسعة علمه وتواضُعه، وفدَ عليه خلْقٌ كثير؛ للأخذ عنه العلم ،رغم كِبَر سِنِّه[2] وظلّ يُواصل التّعليم والعَطاء إلى أن توفيّ بقرطبة [3] .

ومن الّذين أخذوا عنه أبو بكر بن خَيْر [4] وأحمد بن محمد بن رُشد ت622ه/1225م وأحمد بن عبد المجيد المالقي ت624ه/1227م وثابت بن محمد الكلاعي ت628ه/1230م وأبو الخطّاب بن دحْية [5]،كتب في مختلف العلوم، له خمسين تأليفا في أنواع العلوم [6]، وكانت أبرز مؤلّفاته في التّاريخ، كتاب " الصِّلة في تاريخ علماء الأندلس" [7] وهو كتاب تراجُم، وصل به كتاب ابن الفَرضي ت403ه/1013م المسمّى " تاريخ علماء الأندلس " [8] وكتاب الصّله هذا اعتبره المؤرخون من أجّل تصانيفه؛ إذ يقول ابن الأبار "سَلِم له أكْفاؤه فيه و لم يُنازعه أهل صناعته الإنفراد به ولا أنكروا مَزِيَة السَّبْق إليه؛ بل تشوَقوا للوقوف عليه وانصّفوا من الإستفادة منه" [9]، و أكْمل ابن الأبار ما لم يُكْمله ابن بشكوال وذلك في كتابه " التّكملة لكتاب الصّلة " [10].

كما ألّف كتاب "الفوائد المُنتخَبة والحكايات المُسْتَغْرَبَة "وهو في عشرين جزءا ، وكتاب" المحاسن والفضائل

(1)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج،1 ص249 ؛ الصّفدي : **مصدر سابق** ، ج13 ، ص230 .
(2)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج1، ص250 .
(3)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج1، ص249 ؛ ابن خلّكان : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص240 .
(4) ابن خير أبو بكر الأموي : **فهرست ابن خيْر الإشبيلي** ، ط1 ، دار الكتب العلميّة بيروت 1419ه/1998م، ص386 .
(5)الصّفدي : **نفس المصدر** ، ج13 ، ص230 ؛ الذّهبي : **تذكرة الحُفّاظ** ، ج4 ، ص1340 .
(6)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج1، ص249 ؛ الصّفدي : **نفس المصدر** ، ج13 ، ص230 .
(7)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج1 ص249 ؛ ابن خلّكان : **نفس المصدر** ، ج2 ، ص240 ؛ الذّهبي : **تذكرة الحُفّاظ** ، ج4 ، ص1341 .
طُبع كتاب الصّلة العديد من المرّات، منها بمدريد سنة 1882م ، وبمصر سنة 1955 م ومرة أخرى بمصر سنة1966 ، وأعيد طبعه سنة 1989 ببيروت ومصر، ثمّ طُبع سنة 2008م، يحتوي على 1573 ترجمة في طبعة 1989 .
(8)ابن خلّكان : **نفس المصدر** ، ج2 ، ص240 ؛ الذّهبي : **تذكرة الحُفّاظ** ، ج4 ، ص1341 .
(9)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج1، ص249 .
(10) **نفسه** ؛ الصّفدي : **نفس المصدر** ، ج13 ، ص230 ؛ الذّهبي : **تذكرة الحُفّاظ** ، ج4 ، ص1341 .

في معرفة العلماء الأفاضل "، في إحدى وعشرين جزءا [1] وكتاب " قُضاة قرطبة "، من ثلاثة أجزاء [2]، وكتاب "إختصار تاريخ أبي بكر الفَنّشي "، في تسعة أجزاء [3]، وله أيضا كتاب في "أحوالٌ الأندلس وما اقتصر فيه " [4]،كما له مُؤَلّف بعنوان " تاريخ أصحاب الأندلس " من فَتْحِها إلى زمانه [5]، قال ابن الخطيب: "وأضاف إلى ذلك من أخبار قرطبة وغيرها، ما جاء خاطِرُه" [6]، ممّا يبيّن أنّه ليس كتاب الصّلة.

4) محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرّحمن القُضاعي ت658ه/ 1260م، أبو عبد الله بن الأبار، من أهل بلنسيّة [7] ، درس على أبيه وأبي الرّبيع بن سالم كبير مَحَدِّثي الأندلس ولازمه مدّة عشرين سنة ، وأبي بكر محمد بن مَحْرز ، وابن يوسف بن الدّلال ، وأبي الحجّاج بن محمد القُضاعي وابن أحمد بن خيرة وأحمد بن السّرّاج [8]وغيرهم، ذكرهم ابن عبد الملك في الذّيل والتّكملة [9] وهُم كثر، تنَقّل بين مختلف مناطق الأندلس [10] يأخذ العلم، قال عنه ابن عبد الملك:" و لم يزل يسمَع العلمَ ويتلّقاه عن الكبير والنّظير والصّغير شغَفًا به وحِرْصًا عليه إلى مُنتهَى عُمره " [11].

(1)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج1 ص250 ؛ الصّفدي : **مصدر سابق** ، ج13 ، ص230 ؛ الذّهبي : **تذكرة الحُفّاظ** ، ج4 ، ص1341 .

(2)الصّفدي : **نفس المصدر** ، ج13 ، ص230 ؛ الذّهبي : **تذكرة الحُفّاظ** ، ج4 ، ص1341 .

(3)الصّفدي : **نفس المصدر** ، ج13 ، ص230 .

(4)ابن خلّكان : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص240.

(5) المقرّي : **نفح الطّيب** ، ج1 ، ص181 .

(6) **نفسه** .

(7) ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س6 ، ص253 ؛ الغبريني : **مصدر سابق** ، ص309 ؛ الصّفدي : **نفس المصدر** ، ج3 ، ص283 ؛ المقرّي : **نفح الطّيب** ، ج2 ، ص589 .

(8) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص253 ؛ الغبريني : **نفس المصدر** ، ص309 .

(9) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص253 - 256 .

(10) الصّفدي : **نفس المصدر** ، ج3 ، ص283 .

(11) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص257 .

أمّا الّذين أخذوا عنه فهم كُثُر أيضا، منهم سالم مولاه وصِهْرُه أبو الحسن عيسى بن لّب وابن بيطش وابن عبد الرّحمن بن عيّاش ، وابن سيّد النّاس وابن المجاهد [1]وغيرهم .

أُستُجيز في البلاد الدّنيا والقاصيّة شرقا وغربا [2]، يقول عنه ابن عبد الملك:"كان آخر رجال الأندلس براعةً وإتقانًا وتوّسُعًا في المعارف وإتقانًا ، مُحَدِّثًا مُكْثِرًا، ضابطًا عدلا، ثقةً، ناقدًا يقظًا، ذاكرًا للتّواريخ على تباين أغراضها، مُستبحرًا في علوم اللّسان نحوًا ولغةً وأدبًا " [3]،كتب العّالي والنّازل، عارفًا بالرّجال [4]، كما تولّى قضاء دانيّة [5]سنة 633ه/1236م [6]، إنتقل إلى تونس بعد سقوط بلنسيّة الّتي كان يُقيم فيها وذلك سنة 636ه/1238م وعاش في رعاية أميرها يحي [7] بن عبد الواحد [8]، فتردّد على بجاية، حيث درّس بها وأقْرأ [9] وصنّف [10]، إلاّ أنّه تعرّض في تونس لفتنة ، إذ أُوقِع بينه وبين أمير إفريقية بعد يحي ابنه المستنصر بالله خصومة وإتُهِم بأنّه يريد الفتنة وقلْب َالنّظام فجُلِد وقُتِل وأُحْرقت بعضُ كُتبه سنة 658ه/1260م [11].

---

(1) ابن عبد الملك: **مصدر سابق** ، س6 ، ص256 .

(2)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص257 .

(3) ابن عبد الملك: **نفس المصدر**، س6 ، ص258 .

(4) الصّفدي : **مصدر سابق** ، ج3 ، ص283.

(5) دانية، مدينة في الأندلس، من أعمال بلنسيّة على ضفّة البّحر شرقا . انظر، الحموي : **معجم البلدان** ، ج2 ، ص434 .

(6) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص296 .

(7) يحي بن عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاني، أبو زكريّا ، أوّل من استقلّ بالمُلك عن الموحدين سنة 626ه/1230م، قام بتوسيع مُلكه ليشمل تونس والجزائر وتلمسان، توفيّ 647ه/1249م . انظر، الزّركلي : **مرجع سابق** ، ج8 ، ص155 .

(8) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص274 ؛ الغبريني : **مصدر سابق** ، ص311 ؛ االمقرّي : **نفح الطّيب** ، ج2 ، ص590 .

(9) الغبريني : **مصدر سابق** ، ص311.

(10) يبدو أنّه أكمل تأليف التّكملة لكتاب الصّلة والحلّة السّيراء في بجاية . انظر ، ابن الأبار : **الحلّة السّيراء** ، ص44 .

(11) يقال: أنّه رفُعت إليه أبيات شعر، نُسبت إلى ابن الأبار، تطعن في السّلطان المستنصر منها ، طغى بتونس خَلْفٌ سَمَّوْهُ ظُلمًا حليفةً . انظر، المقرّي : **أزهار الرّياض** ، ص206 ؛ المقرّي : **نفح الطّيب** ، ج2 ، ص591 .

ورغم ما أُحرق من مؤلّفات ابن الأبار إلاّ أنّه ترك لنا ذخائرَ ثمينة، تزيد عن خمسين مُصَنفًا [1]، والّتي تُعبِر عن مهارته العلميّة ، منها كتابه الشّهير " التّكملة لكتاب الصّلة " الّذي يعتبر بلا شك موسوعة علميّة حافلة بالتّراجم لا يمكن لأيّ باحث في تاريخ الأندلس أن يستغني عنه، وقد أشار إليه العديد من المؤرخين فهو تكملة لكتاب الصّلة لابن بشكوال ، وقد إنتهى من كتابته سنة636ه/1239م [2]، إلاّ أنّه استمرّ في تنقيحها إلى سنة 655ه/1257م [3]، وقد اهتمّ في هذا المؤلّف بتراجم علماء شرق الأندلس وهذا ربّما لإحتكاكه أكثر بالمنطقة الّتي وُلد فيها وقضى فيها جزءا من شبابه [4] .

وله أيضا كتابه " الحلةّ السّيراء " وهو غرّة كُتبه دون جدل كما يقول محقّقه حسين مؤنس [5]، وهو عبارة عن تراجم لعددكبير من الشّخصيّات التّاريخيّة، نسّقها حسب القرون من القرن الأول إلى منتصف القرن السّابع ، ومن خلال تلك التّراجم يعرض معلومات واستنتاجات تاريخيّة غاية في الأهميّة ، كما يظهر الحسّ التّاريخي عند ابن الأبار في نقده واستدراكه لِما يُعرض له من أخطاء تاريخيّة وقع فيها مَن سبقه من المؤرخين[6].

وله أيضا كتاب " الُمعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصّفدي السّرقسطي " وكتاب " تُحفة القادم "[7] يورد فيه ابن الأبار تراجم بعض شعراء الأندلس والغرباء ، وكتاب " أعتاب الكُتّاب " [8]، يحتوي على تراجم طائفة كُتّاب الأندلس وبعض الكُتّاب المشارقة، ألّفه عندما أمره سلطان تونس أبو زكريا يحي

(1)ابن عبد الملك : نفس **المصدر** ، س6 ، ص259 .

(2) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص153 .

(3) هذا مايُستنتج من ترجمته في التّكملة. انظر، ابن الأبار: **التّكملة،** ح2 ، ص153 ،154 .

(4) عبد الله عنّان : **عصر المرابطين والموحدين** ، ج2 ، ص707 .

(5) ابن الأبار : **الحلّة السّيراء** ، ج1 ، ص47 .

(6) ابن الأبار: **نفس المصدر** ، ج1 ، ص53 ؛ عبد الله عنّان : **نفس المرجع** ، ج2 ، ص707 .

(7) ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س6 ، ص258 ، 259 .

(8) ابن عبد الملك: **نفس المصدر** ، س6 ، ص258 ؛ المقرّي : **نفح الطّيب** ، ج2 ، ص590 .

بإلزام بيته كعقوبة له فاستشفع إليه بتأليف هذا الكتاب [1]، وكتاب " دُرر السّمط في خبر السّبط " [2] على طريقة أبي الفرج بن الجوزي [3]، كما له كتاب " الإيماء إلى المُنجبين من العلماء " [4]، وله معاجم منها " معجم أصحاب أبي عمر بن عبد البرّ "و "معجم أصحاب أبي عمرو المقرّى" و "معجم أصحاب أبي علي الغسّاني " و "معجم أصحاب أبي بكر بن العربي " و " معجم شيوخه " و "برنامج رواياته " [5]وغيرها

هذه مجموعة من مؤلّفات موسوعة ابن الأبار في مجال التّاريخ، كالتّراجم والسّير ، كما أنّه كان أديبا وشاعرا ماهرا، دوّن المقرّي في نفح الطّيب الكثير من أشعاره [6]،كما أورد ابن عبد الملك قصيدته المشهورة المسمّاة بالسّينيّة مطلعها :

أَدْرِكْ بِخَيْلِكَ خَيْلَ اللهِ أَنْدَلُسَا △ إنَّ السَّبِيلَ إِلَى مُنْجَاتِهَا دَرْسَا [7]

كما أورد له عدّة مؤرخين أبياتا وقصائدا، منهم الغبريني [8] والكُتبي [9].

هذه مجموعة من الّذين اهتمّوا بكتابة التّاريخ ويمكن أن نضيف إليهم كلّ من ابن عذارى المراكشي محمد أبو عبد الله الّذي لم نعثر له عن تاريخ حياته ، إلاّ أنّه عاش في النّصف الثّاني من القرن السّابع الهجري

(1) المقرّي : **نفح الطيب** ، ج2 ، ص590 .

(2) إقتبس منه المقرّي فصولا . انظر ، المقرّي : **نفح الطيب** ، ج2 ، ص500 وما بعدها .

(3)ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س6 ، ص258 .

(4)**نفسه** .

(5)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص258 .

(6) المقرّي : **نفح الطّيب** ، ج2 ، ص591 ، ص593 ، ج3 ، ص467 ، ص603 ، ج4 ، ص119 ، ص121 .

(7) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص259 ؛ وهي قصيدة إستصرخ بها الأمير أبا زكريا يحي، أمير إفريقيّة لنّصر الأندلس ، وقدِم بها رسولا من قِبل أبي جميل زيّان بن أبي الحملات مدافع بن أبي الحجّاج بن مردنيش . انظر ، ابن عبد الملك: **نفس المصدر** ، س6 ، ص259 ؛ المقرّي : **نفح الطّيب** ، ج4 ، ص457 – 460 ؛ ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص601 ما بعدها .

(8) الغبريني : **مصدر سابق** ، ص312 .

(9) الصّفدي : **مصدر سابق** ، ج3 ، ص284 ، 285 .

و ترك لنا كتابه الشّهير " البَيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب " الّذي يُعدّ من أوثق المصادر لِما فيه من معلومات هامّة ومضبوطة ، كما أنّه عايش الكثير من الأحداث [1].

وكذلك عبد الواحد المراكشي التّميمي، ولد سنة 581ه/1185م بمراكش [2] ، تنقّل بين مدن الأندلس بحثا عن العلم والعلماء، ثمّ إنتقل إلى المشرق سنة 613ه/1216م ، وفي بغداد ألّف كتابه " المُعجب في تلخيص أخبار المغرب" ، يعتبر من المصادر الهامّة للتّاريخ السّياسي للدّولة الموحديّة خاصّة، ألّفه وهو بعيد عن ضغوط الدّولة الموحديّة ، إلاّ أنّنا لم نعثر على تاريخ وفاته [3].

وأيضا ابن القطّان، أبو محمد حسن بن علي [4]، لم نعثر على تاريخ وفاته ، رغم ذلك فقد ترك لنا كتابا ثمينا في جزء عن أخبار الدّولة الموحديّة وخاصّة مؤسّسها محمد بن تومرت، أُطلق عليه إسم " نظْم الجُمان لترتيب ما سلف من أخبار الزّمان " [5]، إعتقد الكثير من البّاحثين نسبته إلى أبيه ابن القطّان إلاّ أنّ محقّقه محمد علي مكّي، أرجع الكتاب لصاحبه أبي محمد حسن بن علي ، وأخذ عنه جلّ المؤرخين الّذين كتبوا عن المغرب والأندلس، منهم ابن عذارى المراكشي الّذي اعتبره من أهمّ مصادره [6]، وصاحب كتاب الحُلل الموشية [7] وغيرهم خاصّة المعاصرين منهم، إلاّ أنّ كتاب نظْم الجُمان الّذي وصلنا لا يتناول

(1) عبد الله عنّان : **عصر المرابطين والموحدين** ، ج2 ، ص709 ؛ إبراهيم حركات : **مرجع سابق** ، ص381 .

(2) المراكشي : **مصدر سابق** ، ص446 .

(3)عبد الله عنّان : **عصر المرابطين والموحدين** ، ج2 ، ص703 ؛ إبراهيم حركات : **المرجع السابق** ، ص381 ؛ علي أدهم : **بعض مؤرخي الإسلام** ، كتبة نهضة مصر القاهرة (د. ت) ، ص112 ، 113 .

(4) لقد أخلط العديد من المؤرخين بين ابن القطّان الأب وابن القطّان الابن ، فابن القطّان الأب هو علي بن محمد بن عبد الملك أبو الحسن ت628ه/1231م. انظر، ابن الأبار: **التّكملة** ،ج3 ، ص250 ؛ بينما ابن القطّان الابن لم نعثر له عن ترجمة، ما عدا بعض الإشارات منها في الذّيل. انظر، ابن الأبار: **التّكملة**، س8 ، ص166 ؛ فهو أبو محمد حسن بن علي بن القطّان . انظر ، ابن القطّان : **مصدر سابق** ، ص9 وما بعدها ؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س8 ،ق1 ، ص138 .

(5) قام بجمع أوراقه وتحقيق الكتاب، محمود علي مكّي ، وتمّ طبعه في دار الغرب الإسلامي سنة 1990.

(6) ابن عذارى : **مصدر سابق** ، ج1، ص3، ص25 ومابعدها

(7) مجهول : **الحلل الموشية** ، ص103 – 105 .

سوى فترة قصيرة، تُقَدَر بثلاث وثلاثين سنة فقط، من سنة 500ه – 533 ه /1107م-1139م؛ لأنّ أصل الكتاب يتناول تاريخ المغرب والأندلس من الفتح إلى أواخر أيّام الدّولة الموحديّة [1]، قَسّم المؤلّف الكتاب إلى سبعة أجزاء كلّ جزء يتناول قرنا من الأحداث ، والموجود بين أيدينا يتناول القرن السّادس هجري[2].

بالإضافة إلى أبو بكر بن علي الصُّنْهاجي، الملّقب بالبيذق [3]،لم تذكر لنا المصادر ولا المراجع تاريخ وفاته ولاحتّى شيئا عن حياته، عدا بعض الإشارات الّتي تخبرنا عن بعض مواقفه ، وهو يصاحب محمد بن تومرت بعد عودته من الرّحلة العلميّة نحو المشرق الإسلامي ، وأثناء حركة عبد المؤمن لغزو المغرب [4]، إلاّ أنّ البيذق ترك لنا مصدرا مهمّا في تاريخ الدّولة الموحديّة هو كتاب " أخبار المهدي ابن تومرت " [5]، حيث عايش الأحداث الّتي ذكرها في مؤلّفه وهي تشبه المذكرات، خاصّة وأنّه كان يرافق ابن تومرت منذ دخوله إلى تونس، رغم أنّه لم يكن من الشّخصيات البّارزة في الدّعوة الموحديّة [6].

وتناول البيذق الفترة الممتدّة من 510 ه- 550ه أو 555ه/1116م – 1155 م أو 1160م[7] وهي فترة مهمّة في تاريخ الدّولة الموحديّة، حيث إنتقل الحكم من يد المرابطين إلى الموحدين ، كما أنّه لم يعتمد على مصادر أخرى؛ بل كان يسرد الأحداث بنفسه؛ لأنّه عاينها ، وله كتاب آخر سمّاه "الأنساب

(1) ابن القطّان : **مصدر سابق** ، ص46 .

(2) انظر :عنوان الكتاب، ابن القطّان : **مصدر سابق** ، ص59 .

(3) أشار ليفي بروفنسال إلى معنى كلمة البّيذق ، فهي تدّل على إحدى قطع لعبة الشّطرنج الصّغيرة . انظر ، البيذق : **أخبار المهدي ابن تومرت** ، ص7 .

(4)البيذق : **أخبار المهدي بن تومرت** ، ص10 .

(5) وهو ليس العنوان الحقيقي للكتاب؛ بل إلتزم محقّقه الدّكتور عبد الحميد حاجيات بما وضعه ليفي بروفنسال ونشره سنة1346ه/1928م في أوّل تحقيق له لِما عُثر عليه من أوراق .انظر ، البيذق : **أخبار المهدي بن تومرت** ، ص11 .

(6)**أخبار المهدي بن تومرت** ، ص11.

(7) البيذق: **أخبار نفس المصدر** ، ص13 ،14 .

في معرفة الأصحاب " [1]، يُعتبر هو الآخر من أهمّ مصادر الدّولة الموحديّة لِما فيه من معلومات هامّة ودقيقة عن الموحدين والتّنظيم السّياسي للدّولة الموحديّة [2]، وهو التّقسيم الّذي وضعه ابن تومرت لأتباعه[3] .

وفي الأخير لابدّ أن نشير في هذا المقام إلى نوع جديد من المؤلّفات التّاريخيّة المتخصّصة، الّتي إنتشرت في المغرب والأندلس خاصّة ، ألا وهي تآليف البرامج والمعاجم والفهارس [4] ، وهي مؤلّفات ذات أهمية تاريخيّة يتحدّث صاحبها عن العلماء الّذين أخذ عنهم والطّريقة الّتي تمّ بها ذلك ، وأهمّيّة هؤلاء العلماء ومناطق إنتشارهم أو تواجدهم والكتب الّتي أخذها عنهم ، كما يُورد صاحب البرنامج سلسلة السّند الّذي يعود إلى مؤلّفي الكتب ولهذا السّند أهمّيّة في معرفة الزّمن وطريقة وصول الكُتب المشرقيّة إلى المغرب والأندلس [5]، كما تقدم لنا صورة واضحة لِما كان عليه الحال عند المؤلّفين وتمدّنا بصورة واضحة للحركة العلميّة والثّقافيّة والفكريّة في العصر الّذي دُوِّنت فيه وتساعدنا في التّعرُف على الكتب المتداولة وسرعة تداوُلها وأماكن تأليفها وتُطلعنا على الرّحلات وأهميتها [6]الخ .

ورغم كثرة كتب البرامج الّتي ألّفها علماء هذا العصر، فلم يصلنا منها إلى اليوم إلّا إثنين [7] وهما :

---

(1) قام بتحقيقه عبد الوهاب بن منصور وطُبع سنة 1971 بدار المنصور، الرّباط .

(2) يقول محقّق الكتاب عبد الوهاب:" إنّ ما كتبه البيذق عظيم الأهمّيّة من الوجهة التّاريخيّة الصّرفة مثلما هو عظيم الأهمّيّة من النّاحيّة الأثنولوجيّة والاجتماعيّة ". انظر ، البيذق : **المقتبس** ، ص6 .

(3) البيذق : **المقتبس** ، ص28 وما بعدها؛ ابن القطّان: **نظم الجمان**، ص80 .

(4) الفهرس في الإصطلاح، هو الكتاب الّذي يجمع فيه الشّيخ شيوخه وأسانيده وما يتعلّق بذلك ويقال له أيضا: البرنامج والمشيخة والسّند والثّبت والإجازة والمعجم الخ . انظر، الكتّاني : **مرجع سابق** ، ج1، ص67 وما بعدها .

(5) عبد العزيز الأهواني : **برامج العلماء في الأندلس** ، مجلّة معهد المخطوطات العربيّة بالقاهرة ، مجلد1 ، ج1 ، سنة1374ه/1955م ، ص91 وما بعدها .

(6) هاني العمد: **كتب البّرامج والفهارس الأندلسيّة** ، ط1، المركز التّقني للخدمات المطبعيّة بالجامعة الأردنيّة عمان1413ه/ 1993م، ص17.

(7)لقد ألّف ابن الأبار كتابا، ذكر فيه شيوخه وآخر برنامج رواياته . انظر ، ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س6، ص258

فهرست ابن خير [1] ت575ه/1179م وبرنامج شيوخ الرّعيني [2] ت666ه/1268م . فقد إتّبع كلّ واحد منهما أسلوبا خاصّا في التّأليف ، بينما نجد ابن خير، رتّب فهرسته على أساس الكتب ونسّقها حسب موضوعاتها ، بداية بعلوم القرآن، ثمّ الحديث الخ .. نجد الرّعيني يتبع طريقة أخرى، تشبه مؤلّفي كتب التّراجم حيث ترجم لشيوخه الّذين أخذ عنهم وكيفية لقائه بهم ، وما أخذه عنهم من الكتب ويذكر مؤلّفاتهم ، كما رتّب شيوخه على أساس العلوم الّتي اشتهروا بها والّتي غلبت عليهم ، فبدأ بذكر من أخذ عنهم علوم القرآن،ثم الحديث [3]الخ ...

II) – الجغرافيا والرّحلات :

من بين العلوم الّتي إهتمّ بها المسلمون وبرزوا فيها علم الجغرافيا[4] ، وساعدهم في ذلك اتّساع الرّقعة الجغرافية بسبب الفتوحات الإسلاميّة ، واتّساع نطاق تجارة العرب والمسلمين الّتي انتشرت شرقا وغربا ،

---

(1)محمد بن خير بن عمر بن خليفة اللّمتوني، من أهل إشبيليّة، أخذ العلم عن عدّة علماء عصره، منهم شُريح بن محمد المُقريء وابن العربي قدرها ابن الأبار بمائة نفس،كان مُقْرئا مُجَوِّدا ومُحَدِّثا، أديبا نحويًا، له عدّة مؤلّفات، منها "الفهرسة" و "تفسير صحيح مسلم "، توفيّ سنة 575ه / 1179م . انظر ، الضّبي : **مصدر سابق** ، ج1 ، ص104 ؛ ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص49 ؛ ابن عبد الملك: **مصدر سابق** ، س8 ، ق1 ، ص299 .

(2) أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد بن عبد الرّحمن الرّعيني، الإشبيليي، يُعرف بابن الفخّار ، أخذ العلم عن مجموعة علماء عصره ذكرهم في برنامجه ، استقضي على مذهب مالك في مورو قرب إشبيليّة ، غلبت عليه الكتابة فكتب لجلّة من ملوك الأندلس،له عدّة مؤلّفات منها=

="برنامج شيوخه " و " إقتفاء السّنّن في انتقاء أربعين من السّنّن "، توفيّ سنة 666ه/1268م بمراكش . انظر ، ابن الزّبير : **مصدر سابق** ، ص304 ؛ الزّركلي : **مرجع سابق** ، ج4 ، ص333 .

(3) الرّعيني : **مصدر سابق** ، ص ل .

(4) الجغرافيا، كلمة يونانيّة، بمعنى صورة الأرض ، وهو علم يُتعرّف منه على أحوال الأقاليم السّبعة الواقعة في الرّبع المسكون من كرة الأرض، كما هي علم بأحوال الأرض، من حيث تقسيمها إلى الأقاليم والجبال والأنهار وما يختلف حال السّكان باختلافه . انظر ، أحمد بن مصطفى : **مرجع سابق** ، ج1 ، ص361 ؛ مصطفى بن عبد الله حاجّي خليفة : **مرجع سابق** ،ج2 ، ص590 .

بالإضافة إلى اتّجاه المسلمين نحو الكعبة عند الصّلاة ، وقصدهم لأداء فريضة الحجّ وسُنّة العُمرة ، كما كان لحبّ المسلمين للعلم والمعرفة دورا بارزا في تقدُّم العلوم ومنها الجغرافيا [1].

وكان للخليفة للمأمون العبّاسي ت218ه/833م دورا بارزا في تطوُر علم الجغرافيا، حيث في عهده بدأ المسلمون يتعرّفون على هذا العلم [2]ويُطورونه [3]بالإعتماد على كتاب بطليموس العالم الجغرافي والفلكي اليوناني ت168م ، فقام المسلمون بتصحيح الأخطاء وضبْطها بالإعتماد على الرّياضيات وعلم الفلك [4] .

وكان الدور بارزا للعالم المسلم الفلكي أبو علي الحسن بن علي بن عمر المراكشي [5] توفي بين 680 و725 هـــ/1281-1324م الّذي قام بإصلاح عدّة أخطاء وقع فيها بطليموس ، حيث طاف بجميع مناطق شمال إفريقيا، إنطلاقا من طنجة بالمغرب [6] إلى الإسكندريّة بمصر ، فاستطاع أن يُقدِّر تقديرا دقيقا خط طول البّحر الأبيض المتوسط بحوالي 42درجة ، بينما حدّده بطليموس بنحو 62درجة ، إلاّ أنّ أبي الحسن لم يهتم إلاّ بالقسم الغربي من العالم الإسلامي [7] .

---

(1) عمر رضا كحالة: **مرجع سابق** ، ص217 ؛ قدري حافظ طوقان : **العلوم عند العرب** ، ط2 ، دار إقرأ بيروت 1403ه/1983م ، ص71 .

(2) البّشير صفر : **الجغرافيا عند العرب** ، ترجمة ،حمّادي السّاحلي، ط1 ، دار الغرب الإسلامي بيروت 1404ه/1984م ، ص18 ؛ عمر رضا كحالة ، **نفس المرجع** ، ص217.

(3) كان من بينهم أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزّهري، توفيّ في أواسط القرن السّادس الهجري ، الّذي ألّف كتابا سمّاه " كتاب الجغرافيا " وسجّل فيه بدّقة المناطق الّتي زارها وذكر أبعاد طول الأرض والمسافات بين المدن والبحار وغيرها . انظر ، الزّهري أبو عبد الله محمد بن أبي بكر: **كتاب الجغرافيا** ، تحقيق ، محمد حاج صادق ، ط1 ، مكتبة الثّقافة الدّينيّة القاهرة (د. ت) .

(4) البّشير صفر : **نفس المرجع** ، ص19 ؛ عمر رضا كحالة ، **نفس المرجع** ، ص217.

(5) ألف كتابا سماه "جامع المباديء والغايات في علم الميقات" .عالج فيه مباديء علم الفلك التطبيقي.

(6) البّشير صفر : **نفس المرجع** ، ص20 .

(7)البّشير صفر : **مرجع سابق** ، ص20 .

ولّما جاء البّيروني [1]ت 440ه/1048 م خلال بداية القرن الحادي عشر ميلادي، تمكّن من إصلاح الأخطاء العالقة بخطوط طول السّند وما وراء النّهر وبلاد الرّوم، حيث نشرت دراسة فلكيّة هامّة، تحت عنوان " تصحيح الطّول والعرض لمساكن المعمورة من الأرض " [2].

وقد إرتبطت الجغرافيا بالرّحلات باعتبار أنّ الرّحلة هي السّبيل الأسّاسي للمعرفة الجغرافية [3] ، لذلك إشتهر المغاربة والأندلسيون [4]بولعهم الشّديد بالرّحلة والسّفر والتّنقل ، فظهر منهم نخبة من الرّحّالة الّذين زاروا العديد من المناطق وسجّلوا ما شاهدوه في تلك البلاد، فحفِلت مؤلّفاتهم بمادّة جغرافية مثيرة عن العالم المعروف أنذاك [5] .

كما ركّز الجغرافيون الأندلسيون جهدهم العلمي على وصف جزيرة الأندلس، فتحدّثوا بالتّفصيل عن خِططها ومسالكها ومدنها وكورها وأنهارها وجبالها، كما اهتموا بضبط أسماء هذه الأماكن الجغرافية، ضبطا صحيحا يتّفق نطقها العربي مع نطقها الإسباني والرّجوع إلى أصولها اللاّتينيّة أو الإغريقيّة لتغيّير معناها حسبما هو موجود عندهم في كتابات الإغريق مثل، قول عبد الله بن عبد العزيز بن محمد، المعروف

(1) محمد بن أحمد الخوارزمي البّيروني، أبو الرّيحان، ولد سنة 362ه/973م ، عالم مسلم ، كان رحّالة وفيلسوفا وفلكيًا وجغرافيا ورياضيا وصيدليا ومؤرخا ، توفيّ سنة 440ه/1048م . انظر، الحموي : **معجم الأدباء** ، ج5 ، ص2330 ؛ السّيوطي : **بُغية الوُعاة** ، ج1 ، ص50، 51 .

(2)البّشير صفر : **نفس المرجع** ، ص21 .

(3) العريني : **مرجع سابق** ، ص327.

(4) أوّل من كان مؤرخًا وجغرافيا في الأندلس في آن واحد هو أحمد بن محمد الرّازي ت344ه/955م، كما يعتبر أبا الجغرافيا والتّاريخ في الأندلس ، وأوّل من كتب في جغرافية المدن بالأندلس محمد بن موسى الرّازي ت273ه/886م . انظر ، السّيّد عبد العزيز سالم : **التّاريخ والمؤرخون** ، ص200 ،201 ؛ حسين مؤنس : **تاريخ الجغرافية والجغرافيّين في الأندلس** ، ط2 ، المنظمة العربيّة للتربيّة والثّقافة والعلوم1406ه/ 1986م ، ص56 .

(5) أحمد مختار العبّادي : **مرجع سابق** ، ج2 ، ص363 .

بأبي عبيد البكري ت487ه/1194م، أكبر جغرافي أنجبته الأندلس عند كلامه عن طليطلة، إذ يقول أنّ تفسيرها باللاّتيني "تولاظو" والّتي تعني فرح سكّانها لحصانتها ومنعتها [1].

وإزدهر علم الجغرافية في عهد الموحدين مثلما إزدهرت باقي العلوم والمعارف وكان لجملة من العوامل دورا بارزا في إزدهار علم الجغرافية أنذاك ، إذ تمتّع بعض حكّام الدّولة الموحديّة بذوق جغرافي بوضوح وذلك من خلال رغبة عبد المؤمن بن علي بتقدير بلاد المغرب والأندلس بالفراسخ والأميال [2]، كما أنّ الموحدين كانوا يسألون عن المدن وخصائصها وطبائع أهلها ، ويُدَونون ملاحظاتهم ، إذ نجد أبو يعقوب يوسف قد نوّه بالأمويّين الّذين إختاروا قرطبة عاصمة لهم وأبدى ملاحظاته على نهرها وهوائها وطبيعة سكّانها ومساحتها وموقعها [3]، ولم يختلف يعقوب المنصور عن والده يوسف ، فكان يسأل عن قرطبة وهوائها وأحوالها [4]،كما جرت بين يدي المنصور الموّحدي مناظرة بين الفقيه أبي الوليد بن رشد الحفيد ت595ه/1198م وأبي بكر بن زهر ت557ه/1162م في تفضيل قرطبة [5] .

وللرّحلات دور هام في تسجيل ما يلاحظه الرّحّالة، وقد ساعد اتّساع مساحة العالم الإسلامي[6]وتنوُع المناخ والنّبات والتّضاريس والحيوانات والأجناس البشريّة والعادات والتّقاليد وغيرها

(1) البكري عبد الله بن عبد العزيز : **المسالك والممالك** ، تحقيق ، جمال طُلبة ، ط1 ، دار الكتب العلميّة بيروت 1422ه/2002م ، ج2 ، ص394 .

(2) ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص199 ؛ ابن أبي دينار : **المؤنس** ، ص113 .

(3) المقرّي : **نفح الطّيب** ، ج1 ، ص154 .

(4) **نفسه** .

(5) حيث قال ابن رشد لابن زهر في تفضيل قرطبة : "ما أدّى ما تقول غير أنّه إذا مات عالم بإشبيليّة فأُريد بيع كتبه، حُملت إلى قرطبة حتّى تُباع فيها ، وإذا مات مُطرب بقرطبة فأُريد بيع آلاته، حمُلت إلى إشبيليّة . انظر ، المقرّي : **نفح الطّيب** ، ج1 ، ص155 .

(6) عمر رضا كحالة ، **مرجع سابق** ، ص216 .

الرّحّالة في إطالة الرّحلة والبّحث عن المزيد من المعلومات لتدوينها [1]، وقد عقد المقرّي لهؤلاء الوافدين على الأندلس من المشرق والوافدين إلى المشرق من الأندلس بابين كبيرين في كتابه نفح الطّيب [2] .

ويختلف الجغرافي عن الرّحّالة ، فالرّحّالة يعتمد على المشاهدة والمعاينة وتدوينها فقط ، أمّا الجغرافي فيعمل على تغطية كلّ الإقليم الّذي يتناوله بالبّحث ، فيسأل ويستقصي ويجمع المعلومات من الحجّاج والطّلبة والمغامرين والتّجار والملاّحين وغيرهم حتّى يتأكّد من المعلومات الّتي يُدَّونها [3]، ونظرا لكثرة الملاحظات والرّحلات الّتي قام بها المغاربة والأندلسيّين فقد تكوَنت لديهم فكرة دوران الأرض وهذا ما يؤْخذ من قول محي الدّين بن عربي ت618ه/1240م، إذ يقول: "غير أنّ حركة الأرض خفية عندنا وحركتها حول الوسط؛ لأنّها أُكْرَة "[4]، كما نجدهم كانوا يعتقدون بوجود أرض مسكونة وراء المحيط الأطلسي [5] الّذي كان يُسمّى ببحر الظّلمات، ولذلك يكون هؤلاء قد سبقوا غيرهم في إعتقاد أنّ الأرض هي الّتي تدور وليست الشّمس ومهّدوا الطّريق أمام أصحاب الكشوفات الجغرافيّة في القرن الخامس عشر ميلادي .

(1) السّيد عبد العزيز سالم : **التّاريخ والمؤرخون** ، ص213 ؛ يحرص الرّحالة المسلم على تدوين كلّ ما يلاحظه مُهمّ في رحلته كالمسالك والطّرق الّتي سار وا فيها ، والمسافات الّتي قطعوها ، ويُصنفون المدن الّتي نزلوا بها ويذكرون الصّعوبات الّتي واجهتهم في رحلاتهم ، ويصفون ما عاينوه من مظاهر الحضارة في كلّ بلد، دخلوه ، كالمنتجات الزّراعيّة والصّناعيّة والتّجاريّة وبعض مظاهر الحياة الاجتماعيّة كالعادات والتّقاليد . انظر ، عبد العزيز سالم : **التّاريخ والمؤرخون** ، ص213، 214 .

(2) المقرّي : **نفح الطّيب** ، ج2 ، ص5 وما بعدها ، ج3 ، ص5 وما بعدها .

(3) عبد العزيز سالم : **التّاريخ والمؤرخون** ، ص214.

(4) محي الدّين بن عربي : **الفتوحات المكّيّة** ، تحقيق ، عثمان يحي ، ط2 ، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب القاهرة 1405ه/1985م ، ج2 ، ص242 .

(5) محمد المنّوني : **حضارة الموحدين** ، ص64 .

وبرز في هذا العهد مجموعة من الجغرافيّين والرّحّالة نذكر منهم :

1) – محمد بن عبد الرّحيم بن سليمان المازني القيسي [1] أبو حامد الغرناطي ت565ه/1168م ، من أهل غرناطة [2] من العلماء الفضلاء [3]، كان عالما، حافظا، أديبا، ملّما [4]، يعدّ من علماء تخطيط البلدان [5]، إنتقل إلى الإسكندرية سنة 508ه/1114م، أخذ العلوم عن أبي عبد الله الرّازي وأبي صادق مرشد بن يحي المديني ، وأبي عبد الله محمد بن بركات بن هلال النّحوي ، ثمّ رحل إلى الشّام وحدّث بدمشق ثمّ إنتقل إلى بغداد سنة 556ه/1161م [6]، أقام بها زمنا، ثمّ عاد إلى دمشق وسكن بها إلى أن توفيّ [7].

أسهمت هذه الرّحلة الطّويلة في حياته العلميّة إسهاما بارزا ، حيث أخذ منها ثقافة واسعة ومتنوعة من علوم الدّين إلى علوم اللّغة والأدب والتّاريخ والجغرافيّة ، كما اطّلع على كثير من المصنّفات وهو ما أكّده من خلال كلامه بقوله :"منذ إغتربت عن المغرب الإقصى، شاهدت من الأئمّة الكرام مالا يعدّ ولا يحصى وأولاني الله عزّ وجلّ على أيديهم من أنواع النِّعم والإحسان ما لايقدر على إحصائه لسانُ إنسان، جازاهم عنّي الله

(1) ابن عساكر : **تاريخ مدينة دمشق وذِكر فضلها** ، تحقيق ، محبّ الدّين العمروي ، ط1 ، دار الفكر بيروت 1418ه/1997م ، ج54 ، ص113 ؛ الصّفدي : **مصدر سابق** ، ج3 ، ص202 ؛ المقرّي : **نفح الطّيب** ، ج2 ، ص235 .

(2) الصّفدي : **مصدر سابق** ، ج3 ، ص202 ؛ المقرّي : **نفح الطيب** ، ج2 ، ص235 .

(3) ابن الأثير : **اللُّباب في تهذيب الأنساب** ، تحقيق، عبد اللّطيف حسن عبد الرّحمن ، دار الكتب العلميّة بيروت 1420ه/2000م ، ج2، 236 ؛ الصّفدي : **نفس المصدر** ، ج3 ، ص202 .

(4) الصّفدي : **نفس المصدر** ؛ المقرّي : **نفح الطّيب** ، ج2 ، ص235 .

(5) الزّركلي : **مرجع سابق** ، ج6 ، ص199 ، 200.

(6) المقرّي : **نفح الطّيب** ، ج2 ، ص235 .

(7) ابن عساكر : **مصدر سابق** ، ج54 ، ص113 ؛ الصّفدي : **مصدر سابق** ، ج3 ، ص202 .

أفضل الجزاء إنّه سميع الدّعاء" [1].

وتجوّل في مختلف أنحاء العالم الإسلامي وغير الإسلامي ممّا يبيِّن ولعه في التّنقل والسّفر والتّعرف على المناطق العجيبة ، حيث خرج من الأندلس وسنّه لم يتجاوز السّابعة والعشرين من عمره [2] ، وتجوّل في العديدمن مناطق الشّرق وأوربا وقدّم وصفا للمدن المشرقيّة وأحوالها [3]وكذا بلاد أوربا [4] وجمع ملاحظاته في مؤلّفاته الّتي منها " المُعرب في عجائب المغرب "[5] ، الّذي ألّفه تلبية لطلب الوزير عوْن الدّين يحي بن هُبيرة[6] ت560ه/1165م [7] في الدّولة العباسيّة .

كما ألّف كتابا بالموصل سنة 557ه/1161م سمّاه "تُحفة الألباب ونُخبة الإعجاب " [8]، يتألّف من أربعة أبواب ، البّاب الأول في صِفة الدّنيا وسكّانها من إنسها وجنِّها ، والثاني في صفة عجائب البلدان وغرائب البّنيان ، والثالث في صفة البحار وعجائب حيواناتها ، و الرّابع في صفة الحفائر والقبور [9]وما

(1) الغرناطي أبو حامد محمد بن عبد الله : **تُحفة الألباب ونُخبة العُجّاب** ، تحقيق ، علي عمر ، ط 1 ، مكتبة الثّقافة الدّينيّة القاهرة 1423ه/2003م، ص12 .

(2) ولد أبو حامد الغرناطي سنة 473ه/1080م، رحل إلى الإسكندريّة قادمًا إليها من الأندلس سنة 508ه/1114م . انظر ، المقرّي : **نفح الطّيب** ، ج2 ، ص235 ؛ أحمد سوسة : **الشّريف الإدريسي في الجغرافية العربيّة** ، ط1 ، مطبعة مكتب صبري بغداد العراق1394ه/ 1974م ، ص346 ؛ عبد العزيز سالم : **التّاريخ والمؤرخون** ، ص231؛ حسين مؤنس : **تاريخ الجغرافية** ، ص306 .

(3) أبو حامد الغرناطي : **مصدر سابق** ، ص21 ومابعدها.

(4) **نفس المصدر** ، ص36 وما بعدها .

(5) طُبع في دار الكتب العلميّة بيروت سنة1420ه/ 1999م ، برعاية محمد أمين طناوي .

(6) يحي بن محمد بن هُبيرة الهذلي الشّيباني، من كبار الوزراء في الدّولة العبّاسيّة أيّام الخليفتين المقتضي والمستنجد ، عالم بالفقه والأدب وعلوم الدّين، توفيّ سنة 560ه/1165م . انظر، ابن خلّكان : **مصدر سابق** ، ج6 ، ص230 .

(7) بالنثيا آنخيل : **مرجع سابق** ، ص312 ؛ حسين مؤنس : **تاريخ الجغرافية** ، ص311 .

(8) طُبع عدّة مرّات، منها سنة 1989بالمؤسّسة الوطنيّة للكتاب الجزائر ، تحقيق ، إسماعيل العربي ، وأخرى سنة 2003بمصر مكتبة الثّقافة الدّينيّة القاهرة ، تحقيق علي عمر .

(9) أبو حامد الغرناطي : **نفس المصدر** ، ص17 وما بعدها ؛ أغناطيوس كراتشكوفسكي : **تاريخ الأدب الجغرافي** ، ترجمة، صلاح الدّين عثمان هاشم ، مطبعة لجنة التّأليف والنّشر القاهرة1385ه/1965م ، ج1 ، ص295 .

تضمّنته من العِظام ، ويتحدّث عن تجارة العظام المندثرة، لعلّها عظام الحيوانات القديمة المنقرضة [1]، ومعظم ما يذكره في هذا الكتاب لايصدّقه العقل البشري ، حيث يقول عنه حسين مؤنس :" فهو خليط عجيب من المفيد وغير المفيد من الواقعي والأسطوري ... ولكنّ مجموعه كتاب كوزموغرافية ، أي تصوير لعجائب الكون والأرض بصفة خاصّة) [2].

كما ألّف كتابا آخر تحت عنوان " نُخبة الأذهان في عجائب البلدان " [3] وكتاب " تُحفة الكبار في أسفار البحار" [4].

2)- محمد بن محمد بن عبد الله الإدريسي ت568ه/1172م [5]، من أهل سبتة، جغرافي القرن السّادس الهجري ، بدأ رحلته عبر الأندلس ، وفي قرطبة أخذ عن علمائها فاشتهر بذوقه وميله إلى الجغرافية والفلسفة والطّب والنّجوم والشّعر ، حيث طاف ببلاد الأندلس، ثمّ إنتقل إلى مصر، ثُمّ عاد إلى شمال إفريقيا ثمّ رحل إلى آسيا الصغرى وبلاد القسطنطينيّة ، كما طاف في سواحل فرنسا وإنجلترا، ثمّ رحل إلى صقيلية بدعوة من ملكها روجار ت548ه/1153م وبقيّ فيها إلى أن توفيّ [6]، فقد كان أديبا، طريفا، شاعرا مولعا بعلم الجغرافية [7].

---

(1) عمر فروخ : **تاريخ العلوم عند العرب** ، دار العلم للملايين بيروت1390ه/ 1970م، ص206 ؛ حسين مؤنس : **تاريخ الجغرافية** ، ص318.

(2) حسين مؤنس : **تاريخ الجغرافية** ، ص353 ، وكلمة كوزموغرافيا، تعني علم وصف الأرض . انظر ، حسين مؤنس : **نفس المرجع** ، ص340؛ إغناطيوس : **نفس المرجع** ، ج1، ص297 .

(3) الزّركلي : **مرجع سابق** ، ج6 ، ص200 ؛ شاكر خصباك : **في الجغرافية العربيّة (دراسة في التّراث الجغرافي العربي)** ، ط1 ، مطبعة دار السّلام بغداد 1395ه/1975م ، ص232 .

(4) **نفسه** ؛ حسن صبري محمود : **الجغرافيون العرب** ، ط1 ، مطبعة القضاء النّجف العراق 1377ه/1958م ، ج1 ، ص153 .

(5)الصّفدي : **مصدر سابق** ، ج1 ، ص138 ؛ حسين مؤنس : **تاريخ الجغرافية** ، ص165 وما بعدها ؛ بالانثيا آنخيل : **مرجع سابق** ، ص312.

(6)حسين مؤنس : **تاريخ الجغرافية** ، ص169 وما بعدها ؛ بالانثيا آنخيل : **نفس المرجع** ، ص313 وما بعدها .

(7) الصّفدي : **نفس المصدر** ، ج1 ، ص138 .

قضى معظم حياته سائحا، متجولا، مغتربا عن بلاد المسلمين [1].

أصبح عُمدة الجغرافيا في العالم الإسلامي [2] ، وبفضله تطوَّر علم الخرائط الّذي يمثل فيه الإدريسي المرحلة المتطوّرة [3]، درس خلال رحلاته خصائص الأرض وطبائع البّشر ، ويُبدي ملاحظاته ، ومن آثاره التّطبيقيّة الّتي قام بها أنّه عندما كان عند ملك صقيلية روجار الّذي كان مُهتما هو الآخر بعلم الفلك والجغرافيا ، طلب من الإدريسي أن يُؤلّف له كتابا في صفة الأرض، تكون معلوماته معتمدة عن طريق المشاهدة المباشرة لا مستخرجة من الكتب [4]، فأكبّ الإدريسي على تأليف الكتاب، معتمدا على مشاهداته الشّخصيّة ، كما أرسل بعثات علمية إلى مختلف الأقاليم في المشرق والمغرب ، فكان يُسجل كلّ ما تأتي به هذه البعثات أوّلا بأوّل، كما استفاد من المصادر الجغرافية الأخرى ممّا يصحّ لديه ، وجمع كلّ ذلك في كتابه المشهور "نُزهة المُشتاق في اختراق الآفاق " [5]، إستغرق تأليفه له خمس عشرة سنة [6]، وبناء على هذه المعلومات عمل نموذجا للأرض من الفضّة، نقش عليها صور الإقليم السّبعة وما فيها من بحار وخلجان وأنهار وما بين البلدان من مسافات [7]...الخ .

---

(1)حسين مؤنس : **تاريخ الجغرافية** ، ص169 .

(2) محمد الأمين بلغيث : **الحركة الفكريّة** ، ص392 .

(3)حسين مؤنس : **تاريخ الجغرافية** ، ص225 ؛ محمد الأمين بلغيث: **الحركة الفكريّة** ، ص393 .

(4)بالانثيا آنخيل : **مرجع سابق** ، ص313 .

(5) أُطلق عليه اسم "كتاب روجار "، تمّ تأليفه سنة 548ه/1153م، وظل هذا الكتاب المؤلف الوحيد للأدب الجغرافي العربي في الدوائر العلميّة الأوربيّة ، طُبع الكتاب منه، طبعة مكتبة الثّقافة الدّينيّة القاهرة 1422ه/2002م . انظر ، إغناطوس : **مرجع سابق** ، ج1 ، ص279 ؛ بالنثيا إنخيل : **مرجع سابق** ، ص313 .

(6) عزيز أحمد : **تاريخ صقلية الإسلاميّة** ، ترجمة ، أمين توفيق الطّيبي ،ط1 ، الدّار العربيّة للكتاب بيروت 1389ه/1980م ص89 ؛ عبد العزيز سالم : **التّاريخ والمؤرخون** ، ص210 .

(7) الإدريسي محمد بن محمد : **نُزهة المُشتاق في إختراق الآفاق** ، ط1 ، مكتبة الثّقافة الدّينيّة القاهرة 1422ه/2002م ج1 ، ص6، 7 ؛ عمر رضا كحالة : **مرجع سابق** ، ص235 ، 236 ؛ إغناطيوس : **نفس المرجع** ، ج1 ، ص283 .

وقد علّق على ذلك حافظ دوقان بقوله : "إنّ طلب الملك روجار ملك صقيلية عملَ كتاب جغرافيا ورسم خريطة من عالم مسلم لِما يدلّ على أنّ تفوُق المسلمين العلمي كان معترفا به في ذلك العهد" [1]ويمثل الإدريسي بحقّ القمّة الّتي وصل إليها العلم الجغرافي في الشّرق والغرب على السّواء ، فقد أخذ من علم اليونان خلاصة ما فيه ، وأخذ من مدرسة الجغرافيّين الفلكيّين زبدة آرائهم ، ثمّ أخذ عن المالكيّين فكرة عمل الخرائط والأطالس وإعتبارها أساس الجغرافية ، ثمّ طوّر هذه المادّة إلى أطلس العالم وذلك هو تجديده الأكبر [2] فاعتُبرت خرائط الإدريسي قمّة ما بلغته الكارنوغرافية العربيّة من تطوُّر [3].

كما أنّ الإدريسي وصف الأرض بأنّها كُروية حيث يقول : " إنّ الّذي تحصّل من كلام الفلاسفة وجلّة العلماء وأهل النّظر في علم الهيئة أنّ الأرض مُدَورة كتدوير الكرة والماء لاصقٌ بها وراكدٌ عليها ركودا طبيعيا، لا يفارقها ،و الأرض والماء مستقرًّا في جوف الفلك كالمُحّة في جوف البيضة ووضعُهما وضْع متوسط والنّسيم محيط بهما من جميع جهاتها وهو لهما جاذب إلى جهة الفلك أو دافع لهما والله أعلم بحقيقة ذلك " [4].

ويعتبر الإدريسي من العلماء الّذين ذكروا ظاهرة المدّ والجزر في بحر الظّلمات (المحيط الأطلسي) ممّا يبيِّن قوّة وفهْم ونظْرة الإدريسي عندما رسم الكرة الفضيّة [5]، له كتب أخرى منها، " روْضُ الإنس ونُزْهة

(1) طوقان قدر حافظ : **مرجع سابق** ، ص73 .

(2) حسين مؤنس : **تاريخ الجغرافية** ، ص224.

(3) شاكر خصباك : **الجغرافيا عند العرب** ، ط1 ، المؤسّسة العربية للدّراسات والنّشر بيروت 1406ه/1986م ، ص69.

(4) الإدريسي : **مصدر سابق** ، ج1 ، ص7 .

(5) Christophe Picard **; L'océan Atlantique Musulman de la conquète Arabe à l'epoque Almohade** , Maisonneuve & Larose, 1997 ;PP : 158 ؛

حسين مؤنس : **تاريخ الجغرافية** ، ص269 وما بعدها .

النّفس" ألّفه لغليوم الأوّل خليفة روجار الثّاني [1]، وهو مفقود ومنها كتاب " نُزهة المشتاق في ذكر الأمصار والبلدان والجُزر والمدائن والآفاق " وهو مختصر عن كتاب نُزهة المشتاق [2].

3)- محمد بن أحمد البلنسي بن جبير أبو الحسين [3] 614ه/1217م الكنّاني، من أهل بلنسيّة[4] تلّقى العلم عن شيوخ عصره في شاطبة وغرناطة، منهم ابن الحجّاج وابن يسعون وعن أبيه أبي جعفر وأبي الحسين بن أبي العيش وأبي الوليد بن الدّبّاغ [5]، وكذا أبو الحسن علي بن أبي العشائر وابن الحسن بن الدّش بن عمرو الدّاني [6]، كما أخذ عن علماء المشرق، عبد الوهاب بن علي بن سُكينة البغدادي وأبي محمد القاسم بن [7]عساكر والفلكي أبي الفرج ابن الجوزي أحمد بن حمزة السّلّمي [8]وغيرهم .

تنقلّ كثيرا حيث نزل بشاطبة، ثمّ إستوطن غرناطة، ثمّ فاس، ثمّ الإسكندريّة وأقام في سبتة ومالقة وغيرها وذلك بحسب الظّروف الّتي مرّ بها [9] ، درس الفقه والحديث والأدب والشّعر وبرع فيها في سنّ مبكّرة وكان ذو ورع ودين [10] ، وبرع في الأدب والكتابة والشّعر فنال بذلك جاها كبيرا [11]، خدم

(1)حسين مؤنس :**نفس المرجع** ، ص227 ؛ حامد زيّان غانم : **تاريخ الحضارة الإسلاميّة في صقيلية وأثرها على أوربا** ، دار الثّقافة للطّباعة والنّشر القاهرة 1397ه/1977م ، ص108 .

(2) حسين مؤنس : **تاريخ الجغرافية** ، ص228 .

(3) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص109 ؛ ابن عبد الملك ، **مصدر سابق** ، س5 ، ق2 ، ص595 ؛ ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج2 ، ص230 ؛ المقرّي ، **نفح الطّيب** ، ج2 ، ص381 .

(4)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص109 ؛ ابن عبد الملك ، **نفس المصدر** ، س5 ، ق2 ، ص595 ؛ ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج2 ، ص231 .

(5)ابن الأبار: **التّكملة** ، ج2 ، ص109، 110 ؛ ابن عبد الملك ، **نفس المصدر** ، س5 ، ق2 ، ص596 ؛ ابن الخطيب: **الإحاطة** ،ج2، ص232 .

(6) ابن عسكر وابن خميس : **مصدر سابق** ، ص138 .

(7) **نفسه** ؛ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص 110 ؛ ابن عبد الملك ، **مصدر سابق** ، س5 ، ق2 ، ص596 .

(8)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5 ، ق2 ، ص597 ؛ ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج2 ،ص233 .

(9)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5 ، ق2 ، ص596

(10) **نفس المصدر:** ، س5 ، ق2 ، ص607 ؛ ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج2 ، ص231 ؛ المقرّي : **نفح الطّيب** ، ج2 ، ص383 .

(11)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص110.

الدّولة الموحديّة وكتب عن أبي سعيد عثمان بن عبد المؤمن الموّحدي وغيره من حكّام الدّولة الموحديّة فامتدحهم وكتب فيهم كثيرا إلاّ أنّه زهد في الدّنيا بعد ذلك وأعرض عنها وتصدّق بماله كلّه إلى أن توفيّ (1) .ذكره ابن عساكر بقوله:"كان من أهل العلم والفضل والدّين والأدب البّارع والكلام الرّائق والشّعرالفائق"(2) ، إستقرّ بالإسكندريّة إلى أن وافته المنِيّة (3)، وتتلمذ على يديه عدد من العلماء، أبرزهم أبو سليمان بن حوط الله ، وأبو عمران بن سالم ، وأبو بكر بن يحي بن عبد الملكين أبي الغصن ، وأبو العبّاس بن عبد المؤمن وأبو العبّاس النّباتي (4)وغيرهم .

قام بثلاث رحلات إلى المشرق الإسلامي، زار فيها مكّة المكّرمة وحجّ وأدّى المناسك (5)، أمّا الرّحلة الأولى فكانت سنة 578ه/1182م الّتي زار فيها عدّة مناطق، منها مكّة وبغداد ودمشق وأخذ عن علمائها الأعلام، ثمّ عاد إلى غرناطة سنة 581ه/1185م (6).

أمّا الرّحلة الثّانيّة فكانت سنة 585ه/1189م ، وسبب هذه الزّيارة هو عندما سمع بخبر تحرير بيت المقدس من يدّ الصليبيّين على يد صلاح الدّين الأيّوبي سنة583ه/1187م، اتّجه إلى المشرق، حيث قام بزيارة بيت المقدس ومكّة والمدينة وأخذ عن عدّة علماء أعلام، ثمّ عاد إلى غرناطة سنة 587ه/1191م ، ثمّ إنتقل إلى مالقة، ثمّ سبتة، ثمّ فاس، وهو منقطع في إسماع الحديث وما يحمله من آراء صوفيّة، كما كان مثابرا على العلم والمعرفة .

---

(1)ابن عسكر وابن خميس : **نفس المصدر** ، ص138؛ ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص110 ؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س5 ، ق2، ص607 ؛ المقرّي ، **نفح الطّيب** ، ج2 ، ص385 .

(2)ابن عسكر وابن خميس : **نفس المصدر** ، ص138 .

(3) ابن عسكر وابن خميس: **نفسه** ، ص149 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5 ، ق2 ، ص606 ؛ ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج2 ، ص239 .

(4) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5 ، ق2 ، ص607 ؛ ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج2 ، ص234 .

(5)ابن الأبار: **التّكملة** ، ج2 ، ص110؛ ابن عبد الملك ، **نفس المصدر**، س5 ، ق2 ، ص596 ؛ ابن الخطيب: **الإحاطة** ، ج2،ص231

(6)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص110 ؛ ابن عبد الملك ، **نفس المصدر**، س5 ، ق2، ص596 ، 597 ؛ ابن الخطيب: **الإحاطة** ، ج2، ص231 ؛ المقرّي : **نفح الطّيب** ، ج2 ، ص385 ؛ إغناطيوس : **مرجع سابق** ، ج1 ، ص299 .

أمّا الرّحلة الثّالثة فقام بها بعد وفاة زوجته سنة 601ه/1204م، وهو شيخ قد أحزنته وفاة زرجته و لم يرجع إلى الأندلس مرّة أخرى ، وقد إنطلق من سبتة ولّما وصل إلى مكة، جاورها طويلا، ثمّ إنتقل إلى بيت المقدس، ثمّ تحوّل في مصر والإسكندريّة وهناك جلس ُيدّرس الحديث إلى أن توفيّ [1].

وقد ظهر أثر رحلته في مؤلّفاته الشّعريّة والنّثريّة ، والّذي سيهمنا في هذا المقام هو مشاهدته للمناطق الّتي مرّ بها والّتي أسماها "رسالة إعتبار النّاسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك"[2]والمعروفة باسم "رحلة ابن جبير "[3]، الّتي سجّل فيها مشاهداته أثناء رحلته، فكان دقيق الوصف وكأنّها مُذكرات يومية [4]وعُنيّ في معظم المدن الّتي تحدّث عنها بالمساجد وقبور الصّحابة والآثار المعروفة [5]، كما إهتمّ بوصف شعائر الحجّ وصعوبة السّفر ومواكب الأمراء والتّجارة في مكّة [6] ، وفي مصر إهتمّ ببعض النّواحي الاجتماعيّة والإقتصاديّة وفي العراق بالوعظ و الوُعّاظ ، وفي الشّام تكلّم عن المسلمين تحت حكم الصّليبيّين، وكلّما يتحدّث عن مدينة إلاّ ويذكرها بما اشتهرت به، كمنارة الإسكندريّة وأهرامات القاهرة وآثار مكّة والمسجد النّبوي بالمدينة[7].

ورحلته فيها كثير من الصُوَر الّتي تُوضح العلاقات والتّعاون بين أهل البلاد والصّليبيّين في مملكة بيت المقدس، رغم حالة الحرب القائمة بينهما ، كما كان ابن جبير شديد العناية بالبّحث عن المدارس ، وليس

---

(1) ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س5 ، ق2 ، ص605 ، 606 ؛ ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج2 ، ص231 ؛ إغناطيوس : **نفس المرجع** ، ج1 ، ص299 .

(2)ابن عبد الملك ، **نفس المصدر** ، س5 ، ق2 ، ص604 ؛ إغناطيوس : **نفس المرجع** ، ج1 ، ص299 .

(3) طُبعت العديد من المرّات، منها في دار صادر بيروت (د.ت)، ودار مصر للطّباعة ، تحقيق، حسين ناصر (د. ت)، دار الكتب العلميّة بيروت1424ه/2003م ، تعليق إبراهيم شمس الدّين .

(4) نقولا زيادة : **الجغرافيا والرّحلات عند العرب** ، ط1 ،دار الكتاب بيروت1381ه/ 1962م، ص168 .

(5) ابن جبير محمد بن أحمد : **رحلة ابن جبير** ، تحقيق ،حسين ناصر ، ط1 ، دار مصر للطّباعة القاهرة (د. ت) ، ص، أ .

(6) نيقولا زيادة : **نفس المرجع** ، ص168 .

(7) ابن جبير : **نفس المصدر** ، ص، ب ؛ عبد العزيز سالم : **التّاريخ والمؤرخون** ، ص221 .

هذا غريب على رجل علم [1] ، وملاحظاته الّتي أدلى بها سواء كانت في الحياة الاجتماعيّة أو الإقتصاديّة أو حتّى الأثار، فتعتبر من أهمّ الوثائق الّتي تساعد البّاحث في تصوُر الأوضاع الاجتماعيّة والإقتصاديّة أنذاك [2] والكتاب فيه معلومات هامّة وكثيرة لايستغنى عنها المؤرخ أو الجغرافي أو حتّى الأديب عند دراسته لهذه الفترة ممّا جعل الكثير من الكُتّاب ينقلون عنه [3] .

وقد عبّر عن مصنّفه هذا ابن عساكر بقوله : "له كتاب جمع فيه رحلته وعجائب ما رأى وشاهده وأتقن فيه غاية الإتقان "[4] ، أمّا ابن عبد الملك فقد قال عنه : " هي الّتي صنّف وذكر مناقله فيها وما شاهد من عجائب البلدان وغرائب المشاهد وبدائع المصانع وهوكتاب ممتع، مؤنس، مثير سواكن النّفوس إلى الوِفادة على تلك المعالم المكرّمة والمشاهد المُعظّمة"[5]، و رحلته في حقيقتها عبّرت عن أدب جغرافي مميّز، حتّى امتازت هذه الرّحلة بأسلوب سهل جميل، مع ميل إلى التّفصيلات الخاصّة ، كوصْف العمران وإنطلاق السّفن وما واجهته من عقبات [6] ...الخ.

ويعلّق كراتشكوفسكي على رحلة ابن جبير بقوله : " وتعتبر رحلة ابن جبير من النّاحية الفنّية ذروة ما بلغه نمط الرّحلة في الأدب العربي ... وأسلوبه يمتاز بالكثير من الحيويّة وسهولة التّعبير، ومثال ذلك وصْفه لمدينة الإسكندريّة أو الكارثة السّفنية على سواحل صقلية ...كما يشحُن كتاباته بالإقتباسات الأدبيّة

(1) نيقولا زيادة : **نفس المرجع** ، ص169 ؛ عبد العزيز سالم : **نفس المرجع** ، ص222 .
(2) عبد العزيز سالم : **نفس المرجع** ، ص221 .
(3)نيقولا زيادة : **نفس المرجع** ، ص169 .
(4) ابن عسكر : **مصدر سابق** ، ص138.
(5)ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س5 ، ق2 ، ص597 ، 598 .
(6) حيدر علي : **مرجع سابق** ، ص231 .

والإشارات اللّطيفة ممّا يتطلّب درجة معينة من المعرفة والإطّلاع حتّى يضْحى مفهوما للقاريء ، فهذا مُصنّف رفيع الأسلوب يختتم بجدارة حلقة الجغرافيّين الأندلسيّين لهذا العصر) [1].

4)- محمد بن أيّوب بن غالب الغرناطي، عاش في القرن السّادس الهجري ، خلّف لنا كتاب له أهمية عظيمة قيّمة عن جغرافية الأندلس [2]عنوانه " فرحة الأنفُس في تاريخ الأندلس" [3] ، مزجَ فيه الجغرافية بالتّاريخ، ومن خلال العنوان يمكن أن نفهم، أنّه كتاب تاريخ، لكن من خلال القطعة الّتي وصلتنا من هذا الكتاب [4] بالإضافة إلى النّصوص الّتي نقلها لنا المقرّي عن هذا الكتاب [5]، فهي منسوبة لابن غالب، إلاّ أنّ ابن غالب تميّز عمله بالنّقل والتّلخيص دون أن يُضيف شيئا جديدا إلى من سبقوه عن الأندلس أو حتّى علم الجغرافيا [6].

ورغم محاولات لطفي عبد البديع البّحث عن حياة ابن غالب، إلاّ أنّه لم يتمكّن من إيفادنا بمعلومات كافية، وافية عنه [7]، ماعدا أنّه عاش في القرن السّادس الهجري/ الثّاني عشر ميلادي، والكتاب له أهمية جغرافية تفْسَح لنا المجال للتّعرف على مناطق عديدة في الأندلس لتلك الفترة، كما تُبيّن لنا تاريخ المنطقة السّياسي وتراجُم رجالها [8] .

5)- ابن سعيد المغربي علي بن موسى أبو الحسن بن محمد بن عبد الملك ت685ه/1286م،

---

(1) إغناطيوس : **مرجع سابق** ، ج1 ، ص301.

(2) حسين مؤنس : **تاريخ الجغرافية** ، ص452 ،453 .

(3) حسين مؤنس: **نفس المرجع** ، ص452 ؛ العريني : **مرجع سابق** ، ص329 .

(4) قام لطفي عبد البّديع بنشر قطعة من فرحة الأنفس لابن غالب، تُصَور خِطط الأندلس في عصر المرابطين والموحدين ، ووضع في المقدّمة تعريفا بالمؤلّف والكتاب ، طُبع الكتاب بمطبعة مصر القاهرة1375ه/1956م .

(5) المقرّي : **نفح الطّيب** ، ج1 ، ص197 ، ص199 ، ص202 ، ص466 وغيرها .

(6)حسين مؤنس : **تاريخ الجغرافية** ، ص452 ، ص455 .

(7) حسين مؤنس: **نفس المرجع** ، ص453 .

(8) حسين مؤنس: **نفس المرجع** ، ص450 ؛ العريني: **مرجع سابق** ، ص329.

أصله من قلعة يحصب من أعمال غرناطة، تُعْرف بقلعة بنّي سعيد [1]، من عائلة علم وأدب [2]، أخذ العلم عن أبيه موسى بن محمد وعلي الشّلوبيني ، وأبي الحسن الدّبّاج وابن عصفور وغيرهم [3]، عُرِف عليه التّجوال والتّرحال وتسجيل ما يلاحظه مُهمًّا ، قال عنه ابن الخطيب :"هذا الرّجل وسط عقد بيته ، وعلِم أهله ، ودرّة قزمه ، المصنّف الأديب ، الرّحّال الظّرفة ، الإخباري ، العجيب الشّأن في التّجوال في الأوطان ومداخلة الأعيان والتّمتع بالخزائن العلميّة وتقيّيد الفوائد المشرقيّة والمغربيّة "[4] .

إرتحل إلى المشرق وإلتقى بكثير من العلماء والأدباء وأقام بمصر حوالي أربع سنوات، ثمّ إنتقل منها إلى حلب سنة644ه/1246م ، ثمّ إلى مناطق أخرى ، وأدّى بعدها فريضة الحجّ، ثمّ رحل إلى تونس سنة 652ه/1254م، حيث قرّبه السّلطان أبو عبد الله المستنصر بالله الحفصي ت675ه/1276م وبقيّ هناك إلى أن توفيّ بتونس [5].

ترك لنا عدّة مؤلّفات هامّة منها : " المُغرب في حُلّي المغرب " [6]و "المُشرق في حُلّي المشرق " [7] والإسم الكامل للكتاب هو " كتاب فلك الإرب المحيط بحلّي لسان العرب " فالأوّل يتحدّث عن تاريخ المغرب والأندلس فيما بين سنتي 529 -640ه/م، وكان يقع في خمسة عشر مجلدا، لم يبق منها إلاّ العاشر والحادي عشر وموضوعهما جغرافية الأندلس وصفة نواحيها [8]، قسّمه إلى أبواب وكلّ باب إلى مملكة، حيث قسّمه إلى غرب ومتوسطة وشرق ، وأفرد لكلّ قسم كتاب، فسمّى كتاب الغرب " كتاب العُرس

(1) ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج4 ، ص152 ؛ المقرّي : **نفح الطّيب** ، ج2 ، ص270 .
(2) ابن الخطيب : **نفس المصدر** ، ج4 ، ص153 .
(3) **نفسه** ؛ المقرّي : **نفح الطّيب** ، ج2 ، ص271 .
(4) ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج4 ، ص153 .
(5) ابن الخطيب : **نفس المصدر** ، ج4 ، ص154 وما بعدها .
(6) طُبع الكتاب في دار المعارف القاهرة 1964م، حقّقه شوقي ضيف ، يوجد في جزأين.
(7) ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج4 ، ص153 .
(8) بالنثيا آنخيل : **مرجع سابق** ، ص244 .

في حلّي غرب الأندلس " وسمّى كتابه المتوسطة " كتاب الشّفاه اللُّعْس في حلّي متوسطة الأندلس " وكتاب الشّرق "كتاب الأنس في حلّي شرق الأندلس " .

وأخذ يُقَسّم كلّ كتاب من الكتب الثّلاثة إلى ممالك وقسّم كلّ مملكة إلى كورها المختلفة وقسّم الغرب إلى سبع ممالك، أي سبعة كتب تدور حول قرطبة وإشبيليّة وبطليوس وشلب وباجة وأشبونة ومالقة [1]ووضع الأسّس الأولى لكتاب " المغرب " عبد الله بن إبراهيم بن إبراهيم الحجّاي [2]، حيث يقول ابن سعيد علي : " هو أوّل من أسمى هذا المصنّف وفتح بابه لمن بعده من بنّي سعيد " [3]، ثمّ ساهم عبد الملك بن سعيد [4] ت560ه/1194م في إكمال الكتاب، ثمّ تابعه ولداه محمد بن عبد الملك [5]ت589ه/1193م وأبو جعفر أحمد بن عبد الملك [6]ت599ه/1163م، ثمّ تابعه موسى بن محمد بن سعيد[7] ت640ه / 1240م وآخر من أكمل هذا الكتاب أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد [8] .

وقد شكل هذان الكتابان موسوعة أدبيّة، جغرافيّة وتاريخيّة، إحتوى على كثير من المعلومات المهمّة الّتي لاغنى عنها للبّاحثين والجغرافيّين ،كما ألّف علي بن موسى كتاب "المرقصات والمرطبات" و"ملوك

(1) بالنثيا آنجيل: **نفس المرجع** ، ص246 ؛ ابن سعيد المغربي : **المغرب** ، ج1، **المقدمة** ، ص ل .

(2) صاحب كتاب المُسهب ويسميه علي بن سعيد جاحظ المغرب .

(3)ابن سعيد المغربي : **المغرب** : ج2 ، ص35 .

(4) ابن سعيد المغربي: **نفس المصدر** : ج2 ، ص161 .

(5) **نفسه** :ج2 ، ص162 .

(6) **نفسه**: ج2، ص164 .

(7) **نفسه** :ج2 ، ص170.

(8) **نفسه**: ج2 ، ص172

الشّعر " و "البدء " في الجغرافيا و "الجغرافية في الأقاليم السّبعة "[1]و " الطّالع السّعيد في تاريخ بنّي سعيد " [2].

III) الفلسفة وعلم المنطق :

أ) – الفلسفة :

الفلسفة كلمة يونانية (فيلاسوفيا) وتعني، حبّ الحكمة ، وقد عُربّت إلى فيلسوف، ثمّ إشتقّت الفلسفة ومعناها علم حقائق الأشياء والعمل بها هو أصلح [3]، إلاّ أنّ العلماء طرحوا عدّة تعريفات وهذا بدأ من التّعريف اليوناني لها، مرورا بالعصور الوسطى، ثمّ الحديثة وحتّى المعاصرة؛ لذلك لايمكن أن نبحث في معناها بدقّة ، وهذا لأسباب عدّة منها هو عدم وجود تعريف محدّد لها ، حيث أخذت هذه اللّفظة معاني عدّة بحسب كلّ عصر ، إذ لاتوجد لفظة شاملة ومُعبّرة عن الفلسفة ومتفّق عليها بحيث تلازم الفلسفة ، كما أنّ مفهومها بحدّ ذاته، يُعدّ موضوعا فلسفيا [4].

وإذا أردنا أن نتحدّث عن تعريف الفلسفة في سياقها التّاريخي فقد يطول بنا الحديث إذا تناولناها بشكل مفصّل[5]، وأشهر من عرّفها من العلماء المسلمين الجرجاني بقوله :" التّشبه بالإله بحسب الطّاقة

---

(1) عمر فروخ : **مرجع سابق** ، ص213. ؛ نيقولا زيادة : **مرجع سابق** ، ص169 .

(2) بالنثيا آنخيل : **مرجع سابق** ، ص247 .

(3) الخوارزمي محمد بن أحمد بن يوسف : **مفتاح العلوم** ، تحقيق ، إبراهيم الأبياري ، ط2 ، دار الكتاب العربي بيروت 1409ه/1989م، ص 153.

(4) الصّاوي أحمد : **الفلسفة الإسلاميّة مفهومها وأهميتها ونشأتها وأهمّ قضاياها** ، ط1 ، دار النّشر للتّوزيع والنّشرالقاهرة1419ه/ 1998م، ص5 .

(5) الصّاوي أحمد : **نفس المرجع** ، ص5 وما بعدها .

البشرية لتحصيل السّعادة الأبديّة، كما أمر الصّادق صلّى الله عليه وسلّم في قوله : " تخلّقوا بأخلاق الله "[1]، أي تشبّهوا به في الإحاطة بالمعلومات والتّجرد عن الجسمانيات "[2].

أمّا ابن خلدون فيقول : " علم ينظر في الوجود المُطلق "[3]، لذلك نجد الفلسفة لاتخرج عند المسلمين عن نطاق فهْم اليونان، إلاّ في بعض الإشارات الّتي تندرج فيما تفرضه الشّريعة الإسلاميّة ، كما نلاحظ أنّ الفلسفة والحكمة البشرية على مرّ العصور ومفهومها، أي الحكمة لا تتعارض مع الشّريعة الإسلاميّة ولهذا فلا تُهمل في أيّ عصر من العصور [4] .

والفلسفة في المغرب والأندلس عرفت حِقَبًا متباينة من الإزدهار والخمول؛ ذلك لارتباطها بطبيعة الدّول المتعاقبة على حكم البلاد واهتمامامها بالجوانب الفكريّة ، إلاّ أنّ مجال الفلسفة ظلّ ضيّقا مقارنة بعلوم الدّين والعربيّة ، فنجدها قد إزدهرت خلال عهد المستنصر بالله الأموي 350ه-361ه/961م-976م، إلاّ أنّها تعرّضت للإضطهاد في عهد المنصور بن أبي عامر 368ه-392ه/978م- 1002م،ثمّ عادت إلى الإزدهار خلال مرحلة عصر الطّوائف في الأندلس،لكنّها خمدت خلال العصرالمرابطي[5]

(1) لم نعثر لهذا الحديث على أثر في كتب الحديث ، ربّما يكون من أقوال الصّوفيّة .

(2) الجرجاني علي بن محمد : **مُعجم التّعريفات** ، تحقيق ، محمد صديق المنشاوي ، ط1 ، دار الفضيلة للنّشر والتّوزيع القاهرة 1425ه / 2004م، ص142 .

(3) ابن خلدون : **المقدمة** ، ص920 .

(4) الصّاوي أحمد : **نفس المرجع** ، ص10 .

(5) أسهب الدّكتور محمد الأمين بلغيث في الحديث عن أسباب ركود الفلسفة في عصر المرابطين . انظر ، محمد الأمين بلغيث: **الحركة الفكريّة** ، ص402 وما بعدها .

وإقتصرت على بعض رجالات الدّولة [1]، وفي عهد الدّولة الموحديّة إزدهرت بشكل واضح، حيث عرفت أزهى عصورها في المنطقة [2].

وللمغاربة والأندلسيّين موقف من الفلسفة والفلاسفة عبر مراحل تاريخ المنطقة ، فقد وقف الفقهاء المالكيّة موقفا معاديًا من الفلسفة والفلاسفة ، حيث كانوا يُدركون الخطر الّذي يهدّد مكانتهم إذا ما فتحوا باب المناقشة والتّأويل ، فكانوا يُلصقون بالفلسفة ومن يشتغل بها إتّهامات الزّندقة والإلحاد [3] ؛ بل كانت محظورة ومنبوذ من يشتغل بها؛ بل قام بعض الحكّام بإحراق تلك الكتب، كتب العلوم القديمة [4]أو علوم الأوائل كما كانت تسمّى ، مثلما قام به المنصور بن أبي عامر الّذي أمر بإخراج كتب علوم الأوائل الّتي كانت موجودة في خزانة الحاكم المستنصر وإحراقها، أو رميّها في بئر القصر وأُهيل عليها التّراب والحجارة [5] .

ورغم أنّ منطقة المغرب والأندلس أنجبت العديد من الفلاسفة الّذين ذاع صيتهم في بلاد المشرق الإسلامي إلاّ أنّ الملاحظ على الفلسفة أنّها لم تكن منتشرة مثلما هو الحال في المشرق ، وقد يعود ذلك إلى التّضيّيق والإضطهاد الّذي مارسه حكّام المنطقة بإيعاز وتحريض من الفقهاء، إذ يقول المقرّي : "وهو علم

---

(1) مثل، مالك بن وهيب الإشبيلي ت 525ه/1131م الّذي كان وزيرا لعلي بن يوسف بن تاشفين ، وقد إعتبره المقرّي فيلسوف المغرب. انظر، المقرّي : **نفح الطّيب** ، ج3 ، ص479 ، وإعتبره حسن محمود من أئمّة الفلاسفة في الأندلس . انظر: حسن أحمد محمود : **قيّام دولة المرابطين** ، دار الفكر العربي القاهرة (د. ت)، ص436.

(2) قاسم مريم : **أضواء على الحركة العلميّة في الأندلس** ، مجلّة دراسات تاريخيّة ، العددان 75 و 76 السّنة الثّانية والعشرون ، جامعة دمشق سوريا سنة 1422ه/2001م ، ص194 ، 195.

(3) طه عبد المقصود عبد الحميد : **الحضارة الإسلاميّة دراسة في تاريخ العلوم** ، دار الكتب العلميّة بيروت1425ه/2004م ، مج2، ص789 .

(4) المقرّي : **نفح الطّيب** ، ج1 ، ص221 .

(5)صاعد بن أحمد صاعد الأندلسي : **كتاب طبقات الأمّم** ، نشره ، الأب لويس شيخو اليسوعي ، المطبعة الكاثوليكيّة للأباء اليّاسوعيّين بيروت1361ه/ 1942م ، ص66

ممقوت بالأندلس، لا يستطيع صاحبه إظهاره فلذلك تُخفى تصانيفه " [1]وهذا ما يفسّر تعرُض العديد من الفلاسفة والمشتغلين بالمنطق والعلوم البّاطنيّة للإضطهاد [2]، ويقول ابن سعيد : "فإنّه كلّما قيل فلان يقرأ الفلسفة أو يشتغل بالتّنجيم، أطلقت عليه العامّة إسم زنديق وقيّدت عليه أنفاسه ، فإن زلَّ في شبهة رجموه بالحجارة وحرقوه قبل أن يصل أمره للسّلطان " [3] .

ونستنتج ممّا سبق أنّ الدّراسات الفلسفيّة أخذت طابع السّريّة والإنطواء على نفسها خاصّة في المرحلة الأولى من تاريخ المغرب والأندلس، إذ أخذ العلماء فيما بعد بالدّعوة إلى الأخذ بالفلسفة وعلومها وكوّنوا لهم أتباعا ومناصرين ، إذ نجد الدّراسات الفلسفيّة عادت إلى النّشاط بعد سقوط الخلافة الأمويّة في الأندلس سنة 422ه/1030م ، وقامت دُوَل الطّوائف فظهرت الاتّجاهات والمذاهب المختلفة وتحرّر كثير من النّاس في أفكارهم فذاعت وإنتشرت الفلسفة إنتشارا واسعا [4] .

ولمــّا كان عهد الموحدين أصبح للفلسفة والفلاسفة شأن عظيم لدى حكّام الدّولة أو العامّة؛ بفضل حريّة الفكر والثّقافة الّتي عُرفت بها هذه الدّولة [5]، وهذا عكس ما كانت عليه الدّولة المرابطيّة الّتي كانت تعتبر الخوْض في هذه العلوم من المُحرّمات [6]؛ بسبب التّمسك بالثّقافة الفقهيّة المالكيّة الّتي كانت شديدة العداء لهذ النّوع من الفكر [7] ، ولإعتقادها أنّ الفلسفة تؤدّي إلى الإلحاد، وقد احتجّوا في ذلك أنّ

---

(1) المقرّي : **نفح الطّيب** ، ج3 ، ص186 .

(2) ابن عذارى : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص392 ،393 .

(3)المقرّي : **نفح الطّيب** ، ج3 ، ص221.

(4) صاعد الأندلسي : **مصدر سابق** ، ص67 ؛ بالنثيا انخيل : **مرجع سابق** ، ص333 .

(5) عبد الله عنّان : **عصر المرابطين والموحدين** ، ج2 ، ص711 .

(6) المراكشي : **مصدر سابق** ، ص236 .

(7) عبد المجيد النّجار : **المهدي** ، ص465 ، 466 ؛ لقد حاول الدّكتور دندش الدّفاع عن موقف المرابطين القّاسي من الفلسفة والفلاسفة . انظر،عصمت عبد اللّطيف دندش : **أضواء جديدة على المرابطين** ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي بيروت1411ه/1991م ، ص83 وما بعدها .

أئمّة السّلف الصّالح لم يمارسوا الفلسفة [1]، فظهرت معاناة الفلسفة والتّفكير الحرّ؛ بسبب موقف الفقهاء المتّسم بالقسوة ، وجهْل العوام؛ ممّا سبب تحديدا للحريّة الفكريّة ، فأصبح كلّ من يخوض في هذا المجال مهدّدًا بالتّكفير أو النّفي أو القتْل [2] أو بهما جميعا [3] .

ولّما ظهرت الدّولة الموحديّة بمؤسّسها صاحب المنهج العقلي النّقدي المُقارن، إنفتحت الأذهان لدراسة علوم الفلسفة وأصبحت من عناصر الثّقافة المغربيّة [4] ، فخفّ الضّغط على الفكر الفلسفي وأُعطيت الحريّة للنّشاطات الفكريّة وللعقل كامل وظيفته [5]، وكان لخلفاء الدّولة الموحديّة الأوائل دورا بارزا في فتح المجال أمّام الفلاسفة ليتحرّروا من قيود الفقهاء ، وأوّل من بدأ يهتم ويتعلّق بالفلسفة أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن وذلك منذ أن كان واليّا على إشبيليّة سنة 549ه/1154م [6]، ويذكر المراكشي أنّه بعد أن تعلّم مختلف العلوم الشّرعيّة وظهر فيها "طمح بع شرف نفسه وعلُوُ همّته إلى تعلّم الفلسفة فجمع كثيرا من أجزائها وبدأ في ذلك بعلم الطّب فاستظهر من الكتاب المعروف أكثر ممّا يتعلّق بالعلم خاصّة دون العمل ، ثمّ تخطّى ذلك إلى ما هو أشْرف من أنواع الفلسفة وأمر بجمع كُتبها فاجتمع له منها قريب ممّا اجتمع للحاكم المستنصر بالله الأموي " [7].

بالإضافة إلى جمعه لكتب الفلسفة والاهتمام بها، قام بالبّحث عن أمهر الفلاسفة وجلبهم إلى قصره من مختلف المناطق ، وقام بتشجيعهم وإكرامهم وحثّهم على الكتابة في علوم الفلسفة وشرْح غامضها وتوضيح

(1) علاّم عبد الله : **الدّولة الموحديّة** ، ص365.

(2) محمد مجيد سعيد : **الشّعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس** ، ط1 ، دار الرّشيد للنّشر بغداد العراق 1400ه/1980م ، ص72.

(3) لقد راح ضحية ذلك التّعنُت أبو الحسن علي بن جودي ت530ه/1136م، تلميذ الفيلسوف ابن باجة الّذي تحوّل إلى قاطع طريق مع عصابة تعمل بين الجزيرة الخضراء وقلعة خولان . انظر ، ابن سعيد : **المغرب** ، ج2 ، ص109 ، 110 .

(4) عبد المجيد النّجار : **المهدي** ، ص466 .

(5) محمد مجيد سعيد : **مرجع السابق**، ص72 ، 73 .

(6) ابن أبي الزّرع : **الأنيس المطرب** ، ص195 ؛ محمد المنّوني : **حضارة الموحدين** ، ص69.

(7) المراكشي : **مصدر سابق** ، ص310 .

وتذليل صعابها للنّاس ، وكان من أبرز هؤلاء الفلاسفة أبو بكر بن طفيل وأبو الوليد بن رشد [1]، ويذكر هذا الأخير أوّل لقاء له مع يوسف بن عبد المؤمن، مايُوَضح تضلُع أبي يعقوب في الفلسفة ، حيث سأله أبو يعقوب يوسف عن رأي الفلاسفة في السّماء أقديمة أم حديثة ؟ إلاّ أنّ ابن رشد حاول التّهرب من الإجابة عن السّؤال وينكر إنشغاله بالفلسفة ، فانطلق أبو يعقوب يتكلّم في المسألة الّتي سأله عنها ويأتي بما تحدّث به أرسطوطاليس وأفلاطون وجميع الفلاسفة وردِّ علماء الإسلام على ذلك ، فتعجّب ابن رشد من سعة علم الخليفة الموّحدي حيث قال :" فرأيت منه غزارة حِفظ لم أظنّها في أحد من المشتغلين بهذا الشّأن، المُتَفرّغين له"[2] ،ونظرا لإهتمام أبي يعقوب يوسف بالفلسفة فقد إشتكى يوما إلى ابن طُفيل من قلَق عبارة أرسطو، أو عبارة المترجمين له ، فقام ابن طفيل بتكليف ابن رشد للقيّام بتبسيط المفاهيم للنّاس وتلخيص كُتب أرسطو متعلّلا عن عدم قيامه هو بذلك بكِبر سنّه وانشغاله بأمور أهمّ ، فقام ابن رشد بذلك [3]، وكانت تلك الشّروح لابن رشد على أرسطو (الأكبر والأوسط والأصغر) لها بالغ الأثر في الفكر الفلسفي الأوروبي والعالمي فيما بعد [4].

إلاّ أنّ هذا الإهتمام بالفلسفة والفلاسفة في عهد يوسف بن عبد المؤمن لم يدُم طويلا، إذ أنّه لمـــّا كان عهد يعقوب المنصور فقد نهج في بداية حُكْمه نهج أبيه، حيث كان يعشق الجدل والمناقشات الفلسفيّة [5] ولكن سرعان ما تغيّر فجأة وانقطع عن علوم الفلسفة وأمرَ بإحراق كُتبها [6]، وأبعد ابن رشد عن

(1) المراكشي : **نفس المصدر** ، ص314 .

(2) المراكشي: **مصدر سابق** ، ص314 ،315 .

(3) **نفسه** ، ص315 .

(4) عبد المجيد النّجار : **مرجع سابق** ، ص467 .

(5) عبد الله عنّان :**عصر المرابطين والموحدين** ، ج2 ، ص223.

(6) لقد كتب في ذلك المنصور خطابا وجّهه إلى كافة أنحاء الدّولة الموحدية، يُحذّر فيه من الفلسفة والفلاسفة وغيرهم، ممّن يتناول هذه الموضيع ويأمر النّاس أن يجتنبوهم ، وإذا عثروا على كُتبهم أن يحرقوها . انظر نص الخطاب، ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س6 ، ص26 ، 28.

البّلاط[1] وأُصيبت الفلسفة بنكسة[2]سنة 593ه/1197م واتُّهموا بأنّهم خرجوا عن الجادّة وأصبحوا من الضّالين الّذين تجب محاربتهم ، فنُفيّ من نُفيّ منهم إلى مختلف المناطق وأُحرقت كتبهم [3]وتعرّضوا للمضايقات من العامّة وقد إختلف البّاحثون واحتاروا في أسباب هذه النّكبة فمنهم من يُرجعها إلى الحسد والغيْرة الّتي أصابت منافسي وأعداء ابن رشد من بعض العلماء والفقهاء الّذين تمكّنوا من الكيد له لدى المنصور الموّحدي فاتُّهم بالُمروق والخروج عن الدّين [4].

وقيل أنّه بسبب صلته بأبي يحي شقيق المنصور والي قرطبة [5]الّذي كانت بينه وبين المنصور خلافات عائلية حول الملك ، ومنهم من يردّها إلى ما كتبه ابن رشد في كتابه " الحيوان " حيث أنّه لّما أشار إلى الزّرافة وصِفتها ونشأها قال:" وقد رأيت الزّرافة عند ملك البربر" يعني المنصور، فلمّا بلغ ذلك المنصور نقَم عليه وأبعده [6] ، معتقدا أنّ ابن رشد يستخفّ به .

ومنها أنّ ابن رشد كان يجري في كلامه مع الخليفة المنصور على مخاطبته بقوله : "إسمع يا أخي " وكان المنصور يُسَرُّ له بهذه الجُرأة في مخاطبته [7]، والسّؤال الّذي يمكن أن نطرحه ، هل كان يعقوب

(1) تعرّض ابن رشد وزملاءه وتلاميذه لنّكبة صعبة، قضى فيها المنصور عليه بالنّفي إلى بلدة ألسانة، الواقعة جنوب قرطبة ، ويبدو أنّ يعقوب المنصور راعى في ذلك الحكم بالنّفي، سِنَّ ابن رشد الّذي تجاوز السّبعين من عمره وحالته الصّحيّة، كما صُودرت كُتبهم وضيّقت عليهم .
انظر ، ابن عذارى : **مصدر سابق (قسم الموحدين)** ، ص226 ؛ المراكشي : **نفس المصدر** ، ص384 ،385 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر**، س6 ، ص28 ؛ عبد الله عنّان : **عصر المرابطين والموحدين** ،ج2 ، ص225 ،226 .

(2) عبد الله عنّان : **نفس المرجع** ،ج2 ، ص225 ؛ ليلى أحمد نجار : **مرجع سابق** ، ج2 ، ص512 .

(3) المراكشي : **نفس المصدر** ، ص386 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص26 .

(4) المراكشي : **مصدر سابق** ، ص384 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص25 ؛ عبد الله عنّان: **عصر المرابطين والموحدين**، ج2 ، ص227.

(5) ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س6 ، ص25 ؛ عبد الله عنّان : **عصر المرابطين والموحدين** ، ج2 ، ص224.

(6) المراكشي : **نفس المصدر** ، ص384 ؛ ابن أبي أصيبعة : **مصدر سابق** ، ص532 .

(7)ابن أبي أصيبعة : **نفس المصدر** ، ص532 ؛ عبد الله عنّان : **عصر المرابطين والموحدين** ، ج2 ، ص228 .

المنصور يَبْغض الفلسفة في حدِّ ذاتها كعلم مستقيم في كتبها ؟ أم أنّه يبغضها مُعْوَجة في الألسنة حيث تُزاغ بها القلوب الخفيفة وتُضلُّ بها العقول الطّائشة؟ .

الواقع أنّ المنصور الموّحدي لّما رأى الفتنة برزت وأصبح الكلام منتشرا حول آراء الفلاسفة وكتبهم وخاصّة منهم ابن رشد ، وقد يختلط بالأهواء ووجوه التّأويل، لم يكن بُدًّا من أن يحسم مادة الفتنة ويتّقي الله في عامّته فجمع الفقهاء؛ لتكون كلمتهم الحَكم على العامّة بالسّكوت فإنّهم إن خاضوا في ذلك وتُرِك الأمر على ماهو فشت لهم فاشيّة من الضّلال ووجد النّاس السّبيل إلى خُذلان هذا الخليفة في غزواته [1].

وهكذا يُبْرز يعقوب المنصور بموقفه هذا الثّاقب ويجعل منه قائدا وحاكما وسياسيا وفقيها بحقّ، كما يمكن إعتبار هذه الحادثة هزّة عابرة لاتُعطي إنطباعا بأنّ الموحدين كانوا ضدّ الفلسفة؛ بل الموقف العادي هو أنّ الفلسفة ما عرفت نشاطا بارزا مثلما عرفته في هذا العهد ، وهي من الأمور الّتي نبّه إليها غرسيا غومز في بيان أهميّة العصر الموّحدي الّذي تميّز بثلاث فعاليات حضاريّة في غاية الأهميّة، لاينبغي لمثقف أن يجهلها، هي الفلسفة وفنّ العمارة والنّحو [2] .

ومهما يكن سبب الجفاء الّذي وقع بين المنصور الموّحدي وابن رشد الحفيد، إلاَّ أنّ النّتيجة واحدة وهي أنّ ابن رشد قد تعرّض لشيء من الإهانة والتّضيّيق وإحراق كُتبه وهو حيّ ، ولم يشفع له عِلمه ولا كِبر سنّه إلاَّ أنّ هذا الجفاء لم يدُم طويلا، حيث عاد يعقوب المنصور إلى سالف عهده بالفلسفة وعلمائها وراح يتعلّمها من جديد ، واسْتُدعى ابن رشد من جديد إلى مراكش للإحسان إليه والعفو عنه ، إلاّ أنّ القدَر كان أسبق حيث توفيّ ابن رشد بعد سنة من إلتحاقه بمراكش سنة595ه/1198م وقد قارب الثّمانين سنة من عمره[3].

---

(1) مصطفى صادق الرّافعي : **تارخ آداب العرب** ، دار الكتاب العربي بيروت1394ه/1974م، ج3 ، ص290 ،291 .

(2) حكمة علي الأوسي : **الأدب الأندلسي في عصر الموحدين** ، ط1 ، مكتبة الخانجي القاهرة1396ه/1976م ، ص38 ،39 .

(3) ابن عذارى : **مصدر سابق (قسم الموحدين)** ، ص226 ؛ المراكشي : **مصدر سابق** ، ص 385 .

ورغم هذا الإنفتاح الفلسفي الّذي عرفته الدّولة الموحديّة إلاّ أنّ الفلاسفة لم يكونوا يأمنون جانب العامّة والجُهّال من النّاس ومن ورائهم الفقهاء الّذين لايفتؤون يُحَرّضون العوام ضدّهم؛ لذلك يحاول الفلاسفة حجْب آرائهم وأفكارهم ومؤلّفاتهم عن العامّة؛ لأنّهم يُدركون مقدار مقْت العامّة لهم ولأفكارهم[1]، ويزداد وضْع الفلاسفة خطورة عندما يتخلّى عنهم المسؤولون والحكّام فتنهال عليهم حينذاك أحقاد العوام ويتعرّضون لأذاهم.

ومن ذلك مايرويه ابن رشد الحفيد عن نفسه أيّام المحنة فيقول :" أعظم ماطرأ عليّ في النّكبة أنّي دخلت أنا وولدي عبد الله مسجد قرطبة، وقد حانت صلاة العصر، فثار علينا بعض سفلة العامّة فأخرجونا منه"[2] وتجاوز هذه المواقف المناوئة للفلاسفة إلى المثقفين من العلماء كابن جبير الرّحّالة أبو الحسين ، الّذي شنّ حملة عنيفة ضدّ الفلسفة والفلاسفة ويتّهمهم بالضّلال والخروج عن الدّين، إذ يقول فيما أُوثر عنه من شعر يهاجم فيه الفلاسفة :

ياوَحْشَةَ الإِسْلاَمِ مِنْ فِــرقَةٍ ∆ شَاغِلَةً أَنْفُسَهَا بالسَّفَهِ

قد نَبَذَتْ دِينَ الهُدَى خَلْفَهَا ∆ وادَّعَتْ الحِكْمَةَ والفَلْسَفَةَ

ظَلّتْ بأَفــْعــَالِهَا الشَّنِيعَة ∆ طَائِفَة عَنِ هُدَى الشَّرِيعَة

لَيْسَتْ تــَرَى فَاعِلاً حَكِيمَا ∆ يَفْعَلُ شَيْئًا سِوَى الطَبِيعَة [3]

كما كان له شعر يخاطب به ابن رشد في أيّام محنته بقوله :

(1) المقرّي : **نفح الطّيب** ، ج3 ، ص186 .
(2) ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س6 ، ص26 .
(3) المقرّي : **نفح الطّيب** ، ج2 ، ص385 .

الآنَ قَدْ أَيْقَــنَ ابن رُشْدٍ △ أَنَّ تَوْلِيفَه تــَوَالَف

يا ظَالِمًا نَفْسَهُ تَأَمَلُ △ هَلْ تَجِدُ اليَوْمَ مِنَ تَوَالُفٍ [1]

كما كان لبعض الأدباء والشّعراء موقف سلبي من الفلسفة، مُحذِرين منها فيما يؤدي إليه من الفساد والبُعد عن الشّريعة ، ومن بين هؤلاء ابن حبُوس[2]ت570ه/1174م الّذي قال :

الدِّينُ دِينُ الله لــمْ يَعْبَأْ △ بِمُبْتَدِعٍ ولَمْ يَحْــفَلْ بِظِلّه مُلْــحِدٍ

قالوا: بِنُورِ العَقْلِ يُدْرَكُ مَاوَرَاءَ △ الغَيْبِ قُلْتُ : قَدِي مِن الدَّعْوَةِ قَدِ

بِالشَّرْعِ كــُتل شيء غائب △ والعقل ينكر كل ما لم يشهد[3]

ومنهم أبو حفص الأغماتي [4]ت604ه/1207م الّذي حذّر من الفلاسفة بقوله : "فإيّاكم والقُدماء وما أحدثوا ، فإنّهم عن عقولهم حدّثوا ، أتوْا من الإفتراء بكلّ أعجوبة وقلوبهم عن الأسرار محجوبة الأنبيّاء ونورهم لا الأغبياء وغرورهم ، عنهم يُتلّقى وبهم يُدرك السّل عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدٌ، إلاّ من إرتضى من رسول الدين عند الله الإسلام ، والعلم كتاب الله وسنّة محمد صلّى الله عليه وسلّم" [5] .

هذا الموقف من الفلسفة و الفلاسفة ترك آثاره في المغرب والأندلس، حتّى لم يكن مساعدا على إنتشار الفلسفة على نطاق واسع، مثل العلوم الدّينيّة؛ بل بقيّت مقتصرة على أفراد، يُعَدُّون على الأصابع؛ بل أدّى ما لقيّته من المقاومة إلى تراجعها فترة بعد أخرى ، حيث لم يبرز بعد ابن رشد في المنطقة من

(1) ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س6 ، ص30 .

(2) ابن حبوس محمد بن حسين بن عبد الله ، عالما، مُحقّقا، شاعرا، مُتقدّما في ذلك أهلَ زمانه، توفيّ سنة 570ه/1174م . انظر، ابن الأبار: **التّكملة** ، ج2 ، ص159 ؛

Pérés : **La Poesie à Fès sous le Almoravid et les Almhades** , Hespèris ,1934 Txv3, P18.

(3) عبّاس السّملالي : **مصدر سابق** ، ج4 ، ص112 ؛ محمد بن تاويت : **الوّافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى** ، ط1 ، دار الثّقافة الدّار البيضاء المغرب 1402ه/ 1982م، ج1 ، ص107 .

(4) عمر بن عبد الله بن محمد بن عمر السُّلَمي الأغماتي ، فاسّي الأصل ت604ه/1207م ، حافظا للفقه، راوية من رؤساء النّحاة، أديبا شاعرا، كاتبا، بارعا، غلب عليه الأدب . انظر، ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س8 ، ق1 ، ص222 .

(5) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س8 ، ق1 ، ص227 .

يستحقّ بشكل واسع ماعدا محيّ الدّين بن عربي الّذي كانت ميوله إلى التّصوف أكثر منه إلى الفلسفة العقليّة [1].

كما أنّ أمراء الدّولة الموحديّة بعد المنصور لم يعتنوا بالفلسفة والفلاسفة؛ بل على العكس من ذلك عُرف بعضهم، مثل المأمون بن المنصور بمعاداته للفلسفة والفلاسفة إلى حدِّ قيامه بقتل الفيلسوف الأندلسي ابن حبيب القصر[2]بسبب إنشغاله بالفلسفة [3]وكان المأمون قد أعلن عن حملة تطهيريّة ضدّ الزّنادقة لتطهير الأرض منهم [4] ، ورغم هذا كلّه فقد أثبت العقل الفلسفي في المغرب والأندلس قوّته وحدّد ملامحه وشخصيّته وأعطى للحضارة الإنسانيّة رجالا تفتخر بهم وتزدهي بإنتاجهم [5].

وتبعا لما قلناه سابقا يمكن أن نقول أنّ الدّولة الموحديّة، إستطاعت أن تبعث من جديد التّفتح الفكري والبّحث العلمي وحرية الآراء، ممّا أدّى إلى ظهور عمالقة الفلسفة والإبداع الفكري أمثال، ابن طُفيل وابن رشد الحفيد ، كما تركت هذه الفترة من الزّمن ثقافة فلسفيّة لم تعرفها المنطقة من قبل وما زالت آثارها إلى يومنا هذا بادية، ما جعل المؤرخ الفرنسي أرنست رينان (1823م – 1892م) يقول :"لولا ابن رشد لما فُهمت فلسفة أرسطو " [6]، كما أنّ الفلسفة الإسلاميّة لم تُحقق آخر إزدهار لها إلاّ على أيّام الموحدين [7].

---

(1) عبد المجيد النّجار : **مرجع سابق** ، ص470 .

(2) ابن حبيب القصري، الفيلسوف، برع في العلم القديم واشتهر إشتهار البّدر في اللّيل البهيم، قتله المأمون الموّحدي. انظر: ابن سعيد: **المغرب**، ج1 ، ص296 ؛ المقرّي : **نفح الطّيب** ، ج3 ، ص186 .

(3) المقرّي :**نفح الطيب** ، ج3 ، ص186 ؛ محمد المنّوني : **حضارة الموحدين** ، ص72 ؛ عبد المجيد االنّجار: **نفس المرجع** ، ص 469 .

(4) ابن سعيد : **المغرب** ، ج1 ، ص296 .

(5) محمد مجيد سعيد : **مرجع سابق** ، ص73 ، 74.

(6) محمد المنّوني : **حضارة الموحدين** ، ص71.

(7) بوزورث كليفورد : **مرجع سابق** ، ص57 .

ب)علم المنطق :

يُطلق على علم المنطق أيضا علم الميزان ، وهو علم يُتعرّف منه على كيفيّة إكتساب المجهولات التّصوُّريّة أو التّصديقيّة من معلوماهٔا ، وموضوعه المعقولات الثّانية من حيث الإيصال إلى المجهول والنّفْع فيه والغرض منه ومنفعته ظاهرة [1]، وعرّفه الجرجاني بقوله : " آلة قانونيّة تعْصُم مراعاهٔا الذِّهن عن الخطأ في الفكر "[2].

بينما يقول عنه ابن خلدون : "هو قوانين [3] يُعرف بها الصّحيح من الفاسد في الحدود المعروفة للماهيّات والحُجج المفيدة للتّصديقات " [4].

إنتشر هذا العلم مع الفلسفة و لم يكن معهودًا بالمغرب والأندلس، إذ أنّه كان هو الآخر مُعْرضًا عنه ويعتبر من العلوم الضّارة الّتي لابدّ من الإبتعاد عنها [5]، وكان النّاس يتخوَّفون من شراء كتب المنطق حتّى لايُتّهموا بالزّندقة ، ويذكر حاجّي خليفة نقلا عن أبي حيّان الأندلسي ت745ه/1344م في كتابه تفسير المحيط "أنّ بعض الوزراء أراد أن يشتري لابنه كتابا في المنطق فاشتراه خِفْيةً، خوفا منهم (الفقهاء)، مع أنّه أصْلُ كلّ علمٍ وتقويم كلّ ذهنٍ " [6].

ويصف لنا أبو الحجّاج بن طملوس ت620ه/1223م جفاء وعزوف أهل الأندلس عن المنطق بقوله : " أهل زماننا ينفُرون عنها – صناعة المنطق – ويرمون العالم بها بالبدع والزّندقة، وقد إشترك في

(1) أحمد بن مصطفى : **مرجع سابق** ،ج1 ، ص272 .

(2) الجرجاني : **مصدر سابق** ، ص196 .

(3)ولكون المنطق حاكما على جميع العلوم في الصّحة والسّقم والقوّة والضّعف، سمّاه أبو نصر الفارابي رئيس العلوم ، ولكونه آلة في تحصيل العلوم الكسبيّة النّظريّة والعلميّة، لامقصود بالذّات، سمّاه أبو علي ابن سينا بخادم العلوم وسمّاه أبو حامد الغزّالي معيار العلم وإعتبره بعض العلماء فرض كفاية . انظر ، حاجي خليفة ، **مرجع سابق** ،ج2 ، ص1862 .

(4) ابن خلدون : **المقدمة** ، ص908 .

(5) عبد المجيد النّجار : **مرجع سابق** ، ص470 .

(6) حاجّي خليفة : **مرجع سابق** ، ج2 ، ص1862 .

هذا الأمر منهم دَهْماؤهم وعلماؤهم ، فلمّا رأيت هذه الصّناعة غريبة ، وقع في نفسي أن أمتحن العلماء الّذين ألقاهم في عصري هذا وأُباحثَهم عمّا عندهم فيها ، فلقيْتُ من مشايخ العلماء عددا كثيرا ممّن يُؤْتمر لأمره ويُوثَق بقوله ومعرفته، فسألتهم عنها وباحثتُهم، هل إطّلعوا منها على شيءٍ فلم أجد عندَهم في أمرها إلاّ ما عند الدَّهْماء والعَوَام "[1].

ولّما قامت الدّولة الموحديّة إحتاج الموّحدون لهذا العلم للّدفاع عن مذهبهم ودعوتهم ، وبما أنّ محمد بن تومرت قد أخذ بعض الشّيء من هذا العلم، عندما كان في المشرق، فقد كانت له القُدرة على المناظرة بالمنطق وإفحام خُصومه من علماء الدّولة المرابطيّة .

وقد شجّع ابن تومرت وخلفاء الدّولة الموحديّة على قراءة كُتب أبي حامد الغزّالي الّتي تعرّضت للحرْق من قِبل المرابطين والّتي تتناول هذه الموضوعات ، وقد أُعجب النّاس بهذه المؤلّفات وما فيها من جوْدة التّنظيم والتّرتيب الّذي لم يألَفوا مثلاً له ، حيث يقول ابن طلموس:" ولم يبق في هذه الجهات مَنْ لم يغلُب عليه حُبّ كُتبِ الغزّالي إلاّ منْ غلبَ عليه إفراط الجُمود من غُلاةِ المُقلِّدين ، فصارت قراءتها شرْعًا ودينًا بعد أن كانت كُفرًا وزندقةً " [2]وخاصة بعد أن إطّلع النّاس على فتوى أبي حامد الغزّالي في مقدّمة كتابه " المُستصفى"بأنّ منْ لا يعرفُ المنطق لايُوثَق بعِلمه[3].

وهكذا إنتشر علم المنطق بين المغاربة والأندلسيّين وإهتمّ به العلماء بمختلف تخصّصاتهم ، حيث وجدوا الغزالي قد طوّعَ المنطق للفقه وضرب الأمثلة والشّواهد على مسائله من مسائل الفقه وأفاظه تقريبا

(1) ابن طلموس يوسف بن محمد : **المدخل لصناعة المنطق** ، بعناية ، ميكائيل أسين بلاثيوس ، المطبعة الأبيرقة مجريط 1916 ، ج1 ، ص8.

(2) ابن طلموس : **نفس المرجع**، ج1، ص12

(3) الغزالي أبو حامد : **المُستصفى في علم الأصول** ، تحقيق، حمزة بن زهير حافظ ، ط1 ، شركة المدينة المنوّرة للطّباعة (د .ت) ، ج1 ، ص30 .

له من الأذهان ، وإيناسًا للنّفوس الّتي كانت مُعْرِضةً عنه [1]، ورغم حرية الفكر الّتي عرفها المغرب والأندلس في عهد الموحدين إلاّ أنّ علم المنطق ظلَّ محصورا بين مجموعة من النّاس، إقتنعوا بضرورة تعلُّمه ، وبقي تأثير الفقهاء على العامّة جاريًا إلى القرن السّابع الهجري ، وهذا ما يتّضح من قول العبدري ت520ه/1126م في معاتبتهم لأهل المشرق لدراستهم علم المنطق:"ومن الأمر المُنكر عليهم والنّكْرُ المألوف لديهم، تدارسَهم لعلم الفضول وتشاغُلَهم بالمعقول عن المنقول في إكبابهم على علم المنطق وإعتقادهم أنّ من لا يُحْسِنَه، لا يُحْسِن أن ينطق، فليت شعري، هل قرأه الشّافعي ومالك، أو هو أضاء لأبي حنيفة الحوالك" [2] .

وإنتشر علم المنطق ووجد له رواجًا واضحا، حيث إختلط بسائر العلوم كالنّحو والفقه والكلام وأصول الفقه الّتي تعتمد على المنطق والإستدلال ، فكان السّبب الأول في تحوُل أهل المغرب من رفض للمنطق إلى قبول المنهجيّة العقليّة الّتي جاء بها محمد بن تومرت [3] ، وهذا ما يؤكّده الغبريني الّذي عاش في أواخر القرن السّابع الهجري بقوله :" وأمّا علم المنطق فبقراءتي على شيخنا أبي العبّاس بن خالد وعلى بعض الطّلبة المُحتازين على بجاية ، وقرأت على الطّريقتين، طريقة الأقدمين أبي نصر الفارابي وغيره ، وعلى طريقة المتأخرين محيّ الدّين وغيره وعلى طريقة الأوسطَين كابن سينا وغيره " [4]، وهذه عادة القوْم مع العلوم، حيث يتنَّكَرون له في البداية ويبتعدون عنه؛ بل يُحاربون من يشتغل به ، ثمّ يعودون بعد ذلك إلى قبوله وتبَنيه ودراسته والتّأليف فيه والدّفاع عنه [5].

---

(1) عبد المجيد النّجار : **مرجع سابق** ، ص471 .

(2) العبدري محمد بن محمد أبو عبد الله : **رحلة العبدري** ، تحقيق ، محمد فاسي ، ط1 ، طبعة وزارة الشّؤون الثّقافيّة الرّباط1388ه/1968م ، ص130 .

(3)عبد المجيد النّجار : **مرجع سابق** ، ص473 .

(4) الغبريني : **مصدر سابق** ، ص358 .

(5) ابن طلموس : **مصدر سابق** ، ج1 ، ص13 .

ومن بين الّذين أدخلوا المنطق في العلوم الأخرى كمنهج للفهم والتّقريب ، أبو الحسن علي بن مؤمن بن عصفور[1] ت 675ه/1276م الّذي إستخدمه في النّحو، فَحسُنَ إيراده فيها [2]، وكذلك عبد الله بن محمد بن يحي الأغماتي [3]ت607ه/1210م، كان عالما بالعربيّة والمنطق [4]، و كان لهذا الإندماج والإعتناء أنْ ظهر الجدل والمناظرات الّتي كانت تدور مواضيعها على العموم حول مباديء الموحدين تأّييدًا، أو ردًّا، حيث كان المو ّحدون يعقدون جلساتًا للتّحاور والجدل لترجيح المذهب والرّأي المو ّحدي على باقي المذاهب والآراء، خاصّة منها المذهب المالكي [5].

و لم يكن الجدل منتشرا في المغرب قبل ظهور ابن تومرت، ما عدا في الأندلس؛ لمناظرة أهل الكتاب ولّما عاد ابن تومرت من المشرق ُمشبّعًا بطُرُق الحوار والجدل والمناظرة، أُدخلت على المغرب طُرقٌ جديدة تستدعي كلا الطّرفين المتناظريْن أن ينتصر أحدهما على الآخر، مستعملاً الحُجج والبراهين المُفحِمة [6]، ونشطت هذه الحركة، ومن بين المناظرات والحوار الّذي سجّله لنا التّاريخ، الحوار الّذي كان بين أبي يعقوب يوسف والفقيه المالكي أبي بكر بن الجدّ ت586ه/1190 [7].

(1) أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد الحضرمي، عُرف بابن عصفور النّحوي الشهير، من أهل إشبيليّة، حافظ مُتصور لما هو حافظ، له عدّة تصانيف في النّحو منها " المقرب " ، له مشاركة في علم المنطق؛ لذلك حسُن إيراده فيها تقسيما وحدودا واستعمال الأدّلة ، توفيّ سنة 675ه/1276م . انظر، | الغبريني : **مصدر سابق** ،ص317 -319 ؛ الذّهبي : **تذكرة الحُفّاظ** ، ج2 ، ص210 .

(2)الغبريني : **نفس المصدر** ، ص 319 .

(3) عبد الله بن محمد بن يحي الأغماتي، من المغرب، درس على بعض العلماء العربيّة ومنهم ابن خروف ، إستوطن بجاية وتولّى قضاء بعض جهاتها عُرف بغزارة علمه في علم العربيّة، وكان له تحصيل في علم المنطق، توفيّ سنة 607ه/1210م. انظر، الغبريني: **نفس المصدر**، ص223 ،224.

(4)الغبريني : **نفس المصدر** ، ص224 .

(5) محمد المنّوني : **حضارة الموحدين** ، ص83 .

(6) البيذق : **أخبار المهدي** ، ص47 ؛ المراكشي : **مصدر سابق** ، ص252 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص174 ،175 ؛ رشيد بورويبة : **مرجع سابق** ، ص54 ، 55 .

(7)المراكشي : **نفس المصدر** ، ص355.

وألّف أبو محمد بن عبد الله بن محمد بن زغبوش المكناسي[1]ت594ه/1198م كتابًا في إثبات الهداية الموحديّة، إستخرجه بالإسقراء من الكتاب العزيز[2]، كما ألّف الكاتب أبو الحسن عبد الملك بن إيّاس القرطبي كتابًا، يَطْعن فيه على دولة الموحدين والمباديء الّتي تقوم عليها، فانتدب عبد المؤمن للرّدّ عليه بعض العلماء الّذين لهم علم وقوّة الحُجّة والتّبريز في الجدل [3] .

كما قام أبو زكرياء يحي بن أبي علي الزّواوي ت611ه/1214م [4] بتأليف كتاب، يردّ فيه على ابن حزْم الظّاهري الّذي سمّاه "حُجّة الأيّام وقُدْوةُ الأنام "، فغضب لذلك بعض المناصرين لابن حزم ورفعوا أمْره للخليفة الموّحدي بمراكش، فأناب عنه للدّفاع عن مُؤَلَّفه صاحب أبا محمد عبد الكريم بن عبد الواحد الحُسيني[5] فأحسن وأجاد في حضْرة الخليفة الموّحدي والفقهاء؛ ممّا جعل الخليفة يقول: "يُترك هذا الرّجل على إختياره فإن شاء لَعن وإن شاء سَكت" [6].

كما قام ابن زرقون محمد بن عبد الله ت611ه/1224م بتأليف كتاب في الرّدّ على ابن حزم سمّاه "المُعلى في الرّدّ على المُحَلّى لابن حزم "[7]، كما كانت المناظرة والجدال العلمي المنطقي يقوم بين المسلمين والمسيحيّين واليهود ، ويذكر لنا الونشريسي في كتابه المِعيار ، أنّ مجادلةً وقعت بمرسيّة بالأندلس بين أبي

(1) أبو محمد عبد الله بن محمد بن زغبوش ، من أهل تاورا، سكن فاس ودرس بها ، إلتحق بالموحدين وأصبح من دُعاتهم ، كانت له عناية بتآليف المهدي بن تومرت وما أملاه عبد المؤمن بن علي، استقضاه أبو يعقوب مدينة شاطبة وجزيرة شقر ،توفيّ سنة 594ه/1198م . انظر:محمد بن أحمد بن غازي المكناسي : **الرّوض الهتون في أخبار مكناسة الزّيتون** ، الرّباط 1371ه/1952م، ص12 .

(2)أحمد المكناسي : **نفس المصدر** ، ص12.

(3) يوسف إشباخ : **مرجع سابق** ، ج2 ، ص54 ؛ محمد المنّوني : **حضارة الموحدين** ، ص83 .

(4) يحي بن أبي علي الزّواوي، فقيه زاهد، جلس للتّدريس في بجاية الفقه والحديث والتّفسير ، توفيّ سنة 611ه/1214م . انظر، التادلي : **مصدر سابق** ، ص428 ؛ الغبريني : **نفس المصدر** ، ص127 وما بعدها .

(5) أبو محمد عبد الكريم بن عبد الواحد الحسيني، عاش في القرن السّابع، من أصحاب يحي الزّواوي ، من أهل العلم والفضل والوجاهة والنّزاهة . انظر، الغبريني : **مصدر سابق** ، ص247 .

(6)الغبريني : **نفس المصدر** ، ص248 .

(7) الرّعيني : **مصدر سابق** ، ص32 ؛ ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص124 ؛ الذّهبي : **سيّر أعلام النّبلاء** ، ج22 ، ص311 .

علي الحسين بن عتيق بن الحسين بن رشيق [1] في القرن السّابع وبين بعض القسّيسين، حيث كان موضوع الجدال حول أحقيّة الإسلام، فيثبتها ابن رشيق بالأدّلة والبّراهين ويحاول القسّيسون الطّعْن فيها [2].

والدّارس لهذه الفترة من تاريخ المغرب والأندلس يجد أنّه من الضروري أن تظهر المناظرات والجدل والمنطق وذلك بسبب موقف علماء المالكيّة وغيرهم من المذهب الموّحدي الّذي جاء به محمد بن تومرت ودعّمه خلفاؤه وعلماء هذه الدّولة والّذي فتح المجال أمام العقل البّشري المسلم؛ لكي يُفكَّر ويُبدع بحريّة ، حتّى يكون الإستمرار في دعْم الحضارة الإنسانيّة وتستفيد البشريّة من إبداعات الإنسان المسلم، وقد إرتبط هذا الإبداع والإنتاج الفكري بأسماء عديدة من علماء الفكر في مجال الفلسفة والمنطق، نذكر منهم :

1) محمد بن عبد الرّحمن بن أحمد بن عبد الرّحمن بن طاهر القيسي ت574ه/1187م، من أهل مرسيّة [3] ، من بيت علم وسياسة ورئاسة [4]، وكان من الشّخصيات الرّفيعة المقام عند العامّة والخاصّة [5]وهو أمْيل إلى الدّراية منه إلى الرّواية ، درس العلوم القديمة وبرز فيها وأصبح أحد أئمّتها المشهورين [6].

أخذ العلم عن عدّة علماء عصره، منهم أبو الحسن شُريح[7]، وأبو القاسم بن وَرْد ، وأبو بكر بن العربي وأبو محمد بن عبد الحقّ بن عطيّة وأبو الوليد بن الدّبّاغ [8]، فأصبح من أئمّة العلوم القديمة، فكانت

---

(1) الحسن بن عتيق بن الحسين بن رشيق التّغلبي ، شارك في كثير من الفنون، متبحرا في التّاريخ، ربّانا في الأدب، شاعرا، عجيب الاستنباط، كان حيّا سنة 674ه/1275م .انظر، ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج1 ، ص471 ؛ االزّركلي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص243 .

(2) الونشريسي أحمد بن يحي : **المِعيار المُعرب والجامع المُغرب عن فتاوى أهل إفريقيّة والأندلس والمغرب** ، ط1 ، وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة المغرب 1401ه/1981م ، ج11 ، ص155 .

(3) ابن الأبار : **الحلّة السّيراء** ، ج2 ، ص227 ؛ ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص47 ؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س6 ، ص338.

(4)ابن الأبار : **الحلّة السّيراء** ، ج2 ، ص227 .

(5) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص338.

(6)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص47 ؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س6 ، ص338.

(7)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص338.

(8)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص47 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص338.

له فيها أوْضحَ الشّروح إعتمدها أهل هذا الشّأن [1]، ثمّ تخلّى عن تلك العلوم رغبة منه في السّلامة العامّة[2]، لِما كان يواجه أصحاب هذه العلوم من معارضة من قِبَل الفقهاء والعامّة ، ولمّا كان من بيت رياسة فقد كان يرأس مدينة بلنسيّة خلال العصر المرابطي، إلاّ أنّه تخلّى عن ذلك عندما سقطت الدّولة المرابطيّة ، فأرسل رسالة مُطَوَلة إلى عبد المؤمن بن علي، يُقرُّ له فيها بصحّة أمْرَ المهدي القائم[3]ويُثبت ذلك بالبّرهان والدّليل في حوار بين النّفس المطمئنّة والنّفس الأمّارة بالسّوء [4].

وقد دلّت هذه الرّسالة على تمّكُنه من الجانب الفلسفي ، ثمّ إنتقل إلى مراكش وإستقرّ بها إلى أن توفيّ هناك [5]. وقد إكتفى ابن عبد الملك بذكر مَنْ أخذ عنه الفلسفة، أبو جعفر بن الحسن بن حسّان [6].

2) ابن طُفيل، أبو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد القيسي[7]ت581ه/1185م، أصله من وادي آش[8]، درس الفقه والحديث واللّغة عن أبي محمد الرّشاطي وعبد الحقّ بن عطيّة [9]وغيرهما ، أخذ علم الفلسفة عن جماعة من المُتحقّقين بهذا العلم، منهم أبو بكر بن الصّائغ بن باجة[10] ت533ه/1139م،إذ يُعدّ تلميذه، وأصبح عالما، حكيما، فيلسوفا، عارفا بالمقالات والآراء،كلِفًا بالحكمة بالحكمة ، مُحققًا، مُتصوفًا، طبيبًا ماهرا ، فقيها بارع الأدب، ناضجا، ثائرا، مشاركا في جملة من

(1) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص338.

(2)ابن الأبار : **الحلّة السّيراء** ، ج2 ، ص233 ؛ ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص47.

(3) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص338.

(4) ابن القطّان : **مصدر سابق** ، ص101 وما بعدها ، وهي رسالة مطوّلة أوردها ابن القطّان .

(5)ابن الأبار : **الحلّة السّيراء** ، ج2 ، ص233 ؛ ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص47 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص338.

(6)ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س6 ، ص338.

(7)ابن الأبار : **المُقتضب** ، ص125 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص407 ؛ ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج2 ، ص478 ؛ الصّفدي : **مصدر سابق** ، ج4 ، ص29.

(8)ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س6 ، ص407 ؛ ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج2 ، ص478 ؛ كارا دُوفو (B.Carra de Vaux) : **ابن طفيل ، دائرة المعارف الإسلاميّة** ، ترجمة ، أحمد الشّنتناوي وآخرون ، دار المعرفة بيروت ،(د.ت) ، مج1 ، ص212 .

(9)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص407 ؛ ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج2 ، ص479.

(10)المراكشي : **مصدر سابق** ، ص311.

الفنون[1]، إلاّ أنّه تخصّص في علم الفلسفة يقول عنه المراكشي :"كان قد صرف عنايته في آخر عُمره إلى العلم الإلهي ونبَذ ما سواه ، وكان حريصا على الجمع بين الحكمة والشّريعة، مُعَظّمًا لأمر النُّبوات، ظاهرًا وباطنًا، هذا مع إتّساع في العلوم الإسلاميّة " [2] .

وقد بلغ ابن طُفيل درجة هامّة بين علماء الإسلام خاصّة والعالم عامّة ، وأشار إلى ذلك أحد الباحثين حيث إعتبر ابن طُفيل من جبابرة التّفكير في العصور الوسطى[3]؛ بل هو إمامَ الفكر الفلسفي في الأندلس في عهد الموحدين[4]، إلى حدّ أنّ علماء كُثُر يُفضلونه عن الفيلسوف ابن باجة [5]ت533ه/1138م .

إشتغل في البداية كاتمَ أسرار حاكم غرناطة زمنًا يسيرا [6]، ولّما أصبح أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن خليفة للموحدين أصبح ابن طُفيل طبيبه الخاصّ ، فقرّبه الخليفة، حيث كان يقيم عنده في القصر أيامًا ليلاً ونهارًا لايظهر[7]، ويبدو أنّ ابن طُفيل لم تظهر عليه نباهته وقوّته الإبداعيّة في الفلسفة، إلاّ بعد أن وجد المناخ العلمي المُلائم الّذي وفّره له أبو يعقوب[8]، ومنها أنّه خصّص له راتبًا شهريًا مُهمًّا أُسوةً بموظفي الدّولة من الوزراء والكُتّاب والأطبّاء وغيرهم[9].

---

(1)ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج2 ، ص479.

(2) المراكشي : **نفس المصدر** ، ص312.

(3) عمر فروخ : **جغرافية العرب في العلم والفلسفة** ، ط2 ، المكتبة العلميّة بيروت 1371ه/1952م ، ص112.

(4) أوليري دي لاس : **الفكر العربي ومركزه في التّاريخ** ، ترجمة ، إسماعيل البّسيط ، دار الكتاب اللّبناني بيروت 1402ه/1982م، ص212.

(5) ابن سعيد : **المُغرب** ، ج 2 ، ص85 .

(6)ابن الأبار : **المُقتضب** ، ص125 ؛ ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج2 ، ص479 ؛ الصّفدي : **مصدر سابق** ، ج4 ، ص30.

(7) المراكشي : **مصدر سابق** ،ص312.

(8) Miguel Cruz Hernandez , Historia del Pensamiento En El Mundo Islamico , Madrid 1981, P95.

(9) المراكشي : **نفس المصدر** ، ص312.

و لم يكن مركز ابن طُفيل مقتصرًا على مصاحبة يوسف أو أحد أطبّائه، إنّما إتّخذه مُشاورًا علميًا، يقوم بمهمّة السّفارة بين الخليفة والعلماء[1]، إذ كان يقوم باختيار وإنتقاء العلماء البّارزين في مختلف العلوم ومن مختلف الأقطار ويُنبهُه عليهم ويحثُّه على إكرامهم والتّنويه بهم[2]، مكث ابن طُفيل بقيّة عمره في مراكش إلى أن توفيّ بها ، وقد شارك يعقوب المنصور في تشيّيع جنازته[3].

خلّف لنا ابن طُفيل عدّة مؤلّفات في الطّبيعيّات والإلهيّات[4]أهمها وأشهرها، رسالة في الطّبيعيّات سمّاها " رسالة حي ابن يقظان "[5]الّتي كان الغرض منها بيان النّوع الإنساني على مذهبه [6]، وصفها المراكشي بأنّها "رسالة لطيفة الجُرم ،كبيرة الفائدة في ذلك الفنّ " [7]، وهي عبارة عن قصّة لكنّها ليست كباقي القصّص إعتمد فيها الرّمز كوسيلة تعبيريّة؛ ممّا جعل الدّارسين لها يختلفون في فهمها [8]، وهي في محتواها قصّة فلسفيّة عرضها ابن طُفيل في شكل قصّة وتشمل بيان أهمّية النّظر العقلي في الوصول إلى المعرفة الصّحيحة [9] .

---

(1) عبد الله عنّان : **مرجع سابق** ، ج2 ، ص720.

(2) المراكشي : **نفس المصدر** ، ص312.

(3)ابن الأبار : **المقتضب** ، ص125 ؛ ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج2 ، ص482 ؛ الصّفدي : **نفس المصدر** ، ج4 ، ص30.

(4) المراكشي : **نفس المصدر** ، ص312.

(5) طُبع الكتاب العديد من المرّات منها، تحقيق ، أحمد أمين، طبعة وزارة الثّقافة والفنون قطر (دون تاريخ) ، كما تناولها عدّة باحثين بالدّراسة منها، محيّ الدّين عزوز : **التّطور المذهبي بالمغرب ودراسة حي ابن يقظان** ، الشّركة التّونسيّة للتّوزيع 1976م ، ودراسة أخرى دار مكتبة الهلال، تقديم ، علي بوملحم . انظر ، جمال المرزوقي : **الفلسفة الإسلاميّة بين النّديّة والتّبعيّة** ،ط1 دار الهداية للطّباعة والنّشر ، 1422ه/2002م ، ص227؛ هنري كوربان :**تاريخ الفلسفة الاسلامية**، ترجمة : نصير مروة وحسن قبيسي،ط2 ،عويدات للنشر والطباعة بيروت1419ه/ 1998م ، ص352 .

(6)المراكشي : **مصدر سابق** ، ص312.

(7) **نفسه** .

(8)هنري كوربان: **مرجع سابق** ، ص357 ؛ إدريس العزّام : **البُعد الإصلاحي في فلسفة ابن طُفيل الاجتماعيّة** ، المجلّة العربيّة للعلوم الإنسانيّة جامعة الكويت، عدد11 ، مجلد3 ، سنة 1403ه/1983م ، ص196.

(9) أحمد الصّاوي: **الفلسفة الإسلاميّة** ، ص99.

وقد إعتبرها بعضهم أعظم قصّة، كُتبت في العصور الوسطى [1] ، وهي في الحقيقة عبارة عن تلخيص فلسفي لأسرار الطّبيعة والخليقة ، وعُرضت خلال حياة وأعمال طفلٍ، خُلِق في بطن الأرض في جزيرة مجهولة من جزر الهند وهذا الطّفل هو "حي "، وإستطاع بالملاحظة والتّأمل التّدريجي لظروف الحياة ومظاهرها الطّبيعيّة أن يصل إلى أسرار الطّبيعة وأسرار الحكمة العليا وأن يقترب في تأمُله من الله [2] .

والملاحظ أنّ ابن طُفيل ركّز في رسالته هذه الّتي لايتجاوز عدد صفحاتها الخمسين على تفكيره الفلسفي وعالج الموضوع بأسلوب رمزي لِبق بدَل الأسلوب العلمي الّذي ربّما يُعَرِضه للنّقد من أهل العلم والفروع[3] وأورد في قصّته هذه القضايا العلميّة والفلسفيّة، متسلسلة، متتابعة، مؤيَدَة بالدّليل الحسّي والبّرهان المُقْنع [4] وقد أثار إهتمامه أمرُ العلاقة بين الفرد والمجتمع وما فيه من آراء غير مُمحَصّة [5]، كما عرض فيها أحوال عصره الاجتماعيّة ، وأنّه يريد أن يُصلح النّاس ويُرشدهم إلى ما فيه خيرهم [6] .

وبذلك إستطاع بذكّائه ولباقته أن ينفلت من النّقد والإتّهام وخاصّة من الّذين كانوا يعارضون الإشتغال بالفلسفة والمنطق ، كما كان لهذه الرّسالة أثرا واضحا لدى الشباب من معاصريه، وهو كتاب

---

(1) عمر فروخ : **عبقريّة العرب** ، ط2 ، دار العلم للملايّين بيروت1403ه/ 1983م ،ص113 .

(2) عبد الله عنّان : **مرجع سابق** ، ج2 ، ص720 ؛ محمد لطفي جمعه : **تاريخ فلاسفة الإسلام** ، ط1 ، دار المعارف مصر 1343ه/1925م، ص97، 98 .

(3) كمال اليّازجي : **معالم الفكر العربي في العصور الوسطى** ، ط6 ، دار العلم للملايّين بيروت1399ه/1979م، ص230.

(4) كمال اليّازجي : **النّصوص الفلسفيّة المُيسرّة** " ابن طفيل وقصّة حي ابن يقظان " ، ط3 ، دار العلم للملايّين بيروت 1382ه/1963م، ص328، 329 .

(5)دبيور .ت.ج : **تاريخ الفلسفة في الإسلام** ، ترجمة ، محمد عبد الهادي أبو ريده ، ط4 ، لجنة التّأليف والتّرجمة القاهرة 1376ه/1957م ص376.

(6)جميل صليبا : **تاريخ الفلسفة العربيّة** ، ط2 ، دار الكتاب اللّبناني بيروت 1393ه/1973 ، ص437 .

ظلّ مجهولاً في أوربا إلى نهاية القرن السّابع عشر ميلادي، ثمّ عُرف باسم " Philosophus Autodidacutus " وذلك سنة 1671م [1] .

ونظرا لأهمية هذه القصّة من حيث الأفكار الّتي طرحها ابن طُفيل والأسلوب الّذي جاء به، فقد تُرجمت إلى عدّة لغات عالميّة [2]، كما لابن طُفيل عدّة مؤلّفات أخرى، منها الأرجوزة الطّبيّة [3] وتصنيف في الإلهيّات مثل " رسالة في النّفس " يقول عنها المراكشي : " رأيتها بخطّه رحمه الله " [4] .

3)– ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد [5] ت595ه/1198م ، من أهل قرطبة، أخذ العلم عن عدّة علماء منهم، أبو الفضل عيّاض وأبو القاسم أحمد بن محمد بن رشد ت563ه/1167م والده وأبو القاسم بن بشكوال ، وأبو جعفر بن عبد العزيز وأبو مروان بن مسرّة ، وأبو بكر بن سمجون وأبو مروان بن جريول البّلشي [6] ، أصبح فقيه الأندلس وفيلسوفها [7] وقاضي الجماعة في قرطبة [8]، وقد أظهر ابن رشد الحفيد ميلاً إلى علوم الأوائل، فكانت له الإمّامة فيها دون أهل عصره [9]، فقد كان من

---

(1) مونتي غومري وات : **فضل الإسلام على الحضارة الغربيّة** ، ترجمة ، حسن أحمد أمين ، ط1 ، دار الشّروق بيروت ، 1403ه/1983م ، ص61 ؛ هنري كوربان : **مرجع سابق** ، ص352 .

(2) جمال المرزوقي : **مرجع سابق** ، ص227 ؛ قدري حافظ طوقان : **مرجع سابق** ، ص203 ؛ عبد الله عنّان: **مرجع سابق** ، ج2 ، ص720، تُرجمت القصّة إلى اللاّتينيّة سنة 1671 م، والهولنديّة سنة 1672 م، والفرنسيّة سنة 1700 م، والإنجليزيّة سنة 1708م، والألمانيّة سنة 1726 م،والإسبانيّة سنة 1900م .انظر ، عبد الله عنّان: **نفس المرجع** ، ج2 ، الهامش رقم2، ص720 ؛ أنور الرّفاع : **الإسلام في حضارته ونُظُمه** ، ط2 ، دار الفكر دمشق 1402ه/1982م ، ص682.

(3) ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج2 ، ص479.

(4) المراكشي : **مصدر سابق** ، ص312.

(5) الضّبي : **مصدر سابق** ، ج1 ، ص74 ؛ ابن الأبار : **التّكملة** ،ج2 ، ص73 ؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س6 ، ص21 ؛ ابن أبي أصيبعة : **مصدر سابق** ، ص530 .

(6) ابن الأبار: **التّكملة** ، ج2 ، ص74 .

(7) ابن سعيد : **المغرب** ، ج1 ، ص62.

(8) الضّبي : **مصدر سابق** ، ج1 ، ص74 ؛ ابن الأبار : **التّكملة** ،ج2 ، ص74 ؛ ابن سعيد : **المغرب** ، ج1 ، ص62 .

(9) ابن الأبار : **التّكملة** ،ج2 ، ص74.

المتقدّمين المُبَرَزين في الفلسفة والطّب، منسوبا فيها إلى البّراعة وتدقيق النّظر في معانيها وهو مع ذلك ذو حظّ في علوم اللّسان[1] .

وكانت الدّراية أغْلَب عليه من الرّواية ، و درس الأصول والفقه وعلم الكلام [2]، فكان أوْحد زمانه في علم الفقه والخِلاف [3] ، وقد أشاد ابن الأبار به فقال: "لم ينشأ في الاندلس مثله، كمالاً وعلما وفضلا وكان شرفُه أشّدّ النّاس تواضعًا وأخفضُهم جناحًا وعنّيّ بالعلم من صِغَره حتّى كِبَره " [4] .

غادر قرطبة إلى إشبيليّة وهو في الثلاثين من عمره، حيث كان واليها أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن فاتّصل به ابن رشد وحظيّ برعايته وأصبح قاضي مدينة إشبيليّة ، وخلال إقامته فيها درس على أستاذه العلاّمة الطّبيب عبد الملك بن زهر [5] ت557ه/1162م.

وابن رشد أحد العلماء الّذين نالوا مكانة متميّزة لدى حكّام الدّولة الموحديذة وقد عبّر عن ذلك ابن الأبار بقوله : " كانت له عند الملوك وجاهةً عظيمةً، لم يعرفْها في ترفيع حالٍ ولاجمْعِ مالٍ، إنّما قصّرها على مصالح أهل بلده خاصّة ومنافع أهل الأندلس عامّة "[6]، ووصلت قمّة صِلاته بحكّام الدّولة الموحديّة إبّان حُكم يوسف بن عبد المؤمن؛ نتيجة لحبّ هذا الأخير وولعه بالفلسفة ، وكان لابن طُفيل دورا بارزا في توطيد العلاقة بين الإثنين .

(1) **نفسه** ؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س6 ، ص22 .

(2) ابن الأبار : **التّكملة** ،ج2 ، ص74.

(3) ابن أبي أصيبعة : **مصدر سابق** ، ص530.

(4) ابن الأبار : **التّكملة** ،ج2 ، ص74.

(5) محمد عاطف العراقي : **ابن رشد عميد الفلاسفة ، مجلّة الفيصل** ، عدد94 ، السّنة 8 ، الرّياض1405ه/ 1985م ، ص74؛ عبد الله عنّان : **مرجع سابق** ، ج2، ص721.

(6) ابن الأبار : **التّكملة** ،ج2 ، ص74.

وينقُل أحد تلاميذ ابن رشد عنه أنّه لمـــّا دخل على أبي يعقوب أوّل مرّة وكان معه ابن طُفيل " أخذ أبو بكر يُثْني عليَّ ويذكر بيتي وسلَفي ، ويضمّ بفضله إلى ذلك، لا يبلُغها قدْري ، فكان أوّل ما فاتحني به أمير المؤمنين بعد أن سألني عن اسمي واسم أبي ونسبي أن قال لي : "ما رأيُهم في السّماء – يعني الفلاسفة – أقديمةٌ هي أم حادثةٌ ؟ فأدركني الحيّاء والخوف ، فأخذتُ أتعلّل وأنْكُر إشتغالي بعلم الفلسفة ، ولم أكن أدري ما قرّر معه ابن طُفيل ، ففهم أمير المؤمنين منّي الرّوْع والحيّاء ، فالتفتَ إلى ابن طُفيل وجعل يتكلّم عن المسألة الّتي سألني عنها ويذكُر ما قاله أرسطاطاليس وأفلاطون وجميع الفلاسفة ويُورد مع ذلك إحتجاج أهل الإسلام عليهم ، فرأيت منه غزارةَ حفظٍ لم أظنّها في أحدٍ من المشتغلين بهذا الشّأن، المتفرّغين له، ولم يزل يُبسطني حتّى تكلّمت فعرف ما عندي من ذلك "[1].

وهكذا أصبح ابن رشد مُقرّبًا من البّلاط الموّحدي، ثمّ أصبح طبيب الخليفة الخاصّ بجانب ابن طُفيل إلى أن توفيّ هذا الأخير سنة581ه/1185م ، فأصبح ابن رشد الطّبيب الخاصّ للخليفة يعقوب المنصور[2] وقد لقيّ نفس الرّعاية الّتي لقيّها مع أبيه أبي يعقوب ، وخلال هذه الفترة بلغ ابن رشد ذروة المجد العلمي فكان يفزع إليه في قضايا الطّب الّتي تستعصي على بعض العلماء فيجيبهم، كما يفزع إلى فتواه في الفقه [3] ولمّا كان مُتقدِّمًا في علم الفلسفة، بارعًا فيها، مُديم الفكر وتدقيق النّظرِ في معانيها، فقد طلب منه ابن طُفيل أن يُلَخِص للخليفة كتاب أرسطوطاليس، حيث يقول المراكشي، أنّ ابن رشد قال :" إستدعاني أبو بكر بن طُفيل يوما فقال لي : سمعت اليوم أمير المؤمنين يشتكي من قلق عبارة أرسطوطاليس – أو عبارة المترجمين عنه – ويذكر غموض أغراضه، ويقول: لو وقع لهذه الكتب من يُلّخصُها ويُقَرّبَ

(1) المراكشي : **مصدر سابق** ، ص314.

(2) عبد الله عنّان : **مرجع سابق** ، ج2 ، ص721 ؛ كاراده فو(B.Carra de Vaux) : **ابن رشد : دائرة المعارف الإسلاميّة** ، مج1 ، ص167.

(3)ابن الأبار : **التّكملة** ،ج2 ، ص74.

أغراضها بعد أن يفهمها فهمًا جيدًا لقرُبَ مأخذُها على النّاس : فإن كان فيك فضلَ قوّة لذلك، فافعل ، إنّي لأرجو أن تفِ به؛ لِما أعلمُه من جوْدة ذهنِك وصفاء قريحتك وقوّةِ نزوعك إلى الصّناعة ، وما يمنعني من ذلك إلاّ ما تعْلَمُه من كِبر سنّي وإشتغالي بالخدمة وصرْف عنايتي إلى ما هو أهمّ عندي منه.

قال أبو الوليد : فكان هذا الّذي حملني على تلخيص مالخّصته من كُتب أرسطو طاليس[1]وتعتبر حقبة يوسف بن عبد المؤمن أهمِّ حقبة، عَرف فيها ابن رشد التّقدير والإحترام والإهتمام من الموحدين ، حيث أصبح الطّبيب الخاص للبلاط الموّحدي وفيلسوفهم الّذي يُقَرّبُ إليهم معاني الفلسفة ويشرحها، فكان جزاؤه أن ولاّه يوسف قضاء إشبيليّة سنة 565ه/1169م [2].

إستمرّ التّقدير والإحترام له في عهد يعقوب المنصور[3]، إذ كان يُجلسه إلى جانبه، يقول ابن أبي أصيبعة:" إستدعى أبا الوليد ابن رشد، فلمّا حضر عنده، إحترمه كثيرا وقرّبه إليه حتّى تعدّى به المَوْضع الّذي كان يجلس فيه أبو محمد عبد الواحد بن الشّيخ حفْص الهنتاني، صاحب عبد المؤمن وهو الثّالث أو الرّابع من

العشرة "[4] ، إلاّ أنّ حال ابن رشد هذا لم يستمر طويلا في عهد المنصور الموّحدي؛ إذ سرعان ما سخط المنصور عليه لأسباب، أُختُلف فيها [5]، ذكرناها سابقا [6].

(1) المراكشي : **مصدر سابق** ، ص315.

(2) هنري كوربان : **مرجع سابق** ، ص358.

(3) بالنثيا أنخيل : **مرجع سابق** ، ص355؛ عبد الله عنّان : **مرجع سابق** ، ج2 ، ص721.

(4) ابن أبي أصيبعة : **مصدر سابق** ، ص531.

(5) ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س6 ، ص25، 26 ؛ تناول البّاحثون محنة ابن رشد بشيء من التّفصيل والتّحليل والتّعليل. انظر ، حمّادي العبيدي : **ابن رشد الحفيد** ، الشرّكة التّونسيّة لفنون الرّسم تونس 1411ه/1981م، ص15 وما بعدها ؛ محمد عابد : **المُثقفون في الحضارة العربيّة محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد** ، ط2 ، مركز دراسات الوحدة بيروت 1420ه/2000م ، ص199 ومابعدها.

(6) انظر صفحة 265 وما بعدها من البّحث .

أصدر المنصور أمرًا بإحراق كتُبه وخاصّة ما يتعلّق منها بالفلسفة [1] ،كما أصدر مرسوما عمّمه على كافة أنحاء البلاد الخاضعة لحُكمه، يُحَرّم فيه الإشتغال بالفلسفة [2]، إلاّ أنّه بعد سنتين أصدر المنصور عفوًّا عن ابن رشد واستدعاه إلى مراكش الّتي مكث بها إلى أن توفّي [3] .

تخرّج على يديه العديد من طلبة العلم، إلاّ أنّ المصادر لم تذكر لنا منهم إلاّ القليل ، ربّما يكون بسبب المرسوم الّذي أصدره المنصور أثناء نكبة ابن رشد ، فاضطرّ كلّ من كانت له صلة به الإبتعاد عنه وهذا ما نستنتجه من قوْل ابن عبد الملك:"وتفرّق تلاميذ أبي الوليد أيدي سبا " [4] ولعلّ من أهمّ طلبته أبي القاسم عبد الرّحيم بن إبراهيم بن الفرس وأبي القاسم بن الملجوم [5] وأبي محمد بن حوط الله [6] ، وأبي محمد عبد الكبير[7] وأبي بكر بن يحي القرطبي[8] .

وأبي الرّبيع بن سالم وأبي الحسن سهل بن مالك [9] ت639ه/1241م ومحمد بن محمد بن عبد الرّحمن الحاج [10] ت641ه/1243م وأبي بكر بن جهور وأبي القاسم بن الطّيلسان [11] وابن طملوس يوسف بن محمد ت620ه/ 1223م[12] .

---

(1) المراكشي : **مصدر سابق** ، ص386.
(2) للتّوسع في المرسوم . انظر، ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س6 ، ص26-28 .
(3) المراكشي : **نفس المصدر** ، ص385 ؛ ابن أبي أصيبعة : **مصدر سابق** ، ص532 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص31 .
(4)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص26.
(5) **نفسه** .
(6) ابن الأبار: **التّكملة** ، ج2 ، ص74.
(7)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص22.
(8)المراكشي : **نفس المصدر** ، ص314.
(9)ابن الأبار: **التّكملة** ، ج2 ، ص74؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص22.
(10)ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س6 ، ص22.
(11)ابن الأبار: **التّكملة** ، ج2 ، ص74؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص22.
(12)ابن الأبار: **التّكملة** ، ج4 ، ص222.

ألّف ابن رشد العديد من التّصانيف المتنوعة المعارف وليس أدلّ على ذلك من قول ابن الأبار : "أنّه سوَّد فيما صنّف وقيّد وألّف وهذّب وإختصر نحوًا من عشرة آلاف ورقة "[1]، والحقيقة أنّ كتبه الفلسفيّة كثيرة جدّا[2] ، وهذا ليس غريبا على عالم مثل، ابن رشد الّذي يعتبر أحد أبرز مشاهير الفلاسفة في العالم [3]، وقد عُرف ابن رشد كثير بتآليفه في الفلسفة وشُروحه لفلسفة أرسطو الّتي تُرجمت إلى اللاّتينيّة وإستفاد منها كلّ العالم من مشرقه إلى مغربه .

وإقتبس الغرب فلسفة ابن رشد بكاملها وكان من حسناها أن حلّت عقال الفكر الأوربي وفتحت أمّامه باب البّحث والمناقشة واسعًا على مصراعيه، إذ يقول ألفريد غيوم :"لبث ابن رشد عاملاً، حياً في الفكر الأوربي حتّ فجر العلم التّجريبي الحديث " [4] ، وبقيامه شرَح كتب أرسطو الفلسفيّة وتبسيطها للنّاس، خلَّص البّشريّة من عُقدة فهْم أفكار أرسطو ، وكان ذلك بعد دراسة معمّقة ومقارنة دقيقة على طريقة النّقد والإستدلال [5] ممّا جعل بعض البّاحثين يُطلقون عليه إسم " الشّارح العظيم "، وبنى الأوربيون فلسفتهم على أساس شروحه الفلسفيّة في القرون الوسطى ، إذ كان لفلسفته و آرائه أثر كبير في التّطور الفكري في جامعة باريس وغرب أوربا في القرن الثّاني عشر ميلادي إلى أن سَمَوْه أفيروس [6] AVIROS[7].

(1)ابن الأبار: **التّكملة** ، ج2 ، ص74.

(2) للإطّلاع على مؤلّفاته. انظر ، المراكشي : **مصدر سابق** ، ص315 ؛ ابن أبي أصيبعة : **مصدر سابق** ، ص532 ، 533 ؛ ابن عبد الملك: **مصدر سابق** ، س6 ، ص22 وما بعدها .

(3) عمر فروخ : **عبقريّة العرب** ، ص114.

(4) أحمد مظهر العظْم : **الإسلام ونهضة الأندلس** ، ط2 ، مطبعة التّرّقي دمشق 1382ه/1963م ، ص36.

(5) دي بور.ت.ج : **مرجع سابق** ، ص384.

(6) أبو زيد شلبي : **تاريخ الحضارة الإسلاميّة والفكر الإسلامي** ، ط3 ، مكتبة وهبة القاهرة 1432ه/2012م ، ص303.

(7)ذكر الكاتب أنّ الأوربيّين يعتبرون ابن رشد إسبانيا، ينتمي إلى الأمّة الأوربيّة . انظر، Juen Vernet Gines : Historia De La Ciencia Espanola, Madrid ,1975,P66

وإنتشرت فلسفته إنتشارا، كاد يجعلها الطّراز العصري بين مختلف رجال الدّين في إيطاليا [1] ، وتعدّ فلسفته آخر حلقة فلسفيّة ذات بالٍ من حلقات تفكير المسلمين؛ إذ كانت تُعدّ حلقة إتّصال بين الفلسفة الإسلاميّة والشّعوب المسيحيّة في أوربا [2]، ونصّب ابن رشد نفسه مدافعًا عن الفلاسفة الّذين هاجمهم أبو حامد الغزالي من قبل في كتابه " تهافت الفلاسفة " فردّ عليه ابن رشد بكتاب سمّاه "تهافت التّهافت "، كما بذل جهدا عظيما في إثبات أنّ الدّين لايتناقض مع الفلسفة الحقّة في شيء وكتب في ذلك كتابين مشهورين هما " فصل المقّال فيما بين الحكمة والشّريعة من الإتّصال " وكتاب " الكشْف عن مناهج الأدّلة في عقائد الملّة وتعريف ما وقع فيها بحسَبِ التّأويل من الشّبه المُزيّفة والعقائد المُضلّة "[3].

هذا بالنسبة لأشهر علماء الفلسفة في عهد الموحدين، أمّا علماء **المنطق** فنذكر منهم :

1) يوسف بن محمد بن طملوس، من أهل جزيرة شقر ت620ه/1223م، يُكنّى أبو الحجّاج[4] ، أخذ العلم عن علماء عصره وكان من أهمّهم ابن رشد الحفيد الّذي صحبه زمنا طويلا وأخذ عنه علمه ، وكذلك أبي عبد الله بن حميد [5] . وأبي القاسم بن وضّاح [6]، كما درس المنطق من خلال كُتب أبي حامد الغزالي حيث يقول عن نفسه:"فاطّلعت على هذه الكتب المذكورة من كتب أبي حامد الغزالي

(1) نجيب العقيقي : **المستشرقون** ، ط4 ، دار المعارف القاهرة 1383ه/1964م ،ج1 ، ص103.

(2) أبو زيد شلبي : **مرجع سابق** ، ص303، 304.

(3) أنور عبد الغني العقّاد : **دور العرب المسلمين في ميدان الفلك والجغرافيا** ، مجلّة كليّة العلوم الاجتماعيّة ، عدد4 ، جامعة الكويت سنة 1400ه/ 1980م ، ص126 ؛ أبوزيد شلبي : **نفس المرجع** ، ص304 ؛ وقد ترجم هذين الكتابين إلى الألمانيّة سنة1875م ، ونشر جوتيّيه كتاب " فصل المقال " في الجزائر سنة 1942م . انظر ، بالنثيا أنخيل : **مرجع سابق** ، ص358.

(4) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج4 ، ص222 ؛ابن الأبار : **المقتضب** ، ص182 ؛ ابن الزّبير : **مصدر سابق** ، ص436 ؛ الصّفدي : **مصدر سابق** ، ج4 ، ص457 ؛ الفيروز أبادي مجد الدّين محمد : **البُلغَة في تراجم أئمّة النّحو واللّغة،** تحقيق، محمد المصري ، ط1، دار سعد الدّين للطّباعة والنّشر والتّوزيع دمشق 1421ه/2000م ، ص321 .

(5) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج4 ، ص222 ؛ ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص436.

(6) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج4 ، ص222.

وفهمت ما فيها، فلم أجد فيها شيئا يُنْكر في الشَّرع؛ بل وجدتها إنّما تُعطي قوانين في المعاني الّتي يستعملها النّاس في أصناف المخاطبات"[1] .

أصبح عالما، فاضلا، طبيبا، متحقّقا، له حظّ صالح من النَّظْم وتصرُف في الآداب والعربيّة [2] ، متحقّقا بعلوم الأوائل[3] يقول عنه ابن الأبار :" آخر الأطبّاء بشرق الأندلس مع الدّماثة والفضيلة ولِين الجانب ... لقيته غير مرّة وسايرتُه أحيانا "[4]، وخلف ابن رشد أستاذه في تطبيب يعقوب المنصور [5] ، ثمّ الناصر كطبيب خاصّ له[6]

أمّا مؤلّفاته فلم يبق منها سوى كتابه " المدخل إلى صناعة المنطق "، قام بنشره مع ترجمة إسبانيّة آسين بلاثيوس، ظهر الجزء الأول منه سنة1334ه/1916م وهو رسالة كاملة في المنطق .

2) محمد بن أحمد الرّقوطي[7] المرسي، أبو بكر، توفيّ في أواخر القرن السّابع هجري[8]، عُرف بعلمه الغزير في المنطق والهندسة والرّياضيّات والموسيقى والطبّ والفلسفة ، ويُتقن عدّة لغات[9] ، وعندما تغلّب النّصارى على مدينة مرسيّة سنة 664هــ/1266م، لم يغادرها[10] فبنى له حاكمُها النّصراني مدرسة؛

---

(1) ابن طملوس : **مصدر سابق** ، ج1، ص13، 14.

(2) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج4 ، ص222 ؛ الفيروز أبادي : **مصدر سابق** ، ص321.

(3)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج4 ، ص222 ؛ ابن الأبار : **المقتضب** ، ص182 ؛ ابن الأبار : **تُحفة القادم** ، ص82 ؛ الصّفدي : **مصدر سابق**، ج4 ، ص357 ؛ الفيروز أبادي : **نفس المصدر** ، ص321.

(4)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج4 ، ص222 .

(5) ابن أبي أصيبعة : **مصدر سابق** ، ص537 .

(6) بالنثيا أنخيل : **مرجع سابق** ، ص363 .

(7) نسبة إلى رقوطة وبالإسبانيّة (Ricote) وهي بلدة صغيرة في شرقي الأندلس، تقع على مقربة من شمال غرب مرسيّة. انظر: ابن الخطيب **:الإحاطة**، ج3 ، الهامش رقم2، ص67 .

(8) عبد الله عنّان : **مرجع سابق** ، ج2 ، ص718.

(9) ابن الخطيب : **الإحاطة** ،ج3 ، ص68 ؛ ابن حجر العسقلاني شهاب الدّين أحمد بن علي : **الدُّرر الكامنة في أعيان المائة الثّامنة** ، ط1 ، دار إحياء التّراث العربي بيروت (د. ت) ج3 ، ص374 ،375.

(10) ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج3 ، ص 67 ،68؛ عبد الله عنّان : **مرجع سابق** ، ج2 ، ص718.

ليُعَلِّم فيها المسلمين والنّصارى واليهود وكان يُعظّمُه ويحترمه ، وحاول عدّة مرّات أن يُغريه؛ لكي يتنصر، لكنّه رفض وقال لأصحابه:"أنا الآن أعبد واحدًا وقد عجزتُ عمّا يجب له، فكيف حالي لو كنت أعبدُ ثلاثة، كما أراد منّي"[1] ،ثم استدعاه سلطان غرناطة ثاني ملوك بنّي نصر[2]، وهناك أقْبل عليه الطّلاب وكان يدرِّس الطبّ والرّياضيّات والفلك [3]، يقول عنه ابن الخطيب : "كان قويّ العارضة، مضطلعًا بالجدل وكان السّلطان يجمع بينه وبين مُنتابي، حضرته ممّن يقدّم منتحلا صناعةً أو علمًا، فيظهر عليهم لتمكُنه ودالته" [4]، توفيّ بغرناطة لم نعثر له عن تاريخ وفاته.

بالإضافة إلى أعلام آخرين شاركوا في فنون وعلوم أخرى، منهم أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم الحرّالي ت638ه/1240م، له علم بأصول الدّين وأصول الفقه ، ذكرناه في باب أصول الفقه، كما يشارك أيضا في علم المنطق [5] الّذي صنّف فيه كتابه " المعقولات الأُوَل " [6]، يقول عنه المقرّي :"وهو ممّن جمع العلم والعمل وصنّف في كثير من الفنون، كالأصْلين والمنطق والطّبيعيّات والإلهيّات وكان يُقريء " النّجاة" لابن سينا، فينقُضه عُروة عُروة " [7]، كما يذكره الغبريني بقوله : "وأما معقولات الحُكماء فهو ألْهَمُ النّاس بالمنطق ... وأمّا علم الطّبيعيّات والإلهيّات فكان أعلمَ النّاس بها "[8]

---

(1) ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج3 ، ص68.

(2) هو السّلطان أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف، الملّقب بالفقيه؛ لعلمه وتقواه ، حكم مملكة غرناطة من سنة 671ه/1273م-701ه/1302م . انظر، ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج1 ، ص556 ،557.

(3) ابن الخطيب : **الإحاطة** ،ج3 ، ص68 ؛ ابن حجر العسقلاني : **الدّرر الكامنة** ،ج3 ، ص375.

(4)ابن الخطيب : **الإحاطة** ،ج3 ، ص68.

(5) ابن الأبار: **التّكملة** ،ج3 ، ص251 ؛ الغبريني : **مصدر سابق** ، ص144 ؛ المقرّي : **نفح الطّيب** ، ج2 ، ص188 ؛ السّيوطي : **طبقات المُفسرين** ،ص77 ؛ الذّهبي : **سيّر أعلام النّبلاء** ، ج23 ، ص47.

(6) الغبريني : **نفس المصدر** ، ص144؛ الذّهبي : **سيّر أعلام النّبلاء** ،ج23 ، ص47.

(7) المقرّي : **نفح الطّيب** ، ج2، ص188.

(8) الغبريني : **مصدر سابق** ، ص144.

IV) التّصوف وأقطابه :

تعدّدت التّعريفات لمفهوم التّصوف وأخَذ عدّة معاني[1]، ومن هذه التّعريفات هو (الوقوف مع الأداب الشّرعيّة، ظاهرًا، فيرى حُكمها من الظّاهر في البّاطن، وباطنًا، فيرى حُكمه من البّاطن في الظّاهر فيحصُل للمُتأدبِ بالحُكْمين كمال "[2]، وقال آخر:"التصوف نزعة روحيّة وجدانيّة تعتمد على الرّياضة النّفسيّة والإحساس البّاطني والذّوقَ الفردي وهو طريقة في الحياة قَوامُها الزُّهد والتّقشف " [3]؛ لذلك لا يمكن أن نعتبر هذا التّعريف أوْلى من ذلك؛ لأنّ كلّ التّعريفات الّتي ذُكرت في كُتب التّصوف أو المُعجم، أخذت مفاهيم مختلفة ولكلّ هذه التّعريفات جانب لايوجد في الجانب الآخر منها ، وإعتمد على معنى دون آخر[4] فقال ابن خلدون عنه بأنّه" من العلوم الشّرعيّة الحادثة في الملّة ، وأصلُه أنّ طريقة هؤلاء القوْم، لم تزل عند سلف الأمّة وكبارها من الصّحابة والتّابعين ومن بعدهم ، طريقة الحقّ والهدايّة وأصلُها العُكوف على العبادة والإنقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زُخرُف الدّنيا وزينتها ، والزّهد فيما يُقبل عليه الجمهور من لذّة ومال وجاه ، والإنفراد عن الخلْق في الخُلوة للعبادة ، وكان ذلك عاماً في الصّحابة والسّلف ، فلما فشا الإقبال على الدّنيا في القرن الثّاني وما بعده وجنح النّاس إلى مخالطة الدّنيا، إختصّ المُقبلون على العبادة باسم الصّوفيّة والمتصوفة "[5] .

---

(1) القُشيري عبد الكريم بن هوزان : **الرّسالة القُشيريّة في علم التّصوف** ، تحقيق ، عبد الحليم محمود ومحمود بن الشّريف ، ط1 ، دار الشّعب للصّحافة والطّباعة والنّشر القاهرة 1409ه/1979م، ص465 وما بعدها ؛ السّهروردي : **عوارف المعارف** ، ط2 ، دار الكتاب العربي بيروت 1403ه/1983م، ص57 ؛ التّهانوي : **مرجع سابق** ، ج2 ، ص456وما بعدها ؛ رفيق العجم: **موسوعة مصطلحات التّصوف الإسلامي**، ط1 ، مكتبة لبنان ناشرون بيروت 1419ه/1999م ، ص177وما بعدها .

(2) الجرجاني علي بن محمد : **مصدر سابق** ، ص54 ؛ التّهانوي : **نفس المصدر** ، ج2 ، ص456 .

(3) كمال اليازجي : **معالم الفكر العربي** ،ص230 .

(4)بشير عبد الله الفعلي : **مفهوم التّصوف في الإسلام وتطوُره وأهميّته في حياة الفرد والمجتمع** ، مجلّة الجامعة الإسلاميّة ليبيا ، العدد6 ، السّنة الثّالثة 1427ه/2006م ، ص62 .

(5) ابن خلدون : **المقدمة** ، ص863 .

أمّا عن أصل كلمة التّصوف فقد أوردت لنا المصادر العديد من الإشتقاقات ومعظمها تميل إلى أنّه إشتُق من الصُّوف؛ لإختصاص المتصوفة بارتداء الملابس الخشنة الصوفيّة دون غيرهم من النّاس [1]، وقد بدأ التّصوف في صدر الإسلام في صورته البّسيطة وهذا على شكْل زُهدٍ وتقَشُف الصحابة رضوان الله عليهم ، و لم يكن لهؤلاء الزّهّاد صفةً أو فلسفةً معينة، إلاّ في أواخر القرن الثّاني الهجري فأُطلق عليهم إسم المتصوفة[2] حيث في القرن الأول والثّاني الهجرين لايستطيع أحد أن يفصل الزّهد عن التّصوف أو يميّز بينهما ، وحتى الّذين أُطلق عليهم فيما بعد إسم الصوفيّة، م يكونوا في الحقيقة إلاّ زُهّادًا على حظّ قليل جدًا من التّصوف[3].

وكان أول من عُرف بهذا الإسم في بغداد رجلٌ إسمه عبدك الصّوفي [4] ت 210ه/825م ، وخلال القرنين الثّالث والرّابع الهجرين ظهر التّصوف في صورة تختلف تمام الإختلاف عن صورته الأولى ، حيث لم يقف عند حدود الزّهد ومجاهدة النّفس ، إنّما تعدّى ذلك إلى غاية بعيدة وهي الفناء ، أي فناء الإنسان في نفسه واتّحاده بربّه ، ويبدو أنّ المتصوفة تأثّروا بالمذاهب الفلسفيّة القديمة الّتي وفدت على العالم الإسلامي من خلال الفتوحات الإسلاميّة والّتي تولّد عنها الإختلاط بين الثّقافات [5].

---

(1) الكلاباذي أبو بكر محمد بن إبراهيم : **التّعرُف لمذهب أهل التّصوف** ، تحقيق ، عبد الحليم محمودطه وعبد البّاقي سرور ، دار إحياء الكتب العربيّة مصر1379ه/ 1960، ص22 – 23 ؛ القشيري : **مصدر سابق** ، ص464 ؛ لويس ماسينيوس : **التّصوف** ، **دائرة المعارف الإسلاميّة**، مج5 ، ص265 ؛ عبد الرّحمن بدوي : **تاريخ التّصوف الإسلامي من البداية وحتّى القرن الثّاني** ، وكالة المطبوعات الكويت 1395ه/ 1975م ، ص5 – 9 ؛ هنري كوربان :**مرجع سابق**، ص282 ؛ رفيق العجم : **مرجع سابق** ، ص555 .

(2) إبراهيم مذكور : **في الفلسفة الإسلاميّة منهج وتطبيقه** ، ط3 ، دار المعارف مصر (د. ت) ص65 ؛ لمين بلغيث : **الحركة الفكريّة** ، ص437.

(3) التّفتزاني أبو الوفا الغنيمي : **مدخل إلى التّصوف الإسلامي** ، ط3 ، دار الثّقافة للنّشر والتّوزيع القاهرة1399ه/1979م ، ص82.

(4) هنري كوربان : **مرجع سابق** ، ص285 .

(5) محمود إدريس : **مظاهر الإنحرافات العَقديّة عند الصّوفيّة وأثرها السّيء على الأمّة الإسلاميّة** ، ط1 ، مكتبة الرّشيد للنّشر والتّوزيع الرّياض 1419ه/1998م، ص41.

واستمرّ التّطور في التّصوف إلى حدود القرنين السّادس والسّابع الهجريين،حيث إتّحد المتصوفة في جماعات منظمّة وظهر ما يسمّى بالطُرق الصوفيّة وأصبح لكلّ طريقة شيخ[1]، كما نضج التّصوف والعرفان في القرن السّابع وانطبع بطابع العلوم والأبحاث الفلسفيّة وأصبح التّصوف يُدرس كباقي العلوم الأخرى في بعض المدارس[2]، كما أصبح التّصوف مذهبًا خاصًّا، حيث ظهر كثير من المتصوفة بعضهم مُغالٍ وآخر معتدل [3]، ومن جهة أخرى فقد ظهر نوعان من التّصوف ، التّصوف السُّنّي والتّصوف الفلسفي .

فالتصوف السُّنّي هو الّذي نجده عند أبي حامد الغزالي وغيره ، والّذي يُعتبر بحقّ مؤسّس التّصوف السّنّي بحكم أنّه خليفة أبي الحسن الأشعري في نُصرة مذهب أهل السّنّة الكلامي[4] ، وقد بيّن أبو حامد منهج التّصوف السّنّي في كتابه "إحياء علوم الدّين" الّذي أضحى عُمدة المتصوفة المتأخرين [5].

أمّا التّصوف الفلسفي فهو الّذي يعْمد أصحابه إلى مزْج أذواقهم الصوفيّة بأنظارهم العقليّة، مستخدمين في التّعبير عنه مصطلحًا فلسفيًّا، إستمدُوه من مصادر متعدّدة ، وطابع هذا التّصوف الفلسفي هو الغموض ذو لغة إصطلاحيّة خاصّة ، وفهمُ مسائله يحتاج إلى جُهدٍ كبير ، ولايمكن أن يُعتبر فلسفةً؛ إذ أنّه قائم على الذّوق ، كما لايمكن إعتباره تصوفًا خالصا؛ لأنّه يختلف عنه بتعبيراته الغامضة الفلسفيّة وقد ظهر هذا النّوع من التّصوف منذ القرنين السّادس والسّابع الهجريين [6].

---

(1) فاطمة الزّهرة جدو : **السّلطة والمتصوّفة في الأندلس عهد المرابطين والموحدين** ، مذكرة لنّيل شهادة الماجستير في التّاريخ الوسيط ، غير منشورة ، تحت إشراف ، إبراهيم بحّاز ، قسم التّاريخ ، كليّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة جامعة منتوري قسنطينة 1429ه/2008م ، ص8

(2) قاسم غني : **تاريخ التّصوف في الإسلام** ، ترجمة ، صادق نشأت ، مكتبة النّهضة المصريّة1390ه/1970م ، ج2 ، ص699 .

(3) أنور الرّفاعي : **مرجع سابق** ، ص687 .

(4) إبراهيم مدكور : **مرجع سابق** ، ص66 .

(5) **نفسه** .

(6) التّفتزاني : **مدخل الى التصوف** ، ص187؛ محمد مجيد سعيد ، **مرجع سابق** ، ص279 .

ونجد مشايخ الصوفيّة صبغوا طريقتهم بصبغة الدّين والمذهب وهذا خوفا من إضطهاد الفقهاء لهم ، كما أضفوا على التّصوف والعرفان في كتاباهم ظاهرة دينيّة بالإستشهاد بآيّات قرآنيّة وأحاديث نبويّة وطبعوها بالطّابع الّذي تتقبّله أذواق العوام من النّاس ، وفي نفس الوقت نجد بعض أقطاب الصوفيّة منْ كانوا يهتمّون بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، إلى جانب ما كانوا عليه من زُهدٍ وإعراض عن الدّنيا وإجتناب المعاصي والتّحلي بالفضائل الأخلاقيّة ، حتّى أنّهم كانوا يتحدّثون إلى الأمراء والحكّام كلّما سمحت لهم الفرصة ليُذكروهم ويعضونهم ويدعونهم إلى التّقوى والعدل [1] .

ونظرا لما كان يتصّف به هؤلاء الصوفيّة من إعراض عن الدّنيا وملّذاها وعزة النّفس ، كان بعض الفقهاء والعلماء يتسابقون لدى الحكّام للحصول على منصب أو مال وقد أضْفت هذه الصّفة على أقطاب الصوفيّة أهميّة خاصّة واهتمامًا وإحترامًا لهم [2]من قِبَل الحكّام والنّاس، خاصّة العامّة منهم .

وبدأ التّصوف في المغرب والأندلس بسيطا سنيًّا، بعيدا عن كلّ القضايا الفلسفيّة، يعتمد على الزّهد والتّبتل والعبادات ، منتشرا بين طوائف لاتكاد تعرف من الفلسفة ولامن التّصوف الإشراقي شيئا، ماعدا حظّ قليل من علم الكلام [3]، ويعود ذلك إلى موقف علماء وفقهاء المالكيّة العدّائي من التّصوف والفلسفة على حدٍّ سواء إلى منتصف القرن الخامس الهجري [4] .

وقد إنتشر هذا النّوع من التّصوف السّنّي كردّ فعل للتّناقضات الموجودة في المجتمع الأندلسي خاصّة وكان للتّيار الصوفي مكانة منذ أيّام ابن مسرّة الجبلي[5] ت 319ه/931م وإنتشار رسائل

(1) قاسم غني : **مرجع سابق** ، ص687.

(2) **نفسه** ، ص687.

(3) دندش عبد اللّطيف : **أضواء جديدة** ، ص40.

(4) **نفسه** ؛ محمد الأمين بلغيث : **الحركة الفكريّة** ، ص438 .

(5) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مسرّة الجبلي، من أهل قرطبة، أُتّهم بالزّندقة وكان على طريقة من الزّهد والعبادة ، توفيّ سنة 319ه/931م انظر: الحميدي : **مصدر سابق** ، ص98 ؛ الضّبي : **مصدر سابق** ، ج1 ، ص120 .

"إخوان الصّفا وخِلاّن الوفا " وشاع التّفسخ في المجتمع الأندلسي، كما كانت الهزائم العسكرية والرّعب الّذي دخل النّفوس والوهن السّاكن بالقلوب، كلّ ذلك وغيره دفع البّعض منهم إلى اللّجوء إلى حياة العُزلة والإنزواء عن هذا المجتمع ، واتّخذ من الصوفيّة ملاذًا؛ لعلّه يجد فيه مخرجًا لِما يعانيه [1].

وعلى إثر ذلك ظهر في المغرب والأندلس الرّباطات والزّوايا وأُطلق على هؤلاء بالصوفيّة والمريدين والفقراء، ولّما إنتشرت كُتب أبي حامد الغزالى، خاصّة منها إحياء علوم الدّين في المغرب والأندلس، ظهر تيّار جديد صوفي فلسفي،حيث كان يُمثل لهم الغزالي قُدوة في التّصوف، فنشروا آراءه ودافعوا عنها بقوّة[2] وما لبث أن دخل عليهم التّراث الفلسفي اليوناني الّذي تُرجم في المشرق، ثمّ نُقل إلى المغرب الإسلامي كفلسفة أفلاطون وأرسطو ومُزجت بمؤلّفات وأفكار فلاسفة المشرق كالفرابي وابن سينا وإخوان الصّفا والمعتزلة وغيرهم من مؤلّفات الصوفيّة، فكان لهذا أثره البّارز في كتابات ابن برجان[3]ت536ه/1141م وابن العريف[4] ت526ه/1132م وابن قسّي[5] ت 546ه/1151م[6]

(1) دندش : **أضواء جديدة** ، ص47 ؛ محمد الأمين بلغيث : **نفس المرجع** ، ص439 .

(2) دندش : **أضواء جديدة** ، ص43 .

(3) أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرّحمن بن أبي الرّجال محمد بن عبد الرّحمن اللّخمي بن بُرجان ، المُفسّر الصّوفي، المُتكلّم الفقيه، الصّالح الزّاهد شيخ الصّوفية ، له تفسير للقرآن الكريم سمّاه " تفسير تنبيه الأفهام إلى تدّبر الكتاب الحكيم "، مطبوع في ثلاثة أجزاء، دار الكتب العلميّة تحقيق، أحمد فريد، توفيّ سنة 536ه/ 1141م . انظر، ابن خلّكان : **مصدر سابق** ، ج4 ، ص236 ؛ الذّهبي : **سيّر أعلام النّبلاء** ، ج20 ، ص236 ؛ الكُتبي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص323 ؛ السّيوطي : **طبقات المفسّرين** ، ص68 .

(4) أبو العبّاس، أحمد بن محمد بن موسى بن العريف الصُّنهاجي، ولد بألمريّة، تعلّم ونبغ في علوم الفقه والأدب، إلاّ أنّه مال إلى التّصوف والزّهد حتّى بعُد صيته وكثُر أتباعه على طريقته الصّوفيّة، توفيّ سنة 536ه/ 1142م . انظر، الضّبي : **مصدر سابق** ، ج1 ، ص209 ؛ ابن بشكوال : **مصدر سابق** ، ج1 ، ص101 ؛ ابن الأبار : **المُعجم** ، ص27 ؛ الذّهبي ، **سيّر أعلام النّبلاء** ، ج20، ص111.

(5) أحمد بن الحسين بن قسّي، أبو القاسم، مُتصوف أندلسي، قائد ثورة المُريدين، من أسرة أندلسيّة، من أثرياء المُولّدين ، تزهّد ولقيّ ابن عرّيف بألمريّة ، دعى إلى الثّورة ضدّ الحُكم المرابطي، ثمّ الموّحدي في غرب الأندلس ، كان فلسفي التّصوف، ألّف كتابه "خلع النّعلين في الوصول إلى حضرة الجمعَين "، شرحه محيّ الدّين بن عربي، توفيّ سنة 546ه/1152م . انظر، ابن الأبار : **الحلّة السّيراء** ، ج2 ، ص197 ؛ ابن حجر العسقلاني : **مصدر سابق** ، ج1 ، ص579 ؛ الذّهبي : **تارخ الإسلام** ، ج38 ، ص337 .

(6)دندش عبد اللّطيف : **أضواء جديدة** ، ص44 ؛ ألّف ابن بُرجان كتاب "الإرشاد" و "الإشارات" و "الإلهام" ، وألّف ابن العريف " محاسن المجالس " و "مطالع الأنوار ومنابع الأسرار " و "مفتاح السّعادة " ، وألّف ابن قسّي " خلع النّعلين " .

وبذلك ظهر في عهد المرابطين تيّار صوفي سنّي ساذج بسيط وتيّار صوفي سنّي متفلسف، سلْمي وآخر صوفي سنّي متفلسف متّشدّد [1] .

والملاحظ على حكّام الدّولة المرابطيّة أنّهم كانوا يُقربون إليهم بعض المريدين ويجالسونهم ويقرأون كُتبهم ويستأنسون بأقوالهم، نذكر منهم تاشفين بن علي ت539ه/1145م وأبو إسحاق باران بن يحي المسوفي ت570ه/1176م وأبو زكريا بن يوغان الصّنهاجي ت537ه/1141م [2]، ممّا يُوضح أنّ موقف الفقهاء المالكيّة من المتصوفة والفلاسفة كان بدافع حماية الدّين الإسلامي من الغلُو والأفكار الهدّامة الّتي بدأت تنتشر هنا وهناك في المغرب والأندلس خاصّة بسبب الإحتكاك المباشر بالنّصارى واليهود ، وأيضا الرّحلات الّتي كان يقوم بها العديد من طلبة العلم إلى المشرق الإسلامي وتطول مدّة إقامتهم هناك ولّما يعودون إلى ديارهم وأوطانهم يعودون بأفكار وآراءٍ، لايستطيع تحمُلها العقل المغربي البّسيط بساطة هذا الدّين .

وقد يكون لهذه الآراء والأفكار دورا بارزا في إثارة الفتن والإنقلابات داخل المجتمع المغاربي، مثلما حدث للعديد من هؤلاء العائدين من المشرق وكان أبرزهم محمد بن تومرت الّذي قال عنه ابن خلدون :" وانطلق راجعًا إلى المغرب بحرًا، متفَجرًا من العلم وشهابًا واريًا من الدّين" [3] ، وكان قد أخذ علوم المنطق والجدل وعلم الكلام عن علماء المشرق ، ولّما إشتدّ عود الدّولة الموحديّة وقضت على الدّولة المرابطيّة ، وجد أهل التّصوف بمختلف توجهاتهم وآرائهم ضالتهم وحريتهم ، فازدهر التّصوف وإنتشر؛ إذ يمكن عدُّه

---

(1) دندش: **نفس المرجع** ، ص45 ، 46 ؛ محمد الأمين بلغيث : **الحركة الفكريّة** ، ص440 .

(2)محمد الأمين بلغيث: **نفس المرجع** ، ص439 .

(3) ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص466.

حِقبة التّطبُّع بالنسبة إلى التّصوف؛ لأسباب متعدّدة، يقف في مقدّمتها إعتماد مؤسّس الدّولة الموحديّة محمد بن تومرت على إرساء دولته على أفكار أبي حامد الغزالي من كتابه إحياء علوم الدّين [1].

وقد صوّرَ لنا القاضي أبوبكر بن العربي الحالة المترديّة الّتي كان يعيشها مجتمع المغرب والأندلس خاصّة بحكم أنّه كان يعيش بينهم ، والّذي لم يكن إلى إصلاحه من سبيل، إلاّ الإبتعاد عنه ، والزّهد في كلّ شيء بعد أن أصبحت فيه الحياة شاقّة،كئيبة بعيدة عن منهاج الشرْع، يقول في كتابه سراج المريدين : "قد عظُم الخطْب في هذا الزّمان حتّى لايدري العبد على أيّ شيء يبكي ، أعلى فوات دنياه ، أم على فوات دينه ، أم على إخوانه في القربات ، أم على أعوانه في الصالحات ، أم على دروس العلم وطموسه ، أم على إتّفاق الخَلق على إنكار المعروف وتعريف المنكر ، أم على نفسه الّتي تُطاوعه على طاعة ، أم على عُرسه الّتي تُطالبه بما ليس به طاقة ، أم على ولده الّذي لايرى فيه للعين قُرّة ، أم على جاره الّذي لايفضي له على عوْرة ، أم على أميره الّذي لايرعى فيه إلاًّ ولا ذِمّة ، أم على فقْد صبره الّذي يغلبه على الإنفراد عن الخَلْق والاكتفاء بالربّ "[2] .

لقد نجح ابن تومرت في استغلال هذا الوضْع وتمكّن من إحتواء العامّة فربط حركته بالغزالي ومزجَ بين الفكر الصوفي والمهدَويَة وآمال العامّة ، معتمدا في تحقيق أهدافه على كبرى القبائل في جبال الأطلس، قبائل مصمودة القويّة الكثيرة العدد النّاقمة على حكم المرابطين [3] ، كما إتّبع أسلوب التّقشف والزّهد والتّرفع عن ملّذات الدّنيا في حياته اليوميّة ، ودعا أتباعه إلى ذلك ، يقول عنه المراكشي :" وكثُر الدّاخلون

(1) أولبير دي لاس : **الفكر العربي ومركزه في التّاريخ** ،ترجمة ، إسماعيل البّيطار ، ط1 ، دار الكتاب اللّبناني بيروت 1402ه/1982م ، ص211.

(2) دندش عبد اللّطيف : **أضواء جديدة** ، ص47 ، 48 نقلا عن ابن عربي : **سراج المُريدين** ، ورقة 75 ، وما زال مخطوطا لم يُطبع بعد .

(3)دندش عبد اللّطيف : **أضواء جديدة** ،ص52 .

في طاعتهم والمنحاشون إليهم ، وابن تومرت في ذلك كلّه يُكثر التزّهد والتّقلّل ويُظهر التّشبه بالصّالحين والتّشدّد في إقامة الحدود، جاريًا في ذلك على السّنّة الأولى "[1].

ويصفه ابن خلدون بقوله :" وكان حصورًا لايأتي النّساء وكان يلبس العَباءة المُرقّعة ، وله قدم في التّقشف والعبادة "[2]، وذكره ابن خلّكان بقوله : " وكان ورعًا، ناسكًا، متقشفًا، مخشوشنًا، مخلولقًا، كثير الإطراق بسّامًا في وجه النّاس، مقبلا على العبادة ، لايصحبُه من متّا ع الدّنيا، إلاّ عصا وركوة" [3]، ويقول أيضا :

" وكان قُوته من غزْل أُخْتٍ له، رغيفا في كلّ يوم بقليل سمنٍ أو زيتٍ ، ولم ينتقل عن هذا حين كثُرت عليه الدّنيا "[4].

تُدلنا هذه النّصوص على أنّ ابن تومرت يحمل في طيّاته صفات الصوفيّة، مُطَبقًا لها، متأثرًا بأفكار أبي حامد الغزالي وكتابه إحياء علوم الدّين، ورغم توفُر دواعي التّرف والملّذات، إلاّ أنّه آثر الزّهد في الدّنيا، ممّا جعل العامّة تحترمه ويتبعونه ويؤيدون دعوته ويدافعون عنها بكلّ ما يملكون، واستغلت الدّولة الموحديّة أحسن استغلال التّيّار الصوفي السّنّي المندفع نحو الجهاد في سبيل الله؛ لمحاربة النّصارى الصليبيّين؛ لذلك أعادوا الإعتبار لكتاب إحياء علوم الدّين وشجّعوا التّصوف والمتصوفة المعتدلين واعتنوا بهم ، إيمانًا بفكرهم أو مُوارية لهم ومسايرَةً، إحتسابا لسلطتهم ودرءًا لسُخطهم [5].

وظهرت عدّة طوائف صوفيّة، منها الطّائفة البّونيّة الّتي يُعتبر أبو مدين والرّفاعي من شيوخها ، وطائفة

---

(1) المراكشي : **مصدر سابق،** ص261 .

(2) ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص471 .

(3) ابن خلّكان : **مصدر سابق** ، ج3 ، ص46

(4) ابن خلّكان: **نفس المصدر**، ج5 ، ص54 .

(5) نور الدّين ناس الفقيه: **أحمد بن عجيبة شاعر التّصوف المغربي** ، رسالة لنّيل دبلوم الدّراسات العليّا المُعمقة ن غير مطبوعة ، تحت إشراف: الدّكتور أحمد العراقي ، كليّة الآداب ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس 1426ه/2005م ، ص11 .

اليحاسني ويعتبر أبو محمد صالح دفين مدينة آسفي من شيوخها والطّائفة الشّاذليّة [1]، إلاّ أنّ أعلام التّصوف في عهد الموحدين يبدو أنّهم نهلوا من تصوف ابن مسرة واتّجاهه الصوفي [2] ، ففي هذا العصر إنتهت زعامة مدرسة ألمريّة الصوفيّة إلى عبد الله الغزال [3] ت595ه/1199م شيخ محيّ الدّين بن عربي[4] الّذي أصبح من أقطاب التّصوف في المغرب والأندلس ، وانحسرت بذلك موجة التّصوف في ألمريّة وأغمات في النّصف الثّاني من القرن السّادس الهجري ، بينما إزدهرت وتعاظمت في مراكش وفاس وأزمور، خاصّة بعد سقوط ألمريّة في يد النّصارى سنة 542ه/1147م [5].

كما تعاظم نفوذ الصوفيّة في عهد الموحدين وحاول الطّامحون إلى السّلطة استثمار موجة التّصوف القويّة وحريّة الفكر والإبداع الّتي عرفتها الدّولة الموحديّة، خاصّة في خلافة يعقوب المنصور وابنه النّاصر ، فادّعوا الهداية وهاجموا التّباين الاجتماعي والإقتصادي الّذي عرفته الدّولة ، وانحراف الدّولة عن تعاليم ابن تومرت الزّهديّة وكان على رأس هؤلاء الجزيري .[6]

(1) أفرد الدّكتور عبد السّلام غرمييني كتابا كاملا، يتحدّث فيه عن المدارس والطّوائف الصّوفيّة الّتي ظهرت بالمغرب والأندلس في القرن السّادس الهجري . انظر، عبد السّلام غرمييني : **المدارس الصّوفيّة المغربيّة والأندلسيّة في القرن السّادس الهجري** ، ط1 ، دار الرّشاد الحديثة الدّار البّيضاء المغرب 1420ه/2000م، ص

(2) أبو محمد صالح : **المناقب والتّاريخ** ، المجلس البّلدي لمدينة آسفي، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة بالرّباط ، دار النّشر العربي الإفريقي1410 ه/ 1990م، ص17 .

(3) محمد بن يوسف الأنصاري، أبو عبد الله، المعروف بالغزال، تلميذ أبي العبّاس بن العريف ، رئيس المُتصوفة بألمريّة في عصر الموحدين، شيخ محيّ الدّين بن عربي، لم نعثر له عن تاريخ وفاته وقد إلتقى بابن عربي سنة 595ه/1200م . انظر، عبد السّلام غرمييني : **نفس المرجع** ، ص196 ؛ السّيد عبد العزيز سالم : **تاريخ مدينة ألمريّة** ، ص185 .

(4) حسن جلاب : **الدّولة المرابطيّة قضايا وظواهر أدبيّة** ، ط1 ، المطبعة والورّاقة الوطنيّة مراكش المغرب 1416ه/1995م ، ص263.

(5) دندش عبد اللّطيف : **أضواء جديدة** ، ص53.

(6)أبو عبد الله محمد بن عبد الله الجزري، برع في العلم وجال ، إعتبر خلفاء الدّولة الموحديّة قد حادوا عن مبادئ ابن تومرت، فثار عليهم، إلاّ أنّه قُتل في حصن قولية من عمل مدينة بلنسيّة . انظر، ابن سعيد : **المغرب** ،ج1 ، ص323 ؛ المقرّي : **نفح الطّيب** ، ج4 ، ص65 ،66 .

وابن الفرس [1]، جمعوا حولهم مريدين وأعلنوا عصيانهم للحكّام الموحدين[2] ،إلاّ أنّ البّاحثين قلّلوا من شأنها وذلك نظرا للتّقارب الفكري والعلمي والهدف الإصلاحي للطّرفين ، حيث تمكّن الموحدون من كسب هؤلاء الطّامحين إلى صفّهم، أو على الأقّل تحيّيدهم وعدم الإصطدام بهم ، وقد عمقّت هزيمه حصن العقاب لسنة 609ه/1212م هذه العلاقة على خِلاف ما كان متوقعًا من خلال ظهور نشاط صوفي، مغربي، أندلسي واضح ومتميز ، نهج على المستوى الفكري نهجًا قريبا من المشروع الموّحدي ، حيث يعمل قدر الإمكان على تخليص الفكر الصوفي من الطّابع التّواكلي الإشراقي الّذي علِق به .

كما ساهم على المستوى الاجتماعي والسّياسي في دفْع الخطر الخارجي الّذي بدا وكأنّ الدّولة الموحديّة في طور ضعفها، لم تعد قادرة على مواجهته ، ومن ثمّ طغى على التّصوف في العهد الموّحدي البُّعد العملي واتّجه أقطابه أمثال، ابن مشيش ت622ه/1225م والشّاذلي ت656ه/1258م وأبو محمد صالح ت631ه/1234م إلى تعميق قيمة الجهاد وإعلاء فضيلة الرّباط على الثّغور والسّواحل [3].

وتميّزت العلاقة بين الموحدين والصوفيّة بما يلي:

في عهد عبد المؤمن ظهرت حركات تمرديّة، يقودها زعماء صوفيون، إحداهما في الأندلس بقيادة أبي القاسم أحمد بن قسي ت546ه/1151م، أو ما يسمّى بثورة المريدين سنة 539ه/1144م ، والثّانية في المغرب الأقصى ببلاد السّوس بقيادة ابن هود محمد الماسي سنة 541ه/1146م [4]. إلاَّ أنّ عبد المؤمن تمكّن من

---

(1) عبد الرّحيم بن عبد الرّحمن بن الفرس، من طبقة العلماء بالأندلس، يُعرف بالمهر ، كان يُوصف بالذّكاء المُفرط والتّفنّن و التّقدّم في الفلسفة إدّعى أنّه القحطان الّذي ذكره رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بقوله "لاتَقُومُ السَّاعَة حتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانِ، يَقُودُ النَّاسَ بِعَصَاهُ يَمْلؤُهَا عَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً " فأرسل إليه النّاصر الموّحدي جيشا، فقُتل وأرسل رأسه إلى مراكش . انظر، ابن سعيد : **المغرب** ، ج2 ، ص111 ؛ ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص522 ،523 .

(2) المقرّي : **نفح الطّيب** ، ج4 ، ص66 ؛ دندش عبد اللّطيف : **أضواء جديدة** ، ص52 ، 53 .

(3) أبو محمد صالح : **مرجع سابق** ، ص24 .

(4) التّميمي أبو عبد الله محمد :**المُستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد** ، تحقيق ، محمد الشّرف ، ط1 ، منشورات كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة تطوان المغرب1423ه/2002م ،ج1 ، ص41 .

القضاء عليهما وأنهى بذلك طموحهما ، ولسنا هنا بصدد تقيّيم أسباب ونتائج هذه الثّورات ، فقد قام بذلك عدّة باحثين ، وإنّما نستشفّ من ذلك أنّ الحركة الصوفيّة في بداية العهد الموّحدي أصبحت تمثل قوّةً، لها طموح سياسي إلى جانب بُعدها الدّيني الزّهدي، وهي بذلك تشبه إلى حدٍّ كبير حركة ابن تومرت،ورغم تمكّن الموحدون من القضاء على هذه الثّورات، إلاّ أنّهم وضعوا مراقبين لهم خوفا من عودة نشاطهم من جديد[1] وأصبحت الحيطة والحذر واجبة .

وفي عهد أبي يعقوب يوسف ونظرا لإهتمامه بالعلم والعلماء وخاصّة منهم الفلاسفة فقد ساعد ذلك على تطور الإتّجاه الصوفي السّلفي ، إلاّ أنّه كان حذرا من التّيار الصوفي عموما منذ عهد والده عبد المؤمن فقد كان يسعى دائما لإحتواء هذه الطّائفة، لا حبًّا فيهم وإنّما خوفا منهم وسعيًّا لإبعاد خطرهم ، ولذلك لابدّ من مراقبتهم عن قرب [2].

وعندما أراد بعض الفقهاء الإيقاع بالمتصوف أبي العبّاس السّبتي لدى أبي يعقوب يوسف، لم يُفلحوا في ذلك؛ بل استطاع يوسف أن يحتوي الموقف ويُقَرب إليه أبي العبّاس دون أن ينتقم منه [3]وقضى بذلك على فتنة كادت أن تُزعزع العلاقة بينهما، وعندما قام أحد شيوخ الصوفيّة أبي محمد عبد الله القطّان شيخ محي الدّين بن عربي، أحد الصّالحين، الزّهاد ينتقد سياسة حكّام الدّولة الموحديّة بشدّة ولايخشى في الله لوْمة لائم عرّضه ذلك إلى السّجن والتّهديد بالقتل، يقول عنه ابن عربي :" أخذه الأعوان ودخلوا به على الوزير الّذي أمر أعوانه بسجنه حتّ يشاور السّلطان في قتله، فقام الخليفة باستنطاقه للتّأكّد من وفائه لمباديء

(1) التّميمي : **مصدر سابق** ، ج1 ، ص43 .

(2) التّميمي: **نفس المصدر** : ج1 ، ص51، 52 .

(3)عبد السّلام غرميني : **مرجع السابق** ، ص367 ، 368 ؛ عبّاس السّملالي : **مصدر سابق** ، ج1 ، ص287 .

التّوحيد[1] ، إلاّ أنّ الخليفة الموّحدي أطلق سراحه ، ربّما كان هذا أسلوبا من أساليب الإحتواء الّذي إتّبعته الدّولة الموحديّة مع بعض المعارضة ، خاصّة الصوفيّة والصُلحاء منهم ،الّذين لايُشَكلون خطرا مباشرا على الدّولة أمّا في عهد المنصور الموّحدي فقد حاول التّقرُب إلى شيوخ الصوفيّة والصلحاء من الأمّة؛ إذ يصفه ابن أبي زرع بقوله :" كان محبًّا في العلماء، مُعظمًا لهم، صادرًا عن رأيهم ،كثير الصّدقة، يشهد جنائز الفقهاء والصلحاء ويزورهم ويتبّرك بهم " [2]

ويؤكد ذلك ابن أبي دينار بقوله :" محبًّا للعلماء ويحضُر جنائزهم ويزور الصّالحين ويتبّرك بهم " [3] ؛ لذلك كان بين المنصور الموّحدي وأهل التّصوف علاقة حميميّة خاصّة في أواخر أيّامه [4]، وقد أثّر فيه أبي العبّاس السّبتي ، فكان من آثار هذه العلاقة أنّه كان يطلب دائما حضور أبي العبّاس، عندما يتذّكر الصالحين والمريدين وغيرهم من أهل الصّلاح ، ويستأنس بأقواله وحِكمه [5]ويستشيره في الأمور والقضايا ذات الصّلة بالتّربيّة الرّوحيّة .

وهكذا فقد عمد المنصور إلى التّقرُب من الصوفيّة واستقطابها لصفّ الدّعوة الموحديّة للمحافظة على استقرار الدّولة ، ونظرا لمكانة وتأثير هذه الفئة في الأوساط الاجتماعيّة ، فقد عمد يعقوب المنصور إلى مجموعة من الإجراءات الّتي هدّنت من روْع الصوفيّة منها :

أ) – القيّام بإصلاحات في المجال الأخلاقي الاجتماعي وهما عنصران أساسيان عند الصوفيّة في إصلاح الفرد والمجتمع ، ومنه محاربة الآفات الاجتماعيّة الّتي إنتشرت هنا وهناك ، ممّا أظهر المنصور حاكمًا عادلاً

---

(1) ابن عربي محمد بن علي : **رسالة روح القدس في مناصحة النّفس** ، تقديم ، بدوي طه علام ، ط1 ، دار عالم الفكر 1409ه/1989م ، ص120.

(2) ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص216 .

(3) ابن أبي دينار : **مصدر سابق** ، ص114 .

(4) عبد السّلام غرمييني : **مرجع سابق** ، ص368 وما بعدها .

(5) عبّاس السّملالي : **مصدر سابق** ، ج1 ، ص277 وما بعدها .

يسعى إلى إصلاح المجتمع وتطهيره من الآفات، حِرْصًا على راحة رعيّته [1].

ب) – إعتماد يعقوب المنصور على الصوفيّة في جهاده ضدّ النّصارى في الأندلس وكان منها موقع الأرَك حيث يشير إلى ذلك المراكشي بقوله : "ولّما خرج إلى الغزوة الثّانيّة سنة 592ه... كتب قبل خروجه إلى جميع البلاد بالبّحث عن الصالحين والمنتمين إلى الخير وحملهم إليه ، فاجتمعت له منهم جماعة كبيرة، كان يجعلهم كمًّا سار بين يديه ، فإذا نظر إليهم قال لمن عنده : هؤلاء الجند لا هؤلاء ! ويشير إلى العسكر " [2]. فقد يكون ذلك تبركًا بهؤلاء الصالحين ودعواتهم أو دعمًا لهم خاصّة المرابطين منهم على الثّغور الأماميّة للدّولة الطّالبين الإستشهاد في سبيل الله .

جـــ)- محاولة التّنظير لتعليمٍ صوفي ، حيث رفع من شأن التّصوف والصوفيّة وجعلها علما من العلوم الّتي يدرسها الطّلبة ، فأقام لهم مدارس وخصّص لهم ميزانية من الخزينة العموميّة لتّغطيّة تكاليفها ومتطلباتها التّربويّة والتّنظيميّة [3]، وهكذا فقد نجح يعقوب المنصور في سياسته اتّجاه علماء الّتصوف، مستقطبا جمعًا كبيرًا منهم ورغم ذلك بقيّ هناك تخوف وترقُب لهذه المجموعة، خاصّة منها المتشدّدة، الغاضبة على الحاكم وحاشيته[4].

أمّا في فترة بداية ضعف الدّولة الموحديّة إلى سقوطها فقد تميّزت علاقة الدّولة بالصوفيّة بالتّوتر تارة والإحترام والودّ والتّبجيل تارة أخرى[5].

---

(1) التّميمي : **مصدر سابق** ، ج1 ، ص64، 65 .

(2) المراكشي : **مصدر سابق** ، ص363 .

(3)التّميمي : **نفس المصدر** ، ج1 ، ص66؛ عبّاس السّملالي : **نفس المصدر** ، ج1 ، ص262 .

(4)التّميمي : **نفس المصدر** ، ج1 ، ص74 ، 75 .

(5) الطاهر بونابي : **التّصوف في الجزائر خلال القرن السّادس والسّابع الهجري/ق 12 م– 13م** ، دار الهدى للنّشر والتّوزيع عين مليلة (د. ت)، ص193 .

وعليه فإنّ هذه السّياسة كانت ذات وجهين، وجه ظاهري ووجه خفيّ ، ومنه يتّضح لنا مدى التّغيّير الّذي حدث في نوعيّة العلاقة بين الصلحاء والسّلطة الحاكمة [1]؛ إذ كان موقف الحكّام أحيانا هو الشدّة والقوّة والحزْم اتّجاه المتصوفة وخاصة منهم الصوفيّة الفلسفيّة ، واللّين والمداهنة أحيانا أخرى ، فقد يعود ذلك إلى حكمة الخليفة وسياسته في المحافظة على استقرار البلاد والعباد .

أمّا الفقهاء فكان لهم رأي آخر ، فقد تحاملوا على المتصوفة ووصفوهم بأشنع الأوصاف، منها الزّندقة والفُسق والخروج عن الملّة والكُفر في بعض الأحيان ، وقد يعود ذلك إلى موقف هؤلاء المتصوفة من الفقهاء خاصّة منهم الّذين انتحلوا صفة التّصوف الفلسفي أمثال، ابن سبعين ت 668ه/1268م ، الّذي تحامل على الفقهاء قائلا: " فهو صالح الأصل، فاسد الفرع، صادق الجنس، كاذب النّوع ، يتكلّم من عند نفسه ويقيس اليوم بأمسه ، ويُفتي السّائل ويترك نفسه في رُتبة المسؤول ، ويزعم أنّه يفهم كلام الرُّسل، ويعلّل دينه ويتمّمه برأيّه واجتهاده ... ويدفع اليّقين بالجَهل ويفعل فِعل أبي جهل، يحجُب نور الله تعالى بالفروع المعلّلة ويتصرّف فيهم بغير الكُتب المُنَزلة " [2].

وكذلك موقفهم من قضايا عقديّة كالحلول والاتّحاد ، حيث يرى بعض المتصوفة المُغالين أنّه يجوز رؤية الله في صورة البّشر، كان يحلّ في شيخ أو ملك أو صورة جميلة ، كما يجوز حلوله في جميع المخلوقات كالكلب والخنازير وغيرها [3]، ويبدو أنّ هذه التّصورات والإعتقادات مأخوذة من معتقدات

(1) حليمة فرحات وحامد التريكي: **كُتب المناقب كمادة تاريخيّة** ضمن أعمال ملتقى دراسي " **التّاريخ وأدب المناقب** "، منشورات الجمعيّة المغربيّة للبّحث التّاريخي منشورات عكاظ الرّباط أفريل1408ه/1988م ، ص56 .

(2) محمد مفتاح : **الخطاب الصّوفي مقاربة وظيفيّة** ، ط1 ، مكتبة الرّشاد الدّار البّيضاء المغرب1418ه/1997م ، ص282 .

(3) محمد مفتاح: **نفس المرجع** ، ص283.

النّصارى واليهود وغيرهم من الضّالين،كذلك نجدهم يخالفون الشّرع من خلال تحليل بعضهم لشُرب الخمر ونكاح أكثر من أربع نساء وسقوط التّكاليف الشّرعيّة على المُكَلّف ، إذا بلغ درجة العلماء[1] .

وبغضّ النّظر عن صحّة ما أورده المناهضون للتّيار الصوفي من أسباب، دفعتهم للقيام بهجوماتهم وعدائهم الشّرس للمتصوفة في عهد المرابطين والموحدين، فقد ظهر بعد ذلك اتّجاه من العلماء يُعادي المتصوفة ومن بينهم ابن الجوزي ت578ه/1182م في كتابه " تلبيس إبليس " ، وابن تيمية ت728ه/1328م في كتابه " مختصر الفتاوى المصريّة "، والبّقاعي ت885ه/1480م في كتابه " مصرع التّصوف " وغيرهم كثير ومن المُحْدَثين عبد الرّحمن الوكيل في كتابه " هذه هي الصوفيّة " .

وممّا سبق يمكن إستخلاص أمرًا مهمًّا وهو أنّ ابن تومرت استطاع بذكائه وعلمه واحتكاكه أن يصبغ دعوته بطابع صوفي باعتماده على التّربيّة الرّوحيّة والإنتقاء للمريدين وامتحانهم وتلقينهم مباديء العقيدة، كما أرادها وسطّرها لهم ، وقد مهدّ لذلك منذ بداية عودته من المشرق الإسلامي من طلب العلم، وبذلك إستطاع أن يكون قوّة، إعتمد فيها على المريدين والقبيلة المصموديّة الّتي لعبت دورا بارزا في إسقاط دولة المرابطين، وقد أثرّ هذا الأسّاس الّذي قامت عليه دولة الموحدين على حكّام الدّولة أنفسهم وخاصّة في عهد يعقوب المنصور الّتي تعتبر الحقبة الذّهبيّة للتّصوف ، وهذ ما أكّده المراكشي بقوله : " إشتهر في أيّامه الصّالحين والمتبتلين وأهل علم الحديث ، وقامت لهم سوق وعظُمت مكانتهم منه ومنّ النّاس ، ولم يزل يستدعي الصّالحين إلى البلاد ويكتب إليهم، يسألهم الدّعاء ويصل من يقبل صلته منهم بالصّلاة الجزيلة " [2].

وقد ساعد الأوضاع السّياسيّة والاجتماعيّة والإقتصاديّة على إنتشار التّصوف في بداية القرن السّابع بسبب الضعف الّذي بدأ يعرفه المسلمون في الأندلس خاصّة مع بداية تراجع قوّتهم وحُكمهم وسقوط

(1) **نفسه** ، ص282 .

(2) المراكشي : **مصدر سابق** ، ص353 .

الثّغور في يد النّصارى، إضافة إلي الحروب الّتي كانت تنشب بين المسلمين أنفسهم وظهور الصّراعات على السّلطة داخل البلاط الموّحدي وغيرها من الفتن الّتي عصفت بالدّولة الموحديّة ، ممّا جعل العديد من الصالحين والرّافضين لهذا الوضْع يلجؤون إلى التّصوف والإنعزال عن المجتمع؛ لعلّهم يجدون ضالتهم .

وبرز في عهد الموحدين مجموعة من المتصوفة نذكر منهم :

1)علي بن خلف الأنصاري العارف ت568ه/1172م ، من أهل شلب، تنقلّ بين المدن الأندلسيّة ومن قرطبة، إنتقل إلى "قصر كتامة " [1] في آخر عمره [2]، يعتبر أحد قادة الصوفيّة وأئمّتهم وقُدوتهم[3] عالما[4] متفنّنًا[5]ومن الزّهاد المتواضعين[6]، له معرفة بعلوم القرآن[7]، وعلم الحديث[8]، وعلم الحقائق والرّياضيّات والمعاملات والأحوال والأداب[9]، طاف البلاد بحثًا عن العلم والعلماء؛ للأخذ عنهم وخاصّة الزّهاد منهم[10]، ثمّ جلس للتّدريس[11] حيث بلغ بعلمه درجة رفيعة، وُصف بأنّه كان " شيخُ وقته علمًا وحالاً وورعًا "[12]، بقيّ في قصر كتامة إلى أن توفيّ بها[13].

(1) قصر كُتامة، مدينة بالجزيرة الخضراء، من أرض الأندلس . انظر، الحموي : **معجم البلدان** ، ج4 ، ص362.

(2) ابن الأبار : **التّكملة** ،ج3 ، ص214 ؛ التّادلي: **مصدر سابق** ، ص228 ؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س5، ق1 ، ص208 ؛ ابن الزّبير : **مصدر سابق** ، ص270.

(3) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5، ق1 ، ص208.

(4)ابن الأبار : **التّكملة** ،ج3 ، ص214 ؛ التّادلي: **نفس المصدر** ، ص228 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5، ق1 ، ص210.

(5) ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص270.

(6)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5، ق1 ، ص210؛ ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص271.

(7)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5، ق1 ، ص215.

(8)ابن الأبار : **التّكملة** ،ج3 ، ص215 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5، ق1 ، ص211.

(9)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5، ق1 ، ص211 ؛ ابن الزبير : **نفس المصدر** ، ص271.

(10)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5، ق1 ، ص211 .

(11) التّادلي: **نفس المصدر** ، ص228 .

(12) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5، ق1 ، ص208.

(13)التّادلي: **نفس المصدر** ، ص228 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5، ق1 ، ص212،211؛ ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص271.

أخذ العلم عن عدّة علماء منهم، أبو الحسن شريح وأبو عبد الله الجياني البّغدادي[1]وأبو الوليد الحسن بن موفق ت556ه/1155م[2]، وأبو الحسن عبد الملك بن الطّلاء وأبو القاسم بن بشكوال[3] وتتلمذ عليه عدد كبير من الطّلبة، من أبرزهم أبو الصّبر الفهري ت592ه/1195م [4]وعبد الجليل بن موسى القصري ت608ه/1210م [5]، وأبو الحسن بن مؤمن وأبو الخليل مفرج بن سلمة [6]، ألّف عدّة مؤلّفات، منها في التّصوف كتاب "اليّقين"[7] وكتاب " الإعتبار " وكتاب " الأيّام والحجاب "[8].

1)أبو مدين شعيب بن الحسن الأنصاري الأندلسي ت588ه/1192م[9]، إشبيلي قطنياني[10] مدينة بالقرب من إشبيليّة [11]،تحوّل في العديد من المناطق واستوطن قديما في فاس[12]، ثمّ إنتقل إلى تلمسان[13]،

(1)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5، ق1 ، ص208.

(2)ابن الأبار : **التّكملة** ،ج3 ، ص215 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5، ق1 ، ص210.

(3) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5، ق1 ، ص208

(4)ابن الأبار : **التّكملة** ،ج3 ، ص215 ؛ التّادلي: **مصدر سابق** ، ص228 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5، ق1 ، ص209 ؛ ابن الزّبير : **مصدر سابق** ، ص271.

(5)ابن الأبار : **التّكملة** ،ج3 ، ص215 ؛ التّادلي: **نفس المصدر** ، ص228 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5، ق1 ، ص209.

(6)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5، ق1 ، ص209.

(7)ابن الأبار : **التّكملة** ،ج3 ، ص215 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س5، ق1 ، ص209.

(8)ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص271.

(9)التادلي: **نفس المصدر** ، ص319 ؛ ابن الأبار : **التّكملة** ،ج4 ، ص137 ؛ ابن عبد الملك ، **نفس المصدر** ، س4 ، ص128 ؛ ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص376 ؛ أحمد المكناسي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص530 ؛ الغبريني : **مصدر سابق** ، ص22 ؛ ابن قنفذ القسنطيني : **أُنس الفقير وعزّ الحقير** ، بعناية ، محمد الفّاسي و أدولف فور ، منشورات المركز الجامعي للبّحث العلمي الرّباط 1375ه/ 1965م ، ص11

(10) يذكر بعض المؤرخين أنّ أصله من حصن منتوجب، من ناحية إشبيليّة . انظر ، ابن الأبار: **التّكملة** ،ج4 ، ص137 ؛ ابن عبد الملك ، **نفس المصدر** ، س4 ، ص128؛ الغبريني ، **مصدر سابق** ، ص22 .

(11) التادلي: **مصدر سابق** ، ص319 ؛ ابن عبد الملك ، **نفس المصدر** ، س4 ، ص129 ؛ أحمد المكناسي : **نفس المصدر** ، ج2 ، ص530؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص270 .

(12) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س4 ، ص129 ؛ عبد العزيز بن عبد الله : **معلمة التّصوف الإسلامي** ،ط1 ، مطبعة المعارف الجديدة الرّباط المغرب1422ه/2001م، ص .

(13)ابن الأبار : **التّكملة** ،ج4 ،ص137 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س4 ، ص129 ؛ المقرّي : **نفح الطّيب** ، ج7 ، ص136 .

ثمّ إستقرّ أخيرا في بجاية [1]، بقيّ فيها إلى أن استدعاه يعقوب المنصور الموّحدي إلى مراكش إلاّ أنّه توفيّ في الطّريق إلى تلمسان [2].

أخذ العلم عن عدّة علماء عصره منهم، أب الحسن إسماعيل بن حرزهم ت559ه/1163م [3] وأبو يعزى ت572ه/1176م [4]، وأبو الحسن غالب [5]، وأبو الحسن السّلوي [6]وغيرهم ، وأخذ عن أبي عبد الله الدّقاق التّصوف[7].

أُعتبر شيخ الصوفيّة في وقته [8] ، وسيّد العارفين وقدوة السّالكين [9]، قُطب زمانه[10] ، منقطع القرين في العبادة ومن أهل العلم والإجتهاد [11]، كان مُعرضًا عن الدّنيا، زاهدًا فيها ، مبسوطًا بالعلم، مضبوطًا بالمراقبة، مُبرزًا في مقام التّوكل ، لايكاد يُقارَن به أحدٌ من أهل زمانه، عامر القلب بمراقبة الله تعالى وخشيته رطب اللّسان بالذّكر [12]، قال عنه ابن الزّبير : " زاهدًا فاضلاً ، عارفًا بالله تعالى ، قد خاض من

---

(1)التادلي: **نفس المصدر** ، ص319 ؛ ابن الأبار : **التّكملة** ،ج4 ، ص138 ؛ ابن عبد الملك ، **مصدر سابق** ، س4 ، ص129.

(2)التادلي: **نفس المصدر** ، ص319 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س4 ، ص128 ؛ الغبريني : **مصدر سابق** ، ص28 ؛ التّنبكتي : **نيل الإبتهاج** ، ص197 ،198 .

(3)التادلي: **مصدر سابق** ، ص320 ؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س4 ، ص128 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص270. ؛ ابن قنفذ القسنطيني : **أنس الفقير** ، ص12 ؛ المقرّي : **نفح الطّيب** ، ج7 ، ص136 ؛ التّنبكتي: **نيل الإبتهاج** ، ص194 .

(4)التادلي: **نفس المصدر** ، ص320 ؛ ابن عبد الملك: **نفس المصدر** ، س4 ، ص128؛ المقرّي : **نفح الطّيب** ، ج7 ، ص137 .

(5)التادلي: **نفس المصدر** ، ص320 ؛ ابن عبد الملك ، **نفس المصدر** ، س4 ، ص128 ؛ ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص270.

(6)أحمد المكناسي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص531 ؛ ابن قنفذ القسنطيني : **أنس الفقير**، ص12 ؛ المقرّي : **نفح الطّيب** ، ج7 ، ص137 .

(7)ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص270 .

(8)ابن الأبار : **التّكملة** ،ج4 ، ص138 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س4 ، ص129 .

(9)المقرّي : **نفح الطّيب** ، ج7 ، ص137.

(10)ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص270 .

(11)ابن الأبار : **التّكملة** ،ج4 ،ص138 .

(12) ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س4 ، ص128 ؛ ابن قنفذ القسنطيني : **أنس الفقير** ، ص11 .

الأحوال بحارًا ، ونال من المعارف أسرارًا ، وخصوصًا به مقال التوّكُل، لايشق فيه غباره ولاتُجْهل فيه آثاره " [1]، له كرامات لاتُحصى ولاتُعدّ، ذكر بعضها المؤرخون [2]

كما كانت له إهتمامات بعلم الحديث [3]، وأخذ عنه العلم عدد كبير من الطّلبة منهم، أبو الصّبر أيوب الفهري وأبو علي بن زلال [4] وأبو عبد الله بن عبد الحقّ التّلمساني[5]، ومحمد بن إبراهيم الأنصاري[6] وأبو محمد صالح وجعفر بن عبد الله بن نونة [7] والخطيب حسن بن الخطيب علي بن اللّمعة [8]،تخرّج على يديه ألف شيخ من الأوليّاء وأولي الكرامات[9] .

2)عبد الجليل بن موسى الأوْسي القصري ت608ه/1211م [10]من حصن فرنجولش[11]، من أحواز قرطبة، نزل بقصر عبد الكريم[12]، يُكنّى أبا أحمد ، كان أحد المتصوفة الزّهاد[13]ومن العلماء العاملين

(1) ابن الزّبير : **مصدر سابق** ، ص376 ،377 .

(2)التادلي: **نفس المصدر** ، ص320 ؛ الغبريني : **مصدر سابق** ، ص25 وما بعدها ؛ ابن قنفذ القسنطيني : **أنس الفقير** ، ص12 وما بعدها

(3)ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص270 .

(4) ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س4 ، ص128.

(5)ابن عبد الملك ، **نفس المصدر** ، س4 ، ص128 ؛ ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص376 ،377 ؛ الغبريني : **نفس المصدر** ، ص25.

(6)التادلي: **نفس المصدر** ، ص320 ؛ ابن قنفذ القسنطيني : **أنسُ الفقير** ، ص37 .

(7) الكتاني محمد بن جعفر: **مرجع سابق** ، ج2 ، ص43.

(8)ابن قنفذ القسنطيني : **أنس الفقير** ، ص46 .

(9) التّنبكتي : **نيل الإبتهاج** ، ص193 .

(10)ابن الأبار : **التّكملة** ،ج3 ، ص132 ؛ ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص205 ؛ التّنبكتي : **نيل الإبتهاج** ، ص278؛ الذّهبي : **سيّر أعلام النّبلاء** ، ج21 ، ص420.

(11) فرنجولش، إحدى المدن الأندلسيّة الواقعة بالقرب من حصن المدور ، وهي جليلة القدر ، يقع بالقرب منها موقع المُرج الّذي يحوي معدني الذّهب والفضّة . انظر، الحميري : **مصدر سابق** ، ص440.

(12) قصر عبد الكريم، تسمّى أيضا مدينة صنهاجة وهي على تلّ وتحته نمر،تدخله المراكب وكان أحد رؤساء كتامة استوطنّها وبنى بها دارا ، سُميت قصراَ؛ لإنعدام القصور فيها . انظر، مجهول : **الإستبصار** ، ص189 ؛ الحموي : **معجم البلدان** ، ج4 ، ص360.

(13) ابن الأبار : **التّكملة** ،ج3 ، ص132.

وأحد الأئمّة المتّقين ، آثر الإنفراد والإنزواء والإنقطاع عن النّاس[1]، وبلغ درجة رفيعة بالتّصوف حتّى قيل عنه" آخر من خَتم به المغرب باب التّصوف على الطّريقة الواضحة المقيّدة بالكتاب والسّنّة"[2]، كما كان متقدّمًا في علم الكلام[3]، بالإضافة إلى مشاركته في علوم العربيّة من لغة ونحو وأدب[4]،

عُرف عنه تبسيطه لكلامه بطريقة صوفيّة ، رُزق الذِّكْر الجميل، مالم يُرزق غيره من النّاس [5]، توفيّ في سبتة [6]، أخذ العلم عن عدّة شيوخ، من أبرزهم أبو الحسن جعفر بن غالب الأنصاري ت568ه/1172م وأبو الحسن بن حبيش ت569ه/1173م ، وأبو نصر فتح بن محمد المقرّي ت574ه/1178م[7] .

أمّا الّذين أخذوا عنه العلم والتّصوف فمنهم، أبو الحسن علي بن محمد الغافقي ، وأبو عبد الله الأزدي[8]، ألّف عدّة مؤلّفات منها، كتاب "شُعَب الإيمان"[9] وكتاب " المسائل والأجوبة"[10] وكتاب " شرح الأسماء الحسنى"[11].

3) محمد بن أحمد بن محمد اللّخمي، أبو عبد الله بن الحجّام ت614ه/1217م [12]التّلمساني

---

(1) ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص205.

(2) **نفسه** : ص205- 206.

(3) ابن الأبار : **التّكملة** ،ج3 ، ص132 ؛ التّنبكتي : **نيل الإبتهاج** ، ص278.

(4) ابن الأبار : **التّكملة** ،ج3 ، ص132 ؛ ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص205.

(5)ابن الزّبير : **مصدر سابق** ، ص205.

(6)ابن الأبار : **التّكملة** ،ج3 ، ص133 ؛ ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص206

(7)ابن الأبار : **التّكملة** ،ج3 ، ص132 .

(8)ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص206.

(9) ابن الأبار : **التّكملة** ،ج3 ، ص132 ؛ التّنبكتي : **نيل الإبتهاج** ، ص278.

(10)ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص205.

(11)ابن الأبار : **التّكملة** ،ج3 ، ص132 ؛ ابن الزّبير : **نفس المصدر** ، ص205.

(12) التّادلي: **مصدر سابق** ، ص439؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س8، ق1 ، ص266 ؛ ابن أبي زرع : **الذّخيرة السُّنيّة** ، ص51.

4)مكناسي الأصل [1]، أخذ العلم عن عدّة علماء عصره منهم، أبو الحجّاج بن عبد الصّمد بن نحوي ، وأبو القاسم بن يوسف بن الحسن ، وأشهرهم أبو زيد الفزاري الّذي صحبه طويلا واختصّ به [2]، أصبح عالمًا زاهدًا، واعظًا ، كما عُرف عليه اهتمامه بالأدب وقرْض الشّعر [3]، إلاّ أنّه اشتهر بالتّصوف والزّهد والوعْظ والتّذكير فترأّس فيها أهل عصره بحسْن الصوت وغزارة الحِفظ وإتقان الإيراد والصدق والإخلاص في وصاياه وتذكيره [4] قال عنه التّادلي: " كان حسن الموعظة، طيّب النّغمة، دائم العبرة وكان مجلسه كهفًا للمريدين وأهل الخير يأوون إليه"[5] ،ممّا جعل يعقوب المنصور يستدعيه إلى مراكش؛ ليستقرّ بها تحت رعاية الموحدين أيّام حكمه وحكم ابنه النّاصر، ثمّ المستنصر، خصّصوا له عطايا جزيلة ولمّا كان مذهبه الزّهد قام بتوزيع هذه العطايا على الفقراء والمساكين واهتمّ بنشر العلم فكانت له مجالس وعْظ في كلّ يوم إثنين وخميس من كلّ أسبوع، دأب عليها إلى أن وافته المنيّة [6].

ولمّا كان له صيت واسع بين النّاس فقد جلس بين يديه، يطلب العلم والوعْظ العديد من الطّلبة، من أبرزهم ولده محمد وأبو زكرياء بن محمد بن طُفيل [7]، له تأليف سمّاه " حُجّة الحافظين ومحجّة الواعظين " إختصره لُزيمه أبو زكرياء بن محمد بن طُفيل وسمّاه "أنوار مجالس الأذكار وأبكار عرائس الأفكار "في مجلّدين ضخمين [8] .

---

(1)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س8، ق1 ، ص266.

(2) نفسه : س8، ق1 ، ص266؛ عبّاس السّملالي : **مصدر سابق** ، ج4 ، ص173 .

(3)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س8، ق1 ، ص266.

(4)ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س8، ق1 ، ص266.

(5) التّادلي: **مصدر سابق** ، ص439.

(6)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س8، ق1 ، ص266؛ عبّاس السّملالي : **نفس المصدر** ، ج4 ، ص174.

(7)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س8، ق1 ، ص266.

(8)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س8، ق1 ، ص266؛ عبّاس السّملالي : **نفس المصدر** ، ج4 ، ص174.

5)- محمد بن عبد الله بن محمد بن خلف بن قاسم الأنصاري ت640ه/1242م[1]،من أهل بلنسيّة[2] وأصله من قلعة أيوب [3] ، أخذ العلم عن أبي عبد الله بن نوح وإختصّ به وأطال ملازمته وأخذ عنه العربيّة والآداب [4]، وابن الخطاب بن واجب [5].

وأبي العطاء بن نذير [6]، إعتنى واهتمّ في بداية أمره بعقد الشّروط إلاّ أنّه اعتزل وزهد في الدّنيا وأقبل على العلم والعبادة والتّدريس في جامع بلنسيّة لمدّة طويلة[7].

كان عارفًا بالتّفسير، شديد العناية به وتصدّر لإلقائه والإفادة به ، ماهرًا في أصول الفقه، ذاحظٍّ من النّظْم والنّثْر، زاهدًا، ورعًا، شهير الفضل[8]، غلب عليه التّصوف[9]، أخذ عنه العلم العديد من الطّلبة، كان منهم، أبو عبد الله بن الأبار[10]، وأبو جعفر بن إبراهيم بن محمد بن حسن وأبو الحجّاج بن الحكم وأبو علي بن النّاظر وأبو القاسم بن نبيل[11]وغيرهم.

كانت الدّولة الموحديّة تستنجد به لإثارة الهمم للجهاد ضدّ النّصارى، أو عندما تقع الفتن بين المسلمين حتّى يكون حكَمًا وواعظًا لِما له من قوّة التّأثير ، ومنها في بلنسيّة لاستمداد أهلها[12]، أقام في شاطبة إلى

(1) ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص144 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص304 ؛ الذّهبي: **تاريخ الإسلام** ، ج46، ص447؛ الدّاودي : **مصدر سابق** ، ج2، ص164.
(2)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص145.
(3)**نفسه** ؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س6 ، ص304.
(4)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص145 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص304؛ الدّاودي : **مصدر سابق** ،ج2، ص164 .
(5)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص145 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص304.
(6)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص304 ؛ الدّاودي : **نفس المصدر** ،ج2، ص164.
(7)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص145 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص305.
(8)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص304،305.
(9)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص145.
(10)**نفسه** ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص304.
(11)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص304.
(12)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص145 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص305.

أن توفيّ بأوريولة [1]وحضر جنازته خلق كثير وازدحموا على نعشه متبركين به [2]، ألّف عدّة كتب كان منها، كتاب "نسيم الصبا" في الوعْظ على طريقة ابن الجوزي ، وكتاب " بُغية النّفوس الزكيّة في الخُطب الوعظيّة"[3] .

6) محمد بن علي بن محمد بن عربي الطّائي [4] ت638ه/1240م [5]، أصله من مرسيّة، سكن إشبيليّة[6]، ودرس على أبو عمران الزّاهد، المارتلي وتقيّ الدّين بن القاسم عبد الرحمن بن علي القسطلاني وبفاس عن أبي الحسن بن حرزهم ، وأبي عبد الله بن قاسم وأبي أحمد عبد الوهاب بن علي ، وأبي بكر بن العربي وعلي الفرياني [7]، وأخذ علم التّصوف عن أبي طاهر السّلفي [8] .وغيرهم [9].

تنقلّ بين العديد من مدن المغرب والأندلس، ثمّ إنتقل إلى المشرق الإسلامي[10] في رحلة طويلة، وبقيّ بدمشق الّتي استقرّ بها الى أن وافته المنيّة [11]، كان في بداية أمره كاتبًا، بارعًا، وشاعرا مجيدا حيث كتب لبعض الأمراء في بلده ، إلاّ أنّه زهد في الدّنيا وخرج إلى الحجّ و لم يعد إلى بلده ، وخلال رحلته

---

(1) أوريولة (Orhulas)، مدينة قديمة، من أعمال الأندلس بالقرب من مرسيّة، من ناحية تُدمير . انظر ،الحموي : **معجم البلدان** ، ج1 ، ص280 ؛ الحموي : **مصدر السابق** ، ص67.

(2)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص145.

(3)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص145؛ ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س6 ، ص305.

(4)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص145 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص493؛ الغبريني : **مصدر سابق** ، ص156 ؛ الذّهبي : **سيّر أعلام النّبلاء** ، ج23 ، ص48 ؛ الصّفدي : **مصدر سابق** ،ج4 ، ص124 ؛ المقرّي : **نفح الطّيب** ، ج2 ، ص161 .

(5)إختلفت المصادر في تاريخ وفاته، حيث ذكر ابن الأبار سنة 640ه/1242م ، انظر: ابن الأبار: **التّكملة** ج2 ، ص145 ، وذكر ابن عبد الملك سنة 637ه/1238م. انظر، ابن عبد الملك: **نفس المصدر** ، س6 ، ص493 ، والمقرّي سنة638ه/1240م. انظر، المقرّي: **نفح الطّيب** ،ج2 ، ص161 .

(6)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص145 ؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص493.

(7)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص493.

(8)ابن الأبار : **التّكملة** ، ج2 ، ص146؛ ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص494.

(9) ذكر محيّ الدّين بن عربي شيوخه الّذين إلتقى بهم في كتاب سمّاه "**روح القدس في مناصحة النّفس** " ، شرح وجمع ، محمود محمود الغراب، ط2 ، مطبعة نضر 1414ه/1994م.

(10) للإطّلاع على رحلته والمناطق الّتي زارها. انظر ، المقرّي : **نفح الطّيب** ، ج2 ، ص162 ، 163.

(11)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص498 ؛ المقرّي : **نفح الطّيب** ، ج2 ، ص162.

صحِب العديد من أعلام التّصوف شرقا وغربا ، وسعى في طلب التّصوف إلى أن برع فيه [1]، يقول عنه الذّهبي :"ثمّ تزّهّد وتفرّد وتعبّد وتوحّد وسافر وتجرّد ، واتّهم وأُنجد ، وعمل الخلوات وعلّق شيئا كثيرا في تصوف أهل الوحدة "[2].

أخذ عنه العديد من طلبة العلم حيث يقول عنه ابن عبد الملك : " أباح الحمْل عنه لكلّ من أدرك حياته، وأحبّ ذلك، وكان من أهله"[3]،ومن أبرزهم أبو العبّاس بن إبراهيم القنجايري ت627ه/1229م وأبو القاسم محيّ الدّين محمد بن محمد بن سراقة [4]، له عدد كبير من المصنّفات في التّصوف[5]، قدّرها بعضهم بـــ 400 مصنّفا[6]منها"الفتوحات المكّيّة"[7] عشرون مجلّدا و"التّدبيرات الإلهيّة" و"فصوص الحكم"[8] جاهر بن عربي بكثير من آرائه، حيث أحْدث بها ضجّة فكريّة في العالم الإسلامي [9]وإعتُبرت من ضُروب الإلحاد والكُفر، حيث إعتُبر من القائلين بوحدة الوجود [10] وهو القائل :

يَاخَــالِقَ الأَشْيَاءِ فِي نَفْــسِي △ أَنْتَ لِمَا تَــخْــلُقُــهُ جــَامِعُ

تَخْــلُــقُ مَالاَ يَــنْتَهِــي كــَوْنُهُ △ فِيكَ ، فَأَنْتَ الضَّيِّقُ الوَاسِعُ [11]

(1)ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص494.

(2) الذّهبي : **سيّر أعلام النّبلاء** ، ج23 ، ص48 .

(3)ابن عبد الملك : **مصدر سابق** ، س6 ، ص494.

(4) **نفسه.**

(5) للإطّلاع على مؤلّفاته. انظر ، ابن عبد الملك : **نفس المصدر** ، س6 ، ص494 – 496 ؛ الغبريني : **مصدر سابق** ، ص164 -166 ؛ الصّفدي : **مصدر سابق** ، ج4 ، ص126 .

(6) بالنثيا أنخيل : **مرجع سابق** ، ص376 .

(7) طُبع العديد من المرّات، منها طبعة الهيئة المصريّة العامّة للكتاب 1405ه/1985م، تحقيق ، عثمان يحي ، في مجلّدين .

(8) طبعه وحقّقه أبو العلا عفيف ، القاهرة 1946م.

(9) الغبريني : **نفس المصدر** ، ص157 ؛ الصّفدي : **نفس المصدر** ، ج4 ، ص125.

(10) التّفتزاني **مدخل الى التصوف** ، ص201؛ ابن عربي : **فصوص الحكم** ، تحقيق، أبو العلا عفيف ، القاهرة1365ه/1946م ، ص28.

(11)أحمد أمين : **ظهر الإسلام** ،ج3 ، ص76.

وعندما كان يمر بالمدن، إشتدّ عليه العلماء في محاسبته ورموْه بالإلحاد والكُفر وطالبوا بإهدار دمِّه، لولا أن شفع له بعضهم [1]، ويسرد لنا المقرّي في كتابه نفح الطّيب إعترافات بعلمه وتبّحُره في أصناف العلوم وخاصّة الإلهيّات وبذكائه وفصاحته وبيانه وزهده وتصوفه ، وأنّ ما جاء من شطحات وألفاظ على لسانه في كتبه ماهي إلاّ هفوات وألفاظ وكلمات قصّرت أفهام العامّة عن إدراكها [2].

ذاع صيته في المشرق والمغرب ودُرست أشعاره وتُرجمت مؤلّفاته [3]، وقد إعتُبر بن عربي بحقّ صاحب مدرسة صوفيّة، حيث عالج أكبر القضايا الوجوديّة المتمثلة في علاقة الإنسان بخالقه، مستعملاً الرّمز الصوفي وكوَّن مُعجمًا صوفيًّا بألفاظه [4].

7) ابن سبعين عبد الحقّ بن إبراهيم بن محمد بن نصر [5] ت668ه/1269م من أهل مرسية [6] رقوطي الأصل [7]، درس العربيّة والآداب بالأندلس على جماعة من شيوخ مرسيّة [8]، وعلوم القرآن والحديث والفلسفة وتلّقى الصوفيّة على يد أبي إسحاق بن دهاق [9] ، إنتقل إلى سبتة وانتحل التّصوف بإشارة بعض أصحابه وعكف بُرهة على مطالعة كُتبه وأخذ، يتحدّث عمّا فيها من معان، فمالت إليه العامّة وغشيَت محلّه ثمّ أخذ يتجوّل في المغرب على طريقة أهل التّصوف داعيًا إلى طريقته [10]،

(1)الغبريني : **مصدر سابق** ، ص157، 158.

(2) المقرّي : **نفح الطّيب** ، ج2 ، ص178.

(3) فير (weir) : **ابن عربي ، دائرة المعارف الإسلاميّة** ، ج1 ، ص234، 235.

(4) محمد مجيد سعيد : **مرجع سابق** ، ص282.

(5) المقرّي : **نفح الطّيب** ،ج2 ، ص196 ؛ الغبريني : **نفس المصدر** ، ص237 ؛ الصّفدي : **مصدر سابق** ، ج2 ، ص253 ؛ الذّهبي : **تاريخ الإسلام** ، ج49 ، ص283؛ ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج4 ، ص31.

(6) المقرّي : **نفح الطّيب** ،ج2 ، ص196 ؛ الغبريني : **نفس المصدر** ، ص237.

(7)الذّهبي : **تاريخ الإسلام** ، ج49 ، ص283؛ ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج4 ، ص31.

(8)المقرّي : **نفح الطّيب** ،ج2 ، ص196؛ ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج4 ، ص31.

(9) بالنثيا أنخيل : **مرجع سابق** ، ص387.

(10)المقرّي : **نفح الطّيب** ،ج2 ، ص196؛ ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج4 ، ص32.

سكن بجاية مدّة حيث أخذ عنه أهلها العلم والتّصوف [1]، إنتقل بعدها إلى المشرق الإسلامي لأداء فريضة الحجّ، إلاّ أنّه بقيّ هناك مجاورًا مكّة فشاع ذكرُه وعظُم صيتُه وكثُر أتباعه إلى أن توفيّ [2]، يقول عنه الغبريني:

" له علم وحكمة ومعرفة ونباهة وبراعة وبلاغة وفصاحة ... له مشاركة في معقول العلوم ومنقوله " [3].

وكان يتكلم بالألغاز والإشارات وله تسميّات مخصوصات في كتبه[4]، حسن الأخلاق، صبورًا على الأذى ، آيّة في الإيثار[5] ، وقال عنه المقرّي: "صوفي، متفلسف، متزّهد، متقشف، يتكلّم على طريق أصحابه"[6] وعندما كان بالمغرب كُلّف بالردّ على بعض المسائل الصوفيّة الفلسفيّة الّتي أرسل بها فريدريك الثّاني ملك الرّوم في صقيلية إلى علماء سبتة [7]، ممّا يبيّن تضلُعه وإطّلاعه على علوم الفلسفة والتّصوف[8]، وقد أُطلق عليه قُطب الصوفيّة في زمانه[9]، أمّا أتباعه فيُسمَون بالسّبعينيّة [10]، ثار عليهم الفقهاء بسبب

(1)الغبريني : **نفس المصدر** ، ص237.
(2)المقري : **نفح الطيب** ،ج2 ، ص196؛ ابن الخطيب : **الاحاطة** ، ج4 ، ص32.
(3)الغبريني : **نفس المصدر** ، ص237.
(4) **نفسه** : ص237.
(5) المقري : **نفح الطيب** ،ج2 ، ص196
(6) **نفسه** : ج2 ، ص137.
(7) ابن الخطيب : **الاحاطة** ، ج4 ، ص34 ؛ محمد المنوني : **حضارة الموحدين** ، ص69 ؛ التفتزاني : **مدخل الى التصوف** ، ص205 ؛ بالنثيا أنخيل : **المرجع السابق** ، ص389.
(8)ابن الخطيب : **الاحاطة** ، ج4 ، ص34.
(9)المقري : **نفح الطيب** ،ج2 ، ص196؛ بالنثيا أنخيل : **نفس المرجع** ، ص387 .
(10) الصفدي : **المصدر السابق** ، ج2 ، ص283.

ملابسهم وطريقة معيشتهم [1]، وقد إختلف حوله العلماء، حيث إتّهمه بعضهم بالزّندقة والكُفر أمثال، ابن كثير في كتابه، البّداية والنّهاية [2]، والذّهبي في كتابه، تاريخ الإسلام [3].

يقول عنه المقرّي: " ولّما توفرّت دواعي النّقد عليه من الفقهاء، كثُر عليه التّأويل ووُجهت لألفاظه المعاريض وفُكيت موضوعاته ، وتعاورت الوحشة ، وجرت بينه وبين الكثير من أعلام المشرق والمغرب خطوب)[4]، وفي نفس الوقت نجد من يحترمه ويُوقره ويعترف بفضله كالمقرّي والغبريني وابن الخطيب[5]وغيرهم له عدّة مؤلّفات، قُدرت بـــ 62 مصنّفا[6]، منها "بُدَّ العارف"والبدّ بمعنى المعبود ، وكتاب "الدّرج"و"الأجوبة اليمنيّة"و"كتاب الصفر"[7] وغيرها، وأسلوبه في الكتابة يعتمد على الرّمز وتشديد الخفاء والتّعقيد ، ويستخدم أحيانا في كتبه رموزا على طريقة علماء الحروف والأسماء تعبيرا عن مذهبه [8].

وبعد هذا العرض حول التّصوف والمتصوفة يمكن أن نلاحظ، أنّ أغلب المتصوفة لم يستقرّوا في بلدانهم إذ أنّ هدفهم كان المشرق الإسلامي وذلك بهدف الحصول على العلم والتّقرب أكثر من العلماء

---

(1) بالنثيا أنخيل : نفس المرجع ، ص387 ؛ أمين توفيق الطيبي : **دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والاندلس** ، الدار العربية للكتاب تونس 1404ه/1984م، ص263.

(2) ابن كثير عماد الدين : **البداية والنهاية** ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ط1 ، دار هاجر للطباعة مصر 1419ه/1998م، ج13 ، ص261. وخاصة عندما قال ابن سبعين :(لقد تحجر ابن آمنة واسعا بقوله لانبي بعدي) فاعتبروه كفرا وخروجا عن الملة .

(3) الذهبي : **تاريخ الاسلام** ، ج49 ، ص284 – 285.

(4)المقرّي : **نفح الطّيب** ،ج2 ، ص197.

(5) المقرّي : **نفح الطّيب** ،ج2 ، ص198 ؛ ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج4 ، ص34 ؛ الغبريني : **مصدر سابق** ، ص237 ، 238.

(6) التّفتزاني : **مدخل الى التصوف** ، ص207 ؛ نشر منها الدّكتور عبد الرّحمن بدوي رسائله بعنوان " رسائل ابن سبعين "، طبعة الدّار المصريّة للتّأليف والتّرجمة القاهرة1388ه/ 1968م ، كما نشر الأستاذ شرف الدّين بالنّقايا رسالته " جواب صاحب صقيلية " بيروت1360ه/1941م.

(7)ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج4 ، ص35؛ المقرّي : **نفح الطّيب** ،ج2 ، ص202.

(8) التّفتزاني : **ابن سبعين وفلسفته الصّوفيّة** ، ط1 ، دار الكتاب اللّبناني بيروت 1393ه/1973م ص21 وما بعدها ؛ التّفتزاني : **المدخل** ، ص207.

الأعلام في التّصوف ، وكذا أداء فريضة الحجّ مثل، محيّ الدّين بن عربي الّذي أصبح قطب الصوفية في المشرق الإسلامي كما يمكن أن نلاحظ أنّ التّصوف في المغرب والأندلس تميز بظهور :

*– التّصوف السُّنّي والّذي ينقسم إلى قسمين:

أ) تصوف سُنّي زُهدي بسيط، يلجأ أصحابه إلى الانعزال عن المجتمع في الجبال أو بعض المناطق النّائيّة يتعبدون ، يقوموا ببعض الشّعائر التّعبديّة، كالصلاة والصيام والذّكر وقراءة وحفظ القرآن الكريم وأخْذ العلم والتّقشف في المأكل والملبس ، واقتفاء آثار السّلف الصالح مثل جماعة الزّهّاد الّذين لم يكن لهم شأن في السّياسة والحكم .

ب) تصوف سُنّي جهادي، يعتمد فيه أصحابه بالإضافة للعبادات والزّهد في الدّنيا وملّذاتها والتّقشف والقيام بالجهاد ضدّ النّصارى الصليبيّين في الثّغور الأماميّة خاصّة ، ونجدهم في كثير من الأحيان يقيمون في الرُّبط الّتي بُنيت لهذا الغرض وكان منهم، أيوب الفهري ت609ه/1212م، إستُشهد في موقعة حصن العقاب .

*– التّصوف الفلسفي والّذي ينقسم هو الآخر إلى قسمين :

أ) تصوف فلسفي معتدل بالإضافة إلى زهده وتقشُفه وترفُعه عن ملّذات الدّنيا وزُخرفها، إلاّ أنّهم يتناولون القضايا الأخلاقيّة والفلسفيّة ، ويخالطون النّاس ويجالسون العلماء والحكّام ويناظرون من يناظرهم أمثال، محي الدّين بن عربي وغيره .

ب) تصوف فلسفي متشدّد ومغالٍ زاهد في الدّنيا وزُخرفها ، لكن نجده يصطدم بالمجتمع ويرفض كلّ محافظ في الأفكار والأقوال والأفعال ، ينعزل عن المجتمع، لكن يجمع حوله مريدين، مكَونًا مدرسة ، لايستقر في مكان؛ بل يتنقّل بحثا عن الجديد وهروبا من المضايقات الّتي كان الفقهاء والعلماء المعارضين لهم يمارسونها عليهم مثل، ابن قسي .

الخـــاتـــمـــة

خـاتـمـة :

بعد عرضنا لواقع النشاط الفكري والعلمي في مجال العلوم الدينية والإنسانية في بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين توصلت في هذه الدراسة إلى نتائج يمكن إجمالها فيما يأتي :

*1) مثل الاساس الفكري الذي قامت عليه الدولة الموحدية المتمثل في داعيتها الاول محمد بن تومرت أحد المرتكزات المهمة التي كان لها الدور الفعال في تطور وازدهار الحركة العلمية والفكرية ، تجلى ذلك فيمن جاء من الأمراء والولاة الموحدين وولاتهم ،الّذين قاموا بدورهم بدعم هذه الحركة ، إذ نجد أن معظمهم من العلماء والأدباء ومن ذوي الثّقافة الواسعة ، لذلك قدّروا العلماء ورفعوا مترلتهم .

*2) أن مؤسس هذه الدّولة محمد بن تومرت لم يكن ذلك الرّجل البسيط الفقير الّذي لا مال له ولاجاه ، بل كان يحمل مشروع دولة قامت على أنقاض دولة أخرى تختلف عنها في التّفكير وأسلوب التّعامل مع الواقع.

*3) لقد إستطاعت الدّولة الموحدية أن تغير نمط التّفكير عند الإنسان المغربي وتكسر القيود الّتي فرضها عليه الواقع السّياسي السّابق ، وتبني فيه روح الإنتاج والإبداع الفكري الّذي تجلّى في العلماء الذين برزوا وتركوا آثارهم في الفكر الإنساني أمثال إبن طفيل وابن رشد وابن عصفور وابن الأبار وغيرهم.

*4) من السّمات البارزة في العلماء إبان هذه الحقبة هي الشمولية إذ قلما نجد عالما اختص بعلم واحد فقط ، إذ كانت الصفة العامة لهم هي الإهتمام بأكثر من علم ، حتى نجد صعوبة في تحديد اختصاص بعض منهم

*5) إزدهار العلوم على اختلافها إلّا أن العلوم الدّينية إحتلت المرتبة الأولى وذلك لإرتباطها بالأساس الذي أقيمت عليه الدّولة الموحديّة والمتمثل في الفكر الديني لداعيتها محمد بن تومرت .

*6) حاولت الدّولة الموحديّة إيجاد مذهب فقهي مغاير للمذهب المالكي إلا أنها لم تحقق أهدافها ، فظل المذهب المالكي صاحب الصّدارة في بلاد المغرب الإسلامي والأندلس .

*7) دفع رفض حكّام الدّولة الموحديّة لكتب الفروع للمذهب المالكي سعي الفقهاء المالكية لتأصيل المذهب والبحث في كتب الحديث عن الأدلّة الشّرعيّة .

*8) إهتمام الموحدين بالتّأصيل في مجال الفقه والعقيدة أدى إلى ظهور عدد كبير من كتب الحديث وأصول الفقه ودراسة علم الكلام .

*9) أنجبت لنا هذه الحقبة عددا من المؤرّخين والجغرافيّين ممن ذاع صيتهم في عموم العالم الاسلامي أمثال الإدريسي وابن جبير وابن عذارى المرّاكشي وغيرهم.وظهور متخصصين في هذا المجال.

*10) على الرغم من ثقافة حكّام الدّولة الموحديّة وتشجيعهم لكل العلوم ، إلّا أن بعض العلوم لم تلقى رواجا من قبل العامّة مما أثر على الحكّام أنفسهم وتمثلت تلك العلوم في علمي الفلسفة والكلام ،وقد وصلت قمّة هذه المحاربة في نكبة إبن رشد الحفيد وأتباعه .

*11) تطوّر الفكر الصّوفي بسبب الحريّة الفكريّة مما أدى إلى ظهور مدارس لها شيوخها وروادها ، وأصبح علما يدرّس كباقي العلوم .

*12) لم يلتزم العلماء المغاربة والأندلسيون بحدود مدنهم وأدركوا أن أفاقهم المعرفية لن تتطور إلاّ بالرّحلة الى مناطق العالم الإسلامي ولاسيما المشرق والذي يعد قبلة العلم والعلماء فنجدهم يتجهون صوبه وهدفهم الانتهال من علومه ومعارفه .

المــــلاحــــق

الملحق رقم 1

قائمة بأسماء خلفاء الدولة الموحدية

1 - عبد المؤمن بن علي........................(524 - 558هـ / 1129 -1163م).

2 - أبو يعقوب يوسف..........................(558 - 580هـ / 1163 -1184م).

3 - أبو يوسف يعقوب المنصور............... (580 - 595هـ /1184 -1199م).

4 - أبو محمد عبد الله الناصر..................(595 - 610هـ / 1199 -1213م).

5 - أبو يعقوب يوسف المستنصر..............(611 - 620هـ / 1213 -1224م).

6 - عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن.....(620 - 621هـ / 1213 -1224م).

7 - أبو عبد الله بن يعقوب المنصور (العادل) (621 - 624هـ / 1224 -1227م).

8 - يحيى بن الناصر ....(624 - 627هـ / 1227 -1230م).

9 - المأمون بن المنصور........................(627 - 630هـ / 1231 -1232م).

10 - الرشيد بن المأمون بن المنصور.........(630 - 640 هـ / 1232 -1242م).

11 - السعيد علي أبو الحسن ....(640 - 646هـ / 1242 -1248م).

12 - أبو حفص عمر المرتضى ....(646 - 665هـ / 1248 -1266م).

13 - أبو دبوس الواثق بالله.....................(665 - 668هـ / 1266 -1269).

الملحق رقم 2 :

المرشدة لابن تومرت

وهى خلاصة عقيدة التوحيد عنـــد الموحدين

بسم الله الرحمن الرحيم . اعلم – أرشدنا الله وإياك – أن الله عز وجل وحد فى ملكه ، خالق العالم بأسره العلوى والسفلى والعرش والكرسى ، والسموات والأرض وما فيها وما بينهما ، جميع الخلائق مقهورون بقدرته ، لاتتحرك ذرة الإبإذنه ، ليس معه مدبر فى الخلق ، ولا شريك ، حى قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، عالم الغيب والشهادة ، لا يخفى عليه شئ فى الأرض ، ولا فى السماء ، يعلم ما فى البر والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها . ولا حبة فى ظلمات الأرض ، ولا يابس إلا فى كتاب مبين . أحاط بكل شئ علما ، وأحصى كل شئ عددا ، فعال لما يريد ، قادر على ما يشاء له الملك والغنى ، وله العزة والبقاء ، وله الحمد والثناء ، وله الأسماء الحسنى لا دافع لما قضى ، ولا مانع لما أعطى ، يفعل فى ملكه ما يريد ، ويحكم فى خلقه ما يشاء ، لا يرجو ثواباً ولا يخاف عقاباً ، ليس عليه حق ولا عليه حكم ، فكل نعمة منه فضل ، وكل نقمة منه عدل ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون . موجود قبل الخلق ، ليس له قبل ولا بعد ولا بعد ولا فوق ولا تحت ولا يمين ولاشمال ولاأمام ولا خلف ولاكل ولابعض ، ولايقال متى كان ولا أين كان ولاكيف كان ، كون الأكوان ، ودبر الزمان ، لا يتقيد بالزمان ولا يختص بالمكان ولا يلحقه وهم ، ولا يكفيه عقل ولا ينحصر فى الذهن ولا يتمثل فى النفس ،ولا يتصور فى الوهم ،ولايتكيف فى العقل لا تلحقه الأوهام والافكار جل عن الشبيه والنظير ،ليس كمثله شئ وهو وهو السميع البصير. [1]

(1) ابن تومرت : **أعز مايطلب** ، ص226. ابن قنفد القسنطيني : **الفارسية في مباديء الدولة الحفصية** ، ص 211- 212.

الملحق رقم 3 :

صيغة التوحيد التي وضعها ابن تومرت لأتباعه

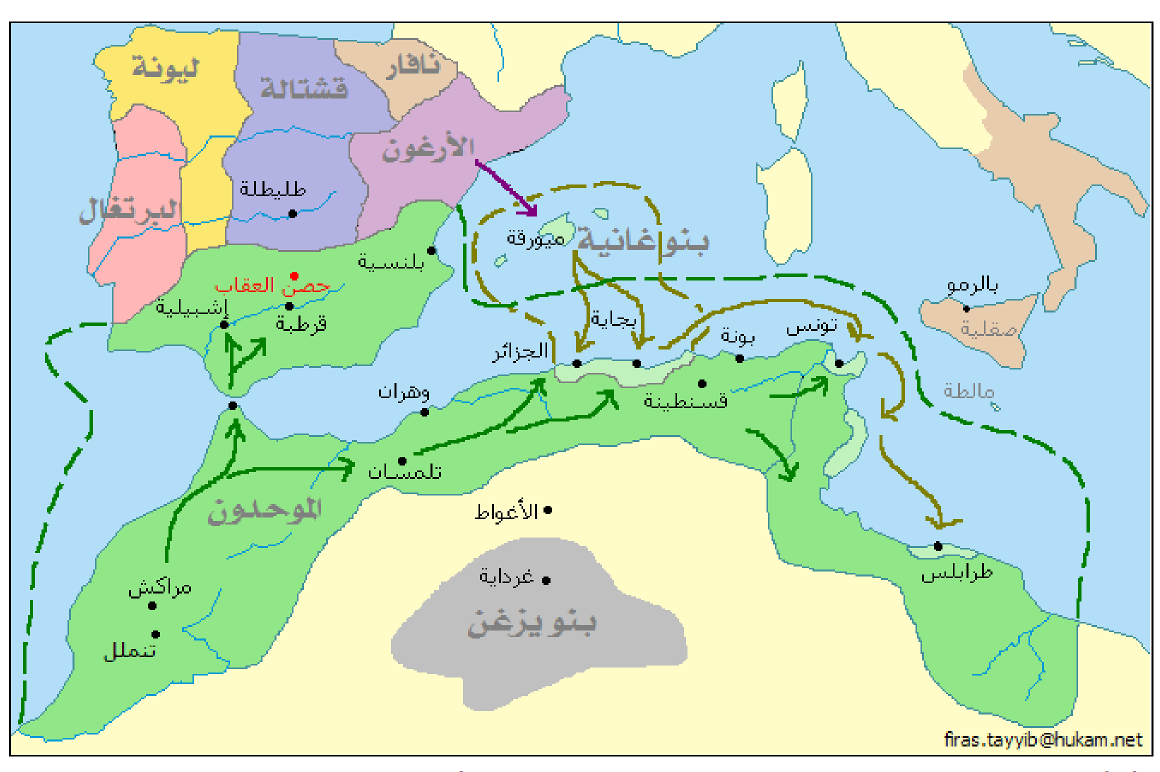
توحيد الباري سبحانه وتعالى

لاإله إلا الذى دلت عليه الموجودات ، وشهدت عليه المخلوقات ، بأنه جل وعلا ، وجب عليه الوجود على الإطلاق، من غير تقييد ولا تخصيص، بزمان ولامكان، ولاجهة ولا حد ، ولا جنس ولاصورة ولا شكل، ولامقدار ولاهيئة ولاحال ، أول لايتقيد بالقبلية ، آخر لايتقيد بالبعدية، أحد لايتقيد بالأينية ، صمد لايتقيد بالكيفية ، عزيز لايتقيد بالمثلية ، لاتحده الأذهان ، ولاتصوره الأوهام ، ولاتلحقه الأفكار ، ولاتكيفه العقول ، لايتصف بالتحيز والانتقال ، ولايتصف بالتغير والزوال، ولايتصف بالجهل والاضطرار ، ولايتصف بالعجز والافتقار، له العظمة والجلال ، وله العزة والكمال، وله العلم والاختيار ، وله الملك والاقتدار ، وله الحياة والبقاء ، وله الأسماء الحسنى ، واحد فى أزليته ، ليس معه شىء غيره ولا،وجود سواه ، لا أرض ولا سماء ولاماء ولاهواء ، ولا خلاء ولا ملاء ، ولانور ولاظلام ، ولاليل ولانهار، ولا أنيس ولاحسيس، ولا رز ولاهميس ، إلا الواحد القهار ، انفرد فى الأزل بالوحدانية ، والملك والألوهية ، ليس معه مدبر فى الخلق ، ولاشريك فى الملك ، له الحكم والقضاء ، وله الحمد والثناء ، ولا دافع لما قضى ، ولامانع لما أعطى ، يفعل فى ملكه ما يريد ، ويحكم فى خلقه ما يشاء ، لايرجو ثواباً ، ولايخاف عقاباً ، ليس فوقه آمر قاهر ، ولامانع زاجر ، ليس عليه حق ، ولاعليه حكم، فكل منة منه فضل، وكل نقمة منه عدل، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون. [1]

---

(1) ابن تومرت : **المصدر السابق** ، ص225 – 226.

الملحق رقم 4

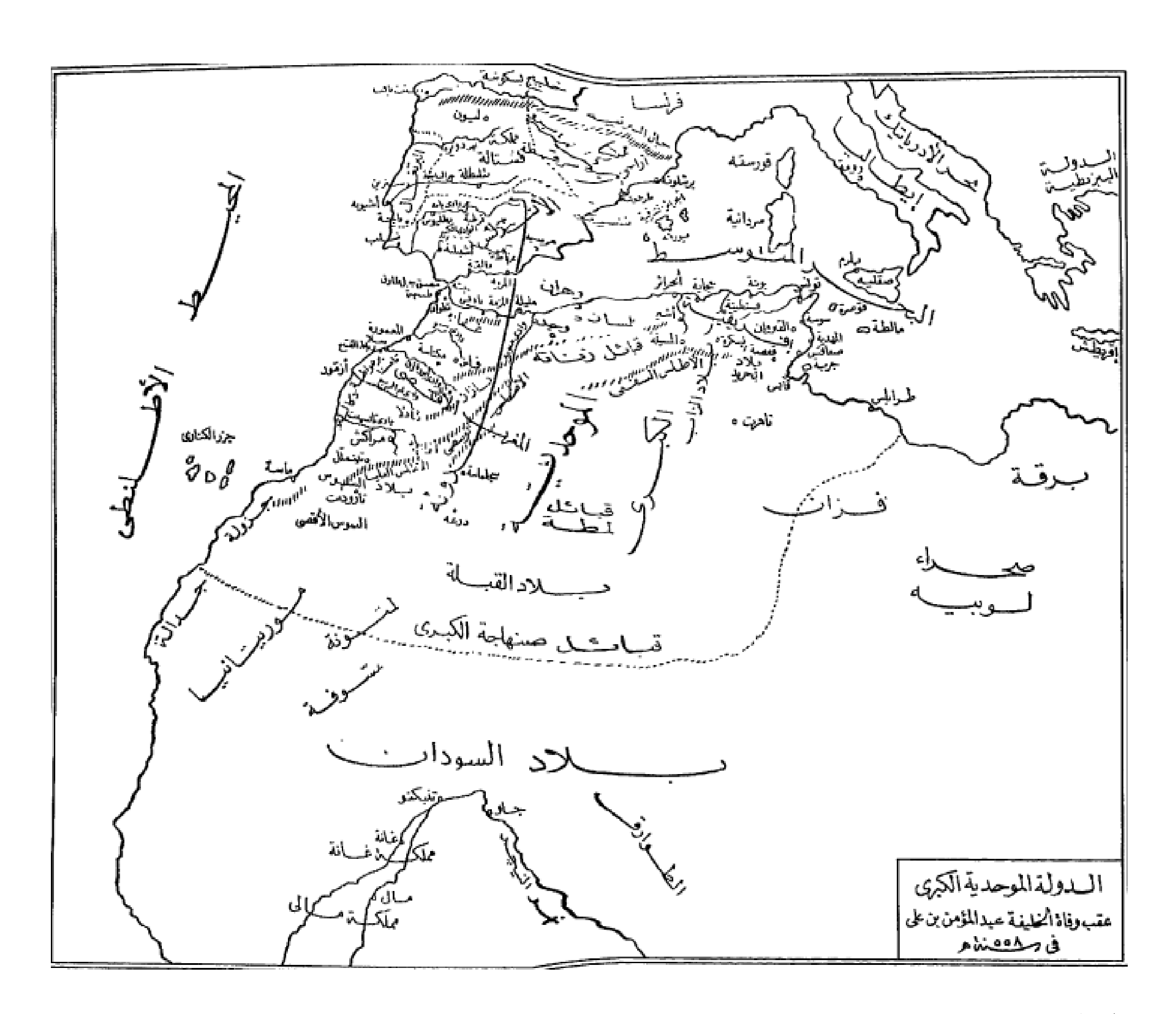


الموحدون و بنو غانية

الصراع بين الموحدين وبني غانية في شمال إفريقية في القرن الثالث عشر للميلاد



الملحق رقم 5 :



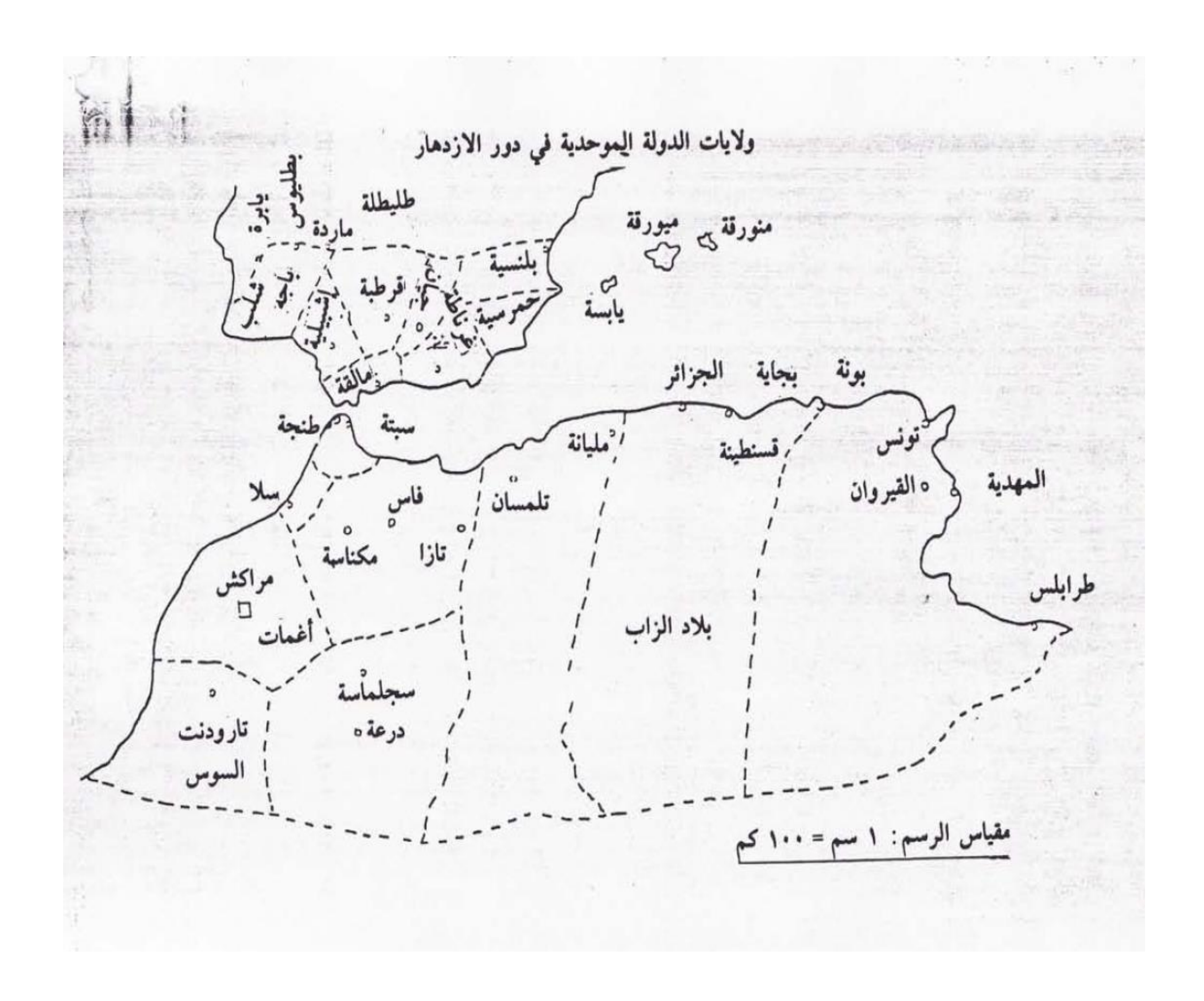
(1) ملحق رقم

---

(1) عبد الله عنان : المرجع السابق ، ج2 ،ص7.

الملحق رقم 6 :

ولايات الدولة الموحدية [1]



(1) نقلا عن عز الدين عمر موسى : المرجع السابق ،ص 176.

الملحق رقم 7

مسجد تينملل في جبال الاطلس بالمغرب الاقصى



الملحق رقم 8

مسجد تينملل في جبال الاطلس بالمغرب الاقصى



الملحق رقم 9

محراب مسجد تينملل



المصادر والمراجع

المصادر :

*ـــ **القرآن الكريم.**

*ـــ إبن الأبار الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله أبي بكر القضاعي ت658ه/1260م

1) **التكملة لكتاب الصلة،** تحقيق : عبد السلام الهراس ، دار الفكر بيروت 1415ه/1995م

2) **الحلة السيراء،** تحقيق حسين مؤنس ، دار المعارف القاهرة 1405هـ/1985م

3) **المعجم في أصحاب القاضي الصدفي** ، تحقيق : ابراهيم الابياري ، ط1 ، دار الكتاب اللبناني بيروت 1410ه/1989م

4) **تحفة القادم** ، إعداد وتعليق :إحسان عباس ، ط1 ، دار الغرب الاسلامي بيروت ، 1406ه/.1986

5) **المقتضب من كتاب تحفة القادم** ، إختيار وتقييد : أبو إسحاق إبراهيم بن محمد البلفيقي ،بتحقيق : ابراهيم الابياري ، ط2، دار الكتاب اللبناني بيروت 1402ه/1982م.

*ـــ ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد ت630ه/1233م.

6) **اللباب في تهذيب الانساب** ، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن ، دار الكتب العلمية بيروت 1420ه/2000م

7) **الكامل في التاريخ** ، ط4 ، دار الكتاب العربي بيروت 1403ه/1983م

*ـــ الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد ت560ه/1165م.

8)**القارة الافريقية وجزيرة الاندلس " مقتبس من كتاب نزهة المشتاق "** ،تحقيق اسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1403ه/1983م

9) **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** ،ط1 ، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة 1422ه/2002

*ـــ إبن أبي أصيبعة موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم ت668ه/1270م:

10) **عيون الانباء في طبقات الاطباء** ، تحقيق : نزار رضا ، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت (د. ت)

*ـــ إبن الباذيش أبو جعفر أحمد بن علي ت540ه/1146م :

11) **الاقناع في القراءات السبع** ، تحقيق : عبد المجيد قطاش ، جامعة أم القرى الرباط1382ه/ 1982م

*ـــ إبن بشكوال أبو القاسم خلف ابن عبد الملك ت578ه/1182م :

12) **كتاب الصلة** ،تحقيق : ابراهيم الابياري ، ط1 ،دار الكتاب المصري 1410ه/1989م

*ـــ إبن بطوطة شمس الدين محمد بن عبد الله اللواتيت 779ه/1377م :

13) **رحلة ابن بطوطة** (تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار) ، تحقيق : محمد عبد المنعم العريان ، ط1 ، دار إحياء العلوم بيروت 1407ه/1987م.

*ـــ البكري ابي عبيد عبد الله بن عبد العزيز ت487ه/1094م:

14) **المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب** (وهو جزء من كتاب المسالك والممالك) ،دار الكتاب الاسلامي القاهرة (د. ت) .

15) **المسالك والممالك** ، تحقيق ، جمال طلبة ، ط1 ، دار الكتب العلمية بيروت 1422ه/2002م

* ـــ البيذق أبو بكر علي الصنهاجي توفي في القرن 6ه:

16) **المقتبس من كتاب الانساب في معرفة الاصحاب** ، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور ،دار المنصور الرباط المغرب 1391ه/1971م

17) **كتاب أخبار المهدي بن تومرت** ، تحقيق : عبد الحميد حاجيات ، الرغاية الجزائر 1432ه/ 2011م

*ـــ التادلي أبو يعقوب يوسف بن يحي بن عيسى بن عبد الرحمن ت627ه/1230م.

18) **التشوف الى رجال التصوف،** تحقيق : أحمد التوفيق ، ط2 ، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء المغرب ،1418ه/ 1997م،

*ـــ ابن تغري جمال الدين أبي المحاسن يوسف ت874ه/1470م:

19) **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،** تقديم وتعليق، محمد حسين شمس الدين ، ط1 ، دار الكتب العلمية بيروت 1413ه/1992م

*ـــ التميمي ابو عبد الله محمد بن قاسم بن عبد الرحمن الفاسي ت603ه1207م:

20) **المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد،** تحقيق : محمد الشرف ، ط1 ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية تطوان المغرب1423ه/ 2002م.

*ـــ التنبكتي أبو العباس أحمد بابا بن أحمدبن عمر ت1036ه/1627م:

21) **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج،** تحقيق محمد مطيع ، ط1 ، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية المغرب ، 1421ه/2000م.

22) **نيل الابتهاج بتطريز الديباج** ، إشرف وتقديم : عبد الحميد الهرامة ، ط1 ، منشورات كلية الدعوة الاسلامية طرابلس ليبيا 1398ه/1389م

*ـــ ابن تومرت أبو عبد الله محمد ت524ه/1130م :

23) **أعز ما يطلب** ، تحقيق : عمار طالبي ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1405ه/1985م

*ـــ التيجاني عبد الله بن محمد ت717ه/1317م:

24) **رحلة التيجاني** ، الدار العربية للكتاب ليبيا تونس ،1401ه/1981م

*ـــ إبن تيمية تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ت728ه/1328م :

25) **مقدمة في أصول التفسير** ، تحقيق : عدنان زرزور ، ط2 ، مؤسسة الرسالة بيروت 1392ه/1972م

*ـــ إبن جبير أبو الحسين محمد بن أحمد ت 614ه/1217م:

26) **رحلة ابن جبير** ، تحقيق :حسين ناصر ، ط1 ، دار مصر للطباعة القاهرة (د.ت) .

*إبن الجزري شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد ت833ه/1430م :

27) **منجد المقرئين ومرشد الطالبين** ، ط1 ، دار الكتب العلمية بيروت 1420ه/1999م

28) **النشر في القراءات العشر**، مراجعة وتصحيح : علي محمد الصباغ ،دار الكتب العلمية بيروت (د.ت)

29) **غاية النهاية في طبقات القراء** ، ط1 ، دار الكتب العلمية بيروت ، 1427هـ/2006م

*ـــ الجزنائي أبو الحسن علي ت أواخر القرن الثامن الهجري:

30) **جني زهرة الآسفي بناء مدينة فاس**، تحقيق : عبد الوهاب بن منصور ، ط2 ، المطبعة الملكية الرباط المغرب 1411ه/1991م

*ـــ إبن الجوزي عبد الرحمان بن علي بن محمد أبو الفرج ت597ه/1201م :

31) **المنتظم في تاريخ الملوك والامم**، تحقيق :محمد عبد القدر عطا ،مصطفى عبد القادر عطا ، ط1 ، دارالكتب اللبنانية بيروت 1412ه/1992م.

*ـــ حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله ت1067ه/1657م:

32) **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** ، دار إحياء التراث العربي بيروت (د.ت)

*ـــ ابن حجر العسقلاني شهاب الدين أحمد بن علي ت 852ه/1448م :

33) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ط1 ، دار إحياء التراث العربي بيروت (د.ت).

34) لسان الميزان ، بعناية : عبد الفتاح أبو غدة ،ط1، دار البشائر بيروت 1422ه/2002م

العلمية بيروت 1412ه/1992م

*ـــ الحُميدي مأبو عبد الله محمد بنأبي نصر فتوح بن عبد الله ت 488ه/1095م:

35) جذوة المقتبس في تاريخ علماء الاندلس ، تحقيق : بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد ، ط1 ، دار الغرب1429ه/2008م

*ـــ الحميري أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم توفي في القرن 8ه:

36)الروض المعطار في خبر الاقطار، ط 2 ، مكتبة لبنان بيروت1405هـ/ 1984م

*ـــ ابن حوقل ابي القاسم النصيبي ت367ه/977م:

37) كتاب صورة الارض ،مكتبة الحياة بيروت 1412ه/1992م

*ـــ الخزرجي أبي عبدة ت582ه/1186م:

38) بين الاسلام والمسيحية ، تحقيق : محمد شامة ، ط2 ، مكتبة وهبة القاهرة 1395ه/1975م

*ـــ إبن الخطيب لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني ت776ه/1374م :

39) اعمال الاعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام ،القسم الثالث ، نشره : أ.ليفي بروفنصال، نشره تحت عنوان : **تاريخ إسبانيا الاسلامية** ،ط2 دار المكشوف بيروت 1375ه/ 1956م

40) الاحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق : محمد عبد الله عنان ،ط1،مكتبة الخانجي القاهرة 1397هـ/1977م

41) رقم الحلل في نظم الدول ، المطبعة العمومية تونس ، 1316هـ/1899 م.

42) اللّمحة البدرية في الدّولة النّصريّة ، تحقيق، محمد مسعود جبران ، ط1، دار المدار الإسلامي1430 هـ/2009م

43) تاريخ المغرب العربي (القسم الثالث من كتاب أعمال الاعلام)، تحقيق :أحمد مختار العبادي ،محمد ابراهيم الكتاني ،دار الكتاب الدار البيضاء 1383ه/1964م.

*ـــ الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ت 463ه/1071م :

44) **الرحلة في طلب العلم** ، تحقيق : نور الدين عتر ، ط1 ،دار الكتب العلمية بيروت ، 1395ه/1975م.

45) **تارخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها** ،(تاريخ بغداد)، تحقيق : بشار عواد معروف ، ط1، دار الغرب الاسلامي بيروت ، 1422ه/2001م.

*ــ إبن خلدون أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ت 808ه/1406م :

46) **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد** ، مطبعة بيير بونطانا الشرقية الجزائر 1331ه/1903م

47)**كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر وأيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر** ، دار الكتاب اللبناني بيروت 1401ه/ 1981م.

48) **المقدمة** ، دار الكتاب اللبناني بيروت ،1402ه/ 1982م

*ــ إبن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ت681ه/1282م :

49) **وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان** ،تحقيق : احسان عباس ، دار صادر بيروت 1414ه/ 1994م

*ــ إبن خير أبو محمد بن خير بن عمر بن خليفة الاشبيلي ت575ه/1179م :

50) **فهرسة ابن خير الاشبيلي** ، وضع حواشيه : محمد فؤاد منصور ، ط1 ، دار الكتب العلمية بيروت 1419ه/1998م ،

*ــ الداني أبو عمرو عثمان بن سعيد ت444ه/1052م :

51) **التيسير في القراءات السبع** ، تحقيق : حاتم صالح الضامن ، ط1 ، مكتبة التابعين القاهرة 1429ه/ 2008م

*ــ الداوودي شمس الدين محمد بن علي بن أحمد ت945ه/1538م :

52) **طبقات المفسرين** ، تحقيق : علي محمد عمر ، ط1 ، مكتبة وهبة القاهرة مصر 1392ه/1972م

*ــ الدباغ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الانصاري ت696ه/1297م:

53) **معالم الايمان في معرفة أهل القيروان** ، تحقيق : محمد الاحمدي عبد النور ومحمد ماضور ، مكتبة الخانجي مصر ،1388ه/ 1968م.

*ــ إبن دحية أبي الخطاب عمر بن حسن ت633ه/1236م :

54) المطرب من أشعار أهل المغرب ،تحقيق ، ابراهيم الابياري وآخـــرون ، ط1 ، دار العلـــم للجميـــع بيروت، 1374ه/1955م .

*ــ إبن أبي دينار أبو عبد الله محمد بن ابي القاسم الرعيني 1110ه/1699م:

55) المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ،ط1 ، تونس 1286 ه/1870م

*ــ الذهبي شمس الدين أبي عبد الله بن قايماز ت748ه/1347م :

56) الامصار ذوات الآثار ، تحقيق : محمود الأرناؤوط ، ط1 ، دار ابـــن كـــثير بـــيروت ودمشـــق ، 1405ه/1985م ،

57) المستلمح من كتاب التكملة ، تحقيق : بشار عواد معروف ، ط1 ، دار الغرب الاسلامي تونس1429ه/2008

58) تاريخ الاسلام ووفايات المشاهير والاعلام ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، ط 2 ، دار الكتاب العربي بيروت 1410ه/1990م .

59) تذكرة الحفاظ ، ط3 ، دار الكتب العلمية بيروت ،1377ه/1958 م

61) **دول الاسلام** ، تحقيق : حسن اسماعيل مروة ، ط1 ، دار صادر بيروت لبنان1420ه/ 1999م

60) سير أعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الارنؤوط ،محمد نعيم العرقسوسي ، ط1 ، مؤسســـة الرســـالة بيروت ،1405ه1984م

61) طبقات القراء ، تحقيق : أحمد خـــان ، ط1 ، مركـــز الملـــك فيصـــل للبحـــوث والدراســـات 1418ه/1997م

62) معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار ، تحقيق : محمد بن حسن الشـــافعي ، دار الكتـــب العلمية بيروت 1418ه/1997م.

*ــ الرعيني ابو الحسن علي بن محمدبن علي ت 666ه/1268م:

63) برنامج شيوخ الرعيني ، تحقيق : ابراهيم شبوح ، وزارة الثقافـــة والارشـــاد القـــومي دمشـــق ، 1381هــ/ 1962م.

*ــ ابن الزبير أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي ت707ه/1308م :

64) صلة الصلة ، تحقيق : شريف أبو العــلا العــدوي، ط3 ، مكتبــة الثقافــة الدينيــة القــاهرة، 1429هـ/2008 م

*ـــ إبن أبي زرع أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي توفي بعد 726ه/1326م :

65) الانيس المطرب في روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، الرباط 1392ه/ 1972 م،

66) الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ، ط1 ، دار المنصور الرباط المغرب 1392ه/1972م

*ـــ الزركشي بدر الدين محمد بن جهاد ت794ه/1392م :

67) البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط3 ، دار التراث القاهرة 1404ه/1984م

*ـــ الزركشي أبو عبد الله محمد بن ابراهيم ابن عبد الله 894ه/1489م :

68) تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تحقيق : محمد ماضور، ط2 ،تونس1386ه/ 1966م

*ـــ الزهري محمد بن ابي بكر الغرناطي توفي في أواسط القرن السادس الهجري:

69) كتاب الجغرافيا ، تحقيق : محمد حاج صادق ، ط1 ، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة (د.ت)

*ـــ السبكي أبو نصر تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي ت 771ه/1370م :

70) طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : محمود محمد الطناحي و عبد الفتاح محمد الجلو ، ط1 ، دار إحياء الكتب العربية بيروت 1383ه/1964م

71) معيد النعم ومبيد النقم ، ط2 ، دار الحداثة بيروت 1405ه/1985م

*ـــ ابن سعيد المغربي أبو الحسن علي بن محمد ت685ه/1286م:

72) الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة ، تحقيق ابراهيم الابياري،دار المعارف مصر (د.ت)

73) اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى ، تحقيق : ابراهيم الابياري ، ط2 ، دار الكتــاب اللبنــاني بيروت ، 1400ه/ 1980م،

74) المغرب في حلي المغرب ،تحقيق : شوقي ضيف ، ط 4 ،دار المعارف القاهرة 1384ه/ 1964م.

*ـــ أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني ت562ه/1167م :

75) أدب الاملاء والاستملاء ، دار الكتب العلمية بيروت (د.ت)

76) الانساب ، إشراف : رياض مراد و مطيع الحافظ ، ط1 ، مكتبة ابن تيمية القاهرة 1405ه/1984م.

*ـــ السلاوي شهاب الدين أحمد بن خالد الناصري ت1315ه/1897م :

77) الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى ، تحقيق : جعفر الناصر ومحمد الناصري ، دار الكتاب الدار البيضاء المغرب 1374ه/1954م

*ـــ السهروردي عمر بن محمدبن عبد الله ت632ه/1235م:

78) عوارف المعارف ، ط2 ، دار الكتاب العربي بيروت 1403ه/1983م.

*ـــ السيوطي جلال الدين عبد الرحمن ت911ه/1505م:

79) الاتقان في علوم القرآن ، تحقيق : مركز الدراسات القرآنية ، نشره مجمع الملـــك فهـــد لطباعـــة المصحف الشريف السعودية 1426ه/2005م.

80) حسن المحاضرة في تارخ مصر والقاهرة ، تحقيق :محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط1 ، دار إحياء الكتب العربية سوريا 1387ه/1967م

81) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابـــراهيم ،ط2 ، دار الفكـــر القاهرة مصر ، 1399هـــ /1979م

82) طبقات الحفاظ ، ط1 ، دار الكتب العلمية بيروت ، 1403ه/1983م

*ـــ أبوشامة شهاب الدين عبد الرحمن المغربي665ه/1267م :

83) المرشد الوجيز الى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ، تحقيق : ابراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلميـــة بيروت1424ه/ 2003م .

*ـــ الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ت548ه/1153م:

84) الملل والنحل ، صححه : أحمد فهمي محمد ، ط2 ، دار الكتب العلمية بيروت 1413ه/1992م

*ـــ الشيرازي ابي إسحاق الشافعي ت476ه/1083م:

85)طبقات الفقهاء ، تحقيق : إحسان عباس ، دار الرائد العربي بيروت (د. ت).

*ـــ إبن صالح أبو عمر وعثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري ت642ه/1244م:

86) علوم الحديث ، تحقيق نور الدين عتر ، ط1 ، دار الفكر دمشق سورية 1406ه/1986 م

*ـــ إبن صاحب الصلاة ، عبد الملك محمد بن أحمد بن محمد توفي أواخر القرن السادس الهجري.

87) **تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم أئمة وجعلهم الوارثين** ، تحقيق : عبد الهادي التازي ، دار الاندلس بيروت1383ه/1964م

*ـــ صاعد أبي القاسم بن أحمد صاعد الاندلسي ت462ه/1070م :

88) **كتاب طبقات الامم** ، نشره :الاب لويس شيخو اليسوعي ، المطبعة الكاثوليكية للأباء الياسوعيين بيروت1361ه/ 1942م

*ـــ الصيرفي رزق الله منقريوس :

89) **تاريخ دول الاسلام** ، مطبعة الهلال مصر 1326ه/1908م

*ـــ الصفدي صلاح الدين بن خليل بن أيبك ت 764ه/1363م:

90) **الوافي بالوفايات** ، تحقيق أحمد الارناؤوط و تركي مصطفى ، ط1 ،دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان 1420هـــ /2000م،

*ـــ الضبي أحمد بن يحي بن عميرة ت599ه/1203م :

91) **بغية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس** ، دار الكتاب العربي 1386ه/1967م

* ـــ ابن الطحان عبد العزيز بن علي أبو حميد ابن الاصبغ ت 559ه/1164م :

92) **نظام الأداء في الوقف والإبتداء**، تحقيق علي حسن البواب، ط1، مكتبة المعارف الرياض،(د.ت).

*ـــ إبن طملوس يوسف بن محمد 620ه/1223م:

93) **المدخل لصناعة المنطق** ، بعناية : ميكائيل أسين بلاثيوس ، المطبعة الابيرقة مجريط1334ه/1916م

*ـــ عبد الله أبي بكر بن محمد المالكي توفي بعد 464ه/1072م :

94) **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفرقية** ، تحقيق ، بشير البكوش ، ط2 ، دار الغرب الاسلامي بيروت 1414ه/1994م.

*ـــ ابن عبد البر أبو عمر بن يونس القرطبي ت 463ه/1071م:

95)**الاستيعاب في معرفة الاصحاب** ، صححه وخرج أحاديثه : عادل مرشد ، ط1 ، دار الاعلام الاردن1423ه/2002م

*ـــ إبن عبد الملك المراكشي أبي عبد الله محمد بن محمد ت703ه/1304م :

96) **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة** ،

السفر 1 تحقيق : محمد بن شريفة ، دار الثقافة بيروت (د .ت)

السفر 4 ، 5 ، 6 ، تحقيق : إحسان عباس ، دار الثقافة بيروت 1384ه/1965 م

السفر 8 ، تحقيق : محمد بن شريفة ، أكادمية المملكة المغربية المغرب1404ه/ 1984م .

*ــ العبدري محمد بن محمد ابو عبد الله توفي نحو700ه/1301م :

97) **رحلة العبدري** ، تحقيق : محمد فاسي ، ط1 ، طبعة وزارة الشؤون الثقافية الرباط1388ه/1968م

*ــ إبن عذارى أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي توفي بعد 712ه/1312م:

98) **البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب** ،تحقيق : ح.س.كولان و ليفي بروفنسال ، ط3 ،دار الثقافة بيروت 1403ه/1983م (الجزء 1، 2، 3)

99) **البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب**، تحقيق: إحسان عباس،ط3 ، دار الثقافة بيروت 1403ه/1983م (ج4)

100) **البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب (قسم الموحدين)** ، تحقيق : محمد إبراهيم الكتاني وآخرون ،ط 1، دار الغرب الاسلامي بيروت 1406ه/1985م

*ــ إبن عربي محمد بن علي بن محي الدين ت 638ه/1241م:

101) **رسالة روح القدس في مناصحة النفس ، تقديم** : بدوي طه علام ، ط1 ، دار عالم الفكر 1409ه/1989م

102) **الفتوحات المكية** ، تحقيق : عثمان يحي ، ط2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 1405ه/1985م

103) **روح القدس في مناصحة النفس** ، شرح وجمع : محمود محمود الغراب ، ط2 ،مطبعة نضر 1414ه/1994م.

*ــ إبن عساكر الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن إبن هبة الله الشافعي ت571ه/1176م :

104) **تاريخ مدينة دمشق** ، تحقيق ، محب الدين العمروي ، ط1 ، دار الفكر بيروت1418ه/1997م.

*ــ إبن عسكر ابي عبد الله ت636ه/1239م و ابن خميس ابي بكر 642ه/1244م :

105) أعلام مالقة ، تحقيق : عبد الله المرابط الترغي ، ط1 ، دار الغرب الاسلامي بيروت ، 1420ه/1999م

*ــ ابن العماد شهاب الدين عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي الدمشقي ت 1089ه/1678م :

106) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،تحقيق : محمد الأرناؤوط ، ط 1 ، دار ابن كـثير بـيروت 1406ه/1986م

*ــ العُمَري أبي فضل الله شهاب الدين أحمد بن يحي ت749ه/1348م :

107) مسالك الابصار في ممالك الامصار ، تحقيق: كامل سلمان جبوري ،ط1 ،دار الكتـب العلميـة بيروت لبنان1431ه/ 2010م

*ــ القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي ت544ه/1149م:

108) الغُنية (فهرست شيوخ القاض عياض) ، تحقيق ، ماهر زهير جرار ، ط1 ،دار الغرب الاسلامي بيروت 1402ه/ 1982م

109) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، تحقيق ، عبد القادر الصحراوي ، ط2 ، مطبعة الفضالة المحمدية المغرب1403ه/ 1983م ،(ج2 ، 3، 4)

- **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تحقيق : محمد بن شريفة، ط2 ، مطبعة الفضالة المحمدية المغرب1403ه/ 1983م ج(5)

- **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك** ،تحقيق :سعيد أحمدأعراب، ط2 ، مطبعة الفضالة المحمدية المغرب1403ه/ 1983م (ج،6،7،8)

*ــ إبن غازي العثماني أبي عبد الله محمد ابن أحمد بن محمد المكناسي ت910ه/1504م

110) الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون ، ط1 ،مطبعة الامنية الرباط ،1371ه/1952م

*ــ الغبريني أحمد بن أحمد بن عبد الله ت704ه/1305م :

111) عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تحقيق : عادل نـويهض ، ط2 ، منشورات دار الافاق الجديدة بيروت1399ه/ 1979م.

*ــ الغرناطي أبي حامد محمد بن عبد الله 565ه/1170م:

112) تحفة الالباب ونخبة العجاب ، تحقيق : علي عمر ،ط 1 ، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة 1423ه/2003م

*ـــ الغزالي أبي حامد محمد بن محمد ت505ه/1112م :

113)**إحياء علوم الدين** ، دار المعرفة بيروت (د.ت)

114) **المستصفى في علم الاصول،** تحقيق حمزة بن زهير حافظ، ط1، شركة المدينة المنورة للطباعة (د.ت)

*ـــ أبو الفدا عماد الدين إسماعيل بن أيوب ت732ه/1332م :

115) تاريخ أبو الفدا ، المسمى (**المختصر في أخبار البشـــر**) ، ط1 ، المطبعـــة الحســـينية المصـــرية ، 1325ه/1907م

*ـــ إبن فرحون ابراهيم بن نور الدين المكي ت799ه/1397م :

116) **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب** ، تحقيق : مأمون بن محي الدين الجنان ، ط1 ،دار الكتب العلمية بيروت ، 1417هـــ /1996م

*ـــ ابن الفرضي أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الازدي ت 403ه/1013م:

117) **تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس** ، تحقيق : عزت العطار الحسيني ، ط2 ،مطبعة المدني القاهرة 1408ه/1988م

*ـــــ الفيروز أباد مجد الدين محمد ت817ه/1414م:

118) **البُلغَة في تراجم أئمة النحو واللغة،** تحقيق محمد المصري ، ط1، دار سعد الدين للطباعة والنشـــر والتوزيع دمشق 1421ه/2000م

*ـــ القشيري عبد الكريم بن هوزان أبو القاسم ت 465ه/1073م:

119) **الرسالة القشيرية في علم التصوف** ، تحقيق : عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف ، ط1 ، دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر القاهرة 1409ه/1979م.

*ـــ ابن القطان علي بن محمد بن عبد الملك ت628ه/1231م :

120) **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان** ، تحقيق،محمود علي المكـــي ، ط1 ، دار الغـــرب الاسلامي بيروت 1410ه/ 1990م.

*ـــ القفطي جمال الدين أبو الحسن علي بن القاضي الاشرف يوسف ت646ه/1248م :

121) **أنباه الرواة على أنباء النحاة** ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط1 ، دار الفكر العربي القاهرة ، 1406ه/1986م

*ـــ القلانسي ابي يعلى حمزة 555ه/1160م:

122) **ذيل تاريخ دمشق** ، بيروت 1326ه/1908م.

*ـــ إبن قنفذ القسنطيني ابو العباس أحمد بن حسنإبن علي الخطيب ت810ه/1407م :

123) **الفارسية في مباديء الدولة الحفصية** ، تحقيق : محمد الشادلي النيفر و عبد المجيد التركي ، الـــدار التونسية للنشر تونس1388ه/1968م

124) **أنس الفقير وعز الحقير** ،إعتنى بنشره :محمد الفاسي و أدولف فور ، منشورات المركـــز الجـــامعي للبحث العلمي الرباط1385ه/1965م

125) **الوَفيات** ، تحقيق ، عادل نويهض ، ط4 ، دار الآفاق الجديدة بيروت1403ه/ 1983م

*ـــ كُتَّاب الدولة الموحدية .

126)**مجموعة رسائل موحدية من انشاء كُتَّاب الدولة المؤمنية** ، اعتنى بإصدارها أفريست ليفي بروفنسال ، المطبعة الاقتصادية رباط الفتح المغرب1360ه/1941م

*ـــ الكتبي صلاح الدين محمدبن شاكر بن أحمد ت764ه/1363م:

127) **فوات الوفيات** ،تحقيق إحسان عباس ، دار صادر بيروت1393ه/1973م

*ـــ إبن كثير عماد الدين اسماعيل ت 774ه/1393م :

128) **البداية والنهاية** ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ط1 ، دار هـــاجر للطباعـــة مصـــر 1419ه/1998م

*ـــ الكلاباذي ابو بكر محمد بن إسحاق البخاري ت380ه/990م:

129) **التعرف لمذهب أهل التصوف** ، تحقيق : عبد الحليم محمودطه وعبد الباقي سرور ، دار إحياء الكتب العربية مصر

*ـــ محمد بن أحمد بن غازي المكناسي ت910ه/1505م :

الرّوض الهتون في أخبار مكناسة الزّيتون ، الرّباط 1371ه/1952م .

*ـــ مجهول :

130) **الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية** ، مؤلفه أندلسي عاش في القرن الثامن الهجري ، تحقيق : سهيل زكار وعبد القادر زمامة ،ط1 دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء المغرب 1399هـــ/ 1979م .

*ـــ مجهول :

131) **كتاب الاستبصار في عجائب الامصار** ، نشر وتعليق : سعد زغلول عبد الحميد ، دار الشؤون الثقافية بغداد العراق 1406ه/ 1986م.

*ـــ مجهول صاحب الكتاب كان حيا في القرن الثامن هجري :

132) **مفاخر البربر** ، دراسة وتحقيق ، عبد القادر بوباية ، ط2 ، دار أبي رقراق للطباعة والنشر الرباط المغرب ،1429ه/ 2008م

*ـــ محمد بن أحمد بن غازي المكناسي :

133) **الرّوض الهتون في أخبار مكناسة الزّيتون** ، الرّباط 1371ه/1952م

*ـــ المراكشي عبد الواحد بن علي ت647ه/1249م :

134) **المعجب في تلخيص اخبار المغرب** ، تحقيق : محمد سعيد العريان ، القاهرة 1382ه/ 1963م

*ـــ المقديسي شمس الدين ابي عبد الله محمد375ه /985م :

135) **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** ، ط2 ، طبعة ليدن 1324ه/1906م.

*ـــ المقري شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني ت 1041ه/1632م :

136) **نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب** ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر بيروت 1388ه/1968م.

137) **أزهار الرياض في أخبار عياض** ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ،اللجنة المشتركة لنشر التراث الرباط 1398ه/1978م.

*ـــ النُّباهي أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد الجذامي المالقي توفي أواخر القرن الثامن الهجري :

138) **تاريخ قضاة الاندلس "كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا "**، تحقيق :لجنة احياء التراث ، ط5 ، دار الآفاق الجديدة بيروت 1403ه/1983م .

*ـــ النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت733ه/1333م:

139) **نهاية الارب في فنون الادب** ، تحقيق : عبد المجيد ترحيني ، ط1 ، دار الكتب العلمية بيروت ، 1323ه/2004م.

*ـــ الونشريسي أبي العباس احمد بن يحي ت 914ه/1508م:

140) **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والاندلس والمغرب** ، ط1 ، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية المغرب 1401ه/1981م

*ـــ ياقوت الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ت626ه/1229م:

141) **معجم الأدباء** (**إرشاد الأريب في معرفة الأديب**) ، ط1، دار الغرب الاسلامي بيروت1413ه/ 1993م

142) **معجم البلدان** ، دار صادر بيروت 1379هـــ/1977م .

المراجع بالعربية:

01)- الأوسي حكمة علي : **الادب الاندلسي في عصر الموحدين** ، مكتبة الخانجي القاهرة1396ه/ 1976م

02)- إبراهيم التهامي : **الاشعرية في المغرب دخولها رجالها تطورها وموقف الناس منها** ، ط1 ، دار قرطبة للنشر والتوزيع الجزائر 1427ه/2006م ،

03)- إبراهيم حركات : **المغـــرب عـــبر التـــاريخ** ، ط1، دار الســـلمي الـــدار البيضـــاء المغـــرب ، 1384ه/1965م

04)- إبراهيم مذكور : **في الفلسفة الاسلامية منهج وتطبيقه** ، ط3 ، دار المعارف مصر (د. ت).

05)- إحسان عباس : **أخبار وتراجم أندلسية** (مستخرج من معجم السفر للسلفي ت576ه) ، ط2 ، دار الثقافة بيروت ،1399ه/1979م

- أحمد أمين :

06)**- ضحى الاسلام** ، ط7 ، مكتبة النهضة المصرية1382ه/ 1963م.

07)- **ظهر الاسلام** ،ط1 ، شركة نوابغ الفكر القاهرة 1430ه/2009م.

08)**-** أحمد بن محمد ابن القاضي المكناسي: **جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فـــاس** ، دار المنصور للطباعة والوراقة الرباط1393ه/ 1973م .

09)- أحمد توفيق الطيبي: **دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والاندلس** ،ط1،الدار العربية للكتاب تونس1418ه/1997م

10)- أحمد خليل شال : **علم التاريخ عند المسلمين** ، ط1 ، دار السقيفة بور سعيد مصر 1433ه/2012م

11)- أحمد سوسة : **الشريف الادريسي في الجغرافية العربية** ، ط1 ، مطبعة مكتب صبري بغداد العراق1394ه/1974م

12)- أحمد شلبي : **تاريخ التربية الاسلامية** ، ط2 ، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة 1379ه/1960م.

13)- أحمد محمود صبحي : **في علم الكلام دراسة فلسفية لآراء الفرق الاسلامية في أصول الدين** ، ط5 ، دار النهضة العربية بيروت ، 1405ه/1985م .

14)- أحمد مختار العبادي : **الاسلام في أرض الاندلس** ، دار الحياة مصر1415ه/ 1995م.

15)- أحمد مظهر العظم : **الاسلام ونهضة الاندلس** ، ط2 ، مطبعة الترقي دمشق 1382ه/1963م.

16)- إسماعيل الخطيب : **الحركة العلمية في سبتة خلال القرن السابع** ، ط1 ، جمعية البعث الاسلامي تطوان المغرب1406ه/1986م

17)- إسماعيل بن الاحمر : **بيوتات فاس الكبرى** ، دار المنصور للطباعة والوراقة الرباط 1392ه/1972م

18)- أطلس محمد أسعد : **التربية والتعليم في الاسلام** ، دار العلم للملايين بيروت1395ه/ 1975م.

19)- أمين توفيق الطيبي : **دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والاندلس** ، الدار العربية للكتاب تونس 1404ه/1984م.

20)- أنور الرفاعي : **الاسلام في حضارته ونظمه** ، ط2 ، دار الفكر دمشق 1402ه/1982م.

21)- البشير صفر : **الجغرافيا عند العرب** ، ترجمة :حمادي الساحلي، ط1 ، دار الغرب الاسلامي بيروت 1404ه/1984م

22)- بولطيف لخضر محمد : **فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الاسلامي** ،ط1 ، المعهد العالمي للفكر الاسلامي (د. ت)

- التفتزاني ابو الوفا الغنيمي :

23) -**مدخل الى التصوف الاسلامي** ، ط3 ، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة1379ه/ 1979م.

24) -**ابن سبعين وفلسفته الصوفية** ، ط1 ، دار الكتاب اللبناني بيروت 1393ه/1973م.

25)- جمال أحمد طه : **مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين (448ه – 668ه/ 1056م – 1269م) دراسة سياسية حضارية** ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الاسكندرية مصر1423ه/ 2002م.

26)- جمال المرزوقي : **الفلسفة الاسلامية بين الندية والتبعية** ،ط1 دار الهداية للطباعة والنشر ، 1422ه/2002م.

27)- جميل صليبة : **تاريخ الفلسفة العربية** ، ط2 ، دار الكتاب اللبناني بيروت 1393ه/1973.

28)- حاجي خليفة : **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، دار إحياء التراث العربي بيروت (د.ت)

29)- حامد الشافعي دياب : **الكتب والمكتبات في الاندلس** ، ط1 ، دار قباء للطبع والنشر القاهرة1418ه /1998م

30)- حامد زيان غانم : **تاريخ الحضارة الاسلامية في صقيلية وأثرها على أوربا** ، دار الثقافة للطباعة والنشر القاهرة 1397ه/1977م

31)- حجي محمد : **منوعات محمد حجي** ، دار الغرب الاسلامي بيروت 1418 ه/ 1998م

32)- حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الاسلام السياسي والـــديني والثقـــافي والاجتمـــاعي** ، ط1 ، دار الاندلس بيروت 1368ه/1967م

33)- حسن أحمد محمود: **قيام دولة المرابطين** ، دار الفكر العربي القاهرة 1375ه/1956م

34)- حسن جلاب : **الدولة المرابطية قضايا وظواهر أدبية** ، ط1 ، المطبعة والوراقة الوطنية مراكش المغرب 1416ه/1995م

35)- حسن صبري محمود : **الجغرافيون العرب** ، ط1 ، مطبعة القضاء النجف العراق 1377ه/1958م

36)- حسن علي حسن : **الحضارة الاسلامية في المغرب والاندلس** "عصر المرابطين والموحدين "، ط1، مكتبة الخانجي القاهرة مصر ،1400ه/1980م ،

37)- حسن محمود الشافعي : **المدخل الى دراسة علم الكلام** ، ط2 ، منشورات ادارة القرآن والعلوم الاسلامية كراتشي باكستان 1422ه/2001م .

38)- الحسن اليوسي : **المحاضرات في اللغة والأدب** ، تحقيق : محمد حجي ، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر الرباط1396ه/1976م.

- حسين مؤنس :

39)- **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الاندلس** ، ط2 ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم1406ه/ 1986م

40)- **معالم تاريخ المغرب والاندلس** ، دار الرشاد القاهرة 1425ه/ 2004 م

41)- حكمة علي الاوسي : **الادب الاندلسي في عصر الموحدين** ، ط1 ، مكتبة الخانجي القاهرة 1396ه/1976م.

42)- الحكيم حسن عيسى : **مذاهب الاسلاميين في علوم الحديث** ،ط2 ، المكتبة الحيدرية النجف العراق1431ه/2010م

43)- الحكيم محمد تقي : **الاصول العامة للفقه المقارن** ، دار الاندلس بيروت1382ه/ 1963م

44)- الحلواجي عبد الستار : **الكتب والمكتبات بين القديم والحديث** ، ط2 ، الدار المصرية اللبنانية القاهرة ، 1423ه/2002م

45)- حمادي العبيدي : **ابن رشد الحفيد** ، الشركة التونسية لفنون الرسم تونس 1411ه/1981م.

46)- خالد عبد الحليم السيوطي : **الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس** ، ط1، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة 1422ه/2001م

47)- الخربوطلي حلي حسين : **الحضارة العربية الاسلامية** ، مكتبة الخانجي القاهرة1395ه/1975م

48)- خير الدين الزركلي : **الاعلام** قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، ط15 ، دار العلم للملايين بيروت 1422ه/ 2002 م.

49)- الديوه جي سعيد : **التربية والتعليم في الاسلام** ، مطبعة جامعة الموصل العراق 1402ه/1982م

50)- ساعد بن سليمان بن ناصر الطيار : **التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر** ، ط2 ، دار ابن الجوزي الرياض 1427ه/2006م .

51)- سعيد عبد الفتاح عاشور : وآخرون : **دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية** ، منشورات ذات السلاسل الكويت1406ه/ 1986 م

52)- سيد عبد الماجد الغوري : **موسوعة علوم الحديث وفنونه** ، ط1 ، دار ابن كثير دمشق 1428ه/2007م .

- السيد عبد العزيز سالم :

53)- **تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس** ، دار النهضة العربية بيروت1401ه/1981م

54)- **تاريخ مدينة ألمرية الاسلامية قاعدة اسطول الاندلس**،الاسكندرية مصر1404ه/ 1984م.

55)- **التاريخ والمؤرخون العرب** ،ط1 ، دار النهضة العربية بيروت 1401ه/1981م

- شاكر خصباك :

56)- **الجغرافيا عند العرب** ، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت 1406ه/1986م

57)- **في الجغرافية العربية دراسة في التراث الجغرافي العربي** ، ط1 ، مطبعة دار السلام بغداد 1395ه/1975م

58)- أبو زيد شلبي : **تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامي** ، ط3 ، مكتبة وهبة القاهرة 1432ه/2012م.

59) - أبو زيد عبد الرحّمن: **بيوتات فاس الكبرى** ، طبعة دار المنصور للطّباعة الورقيّة الرّباط1392ه/ 1972م

60)- صالح بن قربة : **عبد المؤمن بن علي موحد بلاد المغرب** ، ط1،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعيـــة الجزائر 1405ه/ 1985م

61)- الصاوي الصاوي أحمد : **الفلسفة الاسلامية مفهومها وأهميتها ونشأتها وأهم قضاياها** ، ط1 ، دار النصر للتوزيع والنشر القاهرة1419ه/1998م

- صبحي الصالح :

62)- **علوم الحديث ومصطلحه** ، ط15 ، دار العلم للملايين بيروت1404ه/ 1984م.

63)- **مباحث في علوم القرآن** ، ط10 ، دار العلم للملايين بيروت1397ه/1977م.

64)- الطاهر بونابي : **التصوف في الجزائر خلال القرن السادس والسابع الهجري/ق 12 – 13م** ، دار الهدى للنشر والتوزيع عين مليلة (د. ت)

65)- الطيب بن عمر بن الحسين : **السلفية وأعلامها في موريتانيا** (شنقيط) ، ط1 ، دار ابن حزم بيروت 1416ه/1995م

66)- طه عبد المقصود عبد الحميد : **الحضارة الاسلامية دراسة في تاريخ العلوم** ، دار الكتب العلمية بيروت1425ه/2004م.

- عادل نويهض :

67)- **معجم أعلام الجزائر** ، ط2 ، مؤسسة نويهض بيروت 1400ه/ 1980 م

68)- **معجم المفسرين من صدر الاسلام حت العصر الحاضر** ، ط3 ، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر 1409ه/ 1988م.

69) عبّاس بن محمد بن إبراهيم السّملالي : **الإعلام بمن حلّ بمراكش وأغمات من الأعلام** ، تحقيق ، عبد الوهاب بن منصور ، ط2 ، المطبّعة الملكيّة الرّباط المغرب ،1413ه/1993م

70)- عبد الحليم عويس : **دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري** ، ط2 ، دار الصحوة للنشر والتوزيع القاهرة ،1991/1411م

71)- عبد الحميد العبادي : **المجمل في تاريخ الاندلس** ،ط 2 ،دار القلم1384ه/1964م

72)- عبد الرحمان علي الحجي : **التاريخ الاندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة** ، ط2 ، دار القلم دمشق بيروت 1402ه/1981م

73)- عبد الرحمن بدوي : **تاريخ التصوف الاسلامي من البداية وحتى القرن الثاني** ، وكالة المطبوعات الكويت1395ه/1975م

74)- عبد السلام أحمد الكنوني : **المدرسة القرآنية في المغرب من الفتح الاسلامي الى ابن عطية** ، مكتبة المعارف الرباط 1401ه/1981م

75)- عبد السلام غرميني : **المدارس الصوفية المغربية والاندلسية في القرن السادس الهجري** ، ط1 ، دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء المغرب 1420ه/2000م

76)- عبد العزيز الاهواني : **برامج العلماء في الاندلس** ، مجلة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، مجلد1 ج1 ، سنة 1374ه/1955م

77)- عبد العزيز الدوري : **نشأة علم التاريخ عند العرب** ، ط1 ، مركز زايد للتراث والتاريخ الامارات العربية المتحدة 1420ه/2000م

78)- عبد العليم عبد الرحيم خضر : **المسلمون وكتابة التاريخ** ، ط1 ، المعهد العالمي للفكر الاسلامي 1415ه/1995م

- عبد الله علام :

79)- **الدعوة الموحدية** ، ط1 ، دار المعرفة القاهرة1384ه/1964م.

80)- **الدولة الموحدية** ،ط1 ، دار المعارف القاهرة 1371ه/1971م.

- عبد الله كنون :

81)- **النبوغ المغربي في الادب العربي** ،ط2 ، دار الكتاب اللبناني بيروت1380ه/1961م .

82)- **ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والسياسة والادب** ،ط1 ، دار ابن حزم بيروت 1430ه/2010م

- عبد المجيد النجار :

83)- **تجربة الاصلاح في حركة المهدي بن تومرت،** ط2 ، المعهد العالمي للفكر الاسلامي فرجينيا 1415ه/1995م

84)- **المهدي إبن تومرت** ، ط1 ، دار الغرب الاسلامي بيروت 1403ه/ 1983م

85)- عبد الهادي الحسيسن : **مظاهر النهضة الحديثة في عهد يعقوب المنصور الموحدي** ، اللجنة المشتركة لإحياء التراث الاسلامي الرباط المغرب 1402ه/1982م

86)- عبد الواحد ذنون طه : **نشأة تدوين التاريخ العربي في الاندلس** ، ط1 ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد1408ه/1988م

87)- عبد الوهاب فايد : **منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم** ، ط1 ، المطبعة الاميرية القاهرة 1393ه/1973م.

88)- عز الدين بليق في كتابه **منهاج الصالحين**،ط1 ، دار الفتح بيروت 1398ه/1978.

89)- عز الدين عمر موسى : **الموحدون في الغرب الاسلامي تنظيماتهم ونظمهم** ، ط1 ، دار الغـــرب الاسلامي بيروت لبنان 1410ه/1990م.

90)- عزيز أحمد : **تاريخ صقيلية الاسلامية** ، ترجمة : امين توفيق الطيبي ،ط1 ، الدار العربية للكتاب بيروت 1389ه/1980م

91)- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: **تاريخ المغرب والاندلس،** ط1، مكتبة نهضة الشرق القاهرة 1405ه/ 1984م،

- عصمت عبد اللطيف دندش :

92)- **أضواء جديدة على على المرابطين** ، ط1 ، دار الغرب الاسلامي بيروت1408ه/1991م

93)- **دور المرابطين في نشر الاسلام في غرب إفريقيا** ، ط1 ،دار الغرب الاسلامي بيروت 1408ه/1988م.

94)- **الاندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين** ،ط1 ، دار الغـــرب الاســـلامي بـــيروت لبنـــان 1408ه/1988م

95)- علي أدهم : **بعض مؤرخي الاسلام** ، مكتبة نهضة مصر القاهرة (د. ت)

- علي الحجي عبد الرحمن :

96)- **التاريخ الاندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة** ، ط2 ، دار القلم دمشق بيروت 1402 ه/1981م

97)- **الكتب والمكتبات في الاندلس**،ط1 ، دار الكتب ابو ظبي الامارات،1428ه/ 2007م

98) - علي محمد الصلابي: **دولة الموحدين** ، دار البيارق للنشر عمان (د. ت)

99) عليش أبو عبد الله محمد بن أحمد ت1299ه/1882م: **فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الامام مالك** ، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت(د.ت)

100)- عمر رضا كحالة : **التاريخ والجغرافيا في العصور الاسلامية** ، ط1 ، المكتبة العربية دمشق 1372ه/1972م

- عمر فروخ :

101)- **تاريخ العلوم عند العرب** ، دار العلم للملايين بيروت 1370ه/1970م.

102)- **جغرافية العرب في العلم والفلسفة** ، ط2 ، المكتبة العلمية بيروت 1371ه/1952م

103)- **عبقرية العرب** ، ط2 ، دار العلم للملايين بيروت 1403ه/1983م

104)- عمرو عبد المنعم سليم : **المعلّم في معرفة علوم الحديث** ، ط1 ، دار التدمرية الرياض 1425ه/2005م

105)- عنان محمد عبد الله : **عصر المرابطين والموحـــدين في المغـــرب والانـــدلس** ، ط 1 القـــاهرة 1383ه/1964م.

106)- الغلامي عبد المنعم : **مآثر العرب في القرون الوسطى** ، مطبعة أم الربيعين الموصل العراق (د. ت)

107)- فيصل بدير عون : **علم الكلام ومدارسه** ، ط2 ، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة (دون تارخ)

108)- قاسم غني : **تاريخ التصوف في الاسلام** ، ترجمة : صادق نشات ، مكتبة النهضة المصرية 1370ه/1970م

109)- قدري حافظ طوقان : **العلوم عبد العرب** ، ط2 ، دار إقرأ بيروت 1403ه/1983م

110)- القصبي محمد زلط : **القرطبي ومنهجه في التفسير**، ط1 ، دار الانصار القاهرة 1399ه / 1979م

111)- الكتاني عبد الحي بن عبد الكبير : **فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات** ،ط2 ، دار الغرب الاسلامي بيروت 1402ه/1982م

112)- الكتاني محمد بن جعفر 1345ه/1927م:

سلوة الانفاس ومحادثة الاكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس ، تحقيق : الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني ، ط2 ، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء 1423ه/2002 م

113)- كريم عجيل حسين : **الحياة العلمية في مدينة بلنسية** ، ط1 ، مؤسسة الرسالة بيروت 1396ه/1976م.

-كمال اليازجي :

114)- **معالم الفكر العربي في العصور الوسطى**، ط6 ، دار العلم للملايين بيروت1399ه/ 1979م.

115)- **النصوص الفلسفية الميسرة** " ابن طفيل وقصة حي ابن يقظان " ط3 ، دار العلم للملايين بيروت 1382ه/1963م.

116)- المسعودي أبي عبد الله محمد الباجي :**الخلاصة النقية في أمراء إفريقية** ، ط 2 ، تونس 1323ه/1905م

117)- محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف: **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية** ط1، دار الكتب العلمية بيروت 1424ه/2003م

118)- محمد حسين الذهبي : **التفسير والمفسرون** ، ط7 ، مكتبة وهبة القاهرة1421ه/ 2000م

119)- محمد الصباغ : **الحديث النبوي مصطلحه بلاغته كتبه** ، ط5 ، المكتب الاسلامي دمشق بيروت 1401ه/1981م

120)- محمد الفاضل بن عاشور : **التفسير والمفسرون** ، منشورات اللغات دار الكتب الشرقية تونس 1386ه/1966

121)- محمد المختار ولد أباه : **مدخل الى أصول الفقه المالكي** ، ط1 ، الدار العربية للكتاب طرابلس ليبيا1407ه/1987م

- محمد المنوني :

122)- **تاريخ الوراقة المغربية** ، ط1 ، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية الرباط 1412ه/ 1991م

123)- **حضارة الموحدين** ، ط1 ، دار توبقال للنشر الدار البيضاء المغرب ،1409ه/1989م

124)- محمد بن أحمد الخوارزمي: **مفتاح العلوم** ، تقديم : عبد اللطيف محمد العبد ، دار النهضة المصرية القاهرة (د. ت)

125)- محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي : **الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي** ، اعتنى به : أيمن صالح شعبان ، ط1 ، دار الكتب العلمية بيروت 1416ه/1995م

126)- محمد بهجت الأثري : **أعلام العراق** ، ط1 ، المطبعة السلفية القاهرة 1345ه/1927م.

127)- محمد عابد : **المثقفون في الحضارة العربية محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد** ، ط2 ، مركز دراسات الوحدة بيروت 1420ه/2000م

128)- محمد عادل عبد العزيز : **التربية الاسلامية في المغرب أصوله المشرقية وتاثيراتها الاندلسية** ، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر1407ه/1987م

129)- محمد عجاج الخطيب: **السنة قبل التدوين** ، ط2 ، مكتبة وهبة القاهرة 1408ه/1988م

130)- محمد عزة دروزة : **القرآن المجيد** ، المكتبة العصرية صيدا بيروت ، (د. ت)

131)- محمد لطفي جمعه : **تاريخ فلاسفة الاسلام** ، ط1 ، دار المعارف مصر 1343ه/1925م

132)- محمد مجيد سعيد : **الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس** ، ط1 ، دار الرشيد للنشر بغداد العراق 1400ه/1980م.

133)- محمد محمد أمان : **الكتب الاسلامية** ، ترجمة : سعد بن عبد الله الضبيعان ، مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض 1411ه/1990م.

134)- محمد مفتاح : الخطاب **الصوفي مقاربة وظيفية** ، ط1 ، مكتبة الرشاد الدار البيضاء المغرب1418ه/1997م

135)- محمود إدريس : **مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية واثرها السيء على الامة الاسلامية** ، ط1 ، مكتبة الرشيد للنشر والتوزيع الرياض 1419ه/1998م

136)- محمود اسماعيل عبد الرزاق : **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري** ، ط2 ، دار الثقافة الدار البيضاء 1406 ه/1985م ،

137)- أبو محمد صالح : **المناقب والتاريخ** ، المجلس البلدي لمدينة آسفي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ، دار النشر العربي الافريقي1410ه/1990م.

138)- مصطفى أبوضيف : **القبائل العربية في المغرب في عصر الموحدين وبني مرين** ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر1402ه/1981م

139)- مصطفى السباعي : **السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي** ، مطبعة المدني القاهرة1381ه/ 1961م

140)- مصطفى سعيد الخن : **دراسات تاريخية للفقه وأصوله والإتجاهات التي ظهرت فيها** ، ط1 ، الشركة المتحدة للتوزيع سوريا 1404ه/1984م.

141)- مصطفى سعيد الخن وبديع السيد اللحام : **الايضاح في علوم الحديث والاصطلاح** ، ط5 ، دار الكلم الطيب بيروت 1425ه/2004م

139)- مصطفى صادق الرافعي : **تارخ آداب العرب** ، دار الكتاب العربي بيروت1394ه/ 1974م

142)- مناع خليل القطان: **مباحث في علوم القرآن** ، ط11 ، مكتبة وهبة القاهرة ، 1421ه/2000م

143)- موس لقبال : **المغرب الاسلامي** : ط2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر1401ه/1981م.

144)-إبن الموقت محمد بن محمد بن عبد الله المراكشي ت 1369ه/ 1950م:
السعادة الابدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية ، مراجعة وتعليق : أحمد متفكر ، ط3 ، المطبعة الوطنية مراكش المغرب 1432ه/ 2011م

145)- نجيب العقيقي : **المستشرقون** ، ط4 ، دار المعارف القاهرة 1383ه/1964م.

146)- نجيب زبيب : **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والاندلس** ، ط1 ، دار الامير بيروت لبنان 1415ه/1995م

147)- نقولا زيادة : **الجغرافيا والرحلات عند العرب** ، ط1 ،دار الكتاب بيروت1381ه/ 1962

148)- هاني العمد : **كتب البرامج والفهارس الاندلسية** ، ط1 ، المركز التقني للخدمات المطبعية بالجامعة الاردنية عمان1414ه/ 1993م

149)- يوسف بن أحمد حواله : **الحياة العلمية في إفريقية (المغرب الادنى) منذ اتمام الفتح وحتى منتصف القرن 5ه** ، جامعة أم القرى الرياض 1421ه/2000م

150)-يوسف علي بن ابراهيم العريني : **الحياة العلمية في الاندلس في عصر الموحدين** ، ط1 ، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز 1416ه / 1995م.

الكتب المترجمة :

1)- أرنولد توماس: **تراث الاسلام** ، ترجمة : جرجيس فتح الله،ط3 ، دار الطليعة بيروت1407ه/1987م

2)- أنخيل جانثالث بالنثيا: **تاريخ الفكر الاندلسي** ، ترجمة :حسين مؤنس،ط1، مكتبة الثقافة الدينية مصر، 1374ه/ 1955م.

3)- أولبير دي لاس : **الفكر العربي ومركزه في التاريخ** ،ترجمة : اسماعيل البيطار ، ط1 ، دار الكتاب اللبناني بيروت 1402ه/1982م.

4)- أوليري دي لاس : **الفكر العربي ومركزه في التاريخ** ، ترجمة : اسماعيل البسيط ، دار الكتاب اللبناني بيروت 1402ه/1982م

5)- بوزورث كليفورد : **الأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي** ، ترجمة : سليمان ابراهيم العسكري ، ط2 مؤسسة الشراع العربي الكويت1416ه/1995م

- خوليا ريبيرا :

6)- **التربية الاسلامية في الاندلس**، ترجمة: الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف القاهرة ،1415ه/ 1994م

7)- **المكتبات وهواة الكتب في إسبانيا الاسلامية** ، ترجمة : جمال محرز ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، مجلد 4 ، ماي 1378ه/1958م.

8)- دبيور .ت.ج : **تاريخ الفلسفة في الاسلام** ، ترجمة : محمد عبد الهادي أبو ريده ، ط4 ، لجنة التأليف والترجمة القاهرة 1376ه/1957م.

9)- رشيد بورويبة : **إبن تومرت** ،ترجمة،، عبد الحميد حاجيات ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1402ه/ 1982م.

10)- روبار برنشفيك : **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 الى نهاية القرن 15م** ، ترجمة حمادي الساحلي،ط1، دار الغرب الاسلامي لبنان1408ه/ 1988 م

11)- روجي لي تورنو : **حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر** ، ترجمة :أمين الطيبي ، الدار العربية للكتاب ليبيا ،1982/1402م

12)- عزيز أحمد : **تاريخ صقيلية الاسلامية** ، ترجمة : امين توفيق الطيبي ،ط1 ، الدار العربية للكتاب بيروت 1389ه/1980م

13)- كارل بروكلمان : **تاريخ الادب العربي** ، ترجمة: عبد الحليم النجار ،ط4 ، دار المعارف مصر (د.ت)

14)- ليفي بروفنسال :**الاسلام في المغرب والاندلس** ،ترجمة: السيد محمود عبد العزيز سالم و محمد صلاح الدين حلمي ، مطبعة النهضة القاهرة ، (د.ت).

- مونتغمري وات :

15)- **في تاريخ إسبانيا الاسلامية** ، ترجمة : محمد رضا المصري ، ط2 ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر بيروت لبنان 1410ه/ 1998 م.

16)- **فضل الاسلام على الحضارة الغربية** ، ترجمة : حسن أحمد أمين ، ط1 ، دار الشروق بيروت ، 1403ه/1983م

17)- الهادي روجي إدريس : **الدولة الصنهاجية (تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن 10 الى القرن 12**)، ترجمة : حمادي الساحلي ، ط1 ، دار الغرب الاسلامي بيروت لبنان 1412ه/ 1992م.

18)- هنري كوربان : **تاريخ الفلسفة الاسلامية** ، ترجمة نصير مروة وحسين قبيسي ، ط2 ، دار عويدات للنشر والطباعة بيروت 1419ه/ 1998م.

19)- هويثي ميراندا أميروسيو : **التاريخ السياسي للأمبراطورية الموحدية** ، ترجمة عبد الواحد أكمير ، ط1 ، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء المغرب ،1425ه/ 2004 م،

20)- يوسف إشباخ : **تاريخ الاندلس** , ترجمة : محمد عبد الله عنان، ط 2 ، القاهرة 1417ه/1996م.

الرسائل الجامعية :

1)- شرقي نوارة : **الحياة الاجتماعية في الغرب الاسلامي في عهد الموحدين** ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاسلامي الوسيط ، غير منشورة ، تحت إشراف : عبد العزيز محمود لعرج ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر 2007 ـــ 2008 .

2)- فاطمة الزهرة جدو : **السلطة والمتصوفة في الاندلس عهد المرابطين والموحدين** ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط ، غير منشورة ، تحت إشراف : إبراهيم بحاز ، قسم التاريخ ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية جامعة منتوري قسنطينة 1429ه/2008م

3)- ليلى أحمد نجار : **المغرب والاندلس في عهد المنصور الموحدي (دراسة تاريخية وحضارية)**، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الاسلامي ، تحت إشارف: أحمد السيد دراج ، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، جامعة أم القرى مكة المكرمة السعودية (غير منشورة) 1409ه/1989م .

4)- محمد الأمين بلغيث : **الربط بالمغرب الاسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحـــدين** ، رســـالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي ،غير منشورة ، تحت إشراف : عبد الحميد حاجيات ، معهـــد التاريخ ، جامعة الجزائر ، 1407ه/1987م

5)- محمد الأمين بلغيث :" **الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين** "، رسالة دكتوراه ، غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية ، قسم التاريخ ،جامعة الجزائر 2 ،1427ه/2007 م.

6)- محمد محمود عبد الله بن بيه : **الاثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين** ، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه ، كلية الشريعة ، قسم الدراسات العليا في التارخ والحضارة ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية 1418ه/1997م

7)- نور الدين ناس الفقيه : **أحمد بن عجيبة شاعر التصوف المغربي** ، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة غير مطبوعة ، تحت إشراف : الدكتور أحمد العراقي ، كلية الآداب ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس 1426ه/2005م.

8)- يونس بحري : **الفقه المالكي في عصر الموحدين دراسة تاريخية واجتماعية** ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الاسلامية (غير منشورة) تحت اشراف : صالح بن قربة ، قسم اللغة والحضارة ، كلية العلوم الاسلامية جامعة الجزائر1، 1433ه/2012م .

المعاجم والقواميس

1)- أحمد بن فارس : **معجم مقاييس اللغة** ، تحقيق : عبد السلام أحمد هارون ، ط1 ، دار الفكر بيروت 1399ه/1978م

2)- أحمد بن مصطفى : **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلـــوم** ، ط1 ، دار الكتـــب العلمية بيروت 1405ه/1985م

3)- التهانوي محمد علي : **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم** ، تحقيق : علي دحروج ، ط1 ، مكتبة لبنان ناشرون بيروت 1417هــ/1996م

4)- الجرجاني علي بن محمد : **معجم التعريفات** ، تحقيق : محمد صديق المنشاوي ، ط1 ، دار الفضـــيلة للنشر والتوزيع القاهرة 1425ه/2004م

5)- الخوارزمي محمد بن أحمد بن يوسف : **مفتاح العلوم** ، تحقيـــق : ابـــراهيم الابيـــاري ، ط2 ، دار الكتاب العربي بيروت 1409ه/1989م

6)- **دائرة المعارف الاسلامية** ، ترجمة :أحمد الشنتناوي وآخرون ، دار المعرفة بيروت لبنان ، د.ت).

7)- رفيق العجم : **موسوعة مصطلحات التصوف الاسلامي** ، ط1 ، مكتبة لبنـــان ناشـــرون بـــيروت 1419ه/1999م .

8)- عبد الحكيم العفيفي: **موسوعة 1000 مدينة إسلامية** ، ط1 ،بيروت لبنان 1421ه/2000م.

9)- فريد وجدي :**دائرة معارف القرن العشرين** ، ط3 ، دار المعرفة بيروت1391ه/1971م.

10)- إبن منظور : **لسان العرب** ، ط1 ، دار صادر بيروت ،(د. ت) .

المجلات والدوريات :

1)– إدريس العزام : **البعد الاصلاحي في فلسفة ابن طفيل الاجتماعية** ، المجلة العربية للعلوم الانسانية جامعة الكويت، عدد11 ، مجلد3 ، الكويت سنة1403ه/1983م.

2)- إمام الدين فتاح : **المكتبات العربية في الاندلس** ، مجلة المورد ، مجلد 25، العددان 3 و4 ، الرباط المغرب سنة1418ه/1997م .

3)- أنور عبد الغني العقاد : **دور العرب المسلمين في ميدان الفلك والجغرافيا** ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية ، عدد4 جامعة الكويت ، سنة 1400ه/ 1980م.

5)- بشير عبد الله الفعلي : **مفهوم التصوف في الاسلام وتطوره وأهميته في حياة الفرد والمجتمع** ، مجلة الجامعة الاسلامية ليبيا ، العدد6 ، السنة الثالثة ،1427ه/2006م .

6)– الجراوي عبد الله : **الرحلة العبدرية** ، **مجلة دعوة الحق** ، العدد:1 ، السنة 13 ، الرباط المغرب1389ه /1969م.

7)- حسين مؤنس : **نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين الى الموحدين** ، مجلة المهد المصري للدراسات الاسلامية في مدريد ، ع3 ، سنة1374ه/1955م.

8)– قاسم مريم : **أضواء على الحركة العلمية في الاندلس** ، مجلة دراسات تاريخية ، العددان 75 و 76 السنة الثانية والعشرون ، جامعة دمشق سوريا سنة1422ه/2001م ،

9)- محمد عاطف العراقي : **ابن رشد عميد الفلاسفة** ، مجلة الفيصل ، عدد94 ، السنة 8 ، الرياض 1405ه/1985م.

10)- محمد علي مكّي : **الرّحلات بين المشرق والأندلس** ، مجلّة البيّنة ، العدد1 ، المغرب، جويليّة 1382ه/ 1962م.

المراجع باللغة الاجنبية :

1)- Abdallah Larawi : **L' histoire du magreb un essai de snthése Casablanca**, Maroc1995.

2)- Ch . André Julien : **Histoire de L'Afrique du Nord** , Tome II, Payot- paris.

3)- Christophe Picard : **L'océan Atlantique Musulman de la conquète Arabe à l'epoque Almohade** , Maisonneuve & Larose, 1997.

4)- Ferriol: **Les Ruines de Tinmel** , Hésperis,paris 1922,

5)- H.Terrasse & Basset : **Sanctuaires et Fortresses almmohades** ,Coll Hespris , paris 1932

6)- Pérés : **La Poesie à Fès sous le Almoravid et les Almhades** , Hespèris ,1934 .

7)- Juen Vernet Gines : **Historia De La Ciencia Espanola**, Madrid ,1975.

8)– Julio Gonzalez : **Les Conquistas de Fernando III en Andalucia** , Madrid , 1946 :

8)- Levi provençal :**Document inédits Almohade** , Librairie orientaliste , Paris 1928

9)- Miguel Cruz Hernandez , **Historia del Pensamiento En El Mundo Islamico** , Madrid 1981

فهرس المحتويات

فهـــــــــرس المحتـــــــويات

الصفحة